أحلى ما قيل في المرأة

عبد الحميد عيسى غازي

مكتبة التراث الإسلامي

الطبعـة الأولـى
١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م

مكتبة التراث الإسلامي
٨ شارع الجمهورية عابدين القاهرة ت : ٣٩١١٣٩٧ فاكس : ٣٩١٣٤٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمـــة :

لاشك أن عالم المرأة عالم عجيب تحوم حوله التخيلات والتصورات التى غالباً ماتكون بعيدة عن الحقيقة، فإذا ماذكرت المرأة فى أى مكان تكونت لها على الفور فى مخيلات الحاضرين صورة هى أقرب إلى الأحلام منها إلى الحقيقة.

وإنى فى هذا الكتاب أحاول جاهداً أن أقدم الصورة الحقيقية بكل وضوحها وصراحتها دون زيف، هادفاً من ذلك فائدة الرجل وفائدة المرأة.. فائدة الرجل لأنه حينما يعرف نفسية المرأة وماتحتويه هذه النفسية من انفعالات ومشاعر خاصة تختلف عن مشاعره فإنه يكون أقدر على معاملتها المعاملة السليمة دون أن يظلمها، وإنه حين يعرف ظروفها ويعلم طبيعة خلقها ووظائف أعضائها الحيوية لقادر على التكيف معها والتقدير لكل ماتمر به من أحاسيس، وبالتالى يصبح على علم بكيفية سياستها.. وفائدة المرأة لأنها وإن كانت هى الموضوع الذى نبحثه إلا أنه قد تدور فى نفسها الانقلابات، ولا تعرف لها أصلاً أو سبباً فيتسلل إليها الانزعاج وينغص عليها حياتها ولكنها حين تعرف طبيعة خلقها وحين تطلع على حقيقة نفسها، ومشاعرها ستطمئن، وتعالج الأمور بهدوء وروية، وبذلك تحصل على المفتاح لكل المتاعب، فما دامت قد استطاعت التكيف مع مشكلاتها فإنها ستكون قادرة على حلها.

وفهم الظروف المحيطة بالمرأة والاطلاع على مايجرى داخل نفسيتها أمر ضرورى، وحيوى للغاية لكى نستطيع أن نقدر ماتمر به من ظروف، ولكى نستطيع أيضاً أن نتصرف معها ونعاملها على ضوء معرفتنا بما قد لايكون لها يد فيه.

إن المرأة خلقت لأداء رسالة محددة وجاء تركيبها الجسمانى والعضوى والنفسى وفقاً لهذه الرسالة.. ملائماً لها، كما أن ذلك فرض عليها أن تمر بتغيرات داخلية تفرض عليها أنماطاً من السلوك لم تكن هى نفسها تعهدها من قبل، يجب أن يعرف الرجل طبيعة هذه التغيرات وانعكاساتها على نفسية المرأة، ويجب أيضا على

المرأة أن تعرفها حتى لاتأخذها الهواجس والأوهام بعيداً.

ولأن للمرأة عالمها الوردى المثير الجذاب فإنه لايفوتنى أن أجعل كتابها هذا وردياً ومثيراً وجذاباً، وبعيداً عن الجفاف، ومن الضرورى إثارة بعض الأفكار وبعض الآراء التى تمس جوانب المرأة ومناقشتها ووضعها تحت منظار البحث حتى نصل إلى قرار، أو يكون لنا أن نتشرف بأن نومض بالإشارات الضوئية المفيدة أمام الأذهان والعقول، وأن نفتح الأبواب أمام البحث ليقوم بدوره العظيم.

وسوف يتعرض الكتاب لموضوعات حساسة قد ثار حولها اختلاف، ونقاش كبير، وتعددت الآراء تتناولها من هنا وهناك، وسوف نعرض هذه الآراء واضعين نصب الأعين الاهتداء بالنقاش العلمى الموضوعى بعيداً عن أن نكون عاطفيين فيما يصدر عنا من آراء، وإننا لنؤكد أن علمية وموضوعية المناقشة والبحث والتحليل حرية أن توصلنا لما نهدف إليه من فائدة الجميع.

ويهمنى هنا أن أشير إلى ملاحظة جديرة بالاهتمام، وهى أن أغلب الكتابات التى تخرج لنا عن المرأة والرجل، وما يمسهما من موضوعات ومشاكل إنما تثير فى نفوس كل من الجنسين التعصب، والتحزب كل ضد الجنس الآخر حتى أصبح الأمر صراعاً ونزاعاً وحرباً شعواء تسبب فيها المغرضون.

ونسينا أن التفاهم ينبغى أن يسود بين الرجل والمرأة لأن الرجل يكمل المرأة، والمرأة تكمل الرجل، وليس أحدهما بديلاً عن الآخر حتى نفاضل بينهما، فالرجل يقوم بدور لاغنى للمجتمع عنه، والمرأة تقوم بدور لاغنى للمجتمع عنه، وهو دور رفيع المستوى ولايعنى كونه يتخذ من البيت مسرحاً أنه دور قليل الشأن، بل إن تربية الأجيال دور خطير الشأن عظيم القيمة بالغ الأهمية.

إن الحياة لاتستساغ دون أن يتحد الجنسان، ويرتبطا برباط من الألفة والمحبة يضفى على الحياة بهجة وسرورا.

إن متاعب الحياة تفرض على الرجل وعلى المرأة أن يكونا على وفاق حتى يستطيعا الحياة وعلى الشفاه بسمة، وفى القلوب فرحة، وفى الصدور محبة.

ولعل كتابى هذا يأتى ليكون حلقة الوصل بين الرجل والمرأة، يقرب، ويربط بينهما فى أروع وأسمى وأخلد لقاء.

إننا نسلط الأضواء على المرأة فى هذا الكتاب، ولكن لماذا من خلال القرآن

الكريم بالذات؟

قرأت القرآن وتتبعت أبرز مواقفه فى جانب المرأة، فوجدت أن القرآن وحده خير مايصور للناس عناية الإسلام بالمرأة وحظوتها عنده، وليس بعد كلام الله كلام، ولابعد تشريعه تشريع، فهو الحكم الأعلى ومصدر التشريع الذى يحكم على غيره، ولايحكم الغير عليه (١) .

وأيضاً لأنه يهدى للتى هى أقوم..عزيز ﴿ **لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ۞ تنزيل من حكيم حميد** ﴾(٢)

لأنه مبارك...

لأنه الكتاب الذى... أحكمت آياته

لأنه تنزيل من الرحمن الرحيم

ولأنه أيضا للذين آمنوا هدى وشفاء..

ولأنه الكتاب الذى قال رسول الله ﷺ عنه فيما رواه الترمذى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه: «**ستكون فتن كقطع الليل المظلم**، قلت: يارسول الله، وما المخرج منها؟ قال:«**كتاب الله تبارك وتعالى، فيه نبأ من قبلكم، وخبر مابعدكم، وحكم مابينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبارٍ قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لاتزيغ به الأهواء، ولاتلتبس به الألسنة، ولاتتشعب معه الآراء، يشبع منه العلماء، ولايمله الأتقياء، ولايخلق على كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا: إنا سمعنا قرآنا عجباً، من علم علمه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم**».

ويقول المولى عز وجل فى محكم آياته هذه الكلمات التى نحب أن نختم بها هذه المقدمة.. والتى تستحق منا كل تأمل عميق.. استمع وأنصت معى:

---

(١) فضيلة الشيخ محمود شلتوت فى كتابه «القرآن والمرأة».

(٢) الآية : ٤٢/ فصلت

﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾
[النحل ٨٩]

إذاً فهذا الكتاب فيه:

١ ـ التبيان لكل شيء.

٢ ـ الهـدى .

٣ ـ الرحمة

٤ ـ البشرى للمسلمين.

ماذا نريد إذن أكثر من ذلك حتى نعكف عليه نحاول من خلاله فهم طبيعة المرأة.

إنه كتاب الله.. وكفى... قدمنا من خلاله ملامح للمرأة.. ملمحاً وراء الآخر، فإذا ضممنا هذه الملامح بعضها إلى بعض ، اكتملت لنا صورة تعرفنا المرأة، وتقربها منا، ومن أذهاننا..

عبد الحميد عيسى غازى

بسم الله الرحمن الرحيم

لست نبياً ملهماً، ولا حكيماً يكشف القناع عن الحقيقة بثاقب حكمته..

وحسبى أن أكون قد وفقت إلى عرض رأيى واجتهادى، وجمع شتات بعض البحوث، وإجادة ترتيبها، وتهذيبها.

﴿ ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولاتحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾

[البقرة/ ٢٨٦]

لو افترضنا أننا نرسم صورة
للمرأة.. فما هي الملامح التي يتأتى
لنا أن نلمحها فى مثل هذه
الصورة؟!

الهنـــاء

يأتى ذكر المرأة فيذكر المرء الهناء: فهى الطريق إليه، بغض النظر عن الأشواك التى قد تدمى أيدينا، ونحن نمدها إلى الزهرة نريد عطرها، وشذاها، ومرآها النضر الطرى.

فالهناء إذن معنى وملمح من ملامح المرأة، فإذا ماذكرت المرأة جاء ذكر الهناء.

ويشير الله عز وجل إلى هذا الهناء الذى يكون فى صحبة المرأة حينما يجعله جزاء من آمن وعمل صالحا،والقياس هنا مع الفارق.. فالله جل جلاله يقول:

﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ﴾.

[البقرة / ٢٥]

﴿ولهم فيها أزواج﴾: أزواج: جمع زوج، والمرأة: زوج الرجل، والرجل زوج المرأة.

﴿مطهرة﴾. نعت للأزواج.. ومعنى هذه الطهارة من الحيض والبصاق وسائر أقذار الآدميات، ذكر عبد الرزاق قال: أخبرنى الثورى عن ابن نجيح عن مجاهد: مطهرة، قال: لايبلن ولايتغوطن ولايلدن ولايحضن ولايمنين ولايبصقن.[(١)]

وتفسير هذه الآية الكريمة:

وبشر يامحمد الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن مصيرهم إلى جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما أعطوا من ثمارها ووجدوه كثمار الدنيا شكلا ولونا، قالوا قد رزقنا الله مثل هذا فى الدنيا وسيكون مع هؤلاء زوجات طاهرات، فيعيشون فى هناء خالد لايعتريه انقطاع[(٢)].

وهكذا فإن القرآن يشير إلى الهناء مع المرأة الزوجة الطاهرة كملمح من ملامحها، ويجعله جزاء لمن يرضى الله عنهم فى جنات تجرى من تحتها الأنهار.

وبطبيعة الأمر فإن هناك فرقاً بين المرأة فى الدنيا وبين المرأة فى الآخرة، كذلك فإن

---

(١) تفسير القرطبى.

(٢) تفسير محمد فريد وجدى.

هناك اختلافاً بين الهناء مع المرأة فى الدنيا وبين الهناء مع المرأة فى الآخرة.. غير أن هذا الهناء معها فى الدنيا يبدو أمامنا كمثال اعتمد عليه القرآن ليقرب إلى الأذهان معنى الهناء معها فى الآخرة، ومن هنا يتضح أن العلاقة بينهما، والصلة موجودة وقائمة.

ولقد وردت آيات كثيرة فى القرآن الكريم تشير إلى جزاء من يرضى الله عنهم وهى بمبناها ومعناها تؤكد أن الهناء مع المرأة الطاهرة جزء أساسى من هذا الجزاء.

يقول عز وجل:

﴿ قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد ﴾

[آل عمران ١٥]

ويتحدث سبحانه وتعالى عما سيلاقيه عباد الله المخلصون فى جنات النعيم: فيقول:

﴿وعندهم قاصرات الطرف عين ۞ كأنهن بيض مكنون﴾

[الصافات ٤٨ ـ ٤٩]

﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ أى نساء قصرن طرفهن على أزواجهن فلا ينظرن إلى غيرهم.. **﴿وقاصرات﴾** مأخوذ من قولهم: قد اقتصر على كذا إذا اقتنع به، وعدل عن غيره.

﴿عين﴾: عظام العيون. الواحدة عيناء.

﴿كأنهن بيض مكنون﴾: أى مصون. قال الحسن وابن زيد: شبهن ببيض النعام، تكنها النعامة بالريش من الريح والغبار.. والعرب تشبه المرأة بالبيضة لصفائها وبياضها.

.. وقيل المكنون المصون عن الكسر أى إنهن عذارى . [تفسير القرطبى]

ونجد فى سورة ص الآية ٥٢ :

﴿ وعندهم قاصرات الطرف أتراب ﴾

وفى سورة الواقعة الآية ٢٢ ، ٢٣ :

﴿ وحور عين ۞ كأمثال اللؤلؤ المكنون ﴾

وفى سورة الواقعة أيضا الآيات ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ :

﴿ إنا أنشأناهن إنشاء ۞ فجعلناهن أبكارا۞عربا أترابا ﴾

(عربا) جمع عروب، والمرأة العروب هى المتحببة إلى زوجها.

وفى سورة الرحمن الآيات ٥٦، ٥٧، ٥٨:

﴿ فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولاجان۞فبأى آلاء ربكما تكذبان۞كأنهن الياقوت والمرجان ﴾.

وفى سورة الرحمن أيضاً الآيات ٧٠ حتى ٧٨:

﴿ فيهن خيرات حسان ۞ فبأى آلاء ربكما تكذبان ۞ حور مقصورات فى الخيام ۞ فبأى آلاء ربكما تكذبان ۞ لم يطمثهن إنس قبلهم ولاجان ۞ فبأى آلاء ربكما تكذبان ۞ متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان ۞ فبأى آلاء ربكما تكذبان۞تبارك اسم ربك ذى الجلال والأكرام ﴾

وفى سورة النبأ الآيات ٣٣ حتى٣٦:

﴿وكواعب أترابا۞ وكأسا دهاقا۞ لايسمعون فيها لغوا ولا كذابا ۞ جزاء من ربك عطاء حساباً﴾

المتـاع والفتنـة

فى صحبة المرأة نجد ملمحاً آخر وهو المتاع والفتنة، فمن سورة آل‌عمران نقرأ الآية رقم ١٤ :

﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ﴾

يقول الأستاذ محمد فريد وجدى فى تفسير هذه الآية:

[زين الشيطان للناس الميل للشهوات من النساء والأولاد، والذهب، والفضة، والخيل المعلمة، والماشية، والزرع، وكل ذلك تمتع فى الحياة الفانية، والله عنده حسن المآب أى المرجع]. أ . هـ .

ولايفوتنا فى هذا المقام أن نلاحظ أن القرآن الكريم قد ذكر النساء فى هذه الآية فى مقدمة الشهوات. وهذا يعنى أن الشيطان قد زين للناس حب الشهوات من النساء فى المقام الأول قبل البنين، وقبل الذهب، وقبل الفضة، وقبل الخيل، وقبل الأنعام، وقبل الحرث، وفى ذلك مايدلنا على مقدار مافى صحبة النساء من متاع، وبالتالى ماتحدثه هذه الصحبة من فتنة.

يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية:

[يخبر الله تعالى عما زين للناس فى هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين.. فبدأ بالنساء لأن الفتنة بهن أشد. كما ثبت فى الصحيح أنه ﷺ قال: «ماتركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء». فأما إذا كان القصد بهن الإعفاف وكثرة الأولاد، فهذا مطلوب مرغوب فيه مندوب إليه كما وردت الأحاديث بالترغيب فى التزويج..

يقول ﷺ **«الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة، إن نظر إليها**

سرته، وإن أمرها أطاعته، وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وماله».. وحب المال تارة يكون للفخر والخيلاء والتكبر على الضعفاء والتجبر على الفقراء فهذا مذموم، وتارة يكون للنفقة فى القربات وصلة الأرحام والقرابات ووجوه البر والطاعات فهذا ممدوح محمود شرعا.

.. ثم قال تعالى ﴿**ذلك متاع الحياة الدنيا**﴾ أى إنما هذا زهرة الحياة الدنيا وزينتها الفانية الزائلة ﴿**والله عنده حسن المآب**﴾ أى حسن المرجع والثواب..أ.هـ.

يقول القرطبى:

«قوله تعالى : ﴿**من النساء**﴾ بدأ بهن لكثرة تشوف النفوس إليهن.لأنهن حبائل الشيطان، وفتنة الرجال. قال ﷺ: «**ماتركت بعدى فتنة أشد على الرجال من النساء**» . ففتنة النساء أشد من جميع الأشياء. ويقال: فى النساء فتنتان، وفى الأولاد فتنة واحدة، فأما اللتان فى النساء فإحداهما تؤدى إلى قطع الرحم لأن المرأة تأمر زوجها بقطعه عن الأمهات والأخوات.. والثانية يبتلى بجمع المال من الحلال والحرام. وأما البنون فإن الفتنة فيهم واحدة وهو مايبتلى بجمع المال لأجلهم.

... ولأنهن قد خلقن من الرجل، فهمتها فى الرجل، والرجل خلق فيه الشهوة وجُعِلَتْ سكناً له، فغير مأمونٍ كل واحد منهما على صاحبه.. فعلى الإنسان إذا لم يصبرَ فى هذه الأزمان أن يبحثَ عن ذات الدين ليسلم له الدين. قال ﷺ:

« **لاتزوّجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ولاتزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ولكن تزوجوهن سوداء خرماء**[1] **ذات دين أفضل** » .. قوله تعالى: ﴿ **ذلك متاع الحياة الدنيا** ﴾ أى مايتمتع به فيها ثم يذهب ولايبقى، وهذا منه تزهيد فى الدنيا، وترغيب فى الآخرة. وقال رسول الله ﷺ: «**إنما الدنيا متاع وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة**» أ.هـ.

ويقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى بصدد تفسير ﴿ **زين للناس حب الشهوات.**﴾.. مخاطباً المرأة:

[إن أمر وجودنا فى هذه الحياة جد وأخطر من الجد! فلا يحجبنك عن تصور

١ – خرماء : مقطوعة بعض الأنف ومثقوبة الأذن .

عاقبتها أى لون من ألوان مغرياتها، ولا ينسينك هوانها كثرة ماترين من المتعلقين بها، ولاتنسى أن الناس إنما يجتازون إلى الله في هذه الدنيا بساعة امتحان، سواء علموا ذلك أم جهلوا، وربما طالت هذه الساعة أو قصرت، ولكنها على كل حال ليست أكثر من ساعة امتحان.

وإذا كان الاجتياز بهذه الساعة الامتحانية قدراً مشتركاً بين الرجال والنساء فإن المرأة تمتاز عن الرجل بحمل عبء آخر شديد الخطورة. فالمرأة بالإضافة إلى كونها تشترك مع الرجل فى اجتياز هذه الساعة الامتحانية تعتبر مادة من أهم موادها الامتحانية ذاتها.

ذلك لأن الشهوات على اختلافها هى المنزلق الامتحانى، والمرأة بتقرير الله تعالى وصريح بيانه أول نوع من أنواع هذه الشهوات، أو ليس هو القائل: ﴿ **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث. ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب** ﴾ [آل عمران ١٤]

فقد عد الله المرأة فى أول مراتب الشهوات التى وضعها زينة وابتلاء فى طريق الناس. ولولا أنها تفوق سائرها فى الخطورة والأهمية، لما جعل مرتبتها فى الذكر قبلهن جميعا.

إذاً فالمرأة فى حياة الإنسان أخطر ابتلاء دنيوى على الإطلاق، وسر ذلك أن جميع الآثام التى حظرها الله تعالى على عباده ليس بينها وبين الإنسان أى انسجام فطرى. فالظلم بأنواعه المختلفة محرم، ويعين الإنسان على تجنبه أن الفطرة الإنسانية تشمئز منه. وشرب الخمر محرم، ويهون من أمر تحريمها أن الفطرة الإنسانية تعافها، وكذلك السرقة، والغش، والغيبة، والنميمة، وبقية المحرمات الأخرى. كلها لاتتفق مع مقتضيات الفطرة الإنسانية السليمة.

ومن خلال هذه المقارنة نستطيع أن ندرك أن الشهوة الجنسية فى الإنسان أخطر ابتلاء دينى فى حياته، إذ فى الوقت الذى تقف الفطرة الإنسانية فيه عوناً على تطبيق حكم الله بالنسبة لمختلف المعاصى والمنكرات، فإنها تقف بالنسبة للشهوة الجنسية مثيرة لها أو عاجزة فى أحسن الأحوال عن أن تكبح جماحها.

وبناء على ذلك فإن العلاج الإسلامى بالنسبة لسائر المعاصى يكمن فى مزيد من

الابتعاد عنها والاستعلاء فوقها، أما بالنسبة لأمر الجنس خاصة فقد كان العلاج هو الارتواء منه، وإمتاع الغريزة به، ولكن ضمن حدود مرسومة.

فهذا معنى قولنا: أن المرأة أخطر مادة امتحانية فى حياة الرجل على الإطلاق.

وربما نسأل: ولماذا لايعتبر الرجل أيضا أخطر مادة امتحانية فى حياة المرأة؟

والجواب: أن الفاطر الحكيم أقام فطرة المرأة على أسس نفسية جعلت منها مطلوبة أكثر منها طالبة، فهى مهما استشعرت إلحاحا غريزيا فى كيانها، تظل ميالة.. إلى أن تتحصن بمركز الانتظار، وأن تفرض على الرجل ظروفاً وأسباباً تجعله يلح فى طلبها، وبذلك تكون المرأة فتنة للرجل أكثر من أن يكون الرجل فتنة لها.

وقد قرر رسول الله ﷺ هذه الحقيقة فى قوله: «**ماتركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء**» [متفق عليه]

وأمر هذه الفتنة عائد إلى المرأة، فهى تستطيع إذا شاءت أن تجعل من شأن نفسها بلاءً صاعقاً للرجل، لايكاد يجد سبيلاً للنجاة منه.

وتستطيع أن تجعل من شأن نفسها عوناً له على السير فى طريق السلامة.

ومن هنا كان أخطر الوظائف التى كلف الله بها المرأة أن تغمد سلاح فتنتها أمام الرجال حتى لايقعوا فى رهق من أمر هذا الامتحان.

وقد تم الإجماع على أن المرأة لاتحرز رضى الله تعالى عنها بعمل من الأعمال، كما تحرزه بالسعى فى سبيل يعين الرجل على الاستقامة، ولاتتسبب فى غضب الله تعالى عليها بعمل من الأعمال مثل: أن تثير فى الرجل نوازعه الشهوانية.

وماكان أكثر أهل النار النساء بإخبار النبى ﷺ فى الحديث الصحيح، إلا لجملة عوامل من أهمها أنهن لايتقين الله تعالى فى هذه الوظيفة الخطيرة التي أناطها الله تعالى بهن.[١] أ. هـ.

(١) من كتيب إلى كل فتاة تؤمن بالله للدكتور محمد سعيد رمضان البوطى (بتصرف)

السكـــن

والآن إلى ملمح آخر من ملامح المرأة: وهو أنها قد جُعلت سكناً للرجل، فالله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ [الروم ٢١]

يقول الأستاذ محمد فريد وجدى فى تفسير إجمالى مبسط لهذ الآية:

«ومن آياته أنه خلق لكم من جنسكم أزواجاً لتميلوا إليهن، وجعل بينكم حبا وعطفا» أ. هـ.

وليس من شك فى أن السكن والمودة والرحمة نعمة كبرى يجدها الإنسان متمثلة فى المرأة الصالحة، وماينشأ بينه وبينها من علاقات.. وهى نعمة بلغت حد أن جعلها الله من آياته التى لايدركها إلا قوم يتفكرون.. قوم من ذوى العقول والألباب.

يقول ابن كثير:

[وقوله تعالى:

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا ﴾

أى خلق لكم من جنسكم إناثا تكون لكم أزواجا **﴿ لتسكنوا إليها ﴾** كما قال تعالى **﴿ هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ﴾**

[الأعراف الآية ١٨٩]

يعنى بذلك حواء خلقها الله من ضلعه الأقصر الأيسر، ولو أنه تعالى جعل بنى آدم كلهم ذكورا وجعل إناثهم من جنس آخر من غيرهم إما من جان أو حيوان لما حصل هذا الائتلاف بينهم وبين الأزواج، بل كانت تحصل نفرة لوكانت الأزواج من غير الجنس، ثم من تمام رحمته بنى آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم، وجعل بينهم وبينهن مودة وهى المحبة، ورحمة وهى الرأفة أ.هـ.

وقد لفت نظرنا اللفظ (لتسكنوا) بالذات والذى يفهم منه أن المرأة (سكن) للرجل.. وبالبحث فى قاموس مختار الصحاح عن معنى (سكن) وجدنا مايلى :

(سكن) الشيء من باب دخل (والسكينة) الوداع والوقار.. والسكن أيضا كل ما سكنت إليه..) أ.هـ.

من ذلك تتضح بلاغة القرآن فى اختياره هذا اللفظ بالذات، فقد أفهمنا أن الزوجة الصالحة تمثل للرجل المأوى الذى يلجأ إليه من كد الحياة ونصبها وهَمها لتمسح على رأسه بيدها الحانية فتزيل همومه وتداوى أوجاعه بحبها ومابينه وبينها من مودة ورحمة، ويكون مثلها فى ذلك كمثل السكن فى واحة ظليلة وارفة الظلال وسط صحراء شديدة الهجير.

ويزيدنا القرطبى إيضاحا حينما يقول:

[ومعنى ﴿**خلق لكم من أنفسكم أزواجا**﴾ أى نساء تسكنون إليها

﴿**من أنفسكم**﴾ أى من نطف الرجال ومن جنسكم، وقيل المراد حواء خلقها من ضلع آدم: قاله قتادة ﴿**وجعل بينكم مودة ورحمة**﴾ قال ابن عباس ومجاهد: المودة الجماع، والرحمة الولد، وقاله الحسن: وقيل: المودة والرحمة عطف قلوبهم بعضهم على بعض، وقال السدى: المودة المحبة، والرحمة الشفقة، وروى معناه عن ابن عباس قال: المودة حب الرجل امرأته، والرحمةرحمته إياها أن يصيبها بسوء، ويقال: إن الرجل أصله من الأرض، وفيه قوة الأرض، وفيه الفرج الذى منه بدئ خلقه فيحتاج إلى سكن، وخلقت المرأة سكناً للرجل، قال الله تعالى:

﴿ **ومن آياته أن خلقكم من تراب** ﴾

وقال: ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها** ﴾.

فأول ارتفاق الرجل بالمرأة سكونه إليها مما فيه من غليان القوة، وذلك أن الفرج إذا تحمل فيه هيج ماء الصلب إليه، فإليها يسكن وبها يتخلص من الهياج. وللرجال خلق البضع منهن، قال الله تعالى: ﴿ **وتذرون ماخلق لكم ربكم من أزواجكم** ﴾ فأعلم الله عز وجل الرجال أن ذلك الموضع خلق منهن للرجال، فعليها بذله فى كل وقت يدعوها الزوج، فإن منعته فهى ظالمة وفى حرج عظيم، ويكفيك من ذلك ماثبت فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة قال:« قال رسول الله ﷺ: **والذى نفسى بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذى فى السماء ساخطاعليها حتى يرضى عنها**» وفى لفظ آخر: «**إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح**» أ.هـ.

والله عز وجل هو القائل:

﴿ فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ﴾

[الشورى ١١]

يقول القرطبى:

﴿ جعل لكم من أنفسكم أزواجا ﴾ قيل معناه إناثا. وإنما قال **﴿من أنفسكم﴾** لأنه خلق حواء من ضلع آدم. وقالَ مجاهد: نسلاً بعد نسل. **﴿و من الأنعام أزواجا﴾** يعنى الثمانية التى ذكرها فى **﴿الأنعام﴾** ذكور الإبل والبقر والضأن والمعز وإناثها]. أ. هـ.

وهو تعالى القائل:

﴿ خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون ﴾ [الزمر ٦]

يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية:

وقوله جلت عظمته **﴿خلقكم من نفس واحدة﴾** أى خلقكم مع اختلاف أجناسكم وأصنافكم وألسنتكم وألوانكم من نفس واحدة هو آدم عليه الصلاة والسلام **﴿ ثم جعل منها زوجها﴾**وهى حواء عليها السلام. كقوله تعالى **﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾**] أ . هـ.

وهكذا ترى هذه التفاسير أن الله جلت قدرته قد خلق آدم (نفس واحدة)ثم جعل منها زوجها وهى حواء لتكون سكناً له .

المرأة لباس لزوجها

والمرأة لباس لزوجها، كما أن زوجها لباس لها:

فالله جل جلاله يقول:

﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ماكتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ولاتباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ﴾

[البقرة١٨٧]

في تفسير ابن كثير نجد:

«وقوله: ﴿ **هن لباس لكم وأنتم لباس لهن** ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وسعيد ابن جبير.. يعني هن سكن لكم وأنتم سكن لهن. وقال الربيع بن أنس هن لحاف لكم، وأنتم لحاف لهن، وحاصله أن الرجل والمرأة كل منهما يخالط الآخر ويماسه ويضاجعه فناسب أن يرخص لهم في المجامعة في ليل رمضان لئلا يشق ذلك عليهم» أ.هـ.

ويقول الأستاذ محمد فريد وجدي:

« ﴿ **هن لباس لكم وأنتم لباس لهن** ﴾: شبه الزوج والزوجة باللباس كل لصاحبه لأن كل واحد منهما يستر حال صاحبه، ويمنعه الفجور» أ. هـ.

أما القرطبي فيقول:

«أصل اللباس في الثياب، سمي امتزاج كل واحد من الزوجين بصاحبه لباسا، لانضمام الجسد إلى الجسد وامتزاجهما وتلازمهما تشبيهاً بالثوب.. وقال بعضهم: يقال لما ستر الشيء وداراه: لباس، فجائز أن يكون كل واحد منهما ستراً لصاحبه عما لايحل.. وقيل: لأن كل واحد منهما ستر لصاحبه فيما يكون بينهما من الجماع من أبصار الناس. وقال أبوعبيدةوغيره: يقال للمرأة: هي لباسك وفراشك وإزارك...

وقال الربيع: هن فراش لكم، وأنتم لحاف لهن. ويقول مجاهد: أى سكن لكم، أى يسكن بعضكم إلى بعض] أ. هـ.

ونحن نرى أن الآية تحتمل كل هذه المعانى مجتمعة فليس بينها أى تعارض أو تنافر ،بل يجمع هذه المعانى عنصر التآلف والتكامل لتأدية هذ المعنى البليغ الذى يلخص العلاقة بين الرجل والمرأة فى كلمة واحدة.

الحــرث

والنساء أيضا [حرث] للرجال فالله تعالى يقول:

﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين﴾ [البقرة ٢٢٣]

فى تفسير ابن كثير نجد:

« **﴿نساؤكم حرث لكم﴾** قال ابن عباس: الحرث: موضع الولد **﴿فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾** أى كيف شئتم مقبلة ومدبرة فى صمام واحد:... قال ابن جريج فى الحديث فقال رسول الله ﷺ: «**مقبلة ومدبرة إذا كان ذلك فى الفرج**» أ.هـ

ويقول الأستاذ محمد فريد وجدى :

« **﴿نساؤكم حرث لكم﴾** أى مواضع حرث شبههن بها لما يلقى فى أرحامهن من البذور» .

الرجل يحرث أرضه ويلقى فيها البذور فيحصل على الثمار، ولقد شبه الله لذلك المرأة بالحرث، فقال **﴿نساؤكم حرث لكم﴾** فمباشرة الزوجة تبدو وكأنها عملية حرث يحصل الزوج بعدها على النسل أ. هـ.

ويبين الله فى هذه الآية كيف يأتى الرجل زوجته حيث، إن لهذه الآية قصة، فلقد ورد فى صحيح مسلم: حدثنا قتيبه بن سعيد وأبو بكر بن شيبة، وعمرو الناقد.. قالوا: حدثنا سفيان عن ابن المنكدر أنه سمع جابراً يقول:

« كانت اليهود تقول إذا أتى الرجل امرأته من دبرها فى قبلها كان الولد أحول، فنزلت الآية: **﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾** .

وزاد فى رواية عن الزهرى: إن شاء مُجَبِّيَةً وإن شاء غير مجبية غير أن ذلك فى صمام واحد.

ويفسر مسلم ذلك فيقول: قوله إن شاء مجبية أى مكبوبة على وجهها.. قوله وإن

شاء غير مجبية: هذا يشمل الاستلقاء والاضطجاع والتحجية، وهو كون المرأة فى وضع كالساجدة.

وقوله فى صمام واحد، أى ثقب واحد والمراد القبل.

وإذا نظرنا فى تفسير القرطبى سنجد مايلى:

[هذه الأحاديث نص فى إباحة الحال والهيئات كلها إذا كان الوطء فى موضع الحرث، أى كيف شئتم من خلف ومن قدام وباركة ومستلقية ومضطجعة، فأما الإتيان فى غير المأتى فما كان مباحاً ولايباح! وذكر الحرث يدل على أن الإتيان فى غير المأتى محرم.

«وحرث» تشبيه، لأنهن مزدرع الذرية، فلفظ «الحرث» يعطى أن الإباحة لم تقع إلا فى الفرج خاصة إذ هو المزدرع، وأنشد ثعلب.

إنما الأرحـــام أرضـــون لنا محترثات   فعلـــينا الزرع فيـها وعلى اللـــه النبات

ففرج المرأة كالأرض، والنطفة كالبذر، والولد كالنبات ، فالحرث بمعنى المحترث أ.هـ.

الحيض

ننتقل الآن إلى ملمح آخر وهو [الحيض] يقول سبحانه وتعالى:

﴿ ويسئلونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ [البقرة ٢٢٢]

يقول الأستاذ محمد عطية خميس (١) :

المحيض: الحيض، وقيل المحيض عبارة عن الزمان، والمكان، وعن الحيض نفسه، أى أن المحيض هو زمن الحيض، أو مكانه، أو الحيض نفسه.

وأصل كلمة الحيض من السيلان، والانفجار، يقال حاض السيل وفاض. وحاضت الشجرة أى سالت رطوبتها، ومنه الحيض أى الحوض، لأن الماء يحيض إليه أى يسيل.

وشرعا: هو دم يخرج من قبل المرأة. أى من أقصى رحمها، حال صحتها من غير سبب ولادة أو افتضاض، ووقته من بلوغ الأنثى. تسع سنين إلى سن اليأس على تفصيل المذاهب.

فإذا رأت الدم قبل بلوغ تسع سنين، أو رأته بعد سن الإياس لايكون دم حيض، بل هو دم فساد أو علة] . أ. هـ.

يقول الأستاذ محمد فريد وجدى فى تفسير هذه الآية تفسيراً عاما.

[يسألونك يامحمد عن الحيض، وهل يفعلون مع الحائض ماكانوا يفعلون فى الجاهلية، إذ كانوا لايساكنونها، ولايؤاكلونها، فقل لهم أن الحيض مستقذر فلاتباشروا النساء معه حتى يطهرن وهذا كله مايجب فعله وكفى] أ. هـ.

وهكذا يكون الذكر الحكيم قد أوضح لنا أن المحيض أذى فيقول **﴿ قل هو**

---

(١) فقه النساء فى الطهارة

﴿ **فاعتزلوا النساء فى المحيض ولاتقربوهن** ﴾

فإذا مامرت فترة المحيض وتطهرن فباشروهن من حيث أمر الله.والمقصود أن يأتى الرجل المرأة بحيث يكون الاتصال فى القبل.

يقول القرطبى:

[فى صحيح مسلم عن أنس: أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن فى البيوت.. فسأل أصحاب النبى ﷺ النبى ﷺ فأنزل الله تعالى:

﴿ **ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض** ﴾ إلى آخر الآية ـ فقال النبى ﷺ «**اصنعوا كل شىء إلا النكاح**» ...... قال علماؤنا: كانت اليهود والمجوس تجتنب الحائض وكانت النصارى يجامعون الحيض فأمر الله بالقصد بين هذين....

والحيض خلقة فى النساء وطبع معتاد معروف منهن. روى البخارى عن أبى سعيد الخدرى قال: خرج رسول الله ﷺ فى أضحى أو فطر إلى المصلى فمر على النساء فقال: « **يامعشر النساء تصدقن فإنى أريتكن أكثر أهل النار فقلن: وبم يارسول الله؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن. قلن: وما نقصان عقلنا وديننا يارسول الله ؟ قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟ قلن: بلى، قال: فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم ؟ قلن: بلى يارسول الله، قال: فذلك من نقصان دينها**» ...

وقوله تعالى: ﴿ **قل هو أذى** ﴾ أى هو شئ تتأذى به المرأة وغيرها ، أى برائحة دم الحيض ، والأذى كناية عن القذر على الجملة» أ.هـ

ويقول الأطباء: أنه فى وقت الحيض، ينفتح عنق الرحم، ويخرج منه دم الحيض، وتقل حموضة المهبل، وتضعف مقاومة الجهاز التناسلى للميكروبات، ولذا يجب اجتناب أى فحص مهبلى أو إدخال الإصبع أو الجماع لما يؤدى إليه من دخول ميكروبات لباطن الرحم، ومنها إلى البريتون فيؤدى إلى التهابات حادة ذات عواقب وخيمة.

يقولون: إن دم الحيض فى حالات الالتهابات المزمنة، يحتوى على ميكروبات من إفراز الغدد الرحمية، وهذه الميكروبات تكوّن فى حالة تكون طول الشهر، وفى زمن الحيض تنمو. وتتكاثر، وتختلط بدمه، فيؤدى الجماع فى هذه الفترة إلى إصابة الرجل بالتهابات تناسلية [(١)] أ. هـ.

وتقول الدكتورة ابتسام عبدالحليم الجندى فى كتابها الذى أصدره المجلس الأعلى للشئون الإسلاميةبعنوان (قضايا ومسائل طبية واجتماعية فى ضوء الإسلام):

لنبدأ بسرد الأسباب التى أمكن للعلم أن يصل إليهاوأن يدرك عن طريقها حكمة النهى عن اتصال الزوجين فى فترة الحيض، وتجنب الأذى الذى يتمخض عن هذا الاتصال.

أذى المرأة فى المحيض:

فالعلم يؤكد أن الجهاز الأنثوى غير صالح للاتصال الجنسى بين الزوجين أثناء فترة الحيض، فقد زود الله سبحانه وتعالى الأنثى فى جهازها التناسلى بعدة أشياء لحمايتها من أن تكون عرضة للأمراض فى غير فترات الحيض، ومنها مايلى:

أولا: يحتوى المهبل على إفراز لتليينه،وهذا الإفراز حمضى فى تفاعله نتيجة لوجودحمض اللبنيك، وينتج هذا الحمض نتيجة لتأثير نوع معين من البكتيريا العضوية تسمى «دوديرلين باسيلى» على النشا الحيوانى الذى يوجد فى النسيج الطلائى المبطن للمهبل، وهذه الحمضية من شأنها أن تمنع تكاثر عديد من الجراثيم المرضية فى المهبل ماعدا جرثومة «السيلان» التى تحمى من حامضية المهبل بواسطة التفاعل القلوى للسائل المنوى، كما أن هناك بعض الميكروبات تستطيع المعايشة فى هذا الوسط الحمضى، منها بعض الكائنات الهدبية تسمى «تريكو موناس، فجليناليس»، وبعض الفطريات تسمى «المونيليا البيكانس».

ثانيا: وجود سدة من المخاط اللزج، تعمل على قفل عنق الرحم، ومنع صعود الميكروبات إلى أعلى.

ثالثا: وجود الحركة الهدبية فى قناة فالوب وفى الغشاء المبطن للرحم تعمل على تحريك الميكروبا ت من أعلى إلى أسفل.

---

(١) فتاوى شرعية وبحوث إسلامية للشيخ حسنين مخلوف جـ١ ص٢٠

أما فى أثناء فترة الحيض، فنجد أن هذه الحماية الطبيعية تفقد نتيجة لمايأتى:

أولا: إفراز السدة المخاطية التى تقفل عنق الرحم، ونزولها مع دم الحيض.

ثانيا: تعادل حامضية المهبل مع قلوية دم الحيض.

ثالثا: انعدام الحركة الهدبية نتيجة لتمزق الغشاء المخاطى المبطن للرحم، لذلك فمن السهولة أن تصعد الميكروبات إلى الجزء العلوى من الجهاز التناسلى الأنثوى وتقوم بالتهابه.. ومن أهم هذه الجراثيم البكتريا الكروية السبحية، والبكتريا الكروية العنقودية وميكروبات السل، فيحدث التهاب فى المهبل لايلبث أن يصعد إلى أعلى. كل هذا يعرض المبيض للالتهابات التى تؤدى فى معظم الأحيان إلى العقم.

إنه إذا كان الهدف من الاتصال بين الزوجين فى الفترات الطبيعية من حياتهما هو تحقيق المحبة، والمودة والألفة، والانسجام، لتحقيق مستوى معين من السعادة الزوجية، فإن ذلك أمر متعذر فى فترة الحيض، وغير ممكن، ذلك لأن دورة الحيض، رغم أنها طبيعية، فإن معظم النساء يقاسين من آلام مبرحة فى أجسامهن، وتوتر فى أعصابهن، وحدة فى طباعهن، وقد تتضاعف أعراض الحيض، فتصاب المرأة بمغص وصداع شديدين، وبحالة من القيء المتكرر، وقد يؤدى بها الأمر إلى الإغماء نتيجة لشدة الألم.

لذلك فمن الجدير اعتزال الحائض، من باب التخفيف عليها من هذه الآلام هينها وشديدها، بل هناك قذارة الدم، ورداءة الموضع، مما يدعو الرجل المهذب أن يكون عفيفا، وألا يكون عبداً للشهوة.

أذى الرجل من المحيض:

هذا من ناحية الأذى الذى يلحق الأنثى. أما من ناحية الأذى الذى يلحق بالرجل، فنجد الآتى:

إن المهبل نتيجة لوجود الدم به بكثرة، يعتبر مرتعا خصبا لتكاثر الميكروبات المرضية بأنواعها المختلفة التى تصيب الرجل بالالتهابات فى كل من جهازيه البولى والتناسلى، فتمتد الجراثيم إلى داخل قناته البولية، وقد تمتد إلى المثانة والحالبين، كما قد يمتد الالتهاب إلى غدة كوبر، والبروستاتا، والحويصلتين المنويتين والخصيتين والبربخ، مما

يصيبه بآلام مبرحة، وقد تتضاعف هذه الأعراض، ويؤدى الأمر بالرجل إلى الضعف الجنسى والعقم]. أ. هـ.

لجنة الخبراء الطبية:

ولقد علقت لجنة الخبراء الطبية بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية عند تفسيرها لآية المحيض عن حقيقة الأذى الذى أشارت إليه الآية فقررت:

«أن المهبل فى أوقات الحيض يكون ميدانا لمختلف الجراثيم، وقد ثبت أن الاتصال الجنسى فى زمن الحيض هو العامل الأكبر فى وصول هذه الجراثيم المرضية إلى المهبل حيث تجد الوسط المهبلى الدموى صالحا كل الصلاحية لنموها وتكاثرها. وتصيب المهبل بمختلف الالتهابات، وشتى الأمراض التى قد تمتد إلى جميع أجزاء الجهاز التناسلى، وتحمل المرأة بما لاقبل لها به من الآلام والمضاعفات التى قد تؤدى إلى العقم.

وتعود العدوى إلى الرجل عن طريق قناته البولية، وقد تمتد العدوى كذلك إلى المثانة والحالبين، بل إلى قاعدة الكليتين، وقد تصيب البروستاتا والحويصلتين المنويتين، والخصيتين بما قد يصيبه بأشد الآلام، ويصاب بالضعف الجنسى، وقد يؤدى به الأمر إلى العقم.

وقد تكون العدوى التى يصاب بها الرجل ناشئة من المهبل ذاته فقد تكون به جراثيم فى حالة خمول، فتثار فى الحيض وتصيب الرجل عند أول اتصال جنسى، هذا ماأشار إليه القرآن.. وماكان عند الناس علم به، ولكن كان علمه عند الله خالق كل شيء.. وأن المرأة فى أثناء الحيض، تكون فى أكثر الأحوال راغبة عن الرجل. ولذلك فالاتصال الجنسى بها فى ذلك الوقت قد يؤثر فى أعصابها فى هذه الناحية ويعود عليها بالضرر الكبير» (١).

ويعلق الأستاذ محمد عطية خميس على ذلك في كتابه فقه النساء فى الطهارة فيقول: «وهكذا نجد أن لفظ (أذى) الذى تضمنته الآية الكريمة على وجازته جامع، مانع، وما وصل إليه العلم والطب الآن، كان قد جاء به القرآن الكريم، وأشار إليه منذ أربعة عشر قرنا.. وهكذا يكون إعجاز القرآن الذى هو حقا تنزيل من حكيم حميد» أ.هـ.

---

(١) المنتخب فى تفسير القرآن ص ٥١ طبعة ١٩٦٨م.

خَـلق المــرأة

يقول سبحانه وتعالى:

﴿وقلنا ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين۞فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾
[البقرة ٣٥ـ٣٦]

يقول القرطبى فى تفسيره:

[وزوج آدم عليه السلام هى حواء عليها السلام، وهو أول من سماها بذلك حين خلقت من ضلعه من غير أن يحس آدم عليه السلام بذلك، ولو أحس بذلك لم يعطف رجل على امرأته، فلما انتبه قيل له: من هذه ؟ قال امرأة. قيل: وماسمها؟ قال: حواء. قيل: ولم سميت امرأة؟ قال: لأنها من المرء خلقت. قيل: ولم سميت حواء؟ قال: لأنها خلقت من حى. روى أن الملائكة سألت عن ذلك لتجرب علمه وأنهم قالوا له: أتحبها ياآدم؟ قال: نعم، قالوا لحواء: أتحبينه ياحواء؟ قالت:لا، وفى قلبها أضعاف مافى قلبه من حبه، قالوا: فلو صدقت امرأة فى حبها لزوجها لصدقت حواء.

وقال ابن مسعود، وابن عباس : لما أسكن آدم الجنة مشى فيها مستوحشا، فلما نام خلقت حواء من ضلعه القصرى من شقه الأيسر ليسكن إليها، ويأنس بها، فلما انتبه رآها فقال: من أنت؟ قالت: امرأة خلقت من ضلعك لتسكن إلىّ، وهو معنى قوله تعالى **﴿هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾**. قال العلماء: ولهذا كانت المرأة عوجاء لأنها خلقت من أعوج وهو الضلع. وفى صحيح مسلم: «إن المرأة خلقت من ضلع.وفى رواية :وإن أعوج شىء فى الضلع أعلاه لن تستقيم لك على طريقة واحدة، فإن استمتعت بها استمتعت وبها عوج.. وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها»، وقال الشاعر:

هى الضلع العوجاء لست تقيمها ألا إن تقويم الضلوع انكسارها
أتجمع ضعفاً واقتداراً على الفتى أليس عجيباً ضعفها واقتدارها

علامات النساء والرجال من اللحية والشدى والمبال ببعض الأعضاء، فإن نقصت أضلاعه عن أضلاع المرأة أعطى نصيب رجل، روى ذلك عن على رضى الله عنه، لخلق حواء من أحد أضلاعه.أ. هـ .

رد على د. عائشة عبد الرحمن:

نشرت د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) مقالاً بصحيفة [الأهرام] تحت عنوان «من نفس واحدة» تعرضت فيه لمسألة خلق المرأة، فعابت على عامة المسلمين، ومعهم بعض الخاصة، اعتقادهم بأن حواء خلقت من ضلع آدم فهى تقول فى صدر مقالها:

[حتى اليوم لايزال بعض المسلمين، ومعهم بعض الخاصة، يعتقدون أن حواء خلقت من ضلع الرجل، فليست سوى مخلوقة هامشية، جانبية، مجرد ضلع من الكيان الأصلى].

وبقراءة هذه الفقرة، نبدأ فنلاحظ أن د. بنت الشاطىء قد استخدمت لفظ «الرجل» بدلا من لفظ «آدم» حيث قالت «يعتقدون أن حواء خلقت من ضلع الرجل».

وكان يجب حتى يكون الكلام دقيقا وضع كل كلمة فى مكانها الصحيح، وألا يكون هناك نسيان أو تناسى أن هناك فرقاً كبيراً بين مطلق كلمة «الرجل» التى تعنى أى رجل، وبين (آدم) الذى ليس برجل عادى، وإنما هو أبو البشرية كلها، والذى يشرف المرأة أن تكون مخلوقة من ضلعه.

وإذا كانت د. عائشة عبدالرحمن تحتج على كل من يعتقد خلق المرأة من ضلع آدم، وترى أن التسليم بذلك معناه أن المرأة «مخلوقة هامشية جانبية» فإننا نبادر بالقول: بأن هذه ليست القضية، وإنما القضية هى هل خلق الله المرأة من ضلع آدم فعلا أم لا؟ فإذا كان الله قد خلقها من ضلع آدم فعلا، هل نحتج على الله لأن معنى ذلك عند الدكتورة عائشة أن المرأة قد صارت مخلوقة هامشية، جانبية؟ وسواء كان معنى خلق المرأة من ضلع آدم أن تكون المرأة مخلوقة هامشية أو لاتكون مخلوقة هامشية فإن ذلك كله لن يغير من حقيقة عملية الخلق ذاتها.

وتمضى الدكتورة عائشة فتقول:

[والحكاية أصلها إسرائيلية، ولست أدرى ما إذا كانت دخيلة على الدين الموسوى مما زيفه اليهود وما أضافوه إلى الدين من تراثهم الأسطورى، أو أنها من أصل كتاب

موسى عليه السلام ،وكان التصوير فيها لقصة الخلق على قدر عقول القوم فى ذلك الماضى الغابر؟]

إن المرء ليعجب عند قراءة هذه الفقرة....

فالحكاية ـ كما تقول الكاتبة ـ إذا كانت زيفا زيفه اليهود يصبح من المستساغ رفضها وهذا مقبول، أما أن ترجع مرة ثانية فتقول: أو أنها من أصل كتاب موسى عليه السلام، وكان التصوير فيها لقصة الخلق على قدر عقول القوم فى ذلك الماضى الغابر!! فذلك ما لايفهم ولايستساغ.

هل فات على الدكتورة عائشة عبدالرحمن أنه مهما كان التصوير مستهدفا الوصول إلى أفهام وعقول قوم فى عصور غابرة، فإنه لن يصل به الأمر إلى الدرجة التى يقول فيها شيئاً يخالف الحقيقة، خاصة إذا كان هذا التصوير من أصل كتاب موسى عليه السلام. فمثل هذا الكتاب لن يتجاوز الحقيقة بحجة الوصول إلى مدارك أناس يعيشون فى عصور غابرة، ولسنا ندرى كيف تستسيغ الدكتورة عائشة أن يأتى كتاب سماوى بما يخالف الحقيقة بحجة أنه يريد الوصول إلى أفهام الناس؟!!

والمتأمل لتلك الفقرة السابقة التى أوردتها الكاتبة يدرك بوضوح أن الأمر لديها سواء، فإذا كانت الحكاية زيفا لم تقبلها، وإذا كانت الحقيقة من أصل كتاب موسى عليه السلام رفضت قبولها أيضا بحجة أن التصوير فيها كان على قدر عقول القوم.. إذن فكأن الرفض قد جاء أولاً ثم بدأ البحث عن أى تبريرات تسوغ مثل هذا الرفض.. أيًا كانت هذه التبريرات، ولسنا نشك أن الدكتورة عائشة تعلم وهى التى أشرفت على العديد من رسائل الدراسات العليا أنه ينبغى على الباحث ألا يقف موقفاً معينا من الموضوع الذى يبحثه، ثم ينزلق إلى رص الأدلة، وتلوينها لتوافق هواه، بل عليه أن يكون موضوعياً محايداً يترك الحكم لمجريات البحث ودلائله، فإذا جاءت بما لاتهوى نفسه كان عليه أن يسلم بما أثبته المنهج العلمى السليم.

لو نظرنا فى نهاية مقال الدكتورة عائشة، لوجدناها تقول:

[فهل آن للمسلمين أن يتحرروا بهذا الفهم القرآنى من شوائب إسرائيلية دخيلة].

ولسنا ندرى كيف يتفق هذا القول مع قول الكاتبة السابق:

[والحكاية فى أصلها إسرائيلية، ولست أدرى ما إذا كانت دخيلة على الدين الموسوى مما زيفه اليهود، وما أضافوه إلى الدين من تراثهم الأسطورى أو أنها من أصل

كتاب موسى عليه السلام].

فهى قد حكمت على الحكاية.. حكاية خلق حواء من ضلع آدم بأنها شوائب إسرائيلية ونحن نفهم أن يكون الأمر كذلك فعلا فى حالة ما إذا كانت هذه الحكاية دخيلة على الدين الموسوى مما زيفه اليهود، ولكن إذا كانت من أصل كتاب موسى عليه السلام فهل نستمر فى الحكم عليها بأنها من الشوائب الإسرائيلية؟!!

كيف تأتّى للدكتورة أن تحكم على الحكاية بأنها من الشوائب الإسرائيلية وهى بنص كلماتها لاتعرف ما إذا كانت «دخيلة» أم أنها من أصل كتاب موسى عليه السلام.

والآن فلنعد مرة أخرى إلى تسلسلنا فى قراءة المقال:

تقول الكاتبة:

[ربما يتعلق بعضهم بحديث مروى عن الرسول ﷺ يوصى فيه بالترفق فى معاملة النساء، فحالهن كحال الضلع الأعوج إن قومته بعنف كسرته].

نلاحظ هنا أن الكاتبة لم تأت بنص الحديث الذى تتحدث عنه والذى كان سيبين لنا الخيط الأبيض من الخيط الأسود، ولكنها جاءت بكلمات تتفق مع وجهة نظرها.. وكان المفروض عملاً بمبدأ الحياد والموضوعية فى مناقشة قضية معينة أن تورد نص هذا الحديث حتى نستزيد وضوحا فى الرؤية.

هاهى تمضى فتقول:

[ولا أحتاج هنا إلى مراجعة تخريج الحديث فى كتب السنة الأمهات وواضح أن التعبير المجازى الذى يعتمد على التشبيه البيانى مثله مثل الحديث الآخر «رفقا بالقوارير» لايمكن أ ن يفهم على أن النساء مخلوقات من زجاج].

إذن لاتعارض الكاتبة، ولاتحتاج إلى مراجعة تخريج الحديث فى **كتب السنة** الأمهات، وهذا أمر طبيعى، فالحديث أكبر من أن يعارض، أو يشكك فيه أحد وخاصة أنه ورد فى أصح وأوثق كتب الحديث الشريف، وهو كتاب «صحيح البخارى».

لكن الكاتبة لن تيأس!.

فكون الحديث قد ورد فى «صحيح البخارى» ليس بمانع لها من محاولة العثور على منفذ آخر.. فما دام التشكيك فى صحة الحديث قد صار أمراً عسير المنال، فليكن التشكيك إذن فى معنى هذا الحديث. فهى تقول أن الأمر لايعدو أن يكون

تعبيرا مجازيا، والطريق أمامها فسيح مفتوح لتقول مثل هذا القول وخاصة أنها لم تضع نص الحديث أمام القارىء حتى يتمكن من الحكم ما إذا كان تعبيراً مجازياكما ترى الكاتبة أم لا.

وتمضى فتشبه حديث «الضلع» بحديث «رفقا بالقوارير» حيث تقول:

[«رفقا بالقوارير» لايمكن أن يفهم على أن النساء مخلوقات من زجاج].

ونحن نتساءل: هل فات على الدكتورة عائشة عبدالرحمن أن تدرك أن هذا ليس مثل ذاك.

وحتى تتضح الأمور، سنورد هنا نص الحديث:

«حدثنا أبو كريب وموسى قالا: حدثنا حسين بن على عن زائدة عن ميسرة الأشجعى عن أبى حازم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء فى الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء»**.

إننا ندعو الدكتورة عائشة لتعيد النظر والتأمل الدقيق مرة أخرى فى كلمات وتراكيب هذا الحديث، لو فعلت فستجد جليا واضحا أن الأسلوب أسلوب تقرير وتأكيد لحقائق، وليس أسلوباً مجازيا فلنقرأ بإمعان:

«فإن المرأة خلقت من ضلع»

هل نلمح حرف التقرير والتوكيد «إن» ؟

وهل نحس جيدا بوجود لفظ «خلقت» ؟

تقول الكاتبة بعد ذلك :

[ومتن الحديث، كل حديث لايخالف القرآن والعقل، والذى فى القرآن، أن الله تعالى خلق الناس:

من نفس واحدة وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً.. من نفس واحدة لامن ضلع.

من أنفسكم لا من أضلاعكم]

تقصد الكاتبة بذلك أننا إذا أخذنا الحديث بمعنى أن المرأة خلقت من ضلع لأصبح مخالفاً للقرآن حيث أن الآية التى أوردتها تقول:

﴿الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث

منهمـــا رجـــالا كثـيرا ونســـاء﴾

وتؤكد فتقول:

من نفس واحدة لا من ضلع.

من أنفسكم لا من أضلاعكم.

وهى ترمى من وراء ذلك إلى أنه مادامت صحة الحديث قد ثبتت فلايمكن أن يأتى مخالفا للقرآن وبالتالى يصبح فى رأيها موضوع خلق المرأة من ضلع مجرد مجاز، وإنما هى فى الحقيقة خلقت من «نفس واحدة» لامن «ضلع».

وكأن عملية الخلق من نفس واحدة تتنافر مع خلق حواء من ضلع آدم.[من نفس واحدة] هنا جاءت بمعنى أن خلق حواء قد تم على شاكلة آدم ومن جنسه، أما المادة التى تم منها خلق حواء فهو الضلع لذلك فلا تعارض بين الاثنين.

خلقنا الله عز وجل من نفس واحدة، بمعنى، أنه خلق آدم أولا ثم أخذ حواء من ضلعه، ومازالت النفس واحدة.

تماما كما نقول خلقنا الله «من نفس واحدة» ولكن هذا لايمنع من القول بأن الله قد خلق الإنسان من صلصال.

النفس واحدة ولكـن المـادة مـادة الخلـق صلصـال، وهـذا لايتـنافى مع ذاك فالله سبحانه وتعالى يقول:

﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار﴾ [الرحمن ١٤]

ويقول عز وجل فى الآية الأولى من سورة النساء:

﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ﴾

فهل هذه الآية تناقض تلك الآية!!

بالقطع لا ....وحاشا للـــــه.

إننا لو سرنا حسب منطق الدكتورة عائشة لرفضنا من جاء يقول لنا: إن الله قد خلق الإنسان من صلصال، ولرددنا عليه بأن قولك مرفوض واحتججنا بأن الله قد خلقنا من نفس واحدة، ولقلنا له كما قالت الدكتورة عائشة من «نفس واحدة» لامن صلصال.

وعلينا أن نتساءل إذن هل يستقيم منطق الدكتورة عائشة بهذه الصورة خاصة وقد سبق عرض آيتين.. آية تقرر خلق الإنسان من صلصال وآية تقرر خلقنا من «نفس

واحدة» ؟! وهل معنى ذلك وجود تناقض بين الآيتين مثل هذا الذى تدعيه الدكتورة عائشة بين الحديث وبين الآية؟!.

أعتقد أن الدكتورة عائشة تشاركنا اليقين بأن آيات الذكر الحكيم لاتعارض بينها، وبالتالى يصبح أسلوبها فى فهم معنى الآية ومعنى الحديث فى حاجة إلى مراجعة لا مفر منها.

إذن فالحديث القائل بأن المرأة خلقت من «ضلع» لايخالف القرآن ولايخالف العقل.

يقول الإمام القرطبى فى تفسير ﴿ **جعل لكم من أنفسكم أزواجا** ﴾ التى وردت فى الآية الحادية عشرة من سورة الشورى: «وإنما قال من أنفسكم لأنه خلق حواء من ضلع آدم».

وتوفية للموضوع.. فلنلجأ للآية التى صدرت بها الكاتبة مقالها ولننظر تفسيرها فى كتب التفسير وهى الآية الأولى من سورة النساء، ونصها:

﴿**ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا**﴾.

وفى تفسير ابن كثير نجد التفسير التالى لهذه الآية:

[يقول تعالى آمراً خلقه بتقواه وهى عبادته وحده لاشريك له، ومنبهاً لهم على قدرته التى خلقهم بها من نفس واحدة وهى آدم عليه السلام ﴿**وخلق منها زوجها**﴾ وهى حواء عليها السلام خلقت من ضلعه.] كما نحيل القارئ على ما أوردناه فى الصفحات السابقة تحت عنوان «خلق المرأة» مباشرة من تفسير للقرطبى حول هذه النقطة، وما أوردناه من قول لابن مسعود وابن عباس بهذا الخصوص أيضا.

نعم.. حواء خلقت من ضلع آدم:

ومن المفيد هنا أن نورد فى هذا المقام ماكتبه الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى تحت عنوان «نعم ... خلقت حواء من ضلع آدم».. يقول الكاتب:

«إن الذى قرر بأن حواء خلقت من بعض أجزاء آدم هو الله عز وجل قال ذلك فى أول آية من سورة النساء وهى قوله عز وجل:

﴿ **يأيهـا الناس اتقـوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحـدة وخلق منهـا زوجها** ﴾.

صحيح أن الآية لم تنص على أنها قد خلقت من ضلع، ولكن الأمر فى ذلك سواء، إذ لا أظن أن لنوع الجزء أى مدخل أو أثر فى الاستنكار.. على أن النبى ﷺ قد عين هذا الجزء بصريح النص، وبما لايدع مجالا لتأويل فى حديث، بل فى أحاديث ثابتة كثيرة منها قوله ﷺ فيما اتفق عليه الشيخان:

« .. فإن المرأة خلقت من ضلع ».

ويضيف الكاتب موضحاً القاعدة فى تفسير النصوص القرآنية والعربية قائلا:

[والقاعدة العربية التى لامناص من اتباعها بصدد تفسير النصوص القرآنية، والنصوص العربية الأخرى أيا كانت خلاصتها أن الأصل فى الكلام إذا أطلق يحمل على معناه الحقيقى فلايجوز صرفه إلى المجاز إلا بعد تعذر الحقيقة. ثم إن المجاز لايعتد به، ولايسمى مجازا إلا إذا كانت بينه وبين المعنى جسور واصلة طبق ضوابط، وقواعد معروفة. فلاجرم أن لتفسير النصوص قواعد عربية لايجوز الإخلال بها فى حال من الأحوال. وهى تعد من الأوليات التى استخرجت من نحو هذه اللغة وصرفها، ولايتدانى إليها أى ريب أو خلاف بين العلماء.] (1) .

والآن فلنستمع أيضاً الى رأى فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى فى هذا الموضوع:

« .. صور الخلق من الله تعالى أربع:

خلق بدون ذكر وأنثى أى من الله سبحانه وتعالى مباشرة بدون الأسباب... وهذا هو خلق آدم.

وخلق من ذكر بدون أنثى وهذا هو خلق حواء، خلقت من ضلع آدم كما أخبرنا بذلك القرآن الكريم فى قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ **يأيهـا الناس اتقـوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحـدة وخلق منهـا زوجها** ﴾..

الآية الأولى من سورة النساء.

وخلق من ذكر وأنثى وهو الذى يتم بمشيئة الله سبحانه وتعالى وبالأسباب.

---

١ ـ مجلة « العربى » العدد ٢٥٧ ابريل ١٩٨٠

والأسباب هنا هى وجود الذكر والأنثى، ولكن طلاقة القدرة.. قدرة الله سبحانه وتعالى. شاءت ألا تجعل الأسباب تعمل وحدها.

بل هى تعمل بإرادة المسبب. ولذلك قد يتزوج الرجل والمرأة وتتوافر الأسباب التى توجد الإنجاب، ومع ذلك لايحدث ولاتأتى ذرية لأن مشيئة الله فوق الأسباب.

واستكمالاً لصور الخلق تأتى الصورة الرابعة وهى خلق عيسى عليه السلام من مريم من أنثى بدون ذكر لتتم به معجزات الخلق الأربع ليصبح الخلق بدون ذكر وأنثى، ومن ذكر دون أنثى، ومن اجتماع الاثنين، ومن أنثى دون ذكر.

هذه هى صور الخلق.][(١)] . أ. هـ.

ويقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى أيضاً:

[حديث رسول الله ﷺ الذى يقول فيه:

«إستوصوا بالنساء خيراً فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شىء فى الضلع أعلاه.. فإن ذهبت تقيمه كسرته.. وإ ن تركته لم يزل أعوج.. فاستوصوا بالنساء خيراً».

بعض الناس يأخذ هذا الحديث على أنه انتقاص من شأن المرأة وإهانة لها.. والحقيقة أنه كما فسر حديث: «ناقصات عقل ودين».. بما لايتفق مع واقعه، كذلك فسر هذا الحديث بما لايتفق مع واقعه، فالضلع مخلوق فى صورة مقوسة.. ليؤدى مهمته فى الحياة.. لأنه لو استقام لما أدى مهمته فى أن يحمى الصدر.

إذن ففى خلقه عوج يعنى أنه خلق صالحاً لأن يؤدى مهمته فى الحياة .. وأن يحافظ على الصدر ويحميه من أن يصاب بسوء.

والمرأة مخلوق يملؤه الحنان.. ليحافظ على أثمن شىء فى الوجود وهو الأولاد.. فإذا أردت أن تعدله.. لاينفع ويتحطم.

المرأة مهمتها عاطفية.. لأنها تعاشر ابنها من ساعة الحمل إلى أن يبلغ مبلغ الرجولة.. ولذلك فهى عندما تسير وهى حامل تسير بحساب.. وتتحرك بحساب.. تخاف على ابنها.. وإذا تعرضت لخطر فقد لاتدفع الأذى عن رأسها أو عينيها.. ولكن أول ماتدفع الأذى تدفعه عن بطنها الذى تحمل فيه طفلها.

وكما بينا فإن قول رسول الله ﷺ **« ناقصات عقل ودين»**.. هو إخبار لنا بأن

---

(١) من كتاب (الحياة والموت) لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى.

المرأة قد خلقت وطبيعة عقلها تساعدها على تمام أداء مهمتها كزوجة وأم.

الرجل والمرأة متشابهان.. ولكنهما مختلفان عند توزيع الطاقات.. الرجل محتاج إلى عقل لايتأثر بالعاطفة والمرأة محتاجة إلى عاطفة لايقتلها العقل.

ومن تمام كمال خلق المرأة .. أنها خلقت من ضلع أعوج.. لتحنو على طفلها وتربيه.. وعندها الصبر الكبير الذى منحها الله إياه لتقدر على هذه المهمة الشاقة.. وهى سعيدة ومسرورة بما تفعله.. وهى تحنو على طفلها الأيام الطويلة دون ملل.. ودون ضيق، وبنفس راضية.

«لقد عرفنا أن العوج فى الضلع ليس عيبا، ولكنها ميزة.. تماما كالسنارة التى نصطاد بها السمك.. من تمام أداء مهمتها أنها معوجة.. ولو أن إنسانا جاء فجعلها مستقيمة فلن تؤدى مهمتها.. ولن تصطاد سمكة واحدة. ذلك توضيح أردت أن أقوله حتى لايساء فهم هذا الحديث.. فالاعوجاج هنا من تمام الخلق.. ومن تمام كمال مهمة المرأة فى الحياة وليس عيباً فيها .[1] أ.هـ.

في الختـام :

فى ختام هذا الرد نقول كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «مراجعة الحق أفضل من التمادى فى الباطل».

وعليه فإننا ملتزمون بما يثبت أنه حق وحقيقة سواء كان رأينا أم رأى غيرنا.. وحتى الآن فإن أكثر الأدلة قوة تقع فى جانب خلق المرأة من ضلع آدم، ومتى ثبت بالأدلة والبراهين القاطعة العكس فلن نكون إلا مع الحق والحقيقة.

(١) كتاب المرأة فى القرآن الكريم فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى

شهـادة المـرأة وتفكيـرها العـاطفـى

هل يجوز أن تقوم المرأة بالشهادة؟

وهل شهادتها تعدل شهادة الرجل؟

يقول عز وجل فى كتابه الكريم من سورة البقرة الآية ٢٨٢:

﴿ **يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولايبخس منه شيئا فإن كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أولايستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن تر ضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ...** ﴾ الآية .

يقول ابن كثير:

[وقوله ﴿ **واستشهدوا شهيدين من رجالكم** ﴾ أمر بالإشهاد مع الكتابة لزيادة التوثقة ﴿ **فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان** ﴾ وهذا إنما يكون فى الأموال، وما يقصد به المال، وإنما أقيمت المرأتان مقام الرجل لنقصان عقل المرأة.

كما قال مسلم فى صحيحه: حدثنا قتيبة حدثنا إسماعيل بن جعفر عن عمرو ابن أبى عمرو عن المقبرى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال:

«**يامعشر النساء تصدّقن، وأكثرن الاستغفار فإنى رأيتكن أكثر أهل النار**» .فقالت امرأة منهن جزلة: ومالنا يارسول الله أكثر أهل النار؟ قال: «**تكثرن اللعن، وتكفرن العشير مارأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لب منكن**» قالت يارسول الله مانقصان العقل والدين ؟ قال: «**أما نقصان عقلها فشهادة امرأتين تعدل شهادةرجل فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالى لاتصلى، وتفطر فى رمضان، فهذا نقصان الدين**». وقوله ﴿ أن **تضل إحداهما** ﴾ يعنى المرأتين إذا نسيت إحداهما الشهادة «فتذكر إحداهما الأخرى» أى يحصل لها ذكر بما وقع به من الإشهاد].

بقى هنا أن نسأل:

لماذا أقيمت المرأتان مقام الرجل؟
إن القرآن الكريم يرد علينا فيقول:
﴿ **أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى** ﴾.
أى أن تنسى إحداهما فتذكرها الأخرى، وهذا بدوره يستتبع سؤالاً آخر هو:
لماذا ذُكر موضوع النسيان بالنسبة للمرأة بالذات، ولم يذكر بالنسبة للرجل؟
والإجابة على هذا السؤال تكمن فى أن المرأة لها اهتماماتها الخاصة التى غالباً ماترتبط بالألوان والأشكال والمظاهر الخارجية دون جوهر أو لب الموضوع، فالمرأة إذا وجدت فى مجتمع من القوم، فغالباً مايستلفت نظرها، ويستغرق اهتمامها نوعية مايرتديه هذا أو ذاك وكيف يبدو فى ردائه، وكيف تظهر هيئته، وهل ألوان ملابسه تحقق الانسجام بعضها مع بعض أم أن أنها نشاز، وكيف يتحدث، وكيف ينفعل إلى آخر ذلك من الأمور التى تعتبر فى عداد النواحى الشكلية لا الجوهرية وتدخل فى نطاق القشور لا اللباب، وبذلك تصرفها مثل هذه النواحى عن أصل الشهادة وموضوعها نفسه.
والقرآن الكريم يحتاط لهذا فيقرر إقامة شهادة امرأتين مقام شهادة رجل واحد حتى إذا نسيت إحداهما بسبب انصرافها إلى مراقبة الأشكال والألوان والمظاهر والهيئات استطاعت الأخرى أن تذكرها.
هذا بعكس الرجل الذى يوجه كل اهتمامه إلى جوهر الموضوع ذاته، فالمرأة دقيقة الملاحظة للأشكال والمظاهر الخارجية، فهى تستطيع بعد انتهاء المجلس أن تسرد، وتعد بالتفصيل ماالذى كانت ترتديه هذه أو تلك أو ذاك من الذين حضروا.
وبطبيعة الأمر فإن مثل هذه الطبيعة التى تعطى مثل هذا الاهتمام التلقائى الفطرى لمثل هذه الأمور ستفرض على المرأة أن تكون فى شغل شاغل عما يدور فى المجلس فلا تتذكر منه إلا خيالات وأوهام.
وفى الشوارع والطرقات نلاحظ بصورة واضحة اهتمام المرأة المتناهى بفحص الأخريات حتى إنها لتطيل النظر، وتنشغل عما حولها مركزة كل انتباهها على امرأة أخرى. وفى كثير من الأحيان لايكفيها ذلك فتدير ظهرها ناظرة إلى الخلف لتستكمل الفحص والتدقيق فيما ترتديه الأخرى، ويظهر الفرق واضحا فى مثل هذه الأمور بين الرجل وبين المرأة .. فالرجل إذا وجد فى مجلس سيهتم بالجاد من الأمور الذى يشغله عن كل شىء آخر.. فإذا سألته:

ماذا كان يرتدى فلان؟

لن تجد منه فى الغالب جوابا.. وإن وجدت فستجد إجابات غامضة مبهمة يقولها على سبيل الحدس والتخمين.. وهذا طبيعى، فماكان يوجه انتباهه لمثل هذه الأمور.

ولنستمع معاً إلى هذه الكلمات التى تجسد لنا الحقيقة:

ومما يقال فى طبيعة منطق المرأة أنه **منطق يهتم بالأشخاص أكثر مما يهتم بالوقائع**. وقد أملى هذا المنطق عليها طبيعة حياتها النفسية باعتبارها مخلوقاً يتعامل فى العادة مع الأفراد والأشخاص لامع الأفكار والمبادئ، فالرجل فى الغالب حريص على تطبيق المبدأ العام، وأما المرأة فإنها لاتعرف سوى الحالات الخاصة، والرجل فى العادة إن طلب إليه أن يصدر حكما لايفكر إلا فى مخالفة القانون باعتبارها واقعة تستلزم الإدانة بينما المرأة إن وضعت موضع القضاء فإنها لاتفكر إلا فى مصير فرد معين(١).

أقول ولعل هذا المنطق الخاص بالمرأة واحد من الأسباب التى جعلت القضاء أمراً محظوراً عليها فى عرف الفقهاء.. ذلك بأن تشريعات الإسلام موسومة بالكلية ورعاية المصلحة العامة، فلابد للأحكام المبنية على هذه التشريعات أن تكون كذلك، وذلك بأن قياس أية واقعة يطلب فيها حكم ما بالمقياس الفردى، قد ينأى القاضى عن تحرى الدقة وتوخى العدالة، كما أن الركون إلى المقياس الفردى لايسلم من النزول على حكم العاطفة، ومن ثم لم تقبل شهادة امرأة واحدة مع رجل واحد، بل اشترط أن يشهد رجل وامرأتان لتذكر إحداهما الأخرى عند ضلالها أو نسيانها، قال الله تعالى **﴿ فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ﴾**. [البقرة ٢٨٢] أ. هـ.

المرأة إذن فى الغالب الأعم إذا حضرت جلسة نحتاج إلى شهادتها عما دار فيها تلتفت إلى مظاهر الحاضرين وملابسهم وهندامهم وألوان هذه الملابس وهل هى متناسقة أم لا، إلى غير ذلك من المظاهر، وقلما تلتفت إلى جوهر مايقال والأحداث التى جرت فى تلك الجلسة وترتيب الوقائع التى جرت .

والآن إلى فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى الذى يصحح بعض المفاهيم التى تدور حول هذه النقطة:

---

(١) كتاب طبيعة المرأة فى الكتاب والسنة د . عبد المنعم حسن .

يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ﴾

[سورة البقرة ٢٨٢]

لقد ثار جدل كبير حول هذه الآية.. حتى أن بعض المشتغلات بالإعلام كتبن يقلن: كيف لاتساوى شهادة امرأة حاصلة على الماجستير، أو الدكتوراه شهادة بواب العمارة التى تسكن فيها وربما يكون أميا لايقرأ ولا يكتب؟ وكيف أن شهادة حاملة الدكتوراه.. تساوى نصف شهادة بواب العمارة الأمى؟

ولقد وجد هذا المنطق الخاطىء رواجا بين الناس.. حتى أن بعضهم أخذ يردده ترديداً أعمى.. وهو غير فاهم لحكم الله.. وكأنه يريد أن يعدل الحكم على الله سبحانه وتعالى مع أنه لايفهم معنى مايقوله.

إن ذلك المنطق الكاذب يجد كثيرا من الآذان التى تستمع إليه دون أن تعيه،وتردده دون أن تفهم معناه.. إذا كنا نريد أن نضع المعانى فى إطارها الصحيح السليم.. فلابد أن نفهم مامعنى كلمة شهادة.

كلمة شهادة مأخوذة من شهد.. أى شيء تراه بعينك.. وتراه واقعا أمامك.. وهذا المشهد أو الشيء المشهود ليس محتاجا إلى علم.. ولا إلى درجات علمية.. ولا إلى عقل درس حتى درجة الدكتوراه.. ولكنه محتاج إلى عين تشهد.. وإلى كلمة صدق تقال.. أما غير ذلك فلا..

من هنا فإن الملاحظة التى أبديت غير ذات موضوع.. ولاتنطبق على الشهادة.. لأنه ليس هناك بحوث علمية تجرى.. ولاتجارب معملية تتم.. ولا غير ذلك مما يقتضى ثقافة معينة لابد أن تتوافر.. وعلما سابقا لابد أن يكون موجودا.

ومن هنا يتساوى خلق الله .. الذين حصلوا على أعلى درجات العلم.. وخلق الله الذين لم يقرأوا حرفا فى حياتهم.. فمنطق الثقافة لايعتد به هنا.

المسألة إذن ليست رجاحة عقل.. ولكنها صدق وأمانة نقل.

وإذا نظرنا إلى طبيعة المرأة نجد **أنها مخلوقة على الستر، فهى ممنوعة من مخالطة الرجال..** وأنا أريد كلمة حق من المرأة: **هل إذا حدثت مشاجرة فى الطريق العام.. هل يسوغ للمرأة أن تسرع إلى الدخول فيها.. لمعرفة مايحدث؟ أم أنها تبتعد عنها تماما اتقاء للأذى حتى لاتصاب بسوء. طبعا هى تبتعد عنها. لماذا؟**

أولا: لأنها مخلوق ضعيف.. لاقدرة لها على المنازلة أو المشاجرة، وثانيا: لأنها مخلوق عاطفى ستصاب بأذى فى نفسيتها من مظاهر العنف والضرب فى هذه المشاجرة.. وثالثا: لأن تعرضها لمثل هذا الحدث، يوجد احتكاكا عنيفا بينها وبين الرجال مما يعرضها لخدش كرامتها وحيائها.. إنها تبتعد عن المشاجرة.. حتى ولو كان المتشاجر زوجها أو أخاها وتستغيث بالرجال.

والمرأة بطبيعتها بعيدة عن مشاكل الحياة العامة.. لأن هناك رجلا يعولها.. وهو الذى يتصدى لهذه المشاكل.. وهوالذى يتداخل فيها ويحلها.

لهذه الأسباب وغيرها من الأمور التى تتعارض مع طبيعتها، فإن المرأة لاتصلح شاهدة كالرجل.. لأنها لو عرفت بعض التفاصيل.. غابت عنها تفاصيل أخرى، لأنها بطبيعتها تبتعد عن المشاكل.

ولذلك فإنه لاحجية لمن يقول.. كيف لاتتعادل شهادة الأستاذة الجامعية مع شهادة البواب الأمى.. لأن العقل هنا لا دخل له فى القضية.. ولكن صدق النقل الذى ترتب على التواجد والمشاهدة هو الذى يعنينا.

إن هذا الاعتراض قد أغفل مهمة الشهادة وجعلها مهمة تعتمد على العقل وثقافته.. بينما هى فى الحقيقة تعتمد على صدق النقل والمشاهدة فقط.

وقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**أن تضل إحداهما**﴾.. فإن هذا الضلال يأتى من عدم دقة المشاهدة.. ومن أن المرأة تحرص على أن تبتعد عن كل مشاحنة أو اشتباك يحدث فيه العنف.[1] أ. هـ.

كذلك فإن المرأة ترى الأشياء بمنظار العاطفة ، وغالباً ما تشغلها مظاهر الأشياء عن حقيقة الأشياء، فكثيراً ما تحضر المرأة اجتماعات تتذكر جيداً تفاصيل ما كان يرتديه الحاضرون من ملابس وألوانها وهل كانت متناسقة أم لا ، ولكنك اذا سألتها عما دار فى ذلك الاجتماع فستجيبك ولكنها إجابة لن تكون بالدقة المطلوبة ، لأن العاطفة تغلب عليها بعكس الرجل الذى لا يتذكر ما كان يرتديه الحاضرون ولكنه

---

(١) كتاب (المرأة فى القرآن الكريم) فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى .

يعى تماماً مادار فى الاجتماع لأن العقل يغلب عليه .

كما أن المرأة إذا حضرت نزاعا أو شجارا ففى الغالب تتلون شهادتهابالتحيز لطرف ضد آخر ليس على أساس من الحق والحقيقة ولكن على أساس عاطفى لايمت للحق بأية صلة. ولو تظاهر الظالم بالضعف والمسكنة واستخدم أساليب الدموع والبكاء لاستطاع أن يحظى منها بشهادة فى صفه لأنها فى هذه الحالة ستتأثر بالدموع ولن تنظر فى لب أو جوهر النزاع وأى الطرفين الظالم وأيهما المظلوم فيه.. أيهما المعتدى وأيهما المعتدى عليه.. لن تنظر إلى أى شىء من ذلك.

من هنا جاءت حكمة الخالق فى أن يجعل شهادة المرأة نصف شهادة الرجل..

وبعد أن وصلنا إلى هذا الحد فى مناقشة بعض الآراء التى تعترض على هذه الناحية يجب أن نتطرق إلى نقطة هى الفصل القاطع فى هذا الموضوع، فنقول لمن يجادل ويعارض: لقد وردت هذه النقطة فى صلب القرآن الكريم فى نص الآية ٢٨٢ من سورة البقرة التى أوردناها آنفا . فهل تدرى ياهذا أنك حينما تعارض فإنما تعارض الله. لامانع من أن تناقش مناقشة تهدف من ورائها الى الفهم السليم حتى يطمئن قلبك، وتلك لها آدابها ولكن ليس مقبولا أن تعترض على شأن أورده الله فى كتابه العزيز ليس لنا إزاءه إلا الطاعة، ولايليق بنا إلا التسليم، والمسموح به فقط مناقشة استفسار واستيضاح. أما أن نعترض فذلك مالايقبله عقل، وكيف يقبل عقل من العقول كائناً من كان اعتراضا من المخلوق على الخالق. المخلوق الجاهل كيف يعترض على الخالق العزيز العليم.. يجب أن نتنبه جيدا حتى لاتزل أقدامنا إلى هذا المنزلق الخطير، ترى هل تعلم أيها المعترض على هذه الناحية أنك تعترض على الله؟

إن كنت لاتعلم .. فالآن اعلم وتنبه واستغفر لنفسك ولا مانع من الاستفسار والمناقشة الإيضاحية .

إن كنت تعلم ولازلت تكابر فلست ممن يعنينا إقناعك.

والآن إلى ملمح آخر جديد سيكون مفاجأة لك عزيزى القارئ حيث إنه كثيرا ماتم إغفاله من جانب المتحدثين والمتناقشين والمتجادلين حول موضوع شهادة المرأة.

تقبل شهادتها وحدها أحيانا

جعل الإسلام نصاب الشهادة التى تثبت الحقوق لأصحابها شهادة رجلين عدلين أو رجل وامرأتين.

قال الله تعالى:

﴿ واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ﴾

(البقرة ٢٨٢)

والحكمة فى ذلك ظاهرة، فإن وظيفة المرأة الأولى هى القرار فى البيت والقيام على تربية الأولاد، وإعداد البيت السعيد للزوج المجهد، يجد فيه أنسه. وراحته بين زوجه وأولاده، وذلك يقتضيها عدم مخالطة الرجال وعدم حضور العقود المالية بينهم غالبا.

وإذا حضرت شيئا من ذلك فإن قلة ممارستها لذلك قد تفقدها الاستيعاب الكامل لجوانب الموضوع،وبالتالى قد تنقص شيئا من الحق فيماتشهد به، فكان لابد من إضافة امرأة مثلها إليها لاستدراك ذلك النقص أو توهمه قال تعالى: **﴿ أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ﴾** والحقوق لابد من التثبت فيها والتحقق.

فالعلة مذكورة فى القرآن الكريم وليس بعد تعليل الله تعالى تعليل أو مجال لقال وقيل.

إننا لنرى الفرق الواسع فى فهم اثنين يحضران درسا فى المنطق أحدهما يمارس هذا العلم سماعا ودراسة، وآخر ماقرأ فيه كتابا ولا سمع فيه درسا.

إن للممارسة والمخالطة أثراً واضحا فى التثبت من الأمر، وتحققه،أما مايتعلق بأمور **المرأة فشهادة المرأة فيه مقبولة، بل شهادتها وحدها كافية حيث لاتقبل شهادة الرجل وحده.**

قال عقبة بن الحارث: «تزوجت امرأة فجاءتنى امرأة سوداء، فقالت: أرضعتكما فأتيت النبى ﷺ فقلت: تزوجت فلانة بنت فلان فجاءتنا امرأة سوداء فقالت لى:

أرضعتكما وهى كاذبة، فأعرض، فأتيت من قبل وجهه فقلت: إنها كاذبة، قال: **كيف وقد زعمت أنها أرضعتكما، ففارقها عقبة ونكحت زوجا غيره»** **[رواه البخارى].**

وما يقال فى الإرضاع يقال فى إثبات الولادة للحامل، تقبل فيه شهادة القابلة وحدها، حيث لاتقبل شهادة الرجل وحده، وفى انتهاء العدة بالحيض يقبل فيه قول المرأة وحدها.

جاء فى حاشية ابن عابدين فى نصاب الشهادة قوله:

[والبكارة، وعيوب النساء ومالا يطلع عليه الرجال: امرأة واحدة حرة مسلمة واثنتان أحوط] رد المحتار على الدر المختار/ ٤:٥١٤.

إذن فليس حقا مايزعمه زاعمون جهلا وعدوانا أن الإسلام جعل المرأة نصف الرجل، فقد تقرر مساواة الإسلام المرأة والرجل فى الإنسانية والكرامة والتكليف والمسئولية وما إلى ذلك.

ثم تقوم بعد ذلك معاول الهدم تريد هدم إسلام المسلمين، وتزعم أنها أحرص على كرامة المرأة من خالقها.. والعجب أن جهالا وجاهلات يظنون فى تلك المزاعم شيئا من الحق، نعوذ بالله من الخذلان! ألا فليعلم من يريد أن يعلم أن انتقاص القرآن الكريم فى آية.. وانتقاص الإسلام فى حكم، هو رفض للإسلام وخروج عنه معاذ الله.

فليتق الله امرؤ يتحقق أنه واقف فى يوم قريب بين يدى الله تعالى فريدا قد تخلى عنه سادته وأقرانه..!] (١).

ونحب هنا أن نضيف رأى د. عبدالغنى عوض الراجحى فى هذه النقطة وهو رأى يثير أمورا تستحق البحث والتأمل:

[يقول «جورديان» عن المرأة أنها فى نظر الإسلام أقل عقلا من الرجل وأنها أمام القضاء شهادتها على النصف من شهادة الرجل.

... أما أن تكون شهادتها أمام القضاء على النصف من شهادة الرجل فشئ لايعززه الفهم الصحيح الدقيق لتعاليم الإسلام، فإن الآية الكريمة التى لعل «جورديان» يعنيها، ويفهم منها هذا الفهم الخاطىء **غير واردة فى مقام القضاء والتقاضى، وإقامة الشهود فى ساحة القضاء أمام القضاء، بل هى واردة فى مقام**

(١) من كتاب (المرأة المسلمة) وهبى سليمان غاوجى.

كتابة الدين، وتوثيقه والإشهاد عليه من حيث إنه تثبيت واستيثاق وتذكير بين الناس بعضهم مع بعض، وذلك حيث يقول تعالى:

﴿ ياأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولايأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولايبخس منه شيئا فإن كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لايستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ولايأب الشهداء إذا مادعوا ولاتسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارةحا ضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولاشهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شئ عليم ﴾. [البقرة ٢٨٢]

ومما يدل على أن الآية فى توثيق الدين بالكتابة للتذكر بين المتعاملين فقط أنه جاء بعدها مباشرة آية الاستيثاق للدين بالرهن، فقال تعالى:

﴿ وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولاتكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم ﴾.

[البقرة ٢٨٣]

أما فى التقاضى والشهادة أمام القاضى، فإن للقاضى أن يحكم بشهادة النساء دون الرجال، وبشهادة امرأة واحدة، وبأية قرينة أو بينة، فإن أقصى مايطلبه القضاء هو البينة على صدق الدعوى، والبينة فى الشرع أعم من الشهادة.. فكل مايتبين به الحق ويظهره يقضى به القاضى ويحكم، حتى إنه يحكم بشهادة غير المسلم متى وثق بها، واطمأن إليها.

فاعتبار المرأتين فى الاستشهاد كالرجل الواحد ليس لضعف عقل المرأة ونقصان آدميتها وإنسانيتها، وإنما هو كما قال الإمام «محمد عبده» **لأن المرأة ليس من شأنها الاشتغال بالكثير بالمعاملات المالية ونحوها من المعاوضات والمبادلات.. ومن هنا تكون ذاكرتها فى هذا المجال ضعيفة، بينما هى قوية فى الأمور المنزلية والأشياء النسائية، بل أقوى من ذاكرة الرجل،**

ومن طبائع البشر عامة أن يقوى تذكرهم للأمور التى تهمهم، ويمارسونها كثيراً ويكثر اشتغالهم بها حتى يكونوا من أرباب الخبرة فيها.

فالآية الكريمة كما يقول الشيخ شلتوت جاءت على ماكان مألوفا فى شأن المرأة، ولايزال أكثر النساء كذلك لايشهدن مجالس المداينات ولا يشتغلن بأسواق المبايعات.

وقد نص علماء المسلمين على أن من القضايا ماتقبل فيه شهادة المرأة وحدها وهى القضايا التى لم تجر العادة باطلاع الرجال عليها كالولادة والبكارة وعيوب النساء الداخلية.

والله تعالى فى محكم كتابه قد بين لنا أن الرجل إذا اتهم زوجته بالخيانة الزوجية ولم تكن عنده البينة الكافية فعليه لإثبات دعواه أن يشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين.

وعليها إذا أرادت أن تبرئ نفسها أن تشهد كذلك أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين.

فللرجل أربع شهادات وخامسة.. وللمرأة أربع شهادات وخامسة مثله تماما، حذوك الشىء بالشىء. على قدم المساواة بالرجل فى الشهادة واليمين للدفاع عن العرض والكرامة، يقول تعالى:

﴿ **والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين* والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين * ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين* والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين**﴾. [النور ٦ - ٩] [(١)] أ. هـ

(١) من كتاب الإسلام أنصف المرأة د. عبد الغنى عوض الراجحى (بتصرف).

مامعنى ناقصة عقل ودين؟

يجيبنا فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى فيقول:

إننا عندما نتدبر ماجاء فى حديث شريف لرسول الله ﷺ: «**النساء ناقصات عقل ودين**».. نجد أن البعض أخذ هذا الحديث على أنه إهانة للمرأة وحط من كرامتها، ومنزلتها فى المجتمع.. وانه اتهام لها بنقص العقل والدين.

لكن الحقيقة غير ذلك تماما.. لأن هذا الحديث يشرح لنا طبيعة المرأة من ناحية التكوين. **فالمرأة بطبيعة تكوينها تغلب عليها العاطفة.. وهذا ليس عيبا.. ولكنه ميزة تناسب مهمتها فى الحياة..لأنه مفروض بطبيعتها أن تعطى من الحنان أكثر.. ومن التفكير العقلى أقل.**

إنها هى التى تحنو.. وهى التى تمسح الدموع.. وتضع مكانها الابتسامة، وهى التى تمسح تعب اليوم وشقاءه عن زوجها وأولادها.. ولايتم هذا بالعقل.. ولكنه يتم بالعاطفة.

إن هذا لايعنى طعنا فى فكر المرأة وذكائها، وإن كان يعنى كشفا عن طبيعتها.. ويهمنى أن ألقى ضوءاً على حدث مهم كان للمرأة دور كبير فى حسمه مما يدل على رجاحة العقل وحسن التصرف.. ذلك الحدث هو صلح الحديبية، ذلك الصلح الذى كان انتصاراً للدعوة الإسلامية.. وبداية لنشرها فى كل أنحاء الجزيرة العربية.

فما هى هذه الأحداث التى سبقت هذا الصلح؟

كان المسلمون قد أحرموا واتجهوا إلى بيت الله الحرام لأداء العمرة.. ومعهم الهدى الذى سيذبحونه عند الانتهاء من العمرة والطواف ببيت الله الحرام، وتصدى لهم الكفار ومنعوهم من دخول مكة ومن الطواف بالبيت الحرام.

وانتهى هذا التصدى بتوقيع صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ وكفار مكة.. وفيه تعهد الكفار ألا يتعرضوا للمسلمين ولا لحلفائهم ولا لنشر الدعوة الإسلامية.. ولايتعرض المسلمون لحلفاء قريش ومن كان فى حمايتها. وكان هذا أول تعهد من كفار مكة ألا يتعرضوا للمسلمين.

إن الدعوة الإسلامية.. كانت محتاجة إلى حماية، إلى حرية الرأى، وحرية الكلمة، وعدم التعرض لدعاة المسلمين بالقتل و التعذيب، أما نشر الدين واعتناق

الإسلام فإن الإسلام يملك من الأدلة، ومن الهدى ومن المنطق والحجة مايجعل كل من استمع إلى تعاليمه يعتنقه..

حينما تم توقيع صلح الحديبية أمر رسول الله ﷺ المسلمين أن يذبحوا الهدى، ويحلوا إحرامهم، ولكن الحمية الدينية فى داخلهم، والصلح الذى منعهم من الطواف ببيت الله الحرام أشعل ثورة فى صدورهم، منعتهم أن يروا الحكمة فى توقيع هذا الصلح، وكيف أن الله سبحانه وتعالى جعل هذا الصلح إشارة لانتصار الإسلام وفتح مكة.

لقد غابت عنهم الحكمة فى أن الله سبحانه وتعالى منعهم من القتال.. لأن فى مكة مسلمين يكتمون إسلامهم.. ويبقون إيمانهم فى صدورهم.. وأنه لو حدث قتال فى هذا الوقت.. لقتل المسلمون بعضهم بعضا وهم لايعلمون، وفى ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى .

﴿ هم الذين كفروا و صدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله فى رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما ﴾. [سورة الفتح ٢٥]

وهكذا بين الله سبحانه وتعالى للمسلمين الحكمة فى أنه منعهم من القتال يوم صلح الحديبية لأن هناك رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات فى مكة يكتمون إيمانهم.. وقوله تعالى: **﴿لوتزيلوا﴾**.. أى لو كانوا معروفين ويجمعهم مكان واحد بحيث يكونون مميزين عن الكفار.

وقول الحق تبارك وتعالى: **﴿ أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ﴾** أى تقتلونهم وأنتم لاتعلمون أنهم مؤمنون، وقوله سبحانه وتعالى.

﴿ فتصيبكم منهم معرة ﴾ أى تشعرون بالعار والخزى لأنكم قتلتم مؤمنين، ولذلك كانت الحكمة من عدم الإذن بالقتال يوم صلح الحديبية.

ثم يبين لنا القرآن الكريم كيف أن الله جل جلاله هو الذى أنزل السكينة على رسوله وعلى المؤمنين حتى لايقاتلوا.. فيقول سبحانه وتعالى:

﴿ إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله

سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى﴾

[الفتح ٢٦]

نقول أن رسول الله ﷺ أمر المؤمنين بأن يذبحوا الهدى، ويحلوا إحرامهم ولكن أحدا منهم لم يفعل ذلك، فدخل الرسول عليه الصلاة والسلام على زوجته أم سلمة وهو شديد الغضب فقالت، مالك يارسول الله؟ فلم يرد.. فكررتها عدة مرات حتى قال ﷺ: هلك المسلمون.. أمرتهم بأن ينحروا ويحلقوا فلم يفعلوا، فقالت أم سلمة: يارسول الله لاتلمهم فإن داخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة فى أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح.. يانبى الله اخرج ولاتكلم أحدا منهم، وانحر هديك واحلق رأسك. ففعل رسول الله ﷺ ذلك وقام المسلمون فنحروا وحلقوا.

وهكذا نرى أن رسول الله ﷺ أخذ برأى زوجته أم سلمة فى أمر من أشق الأمور وأشدها، **ولو كان عقلها ناقصا نقص ذكاء أو نقص استيعاب مانزل رسول الله ﷺ على رأيها،ولكن نقص العقل فى الحديث الشريف معناه أنها تفعل أشياء يقف العقل عندها.. وإنما تفعلها بالعاطفة.**

ولكى نفهم معنى الحديث الشريف لابد أن نعرف ماهو العقل.. إن العقل مأخوذ من العقال وهو مقود الجمل الذى لايجعله يسير على غير هدى إنما يخضعه لمشيئة راكبه..

الجمل لو ترك على هواه بغير عقال لجرى هنا وهناك، وكلما رأى عشبا مثلا انطلق إليه يسير يمينا ويسارا، ولايصل أبدا إلى المكان الذى يريد صاحبه أن يصل إليه.. ولكن مهمة العقال أن يحكم حركة الجمل بحيث يسعى فى الطريق المرسوم الذى يوصله إلى الغاية المطلوبة، فإذا انحرف يمينا أو يسارا استخدم راكبه العقال ليجعله يسير فى الطريق السليم، وهذه مهمة العقل.. مهمته أن يكبح شهوات النفس ويجعلها تسير فى الطريق المرسوم.

أما الرجل فحياته عقلانية أكثر من المرأة لأن مهمته السعى على الرزق فلابد أن يرتب الأشياء ترتيبا عقليا لامكان فيه للعاطفة.. فإذا لم يكن معه إلا بضعة جنيهات حتى آخر الشهر وجاء ابنه أو ابنته وطلبا منه شيئا فإنه لا يعطيهما، لماذا؟ لأنه حكم عقله بما هو مطلوب منه وأخذ الطريق الذى لاعاطفة فيه.

لنفرض أن الابن ذهب إلى الأم.. وطلب نفس المطالب.. ونزلت دموعه.. ماذا

يحدث؟ إذا لم يكن معها مال تقترض.. تذهب إلى الجارات لتشترك فى جمعية.. تتحايل بشكل أو بآخر حتى تأتى لابنها أو ابنتها بما طلبا.

المهم أنها لاتفكر تفكيرا كاملا.. بل تندفع بعاطفتها لإرضاء أولادها حتى أنها قد تقترض وهى لاتعرف من أين سترد القرض.. أو من أين تدفع الأقساط للجمعية.. والمهم فى هذا كله أن تفكيرها يكون خاضعا دائما للعاطفة وليس للعقل بحيث لاترتب الأحداث ترتيبا عقليا.

.. وتستطيع أن تقيس على هذا مئات الأحداث التى تقع كل يوم.. وتقارن فيها بين موقف الرجل والمرأة لتجد أن عاطفة المرأة أقوى من عقلها.

لماذا؟ لأن هذه مهمتها فى الحياة.. ولو لم تكن العاطفة أقوى من العقل فى المرأة لما سهرت الليالى بلانوم بجوار ابنها المريض.. ولما عاشت وتحملت لتبقى مع زوجها وأولادها فى الأزمات.. ولما استطاعت أن تتحمل مشقة التربية وصعابها.

إن تضحية الأم من أجل أولادها شيء لايمكن إذا حكمنا فيه العقل أن يحدث.. ولكن العاطفة وجدت هنا.. لتؤدى المرأة مهمتها. (١) أ. هـ.

ويضيف فضيلة الشيخ الشعراوى قائلا :

وهكذا نرى أن قول رسول الله ﷺ: ناقصات عقل ودين معناه.. أن المرأة تفعل أشياء بعاطفتها يقف العقل عندها.. أما مسألة الدين فهى بحكم طبيعة خلقها نمر عليها أيام لاتؤدى فيها صلاة ولاصياما.. وهذا ليس عيبا.. لأن الله خلقها هكذا.. فهذه طبيعتها لتؤدى مهمتها فى الحياة.

إذن فالمسألة شرح لطبيعة المرأة.. وليست محاولة للانتقاص منها، وإلا ماكان رسول الله ﷺ قد أخذ برأى أم سلمة فى صلح الحديبية.. ماكان قال عن عائشة رضى الله عنها: «خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء» فقد كان وجهها رضى الله عنها يميل إلى الاحمرار.

إن من يحاول تفسير هذا الحديث النبوى الشريف على أنه طعن فى المرأة.. يكون قد جانبه التوفيق.. ولم يفهم معنى الحديث.. ولا ماهو مقصود بالنقص فى العقل والدين!

---

(١) كتاب «المرأة فى القرآن الكريم» ـ فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى.

إن الله سبحانه وتعالى.. قد جعل لكل من الرجل والمرأة مهمته فى الحياة.. وتم الخلق ليناسب هذه المهمة.. فالرجل لأنه يسعى فى سبيل الرزق محتاج لأن يحكم عقله وحده دون عاطفته حتى يستطيع أن يحصل على الرزق ويوفر للأسرة احتياجاتها.

والمرأة لأنها هى التى تحنو وتربى.. وهى السكن لابد أن تكون عاطفتها أقوى.. لتؤدى مهمتها.. ومن تمام الخلق أن يكون كل مخلوق ميسرا لما خلق من أجله.] [1] أ. هـ.

(١) نفس المرجع السابق ص ٤٨

افتقار المرأة إلى الفصاحة

نجد من صفات النساء أيضا افتقارهن الى الفصاحة، فهى صفة الذكور فى الغالب، و تقترن بطلاقة اللسان، وقوة الحجة، وبراعة المنطق، وهذه الصفات معقودة للفتى بما خلق عليه عقله، وافتقر إليه عقلها، ولسنا ممن يعيب ذلك على المرأة وإنما نقرر حقائق ثابتة، كما أن كلا ميسر لما خلق له، فالمرأة على هذا الوضع ملائمة لما أنيط بها من رسالة ومهام فى الحياة.

يقول سبحانه وتعالى من سورة الزخرف الآية ١٨ :

﴿ أو من ينشأ فى الحلية و هو فى الخصام غير مبين﴾

يقول القرطبى :

[قوله تعالى : **﴿أو من ينشأ﴾** أى يربى ويشب **﴿فى الحلية﴾** أى فى الزينة. قال ابن عباس وغيره :هن الجوارى زيّهن غير زى الرجال، قال مجاهد: رخص للنساء فى الذهب والحرير.

قوله تعالى: **﴿وهو فى الخصام غير مبين﴾** أى فى المجادلة والإدلاء بالحجة، قال قتادة: ماتكلمت امرأة ولها حجة، إلا جعلتها على نفسها.] أ.هـ .

أما ابن كثير فيقول فى هذه الآية:

«قال سبحانه وتعالى **﴿ أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين ﴾** أى المرأة ناقصة يكمل نقصها بلبس الحرير منذ تكون طفلة، وإذا خاصمت فلاعبارة لها بل هى عاجزة عيية، أو من يكون هكذا ينسب إلى جناب الله العظيم، فالأنثى ناقصة الظاهر والباطن فى الصورة والمعنى فيكمل نقص ظاهرها وصورتها بلبس الحلى ومافى معناه ليجبر مافيها كما قال بعض شعراء العرب:

وما الحلى إلا زينة من نقيصة ... يتمم من حسن إذا الحسن قصرا
وأما إذا كان الجمال موفرا ... كحسنك لم يحتج إلى أن يزوّرا

وأما نقص معناها فإنها ضعيفة عاجزة عن الانتصار بالكلام، لاعبارة لها، ولاهمة، كما قال بعض العرب، وقد بشر ببنت: ماهى بنعم الولد نصرها بكاء، وبرها سرقة. أ. هـ].

ونبادر فنقول أن تلك الآية قد وردت فى موقف قالت فيه «الوثنية الجاهلية أن

الملائكة بنات الله، ومع أنهم يكرهون مولد البنات لهم، فإنهم كانوا يختارون لله البنات! ويعبدونهم من دونه.. وهكذا فإن الله يواجههم هنا بمنطقهم. هم، فهل يليق أن يزعموا هذا الزعم بينما هم يستنكفون من ولادة البنات لهم ويستاءون
﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم﴾.

أفما كان من اللياقة والأدب ألا ينسبوا إلى الله من يستاءون هم إذا بشروا به.. أفما كان من الأدب ألا يخصوا الله بمن ينشأ فى الحلية والدعة والنعومة، فلايقدر على جدال ولا قتال، بينما هم فى بيئتهم، يحتفون بالفرسان والمقاويل من الرجال؟!

إنه يأخذهم فى هذا بمنطقهم، ويخجلهم من انتقاء مايكرهون ونسبته إلى الله، فهلا اختاروا مايستحسنونه وما يسرون له فنسبوه إلى ربهم، إن كانوا لابد فاعلين» [١] أ. هـ.

إذاً فالمقام مقام رد وإفحام.

وليس مقام إنقاص من شأن المرأة.. فالمرأة بحالتها الثابتة الحقيقية الراهنة خلقت هكذا لحكمة، وهى أيضا هكذا ملائمة لأداء رسالتها فى الحياة، وبالتالى لامجال هنا لمعايبة، أو انتقاص، وإن كان ذلك لايمنع من تقرير الحقائق مادامت ثابتة ومادامت لاتتخذ ذريعة لمعايبة.

تماما كما نقول أن داخل آلة التصوير «مظلم» إننا بذلك نقرر حقيقة ثابتة لايستطيع أن يجادلنا فيها مجادل.. ولكننا فى ذات الوقت لا نستطيع نحن بدورنا أن نعيب على آلة التصوير تلك الظلمة التى بداخلها، فلولا تلك الظلمة ماصلحت آلة التصوير للتصوير، ولا استحال عليها القيام بوظيفتها.

وهكذا فإنه يجب أن تتنبه المرأة إلى طبيعة مايقال من كلام، وطبيعة الموقف الذى قيل فيه ذلك الكلام، وأنه لايمسها من قريب أو بعيد من جهة المعايبة أو الانتقاص.. فليس كالإسلام دينا، أو فكرا، أوحضارة أعطت المرأة وكرمتها كما كرمها وأعطاها الإسلام.

من هنا أكدنا على ذلك المعنى داعين المرأة إلى الحرص على إسلامها كماحرص عليها إسلامها حقا وحقيقة.

---

(١) فى ظلال القرآن بقلم سيد قطب .

ويقول ابن كثير:

[وكذلك جعلوا له من قسمى البنات والبنين أخسهما وأردأهما وهو البنات كما قال تعالى ﴿ **ألكم الذكر وله الأنثي* تلك إذا قسمة ضيزى**﴾ وقال جل وعلا ههنا ﴿**وجعلوا له من عباده جزءا إن الإنسان لكفور مبين**﴾ ثم قال جل وعلا ﴿**أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين**﴾وهذا إنكار عليهم غاية الإنكار، ثم ذكر تمام الإنكار فقال جلت عظمته ﴿**وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم**﴾ أى إذا بشر أحد هؤلاء بما جعلوه لله من بنات يأنف من ذلك غاية الأنفة وتعلوه كآبة من سوء مابشر به، ويتوارى من القوم من خجله من ذلك يقول تبارك وتعالى فكيف تأنفون أنتم من ذلك وتنسبونه إلى الله عز وجل، ثم قال ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿**أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين**﴾ أى المرأة ناقصة يكمل نقصها بلبس الحلى منذ تكون طفلة وإذا خاصمت فلا عبارة لها بل هى عاجزة عيية، أو من يكون هكذا ينسب إلى جناب الله العظيم.

فالأنثى ناقصة الظاهر والباطن، فى الصورة والمعنى، فيكمل نقص ظاهرها وصورتها بلبس الحلى وما فى معناه ليجبر مافيها من نقص]. أ. هـ.

وفى تفسير الألوسى نجد هذه السطور التى تدور حول نفس الآية:

يقول تعالى:

﴿**أومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين**﴾ [١٧ الزخرف]

وتبين هذه الآية جانبين مهمين من جوانب طبيعة المرأة ..

أحدهما: هو عجزها عن مجاراة الخصوم فى الجدل والإبانة عن الرأى.

ثانيهما: تنشئتها فى كنف الحلية والزخرف، وتوفيتها أكبر حظ من الزينة التى تتفق مع طبيعتها وأنوثتها.

وقد ذكر القرآن هذين الجانبين من طبيعة المرأة فى معرض التنديد بمن افترى على الله كذبا مدعيا أنه تعالى ذكره، اتخذ من الملائكة إناثا.

ومما تجدر الإشارة إليه أن التعبير عن الجانب الأول من الجانبين اللذين تضمنتهما هذه الآية بالجملة الإسمية المفيدة للثبوت والدوام فى قوله تعالى: ﴿ **وهو فى الخصام غير مبين** ﴾.

الأمر الذى يدل على مجافاة طبيعة المرأة لشئون القيادة، ووجوه السياسة، وأن

وألزم وسائل التغلب.

والآية ظاهرة فى أن النشوء فى الزينة والنعومة، من المعايب والمذام وأنه من صفات ربات الحجال[1]] [2] أ. هـ.

وطبعا لايلغى ذلك أن يقابل الإنسان أو يصادف امرأة حادة اللسان قوية الحجة تستطيع أن تغلب عدة رجال وتلقم كل واحد منهم حجراً فيحار فى محاجته لها ماذا يقول وإذا به وقد أسقط فى يده، ولكن ذلك كما لايخفى قليل، والقليل لاحكم له.وقد جاءت الآية بطبيعة الأمر مطابقة لغالب الأحوال وأعمها فى عالم المرأة.

---

(١) تفسير الألوسى جـ ٢٥ ص ٧٠ ، ٧١نقلاً عن المصدر المبين فى بند (٢)

(٢) كتاب طبيعة المرأة فى الكتاب والسنة .د. عبد المنعم سيد حسن

ميلها إلى القوي الأمين

عندما خرج موسى عليه السلام ـ من مصر حيث تشاور القوم على قتله، وورد ماء مدين وجد امرأتين بين الزحام على الماء تمنعان أغنامهما أن ترد الماء حيث إنهما لايسقيان إلا بعد الرعاء، وأبوهما شيخ كبير، فسقى لهما، ثم جاءته إحداهما تدعوه إلى أبيها.

وبعد ذلك يأتي نص الآية ٢٦, ٢٧ من سورة القصص:

﴿ قالت إحداهما ياأبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين* قال إنى أريد أن أنكحك إحدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك ومأأريد أن أشق عليك ستجدنى إن شاء الله من الصالحين﴾

إذن فقد قالت إحداهما ياأبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين.

[واستجاب الشيخ لاقتراح ابنته، ولعله أحس من نفس الفتاة ونفس موسى ثقة متبادلة، وميلا فطريا سليما صالحا لبناء أسرة.

والقوة والأمانة حين تجتمعان فى رجل لاشك تهفو إليه طبيعة الفتاة السليمة التى لم تفسد، ولم تلوث، ولم تنحرف عن فطرة الله، فجمع الرجل بين الغايتين، وهو يعرض على موسى أن يزوجه إحدى ابنتيه فى مقابل أن يخدمه ويرعى ماشيته](١).

وهكذا نرى أن المرأة بطبعها تميل إلى الرجل القوى الذى يمكنها أن تشعر فى كنفه بالأمن والحماية، وتستميلها الرجولة، وتجذبها القوة، وحينما يكون الرجل أمينا تطمئن المرأة معه على نفسها فلن يظلمها ولن يضيعها مادام يتقى الله فيها.

---

(١) فى ظلال القرآن بقلم سيد قطب

حب التزين

الزينة من مستلزمات المرأة دائما فى كل العصور، وفى جميع الأوقات، فهى تسعى دائما من أجل أن تكون أجمل الجميلات بقدر الإمكان، وعلى قدر استطاعتها وجهدها.

وهى تريد اجتذاب الرجل كما تريد أيضا بدافع من شعورها بالنقص أن تثبت لنفسها أنها جميلة، ومرغوبة، ومطلوبة دائما وفى كل وقت.

وقد تعرض القرآن الكريم لموضوع زينة المرأة وحبها للتوسعة فى النفقة حينما أتت نساء النبى ﷺ إليه يطلبن السماح بزيادة النفقة والتزين.

ونستدل من ذلك على ماجبلت عليه المرأة بصفة عامة من طلب الزينة، والرغبة الشديدة فيها.

يقول عز وجل :

﴿يأيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا۞وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما﴾ [الاحزاب ٢٨ ، ٢٩]

يقول محمد فريد وجدى مفسرا:

[يأيها النبى قل لأزواجك؛ إن كنتن تردن الحياة الدنيا فتعالين أعطيكن متعتكن وأطلقكن بدون ضر عليكن، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما.

سبب نزول هذه الآية أن نساء النبى ﷺ طلبن إليه أن يسمح لهن بالتزين، وأن يزيد لهن من النفقة فأمره الله أن يخيرهن بين الإصرار على طلبهن وبين البقاء مع رسوله فاخترن كلهن البقاء مع رسوله، وأقلعن عن طلبهن].[(١)] أ. هـ.

ويقول القرطبى:قوله تعالى: **﴿يأيها النبى قل لأزواجك﴾** قال علماؤنا: هذه الآية متصلة بمعنى المنع من إيذاء النبى ﷺ. وكان قد تأذى ببعض الزوجات، قيل: سألنه شيئا من عرض الدنيا، وقيل: زيادة فى النفقة، وقيل: بغيرة بعضهن على بعض، وقيل: إن السبب الذى أوجب التخيير لأجله، أن امرأة من أزواجه سألته أن يصوغ لها حلقة من ذهب، فصاغ لها حلقة من فضة، وطلاها بالذهب، وقيل

(١) فى ظلل القرآن بقلم سيد قطب .

السبب الذى أوجب التخيير لأجله، أن امرأة من أزواجه سألنه أن يصوغ لها حلقة من ذهب، فصاغ لها حلقة من فضة، وطلاها بالذهب، وقيل بالزعفران، فأبت إلا أن تكون من ذهب، فنزلت آية التخيير فخيرهن فاخترن الله ورسوله.. فالله أعلم.

ويقول سيد قطب:

[نساء النبى ﷺ كن نساء من البشر، لهن مشاعر.. وعلى فضلهن وكرامتهن، وقربهن من ينابيع النبوة الكريمة، فإن الرغبة الطبيعية فى متاع الحياة ظلت حية فى نفوسهن، فلما أن رأين السعة والرخاء بعدما أفاض الله على رسوله وعلى المؤمنين راجعن النبى ﷺ فى أمر النفقة، فلم يستقبل هذه المراجعة بالترحيب، إنما استقبلها بالأسى وعدم الرضى..

ولقد بلغ الأسى برسول الله ﷺ من مطالبة نسائه بالنفقة أن احتجب عن أصحابه..

روى الإمام أحمد بإسناده عن جابر رضى الله عنه قال: «أقبل أبو بكر رضى الله عنه يستأذن على رسول الله ﷺ والناس ببابه جلوس، والنبى ﷺ جالس فلم يؤذن له، ثم أقبل عمر رضى الله عنه فاستأذن فلم يؤذن له، ثم أذن لأبى بكر وعمر، فدخلا، والنبى ﷺ جالس وحوله نساؤه وهو ﷺ ساكت: فقال عمر رضى الله عنه: لأكلمن النبى ﷺ لعله يضحك، فقال عمر: يارسول الله لو رأيت ابنة زيد ـ امرأة عمر ـ سألتنى النفقة آنفا فوجأت عنقها! فضحك النبى ﷺ حتى بدت نواجذه. وقال: «هن حولى يسألننى النفقة فقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها، وقام عمر إلى حفصة كلاهما يقولان: تسألان النبى ﷺ ماليس عنده؟ فنهاهما الرسول ﷺ فقلن: والله لانسأل رسول الله ﷺ بعد هذا المجلس ماليس عنده.. قال: وأنزل الله عز وجل الخيار. فبدأ بعائشة فقال: «إنى أذكر لك أمراً ماأحب أن تعجلى فيه حتى تستأمرى أبويك» قالت: وماهو؟ قال: فتلا عليها ﴿**ياأيها النبي قل لأزواجك..**﴾ الآية، قالت عائشة أفيك أستأمر أبوى؟ بل أختار الله تعالى ورسوله، وأسألك ألاتذكر لامرأة من نسائك مااخترت، فقال رسول الله ﷺ: إن الله لم يبعثنى معنفاً، ولكن بعثنى معلماً ميسرا، لاتسألنى امرأة منهن عما اخترت إلا أخبرتها»] أ.هـ .

ونحب هنا أن نعرض فقرة تعبر عن معنى من المعانى المهمة التى وقف أمامها سيد

قطب .. فها هو يقول:

يصور لنا هذا الحادث حقيقة حياة الرسول ﷺ والذين عاشوا معه، واتصلوا به، وأجمل مافى هذه الحقيقة أن تلك الحياة كانت حياة إنسان، وحياة ناس من البشر لم يتجردوا من بشريتهم ومشاعرهم وسماتهم الإنسانية.

مع كل تلك العظمة الفريدة، التى ارتفعوا إليها، ومع كل هذا الخلوص لله، والتجرد مما عداه فالمشاعر الإنسانية، والعواطف البشرية، لم تمت فى تلك النفوس.. ولكنها ارتفعت وصفت من الأوشاب، ثم بقيت لها طبيعتها البشرية، الحلوة، ولم تعق هذه النفوس عن الارتفاع إلى أقصى درجات الكمال المقرر للإنسان]. أ. هـ.

وهكذا فإن ماحدث من زوجات النبى ﷺ جائزا لحدوث من غيرهن من النساء، بل إنه من الأولى أن يحدث من غيرهن.

ونقف وقفة أخرى مع سيد قطب نستشف من خلالها ملامح تخص المرأة، فهو يقول: نقف كذلك أمام تلك العاطفة البشرية الحلوة فى قلب رسول الله ﷺوهو يحب عائشة حبا ظاهرا، ويحب أن ترتفع إلى مستوى القيمة التى يريدها الله له ولأهل بيته فيبدأ بها فى التخيير، ويريد أن يساعدها على الارتفاع والتجرد، فيطلب إليها ألا تعجل فى الأمر حتى تستشير أبويها، وقد علم أنهما لم يكونا يأمرانها بفراقه كما قالت وهذه العاطفة الحلوة فى قلب النبى ﷺ لاتخطىء عائشة رضى الله عنها من جانبها فى إدراكها، فتسرها وتحفل بتسجيلها فى حديثها. ومن خلال هذا الحديث يبدو النبى ﷺ إنسانا يحب زوجته الصغيرة، فيحب لها أن ترتفع إلى أفقه الذى يعيش فيه، وتبقى معه على هذا الأفق.. كذلك تبدو عائشة إنسانة يسرها أن تكون مكينة فى قلب زوجها، فتسجل بفرح حرصه عليها وحبه لها، ورغبته فى أن تستعين بأبويها على اختيار الأفق الأعلى، فتبقى معه على هذا الأفق الوضىء، ثم نلمح مشاعرها الأنثوية كذلك، وهى تطلب إليه ألا يخبر أزواجه الأخريات أنها اختارته حين يخيرهن! وما فى هذا الطلب من رغبة فى أن يظهر تفردها فى هذا الاختيار وميزتها على بقية نسائه، أو على بعضهن فى هذا المقام.. وهنا نلمح عظمة النبوة من جانب آخر فى رد رسول الله ﷺ وهو يقول لها: «إن الله تعالى لم يبعثنى معنفاً، ولكن بعثنى معلما ميسرا، لاتسألنى واحدة منهن عما اخترت إلا أخبرتها».. فهو لايود أن يحجب عن إحدى نسائه ماقد يعينها على الخير، ولا يمتحنها امتحان التعمية والتعسير، بل يقدم العون لكل من تريد العون، لكى ترتفع على نفسها،

وتتخلص من جواذب الأرض ومغريات المتاع]. أ. هـ.

ثم ينزل الله عزوجل آيات تبين لنا الآداب التي يجب أن تتمسك بها النساء وبما ينبغي أن يتهذّبن به إزاء حبهن للزينة: ﴿**يانساء النبى لستن كأحدمن النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا * وقرن فى بيوتكن ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾

[الأحزاب ٣٢، ٣٣]

يقول سيد قطب بشأن هذه الآداب:

فى هذه الآيات التى نحن بصددها حديث إلى نساء النبى ﷺ وتوجيه لهن فى علاقتهن بالناس، وفى خاصة أنفسهن، وفى علاقتهن بالله. توجيه يقول لهن الله فيه:

﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** ﴾.

فالنظر في وسائل إذهاب الرجس، ووسائل التطهير التى يحدثهن الله سبحانه عنها، ويأخذهن بها، وهن أهل البيت وزوجات النبى ﷺ وأطهر من عرفت الأرض من النساء، ومن عداهن من النساء أحوج إلى هذه الوسائل ممن عشن فى كنف رسول الله ﷺ وبيته الرفيع.

إنه يبدأ بإشعار نفوسهن بعظيم مكانهن، ورفيع مقامهن، وفضلهن على النساء كافة، وتفردهن بذلك المكان بين نساء العالمين على أن يوفين هذا المكان حقه ويقمن فيه بما يقتضيه:

﴿ **يانساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن** ﴾

... وبعد أن يبين لهن منزلتهن التى نلنها بحقها، وهو التقوى، يأخذ فى بيان الوسائل التى يريد الله أن يذهب بها الرجس عن أهل البيت ويطهرهن تطهيرا:

﴿ **فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض**﴾

ينهاهن حين يخاطبن الأغراب من الرجال أن يكون فى نبراتهن ذلك الخضوع اللين الذى يثير شهوات الرجال، ويحرك غرائزهم، ويطمع مرضى القلوب، ويهيج رغائبهم.

ومن هن اللواتى يحذرهن ذلك التحذير، إنهن أزواج النبى ﷺ وأمهات المؤمنين

اللواتى لايطمع فيهن طامع، ولا يرف عليهن خاطر مريض، فيما يبدو للعقل أول مرة.. وفى أى عهد يكون هذا التحذير؟ فى عهد النبى ﷺ وعهد الصفوة المختارة من البشرية فى جميع الأعصار.

ولكن الله الذى خلق الرجال والنساء يعلم أن فى صوت المرأة حين تخضع بالقول، وتترقق فى اللفظ، مايثير الطمع فى قلوب، ويهيج الفتنة فى قلوب.. وأن القلوب المريضة التى تثار وتطمع موجودة فى كل عهد، فى كل بيئة، وتجاه كل امرأة ولو كانت هى زوج النبى ﷺ وأم المؤمنين، وأنه لاطهارة من الدنس، ولاتخلص من الرجس، حتى تمتنع الأسباب المثيرة من الأساس.

فكيف بهذا المجتمع الذى نعيش فيه اليوم، فى عصرنا المريض الدنس الهابط الذى تهيج فيه الفتن وتثور فيه الشهوات؟.. ونساء يتخنثن فى نبراتهن ويتميعن فى أصواتهن، ويجمعن كل فتنة الأنثى، وكل هتاف الجنس، وكل سعار الشهوة، ثم يطلقنه فى نبرات ونغمات؟! وأين هن من الطهارة، وكيف يمكن أن يرف الطهر فى هذا الجو الملوث، وهن بنبراتهن وحركاتهن وأصواتهن، ذلك الرجس الذى يريد الله أن يذهبه عن عباده المختارين.

﴿وقلن قولا معروفا﴾

نهاهن من قبل عن النبرة اللينة، واللهجة الخاضعة، وأمرهن فى هذه أ ن يكون حديثهن فى أمور معروفة غير منكرة، فإن موضوع الحديث قد يطمع مثل لهجة الحديث، فلاينبغى أن يكون بين المرأة والرجل الغريب لحن ولا إيماء، ولاهذر، ولادعابة، ولامزاح، كى لايكون مدخلا إلى شيء آخر وراءه من قريب أومن بعيد.

والله سبحانه الخالق العليم بخلقه وطبيعة تكوينهم هو الذى يقول هذا الكلام لأمهات المؤمنين الطاهرات لكى يراعينه فى خطاب أهل زمانهن خير الأزمنة على الإطلاق.

﴿وقرن فى بيوتكن﴾

من وقر يقر أى ثقل واستقر وليس معنى هذا الأمر ملازمة البيوت فلا يبرحنها إطلاقا، إنما هى إيماءة لطيفة إلى أن يكون البيت هو الأصل فى حياتهن، وهو المقر وماعداه استثناء طارئا لايثقلن فيه، ولايستقررن إنما هى الحاجة تقضى وبقدرها.

والبيت هو مثابة المرأة التى تجد فيها نفسها على حقيقتها كما أرادها الله تعالى غير مشوهة ولامنحرفة ولاملوثة، ولامكدودة فى غير وظيفتها التى هيأها الله لها

فالأم المكدودة بالعمل للكسب، المرهقة بمقتضيات العمل، المقيدة بمواعيده، المستغرقة الطاقة فيه لايمكن أن تهب للبيت جوه وعطره، ولايمكن أن تمنح الطفولة النابتة فيه حقها ورعايتها، وبيوت الموظفات والعاملات ماتزيد عن جو الفنادق والحانات، ومايشيع فيها ذلك الأرج الذى يشيع فى البيت، فحقيقة البيت لاتوجد إلا أن تخلقها امرأة، وأرج البيت لايفوح إلا أن تطلقه زوجة، وحنان البيت لايشيع إلا أن تتولاه أم، والمرأة أو الزوجة أو الأم التى تقضى وقتها وجهدها وطاقتها الروحية فى العمل لن تطلق فى جو البيت إلا الإرهاق والكلال والملال.

.. ولقد كان النساء على عهد رسول الله ﷺ يخرجن للصلاة غير ممنوعات شرعا من هذا، ولكنه كان زمان فيه عفة، وفيه تقوى، وكانت المرأة تخرج إلى الصلاة متلفعة لايعرفها أحد، ولايبرز من مفاتنها شيء.. ومع هذا فقد كرهت عائشة لهن أن يخرجن بعد وفاة رسول الله ﷺ . فى الصحيحين عن عائشة أنها قالت: كان نساء المؤمنين يشهدن الفجر مع رسول الله ﷺ ثم يرجعن متلفعات مايعرفن من الغلس.

وفى الصحيحين أنها قالت: لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن من المساجد، كما منعت نساء بنى إسرائيل!

فماذا أحدث النساء في حياة عائشة رضى الله عنها ؟ وماذا يمكن أن يحدثن حتى ترى أن رسول الله ﷺ كان مانعهن من الصلاة؟ ماذا بالقياس إلى مانراه فى هذه الأيام؟!

﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾

ذلك حين الاضطرار إلى الخروج. بعد الأمر بالقرار فى البيوت، ولقد كانت المرأة فى الجاهلية تتبرج، ولكن جميع الصور التى تروى عن الجاهلية الأولى تبدو ساذجة أو محتشمة حين تقاس إلى أيامنا هذه فى جاهليتنا الحاضرة!

قال مجاهد: كانت المرأة تخرج وتمشى بين الرجال، فذلك تبرج الجاهلية!

وقال قتادة: كانت لهن مشية تكسر وتغنج، فنهى الله تعالي عن ذلك.

وقال مقاتل بن حبان: التبرج أن تلقى الخمار على رأسها ولاتشده فيدارى قلائدها وقرطها وعنقها، ويبدو ذلك كله منها. وذلك التبرج!

وقال ابن كثير فى التفسير: كانت المرأة منهن تمر بين الرجال مسفحة بصدرها لايواريه شيء، وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها وأقرطة آذانها، فأمر الله المؤمنات

أن يستترن في هيئاتهن وأحوالهن.

... إننا نعيش الآن في فترة جاهلية عمياء،غليظة الحس حيوانية التصور، وندرك أنه لاطهارة ولازكاة ولابركة في مجتمع يحيا هذه الحياة ولايأخذ بوسائل التطهر والنظافة التي جعلها الله سبيل البشرية إلى التطهير من الرجس والتخلص من الجاهلية الأولى.

﴿وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله﴾

الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله، هو خاتمة التوجيهات الشعورية والأخلاقية والسلوكية لأهل البيت الكريم، لأنه لايقوم شيء من تلك التوجيهات بغير العبادة والطاعة] . أ. هـ.

لقد حرم الإسلام على الرجال نوعين من الزينة، وأحلهما للإناث وهما: التحلي بالذهب.. ولبس الحرير، وتعليقا على ذلك يقول الدكتور يوسف القرضاوي:

[قصد الإسلام من التحريم هدفا تربويا أخلاقيا نبيلا، هو صيانة رجولة الرجل من مظاهر الضعف والتكسر والانحلال، وتحريم الذهب والحرير جزء من برنامج الإسلام في حربه للترف عامة، فالترف في نظر القرآن قرين للانحلال الذى ينذر بهلاك الأمم.. وإنما استثنى النساء من التحريم مراعاة لجانب المرأة ومقتضى أنوثتها ومافطرت عليه من حب الزينة، بشرط ألا يكون همها من زينتها إغراء الرجال؟

حب الزينة هذا قد يملك على الفتاة أو المرأة كل نفسها فيجعلها تتصرف تصرفات مشينة كان يجب أن تنأى بنفسها عنها، وحتى نضرب مثلاً لما يمكن أن يفعله حب الزينة بالمرأة نسوق هذا الخبر:

[أبلغت إحدى البائعات مدير فرع «عمر أفندى» بروكسى أنها تشك في قيام فتاتين بسرقة «چاكيت» من قسم الملابس الحريمى الجاهزة.

أسرع المدير ليستوقف الفتاتين وهما تهمان بمغادرة المحل، وعثر داخل حقيبة معهما على «الچاكيت» المسروق.

اعترفت الفتاتان بالسرقة وبررتا ذلك بأن الموديل أعجبهما.. فقررتا سرقة «الجاكيت» على أن ترتدياه فيما بينهما بالتناوب!

لكن المفاجأة كانت اكتشاف أن إحداهما خريجة جامعية تحمل ليسانس حقوق والثانية طالبة بكلية التجارة..][(1)] أ. هـ.

والثانية طالبة بكلية التجارة..][1] أ. هـ.

هكذا وصل الشغف بالزينة حدا جعل المرأة تتجرأ فلايمنعها خوف من أن تضبط ولايمنعها خوف على مستقبلها وخاصة تلك التى تعلمت القانون، وكان ينبغى أن تكون مدافعة بدلا من أن تكون معتدية، ولايمنعها خوف على سمعتها من فعلة مشينة يمكن لمن هب ودب أن يعايرها بها، ولايمنعها الخوف من العار من أن تقدم على هذه الفعلة الشنعاء التى تسقطها من الأنظار وتحولها من كائن له احترامه فى المجتمع إلى شىء لاينظر الناس إليه إلاشزرا وباحتقار ومهانة. ولك أن تقيس على ذلك أشياء كثيرة.

إنها صيحة تحذير نطلقها إلى كل ولى أمر أن يراقب كل فتاة أو كل امرأة يلى أمرها فيشرف على شئونها إشرافا يقظا يعلم من خلاله مصدر كل شىء لديها حتى يتدارك الأمر بالعلاج إذ استلزم الأمر ذلك وليس معنى ذلك أن يكون الشك هو القاعدة، بل على العكس الثقة هى القاعدة والمعاملة الحسنة المتفهمة المدركة فى إطار من اليقظة ووضع الأمور فى نصابها الصحيح.

---

١ ـ جريدة أخبار اليوم عدد ١٤ يناير ١٩٨٤

السخرية طبع فى النساء، فمتى اجتمع منهن عدد، وجدتهن يسخرن ويتهكمن على كثير من خلق الله. وعديد من الأشياء ثم يطلقن الضحكات المدوية.

أما سخرية المرأة من المرأة فهى أشد وأمر، بحكم الغيرة، التى تأكل قلوبهن من بعضهن البعض وبحكم مااستحكم بينهن من تنافس، وتناحر، وصراع.

يقول رب العزة فى كتابه الكريم من سورة الحجرات، الآية (١١) :

﴿ يأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولانساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولاتلمزوا أنفسكم ولاتنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾.

بالبحث فى مختار الصحاح عن معنى «قوم» وجدنا:

ق و م ـ القوم الرجال دون النساء. وقال الله تعالى **﴿لايسخر قوم من قوم﴾** ثم قال **﴿ولانساء من نساء﴾**..

ولايلبث صاحب مختار الصحاح أن يقول:

[وربما دخل النساء فيه «أى فى لفظ قوم» على سبيل التبع، لأن قوم كل نبى رجال ونساء]. أ. هـ.

وبناء عليه، وعلى أنه سبحانه وتعالى قد بدأ الخطاب فى الآية:

﴿ يأيها الذين آمنوا.. ﴾ وهو نداء يشمل الرجال والنساء، وأيضاً بناء على أن النهى عن السخرية أمر ينهى عنه الرجال، وتنهى عنه أيضا النساء، فإننا نرى أن لفظ قوم هنا وفى ذلك الموضع بالذات! إنما يعنى ويشمل الرجال والنساء.

إذن فالنهى هنا عن السخرية موجه إلى كليهما بمجرد قوله تعالى:

﴿ لايسخر قوم من قوم ﴾ الآية.

ولكننا نلحظ أن القرآن الكريم لم يكتف بذلك فرجع وخصص النساء فخاطبهن مرة أخرى على حدة قائلا:

﴿ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن﴾

وبذلك يكون القرآن الكريم قد ركز على المرأة بشأن النهى عن السخرية فلقد خاطبها فى ذلك مرتين:

ـ المرة الأولى حين خاطبها بصفتها من القوم فى قوله:

﴿لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم﴾

ـ المرة الثانية حينما خاطبها على حدة واختصها بالنهى موجها إليها الخطاب

مباشرة غير مكتف بالمرة الأولى وذلك فى قوله ـ

﴿ولانساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن﴾

وفى تركيز القرآن الكريم على المرأة بالنسبة لهذه الناحية (السخرية) مايدلنا على أن السخرية طبيعية فى المرأة تجنح إليها غالبا، وهى من القوة بحيث استلزم الأمر توجيه النهى إليها مرتين مرة بصيغة العموم ضمن لفظ «قوم» ومرة بصيغة الخصوص حينما صرح بقوله: ﴿ **و لانساء من نساء** ..﴾ فالله سبحانه وتعالى لم يكتف بنهى النساء الذى جاء ضمنا فى نهى القوم ولكنه نهى النساء بذكرهن وحدهن بعد أن ذكرهن ضمنا، وهذا يدلنا على أن النساء أميل إلى السخرية من بعضهن البعض الآخر، وهى صفة عامة وغالبة فيهن وعلامة من علاماتهن.

وها هو القرطبى يقول فى تفسير تلك الآية:

قوله تعالى : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم**﴾ قيل عند الله، وقيل ﴿**خيرا منهم**﴾

أى معتقدا وأسلم باطناً. والسخرية: الاستهزاء. وقال الأخفش: سخرت منه وسخرت به، وضحكت منه وضحكت به، وهزئت منه، وهزئت به، كلٌ يقال].

ويحدثنا القرطبى عن سبب نزول هذه الآية فيقول:

[واختلف فى سبب نزولها، فقال ابن عباس: نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس كان فى أذنه وقر، فإذا سبقوه إلى مجلس النبى ﷺ أوسعوا له إذا أتى حتى يجلس إلى جنبه ليسمع مايقول، فأقبل ذات يوم وقد فاتته من صلاة الفجر ركعة مع النبى فلما انصرف النبى ﷺ أخذ أصحابه مجالسهم منه، فربض كل رجل منهم بمجلسه، وعضوا فيه (لزموه واستمسكوا به)، فلايكاد يوسع أحد لأحد حتى يظل الرجل لايجد مجلسا فيظل قائما، فلما انصرف ثابت من الصلاة، تخطى رقاب الناس ويقول: تفسحوا تفسحوا.

ففسحوا له حتى انتهى إلى النبى ﷺ وبينه وبينه رجل، فقال له: تفسح، فقال له الرجل: قد وجدت مجلسا فاجلس! فجلس ثابت من خلفه مغضبا، ثم قال: من هذا؟ قالوا فلان، فقال ثابت: ابن فلانة (يعيره بها) يعنى أمّاً له فى الجاهلية فاستحيا الرجل. فنزلت.

وقال الضحاك: نزلت فى وفد بنى تميم.. استهزءوا بفقراء الصحابة مثل عمار، وخباب، وابن فهيرة، وبلال، وصهيب، وسلمان، وسالم مولى أبى حذيفة وغيرهم،

وقال الضحاك: نزلت فى وفد بنى تميم.. استهزءوا بفقراء الصحابة مثل عمار، وخباب، وابن فهيرة، وبلال، وصهيب، وسلمان، وسالم مولى أبى حذيفة وغيرهم، لما رأوا من رثاثة حالهم، فنزلت فى الذين آمنوا منهم.

وقال مجاهد: هو سخرية الغنى من الفقير. وقال ابن زيد: لايسخر من ستر الله عليه ذنوبه ممن كشفه الله، فلعل إظهار ذنوبه فى الدنيا خير له فى الآخرة.. وبالجملة فينبغى ألا يجترئ أحد على الاستهزاء بمن يقتحمه بعينه إذا رآه رث الحال، أو ذا عاهة فى بدنه، أو غير لبق فى محادثته، فلعله أخلص ضميرا وأنقى قلبا ممن هو على ضد صفته، فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله، والاستهزاء بمن عظمه الله.

وقد بلغ بالسلف توقيهم وتصونهم من ذلك أن قال عمر بن شرحبيل: لو رأيت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه لخشيت أن أصنع مثل الذى صنع.)

أما معنى لفظ (قوم) فيقول الإمام القرطبى:

«وقد يدخل فى القوم النساء مجازا»

ثم يقول:

[قوله تعالى: ﴿**ولانساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن**﴾

أفرد النساء بالذكر لأن السخرية منهن أكثر، وقد قال تعالى: ﴿ **إنا أرسلنا نوحا إلى قومه**﴾ فشمل الجميع.

قال المفسرون نزلت فى امرأتين من أزواج النبى ﷺ سخرتا من أم سلمة، وذلك أنها ربطت خصريها بسبيبة ـ وهو ثوب أبيض ـ وسدلت طرفيها خلفها فكانت تجرها، فقالت عائشة لحفصة رضى الله عنهما: انظرى ماتجر خلفها كأنه لسان كلب. فهذه كانت سخريتهما.

وقال أنس وابن زيد: نزلت فى نساء النبى ﷺ عيرن أم سلمة بالقصر، وقيل نزلت فى عائشة أشارت بيدها إلى أم سلمة، يانبى الله إنها لقصيرة.

وقال عكرمة عن ابن عباس إن صفية بنت حيى بن أخطب أتت رسول الله ﷺ فقالت: يارسول الله. إن النساء يعيرننى. ويقلن لى يايهودية بنت يهوديين! فقال رسول الله ﷺ «هلا قلت إن أبى هارون، وإن عمى موسى، وإن زوجى محمد» فأنزل الله هذه الآية.] أ. هـ.

حب إبداء الزينة، ورؤية آثرها على الرجال

تحب المرأة أن تتأكد من جمالها مرارا وتكرارا، وتحب أيضا أن ترى أثر هذا الجمال على الرجال، وكلما استطاعت أن تخلب ألباب الرجال بفتنتها تضاعفت سعادتها وامتلأت كبرا وخيلاء وغرورا.

ونظراً لتمكن تلك الناحية من المرأة، ونظراً أيضا لما يمكن أن تسببه من فتن وانحرافات لمجريات الأمور فى المجتمع الإسلامى الذى رسم القرآن له صورة نظيفة رفيعة المستوى. نجد أن القرآن ركز على هذه الناحية فأمر المؤمنين بغض النظر، وحفظ الفرج فى قوله تعالى:

﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون﴾ [النور ٣٠]

ورغم أن المؤمنين هنا فى رأى الإمام القرطبى تشمل النساء فإن القرآن قد عاد وخصص النساء بالأمر فقال تعالى:

﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن إلا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولايبدين زينتهن إلالبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أوما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولايضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾.

[النور ٣١]

ونحن حينما نلحظ فى هذه الآية المحكمة ذكر القرآن للفئات والأشخاص الذين يجوز للمرأة أن تبدى زينتها أمامهم، وعلى وجه التخصيص، نحس أن القرآن إنما قصد توضيح الأمر توضيحا كاملا حازما قاطعا حاسما لامجال بعده لأن تشعر إحداهن بغموض، أو تتحجج بأنه قد التبس عليها الأمر.

فهذه الآية لم تترك مجالا لأى التباس، فالفئات والأشخاص قد ذكروا بوضوح وبصراحة بعيدا عن التلميح أو الاكتفاء به.

﴿وقل للمؤمنات﴾ خص الله سبحانه وتعالى الإناث هنا بالخطاب على طريق التأكيد، فإن قوله (قل للمؤمنين) يكفى، لأنه قول عام يتناول الذكر والأنثى من المؤمنين، حسب كل خطاب عام فى القرآن.

وبدأ بالغض قبل الفرج لأن البصر رائد للقلب، وأخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال:

ألم تر أن العين للقلب رائد فما تألف العينان فالقلب آلف

وفى الخبر « النظر سهم من سهام إبليس مسموم،فمن غض بصره أورثه الله الحلاوة فى قلبه.»

وقال مجاهد: إذا أقبلت المرأة جلس الشيطان على رأسها فزينها لمن ينظر، فإذا أدبرت جلس على عجزها فزينها لمن ينظر.

وعن خالد بن أبى عمران قال: لاتتبعن النظرة النظرة فربما نظر العبد نظرة نغل(١) منها قلبه كما ينغل الأديم فلا ينتفع به. فأمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين والمؤمنات بغض الأبصار عما لا يحل، فلا يحل للرجل أن ينظر إلى المرأة ولا المرأة إلى الرجل فإن علاقتها به كعلاقته بها، وقصدها منه كقصده منها.] أ. هـ.

وقد روى أبو داود عن عائشة رضى الله عنها أن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما دخلت على رسول الله ﷺوعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها رسول الله ﷺ و قال لها: «يأسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا» وأشار إلى وجهه وكفيه.

وعن تلك الرواية يقول القرطبى:

[فهذا أقوى فى جانب الاحتياط ،ولمراعاة فساد الناس فلا تبدى المرأة من زينتها إلا ماظهر منها من وجهها، وكفيها، والله الموفق لارب سواه.] أ. هـ.

وينتقل بنا القرطبى إلى ناحية أخرى مهمة فيقول:

«قوله تعالى **(ولايضربن بأرجلهن)** أى لاتضرب المرأة برجلها إذا مشت لتسمع صوت خلخالها، فإسماع صوت الزينة كإبداء الزينة، وأشد،والغرض التستر.»أ. هـ.

. انظر معى إلى دقة القرآن فى تحديد ماتلجأ إليه المرأة من حيل يمكن القياس عليها

---

١ ـ النغل : الفساد . ونغل الإديم إذا عفن وتهرى فى الدباغ فيفسد ويهلك .

للفت الأنظار ومايدل عليه ذلك من تأصل ذلك الاتجاه في نفوسهن. ومن هنا كان القرآن حريصاً على طهارتهن بنهيهن عن ذلك. ولن تستجيب فتخالف هوى نفسها إلا كل مؤمنة كما سيرد ذكره على لسان السيدة عائشة رضى الله عنها يقول القرطبى:

«أسند الطبرى عن المعتمر عن أبيه أنه قال:

زعم حضرمى أن امرأة اتخذت برتين[1] من فضة، واتخذت جزعا[2] من نجاس فجعلت في ساقها فمرت على القوم فضربت برجلها الأرض فوقع الخلخال على الجزع فصوت فنزلت هذه الآية،وسماع هذه الزينة أشد تحريكا للشهوة من إبدائها، قاله الزجاج.» أ. هـ.

ويقول القرطبى أيضا:ـ

«من فعل ذلك منهن فرحاً بحليهن فهو مكروه.. ومن فعل ذلك منهن تبرجاً وتعرضا للرجال فهو حرام مذموم.» أ. هـ.

حينما تضع المرأة على رأسها الخمار يتوقع المرء أن تسدل أطرافه على جيوبها (فتحات الصدر من ثوبها) فذلك هو الوضع الطبيعى حتى تستر صدرها من نظرات الناس وتصون نفسها.. ولكن فلنقرأ ما مايقوله القرطبى:

«قوله تعالى: **﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾**[3] .. سبب نزول هذه الآية أن النساء كن في ذلك الزمان إذا غطين رؤوسهن بالأخمرة سدلنها من وراء الظهر. قال النقاش: فيبقى النحر، والعنق، والأذنان لاستر على ذلك، فأمر الله تعالى بليّ الخمار على الجيوب، وهيئة ذلك أن تضرب المرأة بخمارها على جيبها لتستر صدرها.» أ. هـ.

وهكذا نرى كيف أن المرأة في ذلك الوقت تجنبت إسدال الأطراف على الصدر وجعلتها من وراء الظهر، لأن إبداء المفاتن عندها خصلةعميقة، هى شغوفة بها أشد الشغف، بل لعل المرأة كما قال العقاد تود لو تتعرى من كل مايسترها لتبدى كل مفاتنها، ولا يمنعها من ذلك إلا عيب يعيب أعضاءها فتخشى أن تعيرها إحداهن

---

(١) البرة: الخلخال وكل حلقة من سوار وقرط .

(٢) الجزع: (بفتح الجيم) ضرب من الخرز .

(٣) الخمر: جمع الخمار وهو ما تغطى به رأسها .

بذلك (كتاب هذه الشجرة والإنسان الثانى).

ولزم الأمر أن تنزل الآية آمرة بإسدال الخمر على الجيوب وليس من وراء الظهور، والعدالة تقتضينا أن نذكر بجانب ذلك أن هناك من النساء من هن طاهرات يسرعن إلى الإستجابة إلى نداء التحشم والعفاف، فيهذبن من نفوسهن ويسيطرن على ميولهن الغريزية فهذه عائشة رضى الله عنها فيما روى البخارى أنها قالت: [رحم الله نساء المهاجرات الأول لما نزل ﴿**وليضربن بخمرهن على جيوبهن**﴾ شققن أزرهن فاختمرن بها. ودخلت على عائشة حفصة بنت أخيها عبد الرحمن رضى الله عنهم وقد اختبمرت بشىء يشف عن عنقها وماهنالك، فشقته عليها وقالت: إنما يضرب الكثيف الذى يستر أ. هـ.

ويرتبط بموضوعنا ماقاله القرطبى فى تفسير الآية (٦٠) من سورة النور، والتى نصها: ﴿**والقواعد من النساء اللاتى لايرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم**﴾ [النور ٦٠]

ونلاحظ هنا أن القرآن رغم أنه يتحدث بخصوص نسوة ﴿**لايرجون نكاحا**﴾ كما أنهن (قواعد) قعود الكبر. مع ذلك نبه على عدم التبرج فقال ﴿**غير متبرجات بزينة**﴾ وأكد على التعفف فقال ﴿**وأن يستعففن خير لهن**﴾.

ويقول القرطبى :

﴿**غيرمتبرجات بزينة**﴾ أى غير مظهرات ولامتعرضات بالزينة لينظر إليهن، فإن ذلك من أقبح الأشياء، وأبعده عن الحق، والتبرج: التكشف والظهور للعيون.

.. وقيل: من التبرج أن تلبس المرأة ثوبين رقيقين يصفانها، وروى الصحيح عن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ «صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤسهن كأسمنة البخت المائلة لايدخلن الجنة ولايجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»

قال ابن العربى: وإنما جعلهن كاسيات لأن الثياب عليهن،وإنما وصفهن بأنهن عاريات لأن الثوب إذا رق يصفهن، ويبدى محاسنهن،وذلك حرام.

قلت: هذا أحد التأويلين للعلماء فى هذا المعنى. والثانى أنهن كاسيات من الثياب عاريات من لباس التقوى الذى قال الله تعالى فيه ﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾

عاريات من لباس التقوى الذى قال الله تعالى فيه ﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾ وأنشدوا..

إذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى تقلب عرياناً وإن كان كاسيا
وخير لباس المرء طاعة ربه ولا خير فيمن كان لله عاصيا

قلت: هذا التأويل أصح التأويلين، وهو اللائق بهن في هذه الأزمان وخاصة الشباب فإنهن يتزين، ويخرجن متبرجات، فهن كاسيات بالثياب عاريات من التقوى حقيقة ظاهرا وباطنا، حيث تبدى زينتها، ولاتبالى بمن ينظر إليها، بل ذلك مقصودهن، وذلك مشاهد في الوجود منهن، فلو كان عندهن شيء من التقوى لما فعلن ذلك، ولم يعلم أحد ماهنالك.

ومما يقوى هذ التأويل ماذكر من وصفهن في بقية الحديث في قوله:

«رؤوسهن كأسمنة البخت» والبخت ضرب من الإبل عظام الأجسام، عظام الأسنمة. شبه رؤسهن بها لما رفعن من ضفائر شعورهن على أوساط رؤسهن وهذا مشاهد معلوم، والناظر إليهن ملوم.

قال ﷺ: «ماتركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء»] أ. هـ.

ونبادر نحن فنقول أن الزينة الظاهرة حلال، فليس معنى ماسقناه أن عليها أو فيها حرجا ولكنها حلال مادامت في الحدود التى نظمها الإسلام، ومادامت لم تتجاوز المكان المناسب والوقت المناسب، والأشخاص المناسبين بمعنى الأشخاص الذين يحل لهم رؤية تلك الزينة [انظر آية ٣١ النور] وتركيزنا هنا على هذه الناحية إنما هو دعوة للمرأة في عصرنا هذا للاعتدال وترك مانهى عنه الإسلام.

فقد قيل لعائشة رضى الله عنها: يأم المؤمنين ماتقولين في الخضاب والصباغ، والتمائم، والقرطين، والخلخال، وخاتم الذهب، ورقاق الثياب؟ فقالت: يامعشر النساء، قصتكن قصة امرأة واحدة، أحل الله لكن الزينة غير متبرجات لمن لايحل لكن أن يروا منكن محرما.

﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بمايصنعون ۞ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن إلا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولايبدين

---

(١) جريدة أخبار اليوم عدد ١٤ يناير ١٩٨٤

اخـوانهن أو بنى إخـوانهن أو بنى أخـواتهن أو نسائهن أو مـاملكت إيمانهن أو التـابعين غيـر أولى الإربة من الرجـال أو الطفل الذين لـم يظهـروا على عورات النساء ولايضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ [سورة النور ٣٠ ـ ٣١]

وقد أورد الأستاذ سيد قطب تفسيرا حول هاتين الآيتين، وجدنا من المناسب عرض بعضه فيما يلى:

«إن الإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف لاتهاج فيه الشهوات فى كل لحظة، ولاتستثار فيه دفعات اللحم والدم فى كل حين.. فعمليات الاستثارة المستمرة تنتهى إلى سعار شهوانى لاينطفىء ولايرتوى.. والنظرة الخائنة، والحركة المثيرة، والزينة المتبرجة، والجسم العارى، كلها لاتصنع شيئا إلا أن تهيج ذلك السعار الحيوانى المجنون!! وإلا أن يفلت زمام الأعصاب والإرادة، فإما الإفضاء الفوضوى الذى لايتقيد، وإما الأمراض العصبية والعقد النفسية الناشئة من الكبح بعدالإثارة.

وإحدى وسائل الإسلام إلى إنشاء مجتمع نظيف هى الحيلولة دون هذه الاستثارة وإبقاء الدافع الفطرى العميق بين الجنسين سليما وبقوته الطبيعية دون استثارة مصطنعة، وتصريفه فى موضعه النظيف المأمون.

ولقد شاع فى وقت من الأوقات أن النظرة المباحة، والحديث الطليق والاختلاط الميسور، والدعابة المرحة بين الجنسين والاطلاع على مواطن الفتنة المخبوءة.. شاع أن كل هذا تنفيس وترويح، وإطلاق للرغبات الحبيسة، ووقاية من الكبت.. ومن العقد النفسية.

رأيت بعينى فى أشد البلاد إباحية مايكذب كل ذلك، وينقضه من الأساس.

نعم.. شاهدت فى البلاد التى ليس فيها قيد واحد على الكشف الجسدى، والاختلاط الجنسى بكل صوره أن هذاكله لم ينته بتهذيب الدوافع الجنسية وترويضها. إنما انتهى إلى سعار مجنون لايرتوى، ولايهدأ.. وشاهدت الأمراض النفسية والعقد التى كان مفهوماً أنها لاتنشأ إلا من الحرمان.. شاهدتها بوفرة ومعها الشذوذ الجنسى بكل أنواعه.. ثمرة مباشرة للاختلاط الكامل الذى لايقيده قيد ولايقف عند حد.

... النظرة تثير.. الحركة تثير.. الضحكة تثير.. الدعابة تثير.. النبرة المعبرة عن الميل تثير... والطريق المأمون هوتقليل هذه المثيرات بحيث يبقى هذا الميل فى حدوده

الطبيعية، ثم يلبى تلبيةطبيعية.. وهذا هو المنهج الذى يختاره الإسلام، مع تهذيب الطبع، وشغل الطاقة البشرية بهموم أخرى فى الحياة غير تلبية دافع اللحم والدم.. فلاتكون هذه التلبية هى المنفذ الوحيد.

وفي الآيتين نماذج من تقليل فرص الاستثارة والغواية من الجانبين:

﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ﴾.

وغض البصر من الرجال أدب نفسى، ومحاولة للاستعلاء على الرغبة فى الاطلاع على المحاسن كما أن فيه إغلاقا للنافذة الأولى من نوافذ الفتنة والغواية.

﴿وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن﴾

فلايرسلن بنظراتهن الجائعة المتلصصة أو الهاتفة المثيرة لكوامن الفتنة فى الرجال، ولا يحن فروجهن إلا فى حلال طيب يلبى داعى الفطرة فى جو نظيف.

﴿ولايبدين زينتهن إلا ماظهر منها﴾.

والزينة حلال للمرأة، تلبية لفطرتها، فكل أنثى مولعة بأن تكون جميلة، والزينة تختلف من عصر إلى عصر ،ولكن أساسها فى الفطرة واحد، هو الرغبة فى تحصيل الجمال، واستكماله، وتجليته للرجال.

والإسلام لايقاوم هذه الرغبة الفطرية، ولكنه ينظمها ويضبطها ويجعلها تتبلور فى الاتجاه بها إلى رجل واحد وهو شريك الحياة يطلع منها على مالايطلع عليه أحد سواه.

﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾.

والجيب فتحة الصدر فى الثوب، والخمار غطاء الرأس والنحر والصدر ليدارى مفاتنهن فلايعرضنها للعيون الجائعة، ولاحتى لنظرة الفجأة التى يتقى المتقون أن يطيلوها أو يعاودوها لكنها قد تترك كمينا فى أطوائهم بعد وقوعها على تلك المفاتن لو تركت مكشوفة .أ. هـ.

– نكرر ونؤكد مرة أخرى أن هناك من المؤمنات من أخلصن فى الطاعة وسلكن طريق العفة، يقول سيد قطب:

«والمؤمنات اللواتى تلقين هذا النهى، وقلوبهن مشرقة بنور الله. لم يتلكأن فى الطاعة على الرغم من رغبتهن فى الظهور بالزينة والجمال. وقد كانت المرأة فى الجاهلية كما هى اليوم فى الجاهلية الحديثة، تمر بين الرجال مسفحة بصدرها

لايواريه شيء.. فلما أمر الله النساء أن يضربن بخمرهن على جيوبهن ولايبدين زينتهن إلا ماظهر منها كن كما قالت عائشة رضى الله عنها «يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله **﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾**.. شققن مروطهن فاختمرن بها [أخرجه البخارى]».

وكذلك يصنع الإسلام اليوم فى صفوف المؤمنات على الرغم من هبوط الذوق العام، وغلبة الطابع الحيوانى عليه.. والجنوح به إلى التكشف والتعرى والتنزى كما تتنزى البهيمة!! فإذا هن يحجبن مفاتن أجسامهن طائعات فى مجتمع يتكشف ويتبرج، وتهتف فيه الأنثى للذكور حيثما كانت هتاف الحيوان للحيوان.

ولما كانت الوقاية هى المقصودة فقد مضت الآية تنهى المؤمنات عن الحركات التى تعلن عن الزينة المستورة.. وتهيج الشهوات الكامنة، وتوقظ المشاعر النائمة، ولو لم يكشفن فعلا عن الزينة.

﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن﴾

وإنها لمعرفة عميقة بتركيب النفس البشرية وانفعالاتها، واستجاباتها. فإن الخيال ليكون أحياناً أقوى فى إثارة الشهوات من العيان.. وكثيرون تثير شهواتهم رؤية حذاء المرأة.. أو ثوبها أو حليها أكثر مما تثيرها رؤية جسد المرأة ذاته. كما أن كثيرين يثيرهم طيف المرأة يخطر فى خيالهم أكثر مما يثيرهم شخص المرأة بين أيديهم وهى حالات معروفة عند علماء الأمراض النفسية اليوم .وسماع وسوسة الحلى أو شمام شذى العطر من بعيد. قد يثير حواس رجال كثيرين، ويهيج أعصابهم،ويفتنهم فتنة جارفة لايملكون لها رداً والقرآن يأخذ الطريق على هذا كله، لأن منزّله هو الذى خلق وهو الذى يعلم من خلق، وهو اللطيف الخبير.

وفى النهاية يرد القلوب كلها إلى الله، ويفتح لها باب التوبة مما ألمت به قبل نزول هذا القرآن:

﴿وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾

بذلك يثير الحساسية برقابة الله وعطفه ورعايته ودعوته فى ضعفهم أمام ذلك الميل الفطرى العميق الذى لايضبطه مثل الشعور بالله وتقواه.]. أ. هـ.

- ويقول ابن كثير :

وقوله تعالى **﴿ولايضربن بأرجلهن﴾** الآية، كانت المرأة فى الجاهلية إذا كانت تمشى فى الطريق، وفى رجلها خلخال صامت لايعلم صوتها ضربت برجلهاالأرض

وقوله تعالى ﴿**ولايضربن بأرجلهن**﴾ الآية، كانت المرأة فى الجاهلية إذا كانت تمشى فى الطريق، وفى رجلها خلخال صامت لايعلم صوتها ضربت برجلهاالأرض فيسمع الرجال طنينه فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك.

وكذلك إذا كان شيء من زينتها مستورا فتحركت بحركة لتظهر ماهو خفى دخل هذا فى النهى لقوله تعالى ﴿**ولايضربن بأرجلهن**﴾ إلى آخره.. ومن ذلك أنها تنهى عن التطيب والتعطر عند خروجها من بيتها فيشم الرجال طيبها، ويروى عن النبى ﷺ أنه قال: «كل عين زانية والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهى كذا وكذا» يعنى زانية..

وروى الترمذى أن رسول الله ﷺ قال: «الرافلة فى الزينة فى غير أهلها كمثل ظلمة يوم القيامة لانور لها» ومن ذلك أيضا أنهن ينهين عن المشى فى وسط الطريق لما فيه من التبرج. وقد روى عن حمزة بن أبى أسيد الأنصارى عن أبيه أنه سمع النبى ﷺ وهو خارج من المسجد، وقد اختلط الرجال مع النساء فى الطريق فقال رسول الله ﷺ للنساء «استأخرن فليس لكن أن تحتضن الطريق، عليكن بحافات الطريق» فكانت المرأة تلصق بالجدار حتى أن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به.] أ.هـ.

وبعـــد:

فها نحن فى عصرنا الحاضر نرى إقبال المرأة فى غالبيتها العظمى على الزينة والتبرج، والفتنة، والغواية بصورة تعتبر أكبر دليل على ملمحنا هذا الذى نحن بصدده، حب إبداء الزينة ورؤية أثرها على الرجال، رغم مافى ذلك من ضرب للقيم والأخلاق، والإ فبالله عليك قل لى كيف ازدهرت، وترعرعت بيوت الأزياء فى جميع أنحاء العالم بكل تلك الأعداد المهولة، وبكل ذلك الثراء الهائل، وتفننت فى أتفه شئون المرأة لتخرجه لها أشكالاً وألواناً وأصنافاً تخدع بها عقلها.. قل لى بالله عليك كيف يمكن أن يحدث ذلك دون ذلك الإقبال الهائل من نساء العالم، ذلك الاقبال الذى هو التمويل الحقيقى لتلك البيوت والمشجع لها على التمادى فى الإغواء والاندفاع نحو مزيد من الارتماء فى أحضان الشيطان.

وها أنت ذا تلمح الإعلانات وقد باتت تقول صراحة، وتركز، وتوضح بالصوت والصورة أثر العطر الفلانى على الرجل وكيف أنه يفعل به الأفاعيل ويجذبه نحو أنثاه جذبا شديدا.

لقد وضعت الإعلانات يدها على ماترياده المرأة من أعماقها، وأخذت تعلن عنه صراحة كأنها تقول «ياأيتها المرأة خذى هذا العطر فهو خير جاذب للرجال نحوك» وهكذا انزلقت المرأة نحو طريق لاتليق، وركبها السعار وأعماها التمادى والدخول فى سباقات، وصراعات مع لداتها من أجل الرجل، وإثبات كل واحدة لوجودها، ونسين فى غمار ذلك أنه يجب أن تكون هناك فروق بين الأنثى فى عالم الحيوان والأنثى فى عالم الإنسان الذى كرمه الخالق البارىء المصور.

صعوبة حفظ المرأة للسر

في الغالب الأعم تكون «الغيرة» طبعا في النساء، خلقن، وجبلن عليه، والأمثلة على ذلك كثيرة.

ومثالنا الآن هو ماحدث بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين بعض زوجاته، وهذه آيات مباركات بين أيدينا من سورة التحريم، ففي الخمس الآيات الأولى منها يقول رب العزة.

﴿يأيها النبي لم تحرم ماأحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم* قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم* وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير* إن تتوبا إلي الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير عسي ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا﴾

وتفسير ألفاظ هذه الآيات الكريمة في المصحف الميسر للأستاذ محمد فريد وجدى. كما يلي:

الألفاظ:

﴿ تبتغي مرضاة أزواجك﴾: أى تتطلب رضاء زوجاتك.

﴿والله مولاكم﴾: أى متولي أموركم.

﴿وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا﴾: أى قال لها سرا. وتلك الزوجة كانت حفصة.

﴿نبأت﴾: أى أخبرت .

﴿فقد صغت قلوبكما﴾: أى فقد مالت قلوبكما

مايحبه، وكراهة مايكرهه.

﴿والملائكة بعد ذلك ظهير﴾: أى والملائـكة بعـد ذلك تظاهره وتعاونه.ويقال ظاهره أى عاونه، وهو ظهير له أى معين له.

﴿عسى﴾: فعل جامد معناه يتوقع أو يرجى.

﴿قانتات﴾ : أى مواظبات على الطاعة، فعله قنت يقنت قنوتا.

﴿سائحات﴾: صائـمات، سـمى الصـائم سائحا لأنه يسيح فى النهار بلازاد، أومعناه مهاجرات.

﴿ثيبات﴾ : الثيب هى المرأة التى ليست ببكر.

﴿توبة نصوحا﴾ أى توبة بالغة في النصح، والنصوح صفة التائب لأنه هو الذى ينصح نفسه، ولكن وصفت به التوبة على الإسناد المجازى للمبالغة.] . أ. هـ.

يقول الإمام ابن كثير في تفسيره أنه قد اختلف في سبب نزول هذه السورة. وقد ورد في تفسير ابن كثير أنه قد جاء في كتاب (الأيمان والنذور) عن عبيد بن عمير أنه قال: سمعت عائشة تزعم أن رسول الله ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلا فتواطأت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبى ﷺ فلتقل له إنى أجد منك ريح مغافير آكلت مغافير؟!. فدخل على إحداهما النبى -صلى الله عليه وسلم فقالت ذلك له فقال: «لا، بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له» فنزلت: ﴿يا أيها النبي لم تحرم ماأحل الله لك﴾؟ إلى قوله تعالى ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾. لعائشة وحفصة.

وفى تفسير ابن كثير أيضا ورد: (وفى طريق ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة أن زينب بنت جحش هى التى سقته العسل ، وإن عائشة وحفصة

تواطأنا وتظاهرتا عليه . فالله أعلم.)

وقد ورد في تفسير القرطبي أيضا ضمن ماورد روايات بنفس المعنى، وعلى أى الأحوال فما يهمنا هو لب الموضوع وجوهره وليست تفاصيله، فبعد هذه التفسيرات للآيات الكريمة يمكننا أن نضع أيدينا على الآتي:

غيـــرة المـــرأة :

فهذه الآيات المباركات تتيح لنا مثلا على غيرة المرأة من ضمن أمثلة كثيرة لا حصر لها، فالرسول عليه الصلاة والسلام كان قد شرب عسلاً عند إحدى زوجاته، وكأنما أصاب ذلك زوجتيه عائشة وحفصة بالغيرة حتى دفعهما ذلك إلى التواطؤ والاتفاق على أن تقول له من يدخل عليها إني أجد منك ريح مغافير وكأنهما توحيان إليه أنهما تكرهان ذلك فما كان من الرسول ﷺ إلا أن حرمه على نفسه.

صعوبة حفظ المرأة للسر:

وذلك واضح حينما أسر النبي إلى إحدى زوجاته حديثا، وطلب منها أن تكتمه فلم تكتمه ولم تصبر عليه.

اتفاقهن وميلهن للمعاكسة :

يقول عز وجل في محكم آياته:

﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل و صالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير﴾.

أي:

«إن تتوبا (الخطاب لعائشة وحفصة) فقد حدث منكما مايوجب التوبة، وهو ميل قلوبكما إلى معاكسة رسول الله ﷺ، وإن تتعاونا عليه، فالله يتولاه، وصالحو المؤمنين والملائكة.»[1] أ.هـ.

واضح من ذلك ماكان من الاتفاق الذى حدث بين زوجتي الرسول ﷺ، وميل قلبيهما إلى معاكسة رسول الله ﷺ .. ويلفت نظرنا أمر عجيب حقاً ،أهناك من هو أفضل منه!.. أهناك حتى من هو مثله؟ إنه سيد الخلق وسيد البشرية.. وخاتم

(١) تفسير محمد فريد وجدى .

المرسلين.. وحبيب الله عز وجل الذى قال فيه:

﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾.

ورغم ذلك فقد كان هناك اتفاق وتعاون عليه من جانبهن مما يمهد إلى القول بأن هذا الاتفاق والتعاون إلى المعاكسة طبع أصيل فى المرأة عميق الجذور ظهر منها حتى مع أفضل خلق الله أجمعين. ورغم أن المرأة هنا هى أم من أمهات المؤمنين رضى الله عنهن أجمعين .

وإذا كان لنا عودة إلى ملمح (صعوبة حفظ المرأة للسر) فيمكننا إضافة مثل آخر على ذلك وهو ماورد بتفسير ابن كثير فى تفسير آية:

﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن إلا ماظهر منها، وليضربن بخمرهن علي جيوبهن ولايبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن .. الآية حتى ... أو نسائهن﴾.

فقد ورد فى تفسير ابن كثير:

« **﴿أو نسائهن﴾** يعنى تظهر بزينتها أيضا للنساء المسلمات دون نساء أهل الذمة لئلا يصفنها لرجالهن، وذلك وإن كان محذورا فى جميع النساء إلا أنه فى نساء أهل الذمة أشد فإنهن لايمنعهن مانع من ذلك، فأما المسلمة فإنها تعلم أن ذلك حرام فتنزجر عنه، وقد قال رسول الله ﷺ «لاتباشر المرأة المرأة تنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها» وروى أن عمر بن الخطاب كتب إلى أبى عبيدة: أما بعد فإنه بلغنى أن نساء من نساء المسلمين يدخلن الحمامات مع نساء أهل الشرك فانه من قبلك فلا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن ينظر إلى عورتها إلا أهل ملتها. وقال مجاهد (أو نسائهن) قال: نساؤهن المسلمات ليس المشركات من نسائهن، وليس للمرأة المسلمة أن تنكشف بين يدى مشركة] أ. هـ.

والمهم فى نظرنا أن نخلص من كل ذلك أن المرأة التى من المعروف أنها فى تنافس وغيرة من أى امرأة غيرها لايمنعها شيء، إذا رأت جسد امرأة أخرى من أن تصفه لزوجها رغم ماتعلم أن فى ذلك مايغويه ويضرها، ومن هنا جاء نهى رسول الله ﷺ من أن تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها.

وهكذا كانت صعوبة شديدة أن تحتفظ المرأة بسر.

الغيـــرة

والآن .. نقدم مايزيد (ملمح الغيرة) عند المرأة وضوحاً وتجسيداً .. يقول العقاد:

السيدة عائشة رضى الله عنها مثل من أمثلة الأنوثة الخالدة.

إنك تقرأ من أخبارها ماتقرأ. فلاتزال تقول بعد كل خبر: أجل هذه هى الأنثى الخالدة فى كل سمة من سماتها.

هذه هى الأنثى الخالدة فى غيرتها، وهذه هى الأنثى الخالدة فى دلالها، وهذه هى الأنثى الخالدة فى كل ماعرفت به الأنثى من حب للزينة، وحب التدليل، والتصغير وحب التطلع، وحب المكايدة، والمناوشة، والتعريض بالقول، وهى قادرة على التصريح.

وكل لون من ألوان الغيرة التى تتراءى فى طبيعة المرأة فهو باد فى خبر من أخبار السيدة عائشة.

والغيرة فى طبائع النساء ألوان:

تغار المرأة على قلب الرجل الذى تحبه، لو شغلته الذكرى ولم تشغله المودة الحاضرة، لأنها تعلم من هذا أنها لم تشغل قلبه كله.

وتغار المرأة من المرأة الجميلة وإن لم تنافسها على قلب رجل تحبه، وتغار من شريكتها فى رجلها كائنا ماكان حظها من الجمال، وتغار من كل مزية غير الجمال ماكان فيها سبيل إلى الحظوة فى القلب الذى تريده لها، ولاتطيق المزاحمة عليه.

«والأنثى الغيرى» فى جميع هذه الألوان من الغيرة النسائية ماثلة هنالك فى سيرة السيدة عائشة كما روتها هى، وكما رواها غيرها مامن فارق بينها وبين سائر النساء إلا الأدب الذى ينبغى لها، والحق النبوى الذى هى جاهدة جهدها أن توفره وترعاه.

–كانت السيدة خديجة متوفاة منذ سنوات يوم بنى النبى بالسيدة عائشة ولكن السيدة عائشة كانت تغار منها غيرة لم تنطو على مثلها لشريكاتها اللواتى يعشن معها لأنها شغلت قلب النبى بعد وفاتها فلم يزل يذكرها ويحب لحبها من كان يزورها أو

يراها.

وكان عليه الصلاة والسلام يبر بعض العجائز، فسألته السيدة عائشة فى ذلك، فقال: إن خديجة أوصتنى بها.. فقالت مغضبة: خديجة. خديجة. لكأنما ليس فى الأرض امرأة إلا خديجة.

وعلى حلم رسول الله ربما غضب أحيانا من ثورتها على ذكرى خديجة، فغضب فى هذا المرة وتركها فترة، ثم عاد وأمها عندها، فقالت له أمها: يارسول الله مالك ولعائشة؟ إنها حديثة السن، وأنت أحق من يتجاوز عنها. فلم يدعها حتى أخذ بشدقها معاتبا وهو يقول لها: ألست القائلة: كأنما ليس على وجه الأرض امرأة إلا خديجة!

وسألته مرة: ماتذكر من عجوز حمراء الشدقين قد بدلك الله خيراً منها؟ فأسكتها قائلا: «**والله ما أبدلنى الله خيرا منها، آمنت بى حين كذبنى الناس وواستنى بمالها حين حرمنى الناس، ورزقت منها الولد وحرمته من غيرها**».

أما شريكاتها اللواتى كن يعايشنها فى بيت النبى فربما كانت تغار من إحداهن لطعام يستطيبه النبى عندها، فضلا عن الغيرة من الجمال أو الملاحة.

تعود النبى عليه السلام أن يستطيب العسل الذى تهيئه له زينب بنت جحش وهى من أجمل أمهات المؤمنين وأحظاهن عنده، فأجمعت رأيها مع صديقتها حفصة أن يغضاه فى عسلها، وقالت فيما روته عن نفسها: «فتواطأت أنا وحفصة أيتنا دخل عليها فلتقل له: أكلت مغافير؟ وهى طعام من صمغ حلو، ولكنه كريه الرائحة، ولم يكن أبغض إلى النبى عليه السلام من رائحة كريهة..

فلما دخل عندها رسول الله قالت: إنى أجد منك ريح مغافير. قال: لا، ولكنى كنت أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش، فلن أعود إليه».

—وقد عرفت زميلتها السيدة صفية بجودة الطهى، فنفست عليها السيدة عائشة هذه الإجادة، قالت: «مارأيت صانعة طعام مثل صفية صنعت لرسول الله طعاما وهو فى بيتى فارتعدت من شدة الغيرة فكسرت الإناء ثم ندمت فقلت: يارسول الله ماكفارة ماصنعت؟ قال: إناء مثل إناء وطعام مثل طعام»

وهذه غيرتها من زميلات لم يجهرن بالمنافسة، وهى بالبداهة دون غيرتها من الزميلات اللواتى كن ينافسنها جهرة ويكاشفن النبى عليه السلام بالشكوى من تفضيلها عليهن فى المودة والحظوة، وعلى رأسهن أم سلمة التى شهدت على نفسها والنبى يخطبها أنها غيور لاتطيق المنافسة، فكان عليه السلام يجاملها ليذهب غيرتها، وتغضب عائشة من هذه المجاملة على علمها بمكانتها عنده.

ـ وإذا كانت أكلة أو شربة عسل تستطاب عند إحدى الزميلات أو مجاملة لإحداهن تثير هذه المنافسة وتغرى بهذه المؤامرة فليس من العسير أن نفهم كيف تكون الغيرة التى تثيرها الذرية المحبوبة المرقوبة حين يرزقها النبى من إحدى زوجاته وقد حرمها من سائرهن سنوات، وهو شديد الكلف بها والتطلع إليها:

تلك إذن غيرة لاتمسكها الحدود ولاتكبحها المجاملات.

وقد ثارت ثائرتها يوم ولد له عليه السلام ابنه إبراهيم من مارية القبطية، وكانت على هذه المزية التى امتازت بها جميلة بيضاء، تغار منها الزميلة لجمالها وصباحتها، فوق غيرتها منها لهذه الأمومة التى تفردت بها بين تسع نظيرات.

قالت كتب السير: وغارت زوجات النبى ولاكعائشة.

لأن عائشة رضى الله عنها كانت صاحبة المكانة الأولى التى ترفعت إليها «مارية» بأمومتها فهى أحق بالغيرة على تلك المكانة من سواها.

ولاريب فى حب عائشة للنبى، ولا فى سرورها بما يسره، ولكننا نطالب الطبيعة النسوية بما يرهقها إذا نحن ترقبنا منها أن تسر بما يثير غيرتها، وأن تحب الرجل ثم تسر بما عسى أن يصرف حبها عنه، أو ينقص سهمها فيه.

فمن الطبيعى أن تسر المرأة بسرور الرجل لأنها تحبه.

ومن الطبيعى كذلك أن تغار من السررو الذى يحببه إلى غيرها، لأنها تحبه.

وقد يفترق القلبان فى لحظة لأنهما مقتربان أشد الاقتراب ، وهذا الذى حدث عند مولد ابراهيم من مارية القبطية وهى فتية جميلة يدنيها من قلب النبى شتى المزايا وأولاها المزية التى تربى على كل مزية .

فلما رأت عائشة فرح النبى بالوليد، جاهدت نفسها أن تغالب غيرتها فلم تقو على هذه المغالبة.

وكان غضب النبى من غيرتها غضب تأديب وتهذيب لاغضب سخط وتأنيب، فكان يعذرها فيما يمسه، ولايعذرها فيما يحسن بالمرأة التى أحبها هذا الحب أن تقلع عنه وتعرف موضوع الملامة فيه.

فقلما لامها فى شئ يمسه من غيرتها.

ولكنه كان لايسكت مرة عن مؤاخذتها على فلتات هذه الغيرة التى تمس أناسا آخرين فيؤاخذ مؤاخذة المودب الرفيق، ولايدع لها أن تعيد ما آخذها عليه.

عابت أمامه زوجته السيدة صفية، فذكرت من عيوبها أنها قصيرة، فكره أن تمضى فى حديثها وقال: «ياعائشة! لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته».

ومامن سمة فى الأنوثة الخالدة غير هذه السمات إلا وجدت فى عائشة، وقد صدقت فطرتها فيها، وإن كانت لتروض نفسها تلك الرياضة العالية التى تجمل بزوجة محمد وبنت الصديق وأم المؤمنين.

..... إنها المرأة الخالدة فى كل زمان] (١) أ.هـ.

وإلى سطور أخرى عن الغيرة عند المرأة والذى هو ملمح من أبرز ملامحها.. تقول الدكتورة عائشة عبدالرحمن:

اسمها هند بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم: القرشية المخزومية.

ودخل بها المصطفى عليه الصلاة والسلام ... وأحدث دخولها ضجة فى دور النبى، وأشاع قلقا فى الزوجتين الشابتين عائشة وحفصة ابنتى أبى بكر وعمر.

ولم لا، وهذه زوج جديدة عزيزة، عريقة المنبت، ذات جمال وإباء،وفطنة تزفها إلى بيت النبى أمجاد طوال عراض.

....

وتم الزواج .... :

وتكلفت « عائشة وحفصة » ما أطاقتا من شجاعة لتستقبلا الزوج الجديدة بشئ من المجاملة لكن « عائشة » لم تطق صبرا على هذا التكلف فكشفت لحفصة عما

---

(١) من كتاب الصديقة بنت الصديق. عباس محمود العقاد (بتصرف).

من المجاملة لكن « عائشة » لم تطق صبرا على هذا التكلف فكشفت لحفصة عما تطوى من حزن وغيرة ، وفى ذلك تقول عائشة :

«لما تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة حزنت حزنا شديدا لما ذُكر لنا من جمالها، فتلطفت حتى رأيتها، فرأيت والله أضعاف ماوصفت به، فذكرت ذلك لحفصة. فقالت: ماهى كما يقال.. وذكرت كبر سنها.

فرأيتها بعد ذلك فكانت كما قالت حفصة، ولكنى كنت غيرى»

وما من شك فى أن أم سلمة، قد سرها، أن تلمح تأثير دخولها على عائشة الزوج المفضلة، ولعلها لذلك قد رضيت أن تبعث بطفلتها «زينب» إلى حاضنة كى تفرغ لزوجها.] (١) أ.هـ.

ـ وننتقل الآن لنعرف شعور السيدة عائشة حين تزوج الرسول عليه الصلاة والسلام «زينب بنت جحش» :ـ

ودخل محمد بتلك التى زوجه إياها الوحى. وباتت عائشة ليلتها فريسة الغيرة. قد أخذها فيما قالت، ماقرب ومابعد، ما تعرف من جمال زينب ولما هى حرية أن تفخر به من صنع الله لها.

وكذلك غارت نساء النبى رضى الله عنهن، وضقن جميعا بهذه العروس الجديدة: تعتز بجمالها وشبابها وشرفها، وبأن الله هو الذى زوجها.

وإذا كانت «أم سلمة» قد سرها أن ترى أثر الموقف على عائشة الزوج المفضلة فلاريب أن «زينب» قد أرضاها أن تجىء فتتقدم «أم سلمة» منافسة «لعائشة» .

ولم تكتم «عائشة غيرتها من زينب، كما لم تكتمهامن أم سلمة، بل اعترفت بأنها: «كانت أحب نسائه إليه فيما أحسب بعدى» .

ثم تؤثر « زينب » وحدها بخصومتها فتقول:

«لم تكن واحدة من نساء النبى تناصينى غير زينب»

أى تنازعنى وتبارينى، وحدث مرة أن أفلت لسان «عائشة» بكلمة غضب لها رسول الله ﷺ فقد تلقى هدية وهو فى بيتها، فأرسل إلى كل واحدة من نسائه

---

(١) من كتاب (نساء النبى) د. عائشة عبدالرحمن(بتصرف).

« لقد أقمأت وجهك حين ترد عليك الهدية ».

فقام صلى ﷺ عنها مغضبا وهو يقول: «أنتن أهون من أن تقمئنني»

ـ على أن هذه الخصومة المحتدمة بين الزوجين الأوليين لم تمنع حفيدة عبدالمطلب من الدفاع عن «عائشة» فى محنة الإفك، وقد ذكرت لها عائشة هذا الموقف النبيل.

وقد كانت «زينب» صالحة تقية شهدت لها بذلك كله ضرتها السيدةعائشة فقالت:

«ولم أر امرأة قط خيرا فى الدين من زينب، وأتقى لله، وأصدق حديثا وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد ابتذالا لنفسها فى العمل الذى يتصدق ويتقرب به إلى الله عز وجل ».

وألغى موت محمد ﷺ مابين «زينب» وضرائرها من أثر التنافس على زوجهن المصطفى، فلم يعدن يذكرن إلا أنهـا كانت له ﷺ زوجا حبيبة وللمؤمنين أما رحيمة، ولربها عابدة قانتة.] (١) أ. هـ.

وننتقل نقلة أخرى إلى موقف آخر هو موقف زواج النبى عليه الصلاة والسلام من مارية القبطية...

وطار النبأ إلى دور النبى: أن شابة مصرية جذابة الملامح، قد جاءت من أرض النيل هدية للمصطفى، وتكلفت «عائشة» ما استطاعت من جهد لكى تعلل نفسها بأن لاخطر عليها من هذه الشابة الجديدة.

لكنها راحت ترقب فى كثير من القلق مظاهر اهتمام زوجها بتلك المصرية الغريبة، وقد أثار جزعها أن تراه ﷺ يكثر من التردد عليها ويمكث لديها طويلا(٢). أ. هـ.

وننتقل إلى موقف يجسد لنا الغيرة أوضح تجسيد.. استمع معى:.

وسرعان ماسرت البشرى فى أنحاء المدينة أن رسول الله ينتظر مولودا له من «مارية المصرية»، وما بنا حاجة إلى تصوير وقعها الأليم على نساء النبى، أتحمل هذه الطارئة

---

(١)، (٢) نفس المرجع السابق (بتصرف) .

الغريبة ولم يمض عليها فى المدينة سوى عام واحد، وإن منهن من أمضت فى بيت زوجها الرسول عدة أعوام بلاحمل؟..

أيؤثرها الله بهذه النعمة الكبرى، وأمهات المؤمنين، وفيهن بنتا أبى بكر وعمر وبنت زاد الركب وحفيدة أبى طالب محرومات لايلدن؟

وهاجت غيرتهن، فما يدرين مايفعلن.

قالت عائشة:

«ماغرت على امرأة إلا دون ماغرت على مارية، وذلك أنها كانت جميلة جعدة، فأعجب بها رسول الله ﷺ، وكان أنزلها أول ماقدم بها فى بيت لحارثة بن النعمان فكانت جارتنا، فكان عامة الليل والنهار عندها.. فجزعت فحولها إلى العالية وكان يختلف إليها هناك، فكان ذلك أشد علينا، ثم رزقه الله منها الولد وحرمناه منه».

وسهر المصطفى عليها يرعاها.. حتى بلغ الجنين أجله، وحانت ساعة الوضع.

...وراح يرقب نموه يوما بعد يوم، ويجد فيه أنسه ومسرته، ويود لوشاركته دنياه كلها فى هذا الأنس.

حمله يوما بين ذراعيه إلى «عائشة» ودعاها فى تلطف وبشر، لترى مافى الصغير من ملامح أبيه. فأحست «عائشة» كأن سهما قد نفذ إلى قلبها وكادت تبكى مماتجد، لكنها أمسكت عبرتها فى غيظ مكتوم.

وأدرك على الفور ماتكابد فانصرف بولده وهو يرثى لعائشة] (1) أ.هـ.

وننتقل نقلة أخرى فى مضمار الغيرة، لنتعرف عليها عند المرأة أكثر وأكثر..وها نحن أولاء عند «ميمونة» نتعرف على مشاعرها عندما دخلت بيت النبى ﷺ، فقد دخلت بيت النبى مسالمة، قد اكتفت من دنياها بما من الله عليها به من نعمة الإسلام، وشرف الزواج من خير البشر.

ومامن ريب أنها وجدت لذع الغيرة من «عائشة» ثم من «مارية» أن استأثرت الأولى بأوفى حظ من حب الزوج، وكان للثانية شرف أمومتها لإبراهيم، ولعلها كذلك لم تستطع أن تقاوم عاطفة الجماعة، حين جمحت الغيرة بنساء النبى، وهى

---

(1) من كتاب نساء النبى د. عائشة عبدالرحمن (بتصرف).

منهن فى التظاهر على مارية.

لكن مؤرخى السيرة لايذكرون لها خصومة انفردت بها أو شجارا شبته فى بيت الزوج المصطفى (١) .

وننتقل الآن لكى نلم بلقطة أخرى من لقطات الغيرة، وموقف آخر من مواقفها. استمع معى:

جاءت العروس، وفى البيت «سودة» و«عائشة».

أما سودة فرحبت بها راضية، وأما عائشة فغاظها أن يأتيها زوجها بضرة، ومافعل ذلك مع «خديجة».

وضايقها ألا تجد فى «حفصة» مغمزاً، فهى من هى، شباباً وتقى، وعزة ونسبا.. لقد كانت «عائشة» تزهو على سودة وخديجة من قبلها، بشبابها الغض وأبيها الصديق، وحظ «حفصة» من هذين، ليس بالذى ينكر.

«وعائشة» كانت تضيق حين يمضى زوجها ليلة بعد أخرى فيبيت عند «سودة» التى ما اكترثت لها «عائشة» كثيرا، فكيف يكون موقفها حين يبيت زوجها عند حفصة؟

واحتارت ماذا تفعل .. إذ كانت تقدر مغزى زواج كهذا يرضى عمر بن الخطاب ويباركه الإسلام والمسلمون، وسكتت على مضض وغيرة إلى أن وفدت على بيت النبى أزواج جديدات، فتناست «عائشة» ماكانت تجد من «حفصة» وحاولت أن ترى فيها أقرب ضرائرها إليها، وأجدرهن بأن تقف معهافى وجه الخطر المشترك.

وأدركت حفصة أنها إذا جاز لها أن تنكر ضرة لها، فليس من الحق ولا من العدل أن تكون هذه الضرة هى «عائشة» وقد سبقتها إلى بيت الرسول وإلى قلبه.

وربما جرح قلبها أن تعرف حب المصطفى لعائشة، لكنهاحين تتابعت الضرائر وقفت دون تردد إلى جانب بنت أبى بكر.

ولعل إباءها هو الذى فرض عليها أن تدارى غيرتها من عائشة، وتحاول أن تلتمس فى صحبة هذه الشابة المرحة، ومشاركتها فى معاركها الصغيرة، ومؤامراتها

---

(١) نفس المرجع السابق.

الذكية مايشغلها عن هذا الهم المطوى.[1] أ. هـ.

كانت هذه بعض صور الغيرة عند المرأة، يستطيع القارئ أن يقيس عليها، وخاصة إذا علم أنها الغيرة فى أحسن صورها، لأنها الغيرة التى صدرت من أمهات المؤمنين رضى الله عنهن .

والآن إلى ملمح آخر جديد.. ملمح شديد الخطورة بارز فى المرأة إنه:

---

(١) من كتاب «نساء النبى» د. عائشة عبد الرحمن.

الكيـد

قال تعالى: ﴿ **فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم** ﴾ ومما يعين على أن الكيد لون من ألوان طبيعة المرأة، أن الله أورد الحكم به عليهن على لسان من شهد به لهن فى صورة قانون عام، يصدق على النساء، ولم يورده خاصا بامرأة العزيز التى هى صاحبة الوقعة، الأمر الذى يدل على أن الكيد عام فيهن.

ومما يؤيد كون الكيد طبيعة فى المرأة، ماأورده الله مرة أخرى على لسان يوسف وهو يضرع إلى ربه ويناشده إنقاذه من إغراء النسوة إذ قال: ﴿ **رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه وإلا تصرف عنى كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين** ﴾ [يوسف ٣٣]

وأكبر الظن أن يوسف يناشد ربه أن يصرف عنه كيد جميع النسوة لاكيد طائفة خاصة منهن وليكن كيد النسوة اللائى جمعتهن امرأة العزيز للقاء يوسف أوضح عنوان على كيد الجنس كله، يضاف إلى ذلك أن الله سبحانه وسمهن بالكيد مرة ثالثة فى قوله ﴿ **فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم** ﴾.
[يوسف ٣٤]

فكان ذلك إيذانا من الله بأن الكيد من سجايا المرأة اللازمة، وطباعها الأصيلة ذلك بأن قوله تعالى ﴿ **فصرف عنه كيدهن** ﴾ [يوسف ٥٠]

يعتبر فيما أرى إقراراً ليوسف على نسبة الكيد إلى النسوة ويعد دليلا على أن يوسف لم يكن مدعيا ولامتجنيا حين نسب الكيد إليهن وفر إلى الله منهن. والله أعلم، وقد جرى وصف النساء بالكيد على لسان يوسف فيما حكاه الله عنه من قوله ﴿ **إن ربى بكيدهن عليم** ﴾ [يوسف ٥٠]

وكأنى بيوسف وهو من هو كياسة وسياسة قد أعياه كيد النساء ففوض إلى الله وحده العلم به، كما يشعر هذا القول الذى ساقه الله على لسانه بأن الاستعانة على كيد النساء إنما تستمد مما شرع الله فى معاملتهن، فإذا سار البشر فى معاملتهن على

النحو الذى رسمه الله أمنوا كيدهن.

.....ومما يلفت النظر أنه لم يرد وصف كيد الرجال بالعظيم مع أن لهم منه ولاريب حظا يقل أو يكثر. وأحسب مرد ذلك إلى مابين طبيعة الرجل والمرأة من فروق إذ يعهد فى المرأة لون خاص من ألوان الكيد يكاد يقصر عليها ولاينسب إلى غيرها ذلك بأن لها من طبائعها مايساعدها عليه كالغيرة وحدة العاطفة والضعف النوعى الذى يجعلها تعمد إلى الكيد والالتواء حذرا حيث لاتقوى على المواجهة ولاتطيق المنازلة،ولم تعهد منها مقارعة الحجة بالحجة فتستعيض بالكيد عن كل ذلك وربما دفعها الكيد لإجادة الرياء والتفنن فيه.] (١) أ. هـ.

مقارنة بين كيد النساء وكيد الشيطان:

ويقول د. عبد المنعم سيد حسن فى مقارنة بين كيد النساء وكيد الشيطان:

وصف القرآن كيد النساء بالعظيم فى قوله ﴿**إن كيدكن عظيم**﴾ فى حين وصف كيد الشيطان بالضعف فى قوله تعالى ﴿**إن كيد الشيطان كان ضعيفا**﴾ فأقول... لاتعنى المقارنة بين كيد الشيطان وكيد النساء أن حظ النساء من الشر أوفر من حظ الشيطان، بل إن الأمر فى هذه المقارنة يدور فيما أحسب على أن من شأن المؤمنين أن يحذروا الشيطان وكيده فخطر كيده على نفوسهم مأمون المغبة حيث يستعيذون منه بالقول والعمل، وهذا هو منشأ ضعف كيده ويعين على هذا أن قوله تعالى

﴿ **إن كيد الشيطان كان ضعيفا**﴾ متفرع على قوله قبل هذه الفقرة من الآية ﴿ **فقاتلوا أولياء الشيطان** ﴾ .

والمعنى فيما أقدر أن الله سبحانه وتعالى يعد المؤمنين بالتغلب على كيد الشيطان ويبشرهم بعدم صموده فى مواجهة إيمانهم، أما كيد النساء فقد اكتسب العظم وقوة الخطر من جراء ما أُلف من حيلهن التى قد لايؤخذ منها الحذر، حيث لاتحمل ظواهرهن على أخذ الحذر من بواطنهن وحيث تطبع أعمالهن فى الأغلب بما ينسى الحيطة،ويلهى عن الأناة .

(١) كتاب «طبيعة المرأة فى الكتاب والسنة » د. عبدالمنعم سيد حسن .

وجاء فى تفسير الطبرسى عند قوله تعالى ﴿**إن كيد الشيطان كان ضعيفا**﴾ قوله: دخلت (كان) هنا مؤكدة لتدل على إن الضعف لكيد الشيطان لازم فى جميع الأحوال والأوقات وليس هو عارضا فى حال دون حال، وإنما وصف سبحانه وتعالى كيد الشيطان بالضعف بالإضافة إلى نصرة الله المؤمنين، قيل لأنه أخبرنا بأنه سيظهر عليهم المؤمنين، وقيل لضعف دواعى أولياء الشيطان إلى القتال إذ لابصيرة لهم فهم يقاتلون بما تدعو إليه الشبهة والمؤمنون يقاتلون بما تدعو إليه الحجة.

.... ولكون الكيد طبيعة فى المرأة كانت مظنة الدفع إلى الفتنة والإغراء بها، ومن ثم أمر رسول الله ﷺ الرجال باتقاء النساء، ودعا إلى الحذر من طرائقهن فى بغى الفتنة والحمل عليها، فعن أسامة بن زيد قال: «قال رسول الله ﷺ: ماتركت بعدى فتنة هى أضر على الرجال من النساء.»

ووجه كونهن أضر أن الطباع تميل إليهن كثيرا، وتقع فى الحرام لأجلهن، وتسعى للقتال والعداوة بسببهن. فعن أبى سعيد الخدرى قال: «قال رسول الله ﷺ :اتقوا النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت من النساء».

ويجدر بالباحث ألا يغفل الإشارة إلى أن وصف رسول الله ﷺ للنساء بالفتنة والإضرار بالأمة لايعنى القصد إلى النيل منهن والتزهيد فيهن والتربص بهن وإنما يعنى دعوة الرجال إلى فهم طبيعتهن، وعدم الاستسلام لأهوائهن المبنية على عواطفهن المتقلبة. (١). أ. هـ.

.... والآن إلى رأى العقاد فى كيد المرأة:

وصف القرآن المرأة بالكيد العظيم، وهو وصف لايناقض رجحان الرجل عليها فى العقل والتدبير، لأن سلاحها فى هذا الكيد من أسلحة الطبيعة التى تستميل بها الرجل إليها، وتغرس فى نفسه حب الاستجابة لغوايتها، ولم تزل الحيلة عوضا عن القدرة، دليلا على النقص فى ناحية من نواحيها.

ومن المشاهدات المحسوسة أن المرأة تصر على طلبتها، وتلح فى إصرارها لأنها تعجز عن صرف الفكرة عن رأسها إذا خطرت لها وهجست فى ضميرها.. فهى تطرد الفكرة من هنا فتعاودها من هناك، وهى تعالج الخلاص منها فلا تفلح فى علاجها،

---

(١) كتاب «طبيعة المرأة فى الكتاب والسنة» د. عبد المنعم سيد حسن.

ولاتزال فريسة لهواجسها في يقظتها ومنامها حتى تستريح منها بالإنجاز والتنفيذ، فهي تثابر على الطلب لأنها عاجزة عن الخلاص من إلحاحه والتغلب على معاوداته، ومراجعاته. وهي تستمد القوة من هذا الضعف الذى يتعقبها فلايرحمها ولايريحها.. فتبدو كالمطارد، وهي طريدة، وتتراءى كالغالبة وهي مغلوبة.. فتجمع بين الضعف العظيم والكيد العظيم.. وتعتمد على غواية الطبيعة في نجاح كيدها حين يخذلها الضعف ويسلمها للنزوة الملحة والوسواس المقيم.] (١) أ. هـ.

(١) كتاب الفلسفة القرآنية .

الغفلة عما يشين

لا شك أن الغفلةعما يشين ملمح من الملامح المرغوبة فى النساء .

يقول المولى عز وجل :

﴿ إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ﴾ [النور ٢٣]

يلفت نظرنا فى هذه الآية لفظ (الغافلات) الذى ورد فى سياق المديح بعد لفظ المحصنات وقبل لفظ المؤمنات. فكيف تكون الغفلة مديحا؟ إنها لن تكون كذلك إلا إذا كانت غفلة عن أشياء محددة بذاتها ،وهذا يدفعنا إلى التساؤل، الغفلة هنا فى هذه الآية.. غفلة عن ماذا؟ لما أمعنا النظر فى سياق الآية رأينا أن الغفلة التى تناسب المعنى هى الغفلة عن كل مايشين من تصرفات قد تأتى بها المرأة المستهترة، وهكذا فإن المرأة الغافلة عن أساليب الغواية والانحراف والهوى تكون غفلتها عن هذه الأشياء بمثابة، التقريظ والمديح لها، والتزكية لأخلاقها ولطهارتها.

اتجهنا إلى البحث عن معنى (الغافلات) التى وردت فى هذه الآية، فى تفسير ابن كثير وتفسير القرطبى لكننا لم نجد معنى محدداً (للغافلات) بمعنى (الغفلة عما يشين) وورد أنها الغفلة عما يحاك لهن.

ولما اطلعنا على مختصر تفسير الإمام الطبرى وجدناه يذكر أنها الغفلة عن الفواحش، وهذا مارجحناه مسبقا ونرى أنه أوقع، فالغفلة عما يحاك للمرء لايستساغ أن تكون من صفات المديح له، بينما غفلة المرأة عن الفواحش، وعن دروبها، ومسالكها، لاشك شيء تمدح بسببه، وتكون أقرب إلى الفضيلة ومكارم الأخلاق، وأقرب أيضاً إلى أن تكون حصناً حصيناً وقلعة منيعة يستعصى على الطامعين غزوها.

ونرى أن لفظ (الغافلات) هنا فى هذه الآية لفظ أراد به الله عز وجل تأكيد صفة العفة فى المؤمنات اللاتى تتحدث عنهن الآية.

وأرى من ذلك أيضاً وكأن المرأة إذا عرفت الغواية كان من السهل عليها الانحراف بسرعة، فهى تمثل بالنسبة لها إغراءً شديداً يصعب عليها أن تصبر عليه؛ لذا كان

من الأفضل ألا تعرف هذا الطريق أصلا.

لفظ (الغافلات) يسوقنا إلى دلالات على طبيعة المرأة وكأنها في الغالب مرتع للشر وخيم إلا إذا غفلت هى عنه فتصبح أفضل ماتكون المرأة.. إنها تصبح محصنة مؤمنة، أما بغير هذه الغفلة عن الشر فهى غير محصّنة، وهذا يؤدى بنا بدوره إلى أن ندرك أن النزوات تعمل فى طبيعة المرأة باستمرار بحيث إنها إذا عرفت طريق الآثام، والغواية، فإن مقاومتها ستكون أضعف ماتكون بحيث لاتفلح فى الابتعاد بها عن طريق الآثام هذا.

بل قد تتجه المرأة إذا عرفت هذا الطريق وبسبب مايصطرع فى نفسها من مشاعر إلى هذا الطريق عن طيب خاطر، أو عن اضطرار لاتعرف له ردأ، ومن هنا كانت الغفلة عن الشرور والآثام صفة حسنة وموضع مديح، وتقريظ لأنها ضمان لوقايتها وصيانتها،فطبيعة الغواية تعمل فى كيانها فكيف الحال إذا وجدت الطريق إلى هذه الغواية ممهداً ميسراً.

ونشير بهذا الصدد إلى ما أثبتته الدراسات العلمية من أن المرأة التى تقع فى الخطيئة مرة لاتستطيع فى الغالب الأعم أن تخرج من هذا المستنقع.

ومن هنا فيما نرى كان تحذير سيد المرسلين:

«إياكم وخضراء الدمن»

وخضراء الدمن هى المرأة الحسناء فى المنبت السوء.

ولما سئلت فاطمة الزهراء عن أفضل شىء للمرأة قالت:

«ألا ترى الرجال وألا يراها الرجال».

يقول الأستاذ محمد أحمد فرج السنهورى حول نفس الآية ونفس الصفة: ـ

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم * يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون * يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾

[النور ٢٣، ٢٤، ٢٥]

.... وغفلة الإنسان عن الشيء غيبته عن باله.. وعدم تذكره له، وكثيرا ماينشأ هذا عن عدم الاكتراث به.. ولذا استعمل فى ترك الأمر إهمالاً له، وإعراضاً عنه.

والمراد من الغافلات هنا الأنفس الغافلات. أى المهملات المُعْرِضَات عن الفاحشة التى رميت بها إفكاً (كذباً) وبهتاناً، فأكد سبحانه بهذا أن عفَة هذه النفوس عفة خلقية لايخطر معها الإثم على بال، ثم أتبع ذلك جل ذكره، بوصف هذه النفوس بأنها نفوس مؤمنات لها الحصانة العظمى من إيمانها وعقيدتها، فهى نفوس عفة من حيث الخلق والدين معا.

وفى هذا إرشاد لما يجب أن يكون عليه المؤمن من العفة والخلق الكريم والابتعاد عن مواطن الشكوك والريب التى تكون ذريعة إلى إطلاق الألسنة فى الأعراض بالحق وبالباطل.] (١) أ. هـ.

انظر أيضا ماأوردناه حول نفس النقطة «الغافلات» تحت عنوان «الإسلام يحافظ على عفافها بكل وسيلة.. ويحيطها بجو طاهر نقى» ... ولم نوردها هنا منعا للتكرار.

---

(١) من كتاب (الاسرة فى التشريع الاسلامى) محمد أحمد فرج السنهورى.

تعليم المـرأة

حينما وصلنا إلى هذا الملمح كان علينا أن نتحقق من أثر التعليم والكتابة على المرأة، وهل حقا أن ماتجهله المرأة يزينها كما قال بعض الحكماء، وأيضا كان علينا أن نتحقق من حقيقة دعوة أبى العلاء المعرى التى ينادى فيها بحرمانها من تعلم القراءة والكتابة حيث يقول:

علموهن الغـزل والنســج والـــردن   وخلّــوا كتابــة وقـــــراءة

فصلاة الفتـاة «بالحمد» و «الإخلاص»   تجزى عـن «يونـس» و «بـراءة» [1]

كـذلك هناك مـانسبـه (القلقـشندى) فى «صـبح الأعشى» إلى (عـمـر بن الخطاب) و(على بن أبى طالب) من الـدعوة إلـى إبعـاد المـرأة عن الكتابة حتى لايزداد الشر شراً [1] .

وأيضا ماقيل من أن هناك حديثاً يقول لاتعلموهن الكتابة.

كان علينا أن نتحقق من كل ذلك وخاصة أنه أصبح فكراً وعقيدة شائعة تحيط بالمرأة، وقد يقول قائل أنه لاغنى عن تعليم المرأة، وأن ذلك لايعدو أن يكون مسألة بديهية لاتحتاج فحصا ولاتمحيصا، لكننا نقول بضرورة بحث ودراسة تلك الناحية بحثا موضوعيا بعيداً عن أية أهواء أو تحيزات ضد أو إلى وجهة نظر معينة، فذلك وحده هو طريقنا إلى الحقيقة التى ينشدها الجميع.

يقول الأستاذ الغزالى حرب فى مقال له بعنوان (المرأة العربية بين البيت وبين والمجتمع) [2] .

[... ومانسبه القلقشندى فى صبح الأعشى إلى (عمر بن الخطاب) و (على بن أبى طالب) من الدعوة إلى إبعاد المرأة عن الكتابة حتى لايزداد الشر شراً مكذوب فعمر هو والد (حفصة) التى علمتها (الشفاء بنت عبدالله القرشية العدوية) الكتابة.. وعلى هو صاحب الكلمة المأثورة الرائدة «كل إناء يضيق بما يوضع فيه إلا إناء العلم

(١ ، ٢) مجلة العربى الكويتية العدد ٥٩ ص ١٢٩ .

فإنه يتسع.»] أ.هـ .

ويقول الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود (١):

قال تعالى:

﴿واذكرن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾

فهذه الآية وماقبلها وردت مورد الخصوص لأزواج النبى، ومعناها العموم لسائر المؤمنات لأن الاعتبار فى القرآن هو بعموم لفظه، لابخصوص سببه كسائر نظائره.

وهذه الآية تعتبر من أقوي الدلائل علي تعلم المرأة لأحكام الكتاب والسنة وسائر العلوم الشرعية ، إذ هي كالرجل في ذلك ، لأن العلم الصحيح النافع يكسبها جميل الأخلاق والآداب ، ويرقيها إلي الشرف والكمال.

﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾

وأما مايذكر عن نهى النساء عن الكتابة، فإن الحديث مكذوب على رسول الله ﷺ ولفظه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ:

«لاتسكنوهن الغرف، ولاتعلموهن الكتابة، وعلموهن المغزل وسورة النور». انتهى فهذا الحديث لايصح.. وقد حقق العلماء بطلانه، وأنه مكذوب على رسول الله، فسقط الاحتجاج به، وقول الحق هو أن المرأة كالرجل فى تعلم الكتابة والقراءة، والمطالعة فى كتب الدين، والأخلاق، وقوانين الصحة وتدبير المنزل، وتربية العيال، ومبادىء العلوم والفنون من العقائد الصحيحة والتفاسير والسير، والتاريخ، وكتب الحديث، والفقه، كل هذا حسن فى حقها تخرج به عن حضيض جهلها، ولايجادل فى حسنه عاقل مع التزام الحشمة والصيانة، وعدم الاختلاط بالرجال الأجانب.

وقد كان لنساء الصحابة والتابعين من هذا العلم الحظ الأوفر والنصيب الأكبر فمنهن المحدثات، ومنهن الفقيهات، وللعلماء مؤلفات فى أخبار علوم النساء لايمكن حصرها فى هذا المختصر.] أ. هـ.

وقد سأل أحدهم سؤالاً يقول:

---

(١) فى رسالته:الأخلاق الحميدة للمرأة المسلمة الرشيدة . المنشورة بكتاب المرأة المسلمة تأليف الشيخ حسن البنا .

قرأت حديثا منسوباً لرسول الله ﷺ ونصه «لاتسكنوهن الغرف ولاتعلموهن الكتابة» فهل هذا الحديث صحيح؟

وكان رد مجلة الوعى الإسلامى العدد ٩٠ ص ١٠٢ على هذا السؤال كمايلى:

«هذا الحديث الذى يشير إليه السائل لاتسكنوهن الغرف ولاتعلموهن الكتابة رواه الحاكم فى المستدرك من طريق عبدالوهاب بن الضحاك عن عائشة وهو كاذب كما قال أبو حاتم، متروك كما قال النسائى، منكر الحديث كما قال الدار قطنى وقال الحافظ بن حجر فى الأطراف بعد ذكر تصحيح الحاكم له ـ بل عبد الوهاب متروك وقد تابعه محمد بن إبراهيم الشامى عن شعيب بن إسحق وإبراهيم رماه ابن حبّان بالوضع، وابن حبان هو الذى روى حديثه فى كتاب الضعفاء، وقال الدارقطنى:فيه ـ كذاب .وأخرج ابن حبان فى الضعفاء أيضا عن ابن عباس مرفوعاً «ولاتعلموا نساءكم الكتابة» وفى سنده جعفر بن نصر وهو متهم بالكذب كما قال الذهبى وهذه الروايات الواهية أو الموضوعة معارضة بروايات صحيحة فى مشروعية تعليم النساء الكتابة، منها حديث (الشّفّاء) التى علمت حفصة أم المؤمنين الكتابة وقال لها النبى ﷺ مرة مازحا «ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة» رواه أحمد وأبو داود بسند رجاله رجال الصحيح إلا إبراهيم بن مهدى البغدادى المصيصى وهو ثقة كما قال ابن القيم، ورواه النسائى والحاكم وصححه وغيرهم وقد صرح كثير من العلماء بأن حديث الشفّاء يدل على جواز تعليم النساء الكتابة، وفى الأدب المفرد للبخارى أن عائشة بنت طلحة كانت فى حجر عائشة أم المؤمنين تكاتب الرجال. كانوا يكتبون إليها من كل الأمصار ويهدونها لمكانها من أم المومنين فتأمرها أم المؤمنين بأن تجيبهم على كتبهم وتثيبهم على هداياهم، وعلى هذا جرى المسلمون، فكان فيهم كثير من الكاتبات العالمات بالحديث، والأدب والفنون وهن يدخلن فى عموم خطاب الشرع فى جميع أحكامه إلا ماخصص، ومن مقاصد الشرع إخراج الأمة من الأمية وتعليمها الكتاب والحكمة كما هو منصوص فى كتاب الله تعالى.» أ. هـ.

وتأكيداً على هذا الملمح يقول الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود:

«.إن الأصل فى التعلم الصحيح هو إصلاح النشء بتربية الأخلاق والآداب الدينية بما يجعل المرأة صالحة مصلحة، ثم تعلم العلوم النافعة، لأن الغرض من تعليم

البنات هو تربية أنفسهن وتهذيب أخلاقهن على المحافظة على الفرائض والفضائل، واجتناب منكرات الأخلاق والرذائل، وهن أقبل الناس لتعليم الدين والأخلاق والخير وفيهن أتم الإستعداد للاستماع والاتباع لو وفقن للمعلمين والمعلمات المرشدين الصالحين الذين يهدون بالحق وبه يعدلون.

إن في تعليم الإسلام مايضمن السعادة والراحة للبنات ولسائر البيوت، لأن دين الإسلام يعلمهن فضيلة الستر والعفاف، وفضيلة التواضع فى المأكل واللباس، وينهى عن المغالاة فيما يسمى الكماليات مما يعد خارجا عن الضروريات، ويأمر بالاقتصاد فى النكاح وينهى عن المغالاة فى المهور ويقول:

«إذا خطب إليكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلأ تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير»، ويأمر بالاقتصاد فى النفقة بحسن التدبير، وينهى عن الإسراف والتبذير، حتى ولو كان على نهر جار، ويأمر بالتودد إلى الأرحام والجيران، وحسن معاشرة الناس بالإحسان، وبإفشاء السلام وطيب الكلام، وينهى عن إطلاق اللسان باللعن والسب لاعتبار أن الأم مدرسة لأولادها فى الخير والشر فمتى كانت بذيئة اللسان تعلم ذلك أولادها منهاوصاروا يتقاذفون باللعن فيما بينهم، ثم تعلميهن النظافة فى الجسم والثياب والمنزل والعيال، وإن النظافة من الإيمان، ومن أسباب الصحة للأبدان» (١) أ. هـ.

وهكذا نخرج من كل ذلك بملمح جديد، وهو أن التعليم يفيدها ولايضرها مادام فى إطار أخلاقى.

---

(١) كتاب: الاختلاط وما ينجم عنه من مساوئ الأخلاق.

صبـر المـرأة

يقول سبحانه وتعالى :

﴿ للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم * وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم﴾ [البقرة: ٢٢٦, ٢٢٧]

« الإيلاء .. الحلف فإذا حلف الرجل ألايجامع زوجته مدة فلايخلو إما أن يكون أقل من أربعة أشهر أو أكثر منها، فإن كانت أقل فله أن ينتظر انقضاء المدة ثم يجامع امرأته، وعليها أن تصبر، وليس لها مطالبته بالفيئة فى هذه المدة، وهذا كما ثبت بالصحيحين عن عائشة أن رسول الله ﷺ آلى من نسائه شهراً فنزل لتسع وعشرين وقال: «الشهر تسع وعشرون» ولهما عن عمر بن الخطاب نحوه، فأما إن زادت المدة على أربعة فللزوجة مطالبة الزوج عند انقضاء اربعة أشهر إما أن يفىء أى يجامع، وإما أن يطلق فيجبره الحاكم على هذا، وهذا لئلا يضر بها ولهذا قال تعالى ﴿للذين يؤلون من نسائهم﴾ أى يحلفون على ترك الجماع من نسائهم فيه دلالة على أن الإيلاء يختص بالزوجات دون الإماء، كما هو مذهب الجمهور (تربص أربعة أشهر) أى ينتظر أربعة أشهر من حين الحلف ثم يوقف ويطالب بالفيئة أو الطلاق ولهذا قال: ﴿فإن فاءوا﴾ أى رجعوا إلى ماكانوا عليه وهو كناية عن الجماع ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ لما سلف من التقصير فى حقهن بسبب اليمين.

.... وقد ذكر الفقهاء وغيرهم فى مناسبة تأجيل المُولى بأربعة أشهر الأثر الذى رواه الإمام مالك بن أنس رحمه الله فى الموطأ عن عبد الله بن دينار قال:-

خرج عمر بن الخطاب من الليل فسمع امرأة تقول:

تطـاول هـذا الليـل واسـود جانبـه ... وأرقـنـى ألا خليـل ألاعبـه

فـوالله لـولا اللـه أنـى أراقبـه ... لحـرك من هذا السرير جوانبه

فسأل عمر ابنته حفصة رضى الله عنها: كم أكثر ماتصبر المرأة عن زوجها! فقالت: ستة أشهر أو أربعة أشهر.. فقال عمر: لا أحبس أحدا من الجيوش أكثر من ذلك.

وقال محمد بن إسحق عن السائب بن جبير مولى ابن عباس قال: مازلت أسمع حديث عمر أنه خرج ذات ليلة يطوف بالمدينة وكان يفعل ذلك كثيرا إذ مر بامرأة من نساء العرب مغلقة بابها تقول:

تطاول هذا الليل وازور جانبه ... وأرقني أن لاضجيع ألاعبه
ألاعبه طوراً وطوراً كأنما ... بدا قمراً فى ظلمة الليل حاجبه
يسر به من كان يلهو بقربه ... لطيف الحشا لايحتويه أقاربه
فوالله لولا الله لاشىء غيره ... لنقض من هذا السرير جوانبه
ولكننى أخشى رقيباً موكلاً ... بأنفاسنا لايفتر الدهر كاتبه
مخافة ربى والحياء يصدنى ... وإكرام بعلى أن تنال مراكبه

ثم ذكر بقية ذلك كما تقدم أو نحوه وقد روى هذا من طرق وهو من المشهورات (١) .

وحينما ننظر فى تفسير القرطبى لهذه الآية الكريمة نجد:

« .... وأما فائدة توقيت الأربعة أشهر فيما ذكر عبدالله بن عباس عن أهل الجاهلية كان إيلاء الجاهلية السنة والسنتين وأكثر من ذلك، يقصدون بذلك إيذاء المرأة عند المساءة فوقت لهم أربعة أشهر، منعا من ذلك وجعل للزوج مدة أربعة أشهر فى تأديب المرأة بالهجر لقوله تعالى ﴿ **واهجروهن فى المضاجع** ﴾ .

وقد قيل: الأربعة أشهر هى التى لاتستطيع ذات الزوج أن تصبر عنه أكثر منها.

وقد روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يطوف فسمع امرأة تنشد:

ألا طال هذا الليل واسود جانبه ... وأرقنى أن لا حبيب ألاعبه
فوالله لولا الله لاشىء غيره ... لزعزع من هذا السرير جوانبه
مخافة ربى والحياء يكفنى ... وإكرام بعلى أن تنال مراكبه

فلما كان من الغد استدعى عمر تلك المرأة، وقال لها: أين زوجك؟ فقالت: بعثت به إلى العراق! فاستدعى نساءً فسألهن عن المرأة كم مقدار ماتصبر عن زوجها؟ فقلن: شهرين، ويقل صبرها فى ثلاثة أشهر، وينفد صبرها فى أربعة أشهر،

١ـ جـ ١ تفسير ابن كثير ص ٢٦٨ عيسى البابى الحلبى (بتصرف)

فجعل عمر مدة غزو الرجل أربعة أشهر، فإذا مضت أربعة أشهر استرد الغازين، ووجه بقوم آخرين، وهذا والله أعلم يقوى اختصاص مدة الإيلاء بأربعة أشهر] (١).

ولايفوتنا هنا أن نقول: أن مدة الأربعة أشهر التى ذكرت هنا هى المدة التى تنطبق على الغالبية العظمى من النساء، وقد يوجد ضمن من يدخلن فى الأقلية من تزيد أو تقل عن هذه المدة ولكن كما هو معروف القليل لاحكم له والعبرة بالأغلبية.

١ـ جـ ١ تفسير القرطبى ص٩١١ ، ص٩١٦ طبعة دار الشعب

إستقلالية المرأة

لايمكن للمرأة الاحتجاج بضعفها والقول بأن الرجل يغلبها على أمرها، ايملى عليها مايريد فإنها حينما تريد لا أحد يستطيع إثناءها،والدليل على ذلك امرأة نوح، وامرأة لوط، وامرأة فرعون.

ففرعون ادعى الألوهية، وقال لقومه ﴿**أنا ربكم الأعلى**﴾ وبلغ أشد درجات الكفر والعناد، لكنه مع ذلك لم يستطع أن يرغم امرأته على الاعتقاد بغير ماتريد من عقيدة سليمة.

يقول سبحانه وتعالى :

﴿ ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾ [التحريم ١٠]

يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى:

قرر الإسلام أيضا أن المرأة لها حرية كاملة فى العقيدة تعتقد ماتشاء.. لكن إذا اعتقدت لابد أن تلتزم.

لها حرية فى الدخول فى الإيمان أو لاتدخل.

لها حرية الاستقلال بالدخول فى الإيمان أو تبقى تابعة لزوجها أو أبويها.

والله تعالى ضرب لذلك مثلاً بامرأة نوح وامرأة لوط عليهما السلام، فنوح ولوط كانا رسولين، وبالرغم من ذلك لم يستطيعا إدخال زوجتيهما فى دينهما.

ثم جاء سبحانه وتعالى فى الناحية المقابلة. وهى ناحية الإيمان فقال:

﴿و ضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين﴾.

[التحريم ١١]

وفرعون هو الذى ادعى الألوهية لكنه لم يستطع أن يرغم امرأته أن تعتقد أنه إله مصر وربها الأعلى. إذن للمرأة حرية فى العقيدة [1] أ. هـ.

ويقول أيضا فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى حول هذه النقطة:

الله تعالى يقول ﴿ **ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط** ﴾.. ولم يقل من هما.. إنما يريد الله سبحانه وتعالى أن يبصرنا بأن النبى قد لايستطيع أن يهدى زوجته وهى أقرب الناس إليه.. وأكثرها معاشرة له..

كما ضرب مثلا بامرأة فرعون.. ولم يقل من هى ولكنه أراد أن يعطينا مثلا آخر عن امرأة كان زوجها يدعى الألوهية.. ومع ذلك خالفته وآمنت بالله.

والعبرة هنا أن لكل امرأة عقيدة مستقلة حيث لايستطيع زوجها أن يجبرها على الكفر أو الإيمان.

وهى تحاسب كإنسان مستقل عن هذا الزوج.. ولايقبل منها أن تقول أنها كفرت لأن زوجها كان كافراً.. ولايسقط هذا عنها الحساب] [2] . أ. هـ.

---

(١) كتاب «قضايا المرأة المسلمة»

(٢) جريدة « اللواء الإسلامى» العدد رقم (٥).

النفـاق

يقول عز وجل :

﴿ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾ [التحريم ١٠]

فى هذه الآية نجد مايدلنا على صفة نجدها سائدة أو غالبة فى عالم المرأة تلك هى صفة النفاق، فالأستاذ محمد فريد وجدى يفسر لفظة **﴿فخانتاهما﴾** بالنفاق فرغم أنهما كانتا تحت نبيين رسولين وفى صحبتهما ليلا ونهارا يؤاكلانهما ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط، خانتاهما.

ويقول ابن عباس فى **﴿فخانتاهما﴾** مازنتا، أما خيانة امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها على أضيافه، وقال العوفى عن ابن عباس قال :كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما فكانت امرأة نوح تطلع على سر نوح فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء (١).

وهكذا إذن كانت تظهر كل منهما أمام زوجها غير ما تبطن وتتصرف على خلاف ماتستلزمه العشرة من الوفاء خاصة وهى عشرة نبيين وليسا أحداً من عامة البشر.

إذن فقد كان النفاق صفة مشتركة بين امرأة لوط وامرأة نوح، وهى صفة مشتركة بين كثير من النساء ولسنا ننفى أن النفاق صفة منتشرةبين الرجال أيضاً، لكنها فى عالم المرأة تبدو أبرز منها فى عالم الرجال، كما أنها ألصق بطبيعتها .

من غريب الأمر أن امراة نوح وامرأة لوط كل واحدة منهما كانت زوجة لرسول عظيم صالح .

﴿كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين﴾

ورغم ذلك نافقتاهما ولم تنصلحا بصلاحهما.

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٣٩٣ - طبعة عيسى البابى الحلبى .

صلاح المرأة من المنشأ وإلا:

وبناء على ما ورد بالملمح السابق نقول: إذن لم يجد الصلاح فى تلك النفوس الخبيثة ولم يكن له آثر يذكر فى قلوب بلغ الدنس أعماقها منذ البداية.

وفى هذا دليل حاسم على أن المرأة إذا لم يكن صلاحها بالتربية السليمة والصحيحة منذ بدء الأمر ونعومة الأظفار، وإذا لم تنشأ نشأة طيبة وتنبت نباتا حسنا فمن العسير إصلاحها، والدليل على ذلك قائم أمامنا فامرأة نوح وامرأة لوط كانتا تملكان فرصة عظيمة قليل نظيرها للصلاح وترك النفاق، فلقد كانتا زوجتين لعبدين صالحين من المرسلين هما نوح ولوط فهل أثمر فيهما هذا القرب من هذين الصالحين؟

لا، لم يثمر

فلقد فات أوان الإثمار ومر ميعاد الانصلاح.

وتمكن منهما الداء ولم يفلح معهما أقوى دواء.

عمل المرأة .. والضرورة

. صيانة المرأة تقتضى أن يكون عملها حال الضرورة .

يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى:

[... المرأة يجب أن تشكر نعمة الله عليها، لأن الرجل يتعامل مع الأجناس الدنيا من الوجود فهو إما زارع يتعامل مع التربة، والماشية والحيوان.. وإما صانع يتعامل مع المادة الصماء.. ولكن المرأة تتعامل مع أشرف شىء فى الوجود، وهو الإنسان.

والمرأة التى لا تريد الاقتناع بهذه المسألة وبهذه المهمة تكون امرأة فاشلة.. فالمرأة التى تريد أن تؤدى مهمتها كربة بيت وزوجة وأم ومربية.. لاتجد من الوقت مايسمح لها أن تعمل.

فلتتعلم ولتعلم أولادها وتغنينا عن مدرس خصوصى، أو تتعلم الحياكة والتطريز وتغنينا عن نفقات الخياطين.

لو نظرت المرأة إلى نشاطها فى الحياة لوفرت على البيت أضعاف ماتأخذه من راتب، ووفرت علينا تكاليف زينتها، ومتطلبات خروجها.

ولننظر بعد ذلك إلى الواقع:

هل المرأة فى سلم العمل كلما ارتقت تمنت مزيداً من عمل؟

أو كلما ارتقت وتقدمت بها السن تمنت أن تكون ربة بيت؟

حتى النساء الغربيات «مارلين مونرو» قالت: «إياكن أن تخدعن بالأضواء التى تسلط عليكن، فأنا لو استأنفت حياتى كنت أفضل أن أكون ربة بيت فقط.»

وعندما عملوا إحصائية بين السيدات والبنات.. ماهى نسبة السيدات اللائى طلبن أن يعدن إلى بيوتهن كربات بيوت؟

إذن المسألة: أن هناك فى الغرب شيئاً غير الذى عندنا.

لانحكم بشىء من هناك لنسيره على حياتنا لأن الرجل فى الغرب بمجرد أن

يكبر ابنه يتركه يضرب في الأرض، وبمجرد أن تكبر البنت يقول لها: « ابحثى عن عمل » ولكن ليس عندنا مثل ذلك. إذن فنحن ليس لدينا من الضرورات مايجعل المرأة تتشابك فى حياتها مع المجتمع لكى تعيش.

والإسلام واقعى.. فإذا ماحدثت ظروف أدت إلى أن تعمل المرأة فالكلام فى عملها يختلف.

هناك عمل المرأة فى مهمة زوجها، وفى بيته، وفى حقله، وفى رعاية أولادها، وزوجها، مثل أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها كانت تقول:

« كنت أحمل لابن الزبير الطعام على مسافة كذا فرسخاً وكنت أسقى له الحصان وأعلفه وأملأ له الماء بالقربة ».

تعمل فى بيتها.. إذن هناك فرق بين أن تعمل المرأة فى مجتمع ليس لها به صلة، وعمل فى مجتمع آخر.. اعملى فى المجتمع مثل ماتريدين.. نحن نرى المرأة الريفية تمتزج مع زوجها فى حقله.. وهناك نساء مكلفات بعمل خاص، لكن المشكلة هى العمل الذى يجعلها تخرج إلى أن تزدحم مع الرجال.

أن تعمل مع زوجها أو ابنها أو أخيها أو أحد من محارمها.. لامانع... أما بالنسبة للعمل الذى يخرجها لتلتحم بالرجال فالإسلام فى ذلك واقعى.. فهو يقول:

قد تجد المرأة ضرورة إلى أن تعمل.. هذه الضرورة هى أمر طارىء على طبيعة المرأة.. فنحن فى ذلك نوافق.. ولكن الضرورة تقدر بقدرها، وتفهم على أنها ضرورة، وتفهم أنها أنثى وتمشى فى المجتمع بحساب، وتزاول عملها بشرط ألا تحتك بالغير قدر المستطاع.

تقدير الضرورة فى القرآن:

وهناك قصة فى القرآ ن تقدر هذه الضرورة لئلا يجادل أحد، هى قصة بنات شعيب: خرج موسى عليه السلام من مصر خائفا يترقب.. وورد ماء مدين، يعنى ذهب عند العين التى يشربون منها «وجد عليه أمة من الناس يسقون)» يعنى وجد حشداً خارجا لكى يسقوا من العين.. ﴿ **ووجد من دونهم امرأتين تذودان** ﴾ أى وجد بعيداً عنهم امرأتين تمنعان الماشية من أن تشرب من العين.. إذن لماذا خرجتا؟

﴿**قال ماخطبكما**﴾ : يعنى ماحكايتكما؟

﴿قالتا لانسقى حتى يصدر الرعاء﴾ يعنى بعد ما ينتهى الرعاء الذكور من السقى، نبدأ نحن فى سقى ماشيتنا.. إذن هذه هى الضرورة.. بقدرها، ولم تلتحما بالرجال، بل قالتا **﴿لانسقى حتى يصدر الرعاء﴾** .. ثم ذكرتا السبب وهو الضرورة فقالتا: **﴿وأبونا شيخ كبير﴾** .

ضرورة، وإيجاب للضرورة.. إذن **﴿أبونا شيخ كبير﴾** هو السبب فى خروجهما **﴿ لانسى حتى يصدر الرعاء﴾** هو أخذ الضرورة بقدرها.. ولم نخرج لنلبس زيهم، ونمشى مثلهم.

ثم تمثلت مهمة المجتمع فى موسى الذى أعد لأن يكون نبيا ورسولا.. مثل عنصر الشهامة فى المجتمع كله.

﴿فسقى لهما ثم تولى إلى الظل﴾

إذن مهمة المجتمع القريب أو البعيد حينما يرى المرأة تعرضت لظروف لأن تخرج لغير ميدانها أن يعرف مهمتها، وينهى لها مهمتها لكى ترجع.. هذه مهمة المجتمع.. وعلى المرأة أن تبادر بخلع هذه الضرورة. بدليل أن ابنة شعيب قالت لأبيها:

﴿ياأبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين﴾

فلو أنها انبسطت من حكاية خروجها كانت لاتطلب من أبيها أن يستأجره لكى يتولى عنها مهمة الخروج.. كرهت أن تخرج لغير الضرورة، فبمجرد أن وجدت فرصة لإزالة تلك الضرورة قالت:

﴿ياأبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين﴾

وعندما ذهبت لتحادث موسى يقول القرآن:

﴿فجاءته إحداهما تمشى على استحياء﴾

لم تمش على أنها رجل.. لا.. ماشية على استحياء.. على أنها أنثى.. إذن فالإسلام قدر ضرورة العمل. وقال:

هناك ضرورة.

وهناك قدر الضرورة.

وهناك واجب المجتمع.

وهناك واجب المرأة نفسها.

فإذا وجدت فرصة سانحة لأن تعتكف فى بيتها، ويصبح عملها قاصراً على ميدان زوجها، وميدان أولادها، فها هو الحق، فإذا كانت ضرورة، فهذه شروطها:

١ـ أن تكون ضرورة.

٢ـ أن تأخذ الضرورة بقدرها.

٣ـ مهمة المجتمع القريب أو البعيد أن يتولى عنها عملها.

٤ـ أن تزيح هذه الضرورة عند أول فرصة تسنح لها.

٥ـ ألا تنسى أنها أنثى وهى تعمل، وهى تمشى.

ضرورة الحياة وضرورة الترف:

يختلف الناس فى تقدير الضرورة.. ولكن هناك ضرورة الحياة، وضرورة ترف الحياة، وهناك فرق بينهما.

ضرورة الحياة هي: القوت الضرورى، ولكن ترف الحياة أن يقول الإنسان: أنا لاأستطيع أن أتزوج لأنى لا أجد شقة من أربع غرف، ولا أستطيع أن أؤثثها بالبوتاجاز والثلاجة، يريد أن يبدأ حياته بمالم تنته به حياة أبيه.

....

الذى يريد المرأة أن تخرج لتكدح مثل الرجل نسأله:

هل سويت أنت نفسك بها؟ لماذا تريد أن تجعلها تعمل عملك بالرغم من وجود أعمال كثيرة من عملك لاتقدر هى على القيام بها.. فهل هذه نظرة صحيحة أم مغشوشة؟

ومادمت تريد منها أن تعمل عملك، فأنا أريد منك أن تعمل عملها.

أريدك أن تحمل بدلا منها هذه المرة.

أريدك أن ترضع بدلا منها.

إذن لماذا تريدها فى مهمتك؟

إذن فلنترك المرأة.. ولندع أمر عملها للضرورة، وهذه الضرورة تحكمها بقدرها..

ويجب عليكم أن ترفعوا مستوى حياتكم إذا أردتم أن تعيشوا حياة رغدة.. فالذى يريد حياة هانئة عليه أن يدفع ثمنها وثمنها هو الحركة فى الحياة.. فإذا أردت أن تأخذ ثمرة بدون حركة فى الحياة فهذا هو الفساد بعينه.

والناس حينما يطلبون مساواتها بالرجل فهم يطلبون لها الظلم.. فلو أنصفت المرأة لرأت فى الذين يطلبون مساواتها بالرجل فيما تجنح إليه فكرة المساواة خصوماً.

ولو أنصف الذين يطلبون مساواتها لطلبوا لها أن تزاول كل أعمال الرجل، وألا يقتصر طلب المساواة على الأمور الهينة اللينة غير الشاقة ولا المجهدة، ولا المتعبة] (1) أ. هـ.

والآن وبعد هذا العرض لو أننا سألنا أحدا عن هوية رجل يُخَيِّر زوجته بين البيت وبين العمل، ترى ماذا كان يتوقع أن تكون هويته؟

لاشك أنه بناء على المفاهيم الخطأ السائدة هذه الأيام سيقول: لابد أنه رجل رجعى متخلف لايزال فى مجاهل العصر الحجرى.

ولكن المفاجأة التى سيواجهها هى أن هذا الرجل ليس من هذا النوع الذى توقعه صاحبنا بل إنه «زوج أشهر مذيعة عالمية» ومع ذلك لم يستطع أن يغالط نفسه وهاهو يخير زوجته بصورة حاسمة إما البيت وإما العمل، والخبر ورد بجريدة الأهرام التى قالت:

[توقف قطار الزوجية الذى انطلق يعدو «بربارا والترز» أشهر مذيعة تليفزيونية فى الولايات المتحدة بل وعلى المستوى العالمى، وزوجها «ميرف اديلسون» رجل الأعمال، الشهير توقف أمام طريق مسدود. ذلك عندما فاجأ ميرف زوجته بأن تختار بينه وبين عملها وإلا فسيكون الانفصال هو الحل الثالث لهذه المشكلة.

تعيش المذيعة بربارا فى نيويورك حيث مقر عملها فى حين يعيش ميرف منذ سنوات فى هوليوود حيث واحد من أكبر المنتجين فى عالم النجوم، ،بناء على ذلك لم ير الزوجان بعضهما بعضا منذ يناير الماضى سوى أربع مرات وفى أغلب الأحيان تمتد فترة بعدهما عن بعضهما دون لقاء إلى شهر وأكثر.

وخلال الفترة الأخيرة اشتد الخلاف بحدة بينهما مما دفع ميرف الذى نفد صبره بسبب هذا الزواج الذى أصبح زواجا مع إيقاف التنفيذ بالإضافة إلى أنه يمقت

المعيشة فى نيويورك، فقام بإنذار بربارا بالتنازل عن هذا الجدول المشحون بالعمل وترك نيويورك والحضور إلى لوس إنجلوس لكى يعيشا معا، وإلا فإن هذا الزواج سوف يحكم عليه بالفشل وحدد لها ثلاثة أشهر لدراسة هذا العرض.. لكن بربارا أعلنت أن هذا الزواج محكوم عليه بالفشل لأنه لا يمكنها الإذعان لتلك المطالب.

يقول ميرف: إننى أحب بربارا بجنون، ولكننى لا أحب أن أتوجه إلى نيويورك كلما أردت رؤيتها أو التحدث معها فى أمور حياتنا الزوجية، لذلك طلبت منها أن تحضر لتعيش معى فى لوس إنجلوس لكنها رفضت بسبب ارتباطها ببرنامجها ٢٠/٢٠ بالإضافة إلى الأحاديث التليفزيونية التى تجريها فى مناطق متفرقة من البلاد، .... لم أكن أتصور عند زواجنا أن تعلقها بعملها سوف يطغى على حبها لحياتها الزوجية لكنى أراها تزداد طموحا كلما أحرزت مزيدا من النجاح. ومن الأمور التى لاتصدق والتى تعكس شخصية بربارا توجهها إلى الاستوديو للظهور فى برنامج لها على الهواء فى مساء نفس اليوم الذى أجريت لها فيه جراحة إجهاض.

ورغم امتلاك ميرف لثروة طائلة تقدر بملايين الدولارات إلا أنه يشعر بالتعاسة والوحدة بسبب تباعد زوجته عنه.

ويقول المقربون من بربارا أن لقاءاتها مع زوجها لم تتعد ٤ لقاءات منذ بداية هذا العام، كان آخرها فى لوس إنجلوس وذلك فى حفل عشاء جمع بين الزوجين المتناقضين وبين «نانسى» «ورونالد ريجان» الرئيس السابق للولايات المتحدة غير أنها لم تمكث حتى نهاية الحفل واعتذرت حتى تلحق بميعاد الطائرة التى سوف تقلها إلى واشنطن حيث من المقرر أن تجرى لقاء تليفزيونيا هناك مع رايسا جورباتشوف.

وكان هذا التصرف من بربارا موضع نزاع مع الزوجين بسبب اعتذارها عن استكمال العشاء، والاعتذار لنانسى وريجان وهذا التصرف فى رأى ميرف مثال آخر يوضح كيف أن عملها يأتى فى المرتبة الأولى قبل مسئوليات الحياة الزوجية] (١) أ. هـ.

هكذا نرى كيف تتحطم حياة زوجية على صخرة إصرار المرأة على العمل برغم تعارض هذا العمل وظروفه مع مقتضيات حياتها الزوجية التى من المفروض أن تكون هدفها الأول بلامنازع، هكذا تقول الفطرة التى فطر الله عليها الذكر والأنثى..

---

(١) أهرام ١٩٩٠/١١/٢

الرجل والمرأة.

وهكذا نعلم أنه ليس بالضرورة أن يكون من يطالب زوجته بالتخلى عن العمل رجعيا فها هى الأحداث تجرى فى أمريكا ذاتها بما لو جرت به هنا لانبرت أقلام السيدات بمهاجمته هجوماً أبسط شئ فيه تهم الرجعية والتعصب والتزمت وماشابه.

ولعلها فرصة لكى نطالب الدولة بإيجاد حل لمشكلة عمل المرأة بحيث لاتضطر المرأة للعمل لسد فجوة نقص الدخول، وتمكينها من التفرغ لتربية النشء التربية السليمة القويمة، وإعداد الأجيال الصاعدة الإعداد الذى نطمح إليه ونحن حينما نفرغها لذلك إنما نفرغها لهدف سام نبيل عظيم أقصى درجات العظمة ولايستطيع أحد غيرها أن يحققه مهما دفعنا.

كان الإقبال شديدا فى ألمانيا بالذات من المرأة على العمل ولما أثبتت الدراسات أن ذلك الاتجاه أثر على نفسية الأطفال والنشء تأثيراً سيئاً وقدم للدولة أجيالا غير سوية إذا بالمرأة هناك تقتنع وإذا بهذا الاقبال يقل بصورة واضحة ملموسة فهل نريد نحن أجيالا غير سوية؟!

وهل نحن ملكيون أكثر من الملك نفسه؟!

-وإسمح لى عزيزى القارىء أن أنقلك نقلة أخرى نستشهد فيها بشخص آخر حرصت أن يكون شخصاً من غير الممكن أن يتهمه أحد بالتزمت أو التحجر أو الرجعية.

لنستمع إذن إلى (مارلين مونرو) وهى تقول فى كلمات واضحة وضوح الشمس فى كبد السماء.. كلمات لاتقبل التأويل:

« إياكن أن تخدعن بالأضواء التى تسلط عليكن، فأنا لو استأنفت حياتى كنت أفضل أن أكون ربة بيت فقط » (١) . أ. هـ.

هكذا إذاً وجدنا بين أيدينا خلاصة تجربة امرأة تظن الكثيرات أنها تمتعت بالشهرة والثراء أيما تمتع.. امرأة أيقنت فى نهاية المطاف أنه لاشيء يعدل أن تكون المرأة ربة بيت.. وانظروا جيداً حينما وقفت موقف التمنى ماذا تمنت أن تكون..

ليت أولى الأبصار يعتبرون..

---

(١) نقلاً عن (قضايا المرأة لمسلمة) لفضيلة الشيخ محمدمتولى الشعراوى.

وفى قصة آدم فى القرآن قال الله لآدم ولزوجه يحذرهما من الشيطان:

﴿ إنه عدو لك ولزوجك﴾

فالعداوة مسبقة لأنه رفض السجود لآدم. ثم قال:

﴿ فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾

الخطاب لآدم وزوجه حواء.. وكان المفروض خطابياً أن يقول: فتشقيا.. لكن القرآن عبر التعبير الموحى.. التعبير الذى يعطى لكل واحد منهما مهمته فى الحياة فقال: **﴿فتشقى﴾**.. أى الشقاء لآدم وحده.. فكأن آدم مخلوق للكفاح، ولمواجهة صعاب الحياة.. والمرأة مخلوقة سكناً له فقط .

آدم يتحرك حركته فى الحياة، ويأتى ليهدأ عندها.. هى مصدر العطف الذى يمسح بيده على كل متاعبه لتزول.. فيستأنف الحياة بعد ذلك بشىء من النشاط.

فالمهمة الأساسية للمرأة أن يسكن إليها الرجل.

وكلمة يسكن إليها كلمة معبرة.. تعنى أنه كان متحركا يكدح ثم يأتى ليسكن عندها. وبعد ذلك يجئ البنون والحَفدة .

إذن فالمهمة الأساسية للمرأة هى أن يسكن إليها الرجل.

ولو قدرت المرأة هذه المهمة لوجدتها تستوعب كل وقتها، تعمل له، وتعد له مايرتاح به، فيأتى ليجد بيتا ساكنا مستقرا، كل أموره مرتبة، وبعد ذلك تكون وعاء للتكاثر.

وإذا كانت الأم مشغولة عن أبنائها بعمل آخر، فمعنى ذلك أنها ستتركه إلى راع.. إلى خادمة مثلا.. والخادمة قد تكون أمينة، ولكن لايمكن أ ن يكون لها قلب الأم.

إن نمو الطفل يتخلف إذا كان يتعامل مع مربية. أما إذا كان مع الأم والأب والإخوة المتفاوتين فى الأعمار، ومع جده وجدته، فإنه يلتقط من كل جيل.

المسائل لابد أن تنمو فى جو شريف وطاهر وموثوق به، فالمشردون وغير المشردين

ثقوا تمام الثقة فى أن ذلك ناشيء عن شك كثير من الآباء في نسب أبنائهم إليهم، ولو تأكد كل أب من نسب إبنه إليه مااستهان به، لأن عاطفة الأبوة صادقة وأكيدة.

وحينما نرى أن في المجتمع عورة من هذه الناحية، فسنجد ان هناك منهجا من مناهج الله في الحياة معطلا[1] أ. هـ.

(١) كتاب (قضايا المرأة لمسلمة) لفضيلة الشيخ محمدمتولي الشعراوي.

حرية اختيار العقيدة.. وحرية الفكر

[والمرأة أعطاها الله حقوقا تشترك بها مع الرجل تماما بلافوارق بينهما.. ومنها حرية اختيار العقيدة.. إذ لم يجعل للزوج سبيلا على عقيدة زوجته.. ومن أمثلة ذلك امرأة نوح وامرأة لوط عليهما السلام.. إذ لم يستطع نوح ولا لوط قهر زوجته على اعتقاد دينه.. كما أن من الأمثلة فى الوجهة المقابلة امرأة فرعون إذ لم يستطع إخضاعها لمعتقده فى نفسه.. بل آمنت بالله، وتركت الجاه والملك للشيطان.

وأعطاها الله حق الحرية فى الفكر.. ومن أمثلة ذلك بلقيس.. حين شاورها قومها فيما وصلها من سليمان عليه السلام من دعوة إلى الإسلام فقالت:

﴿ماكنت قاطعة أمرا حتي تشهدون﴾

فردوا عليها قائلين:

﴿نحن أولوا قوة وأولو بأس شديد﴾.

ولكنها استقلت بفكرها، ورأت أن ترسل إلى سليمان بهدية فإن قبلها فهو طالب دنيا، وهو من ملوك الدنيا، وإن لم يقبلها فإن له شأنا آخر.

وكذلك يذكر القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى يصطفى بعض النساء كما يصطفى بعض الرجال.. فقد اصطفى مريم.. واصطفى أم موسى.. وكلفها بأشياء فعلتها.. فالمرأة على هذا محل للاعتقاد.. ومحل لاستعمال عقلها فى الأمور التى يعجز عنها الرجل.. ومحل لاصطفاء الله تعالى] (١) أ. هـ.

---

(١) المرجع السابق.

القرآن لايحمّلها مسئولية الأكل من الشجرة

نعم وبالتالى فطبقا لما ورد بالقرآن لم تكن حواء هى السبب فى خروج آدم من الجنة كما هو شائع..

هذه هى النتيجة التى وصلنا إليها من خلال البحث:

يقول سبحانه وتعالى :

﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين* فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلي حين*﴾

[البقرة ٣٥،٣٦]

يقول القرطبى فى تفسيره:

لاخلاف بين أهل التأويل وغيرهم أن إبليس كان متولى إغراء آدم واختلف فى الكيفية، فقال ابن مسعود، وابن عباس، وجمهور العلماء: أغواهما مشافهة، ودليل ذلك قوله تعالى: **﴿وقاسمهما إنى لكما لمن النا صحين﴾** والمقاسمة ظاهرها المشافهة.

وقال بعضهم، وذكره عبدالرازق عن وهب بن منبه: دخل الجنة فى فم الحية وهى ذات أربع كالبختية من أحسن دابة خلقها الله تعالى بعد أن عرض نفسه على كثير من الحيوان فلم يدخله إلا الحية، فلما دخلت به الجنة خرج من جوفها إبليس فأخذ من الشجرة التى نهى الله آدم وزوجه عنها فجاء بها إلى حواء، فقال: انظرى إلى هذه الشجرة ماأطيب ريحها، وأطيب طعمها، وأحسن لونها، فلم يزل يغويها حتى أخذتها حواء، فأكلتها ثم أغوى آدم، وقالت له حواء: كل فإنى أكلت فلم يضرنى، فأكل منها فبدت لهما سوآتهما وحصلا فى حكم الذنب، فدخل فى جوف الشجرة

فناداه ربه: أين أنت؟ فقال: أنا هنا يارب، قال: ألا تخرج؟ قال: أستحى منك يارب.. قال: اهبط إلى الأرض التى خلقت منها، ولعنت الحية، وردت قوائمها فى جوفها، وجعلت العداوة بينها وبين آدم..

وقيل لحواء: كما أدميت الشجرة، فكذلك يصيبك الدم كل شهر وتحملين وتضعين كرهاً تشرفين به على الموت مرارا. [زاد الطبرى والنقاش: وتكونى سفيهة وقد كنت حليمة.] أ. هـ.

وهكذا نجد هذه الرواية تدين حواء بأنها السبب فى إغواء آدم على الأكل من الشجرة والوقوع فى الخطيئة، إلا أن الباحث المنصف لابد أن يسأل صاحب هذه الرواية ماهى أسانيدك؟ ماهو دليلك؟ ماهو برهانك؟ وحينما يسأل هذا السؤال سيجد أن من قدموا هذه الرواية قدموها بدون أية أسانيد أو أدلة وبهذا تصبح الرواية غير قائمة على أى أساس وخاصة أننا إذا رجعنا إلى القرآن وراجعنا الآيات التى وردت بخصوص هذا الموقف فلن نجد آية واحدة تلقى باللائمة على حواء وهانحن أولاء أمام آيتين لو اتخذناهما مثلاً فسنجد المولى عز وجل يقول فيهما:

﴿...**فأزلهما... فأخرجهما**....﴾ ولم يقل (فأزلها..) وهكذا سيجد الفاحص أنه لاتوجد آية واحدة فى القرآن تتهم المرأة عند الوسوسة بمفردها، فمن أين إذن جاء أصحاب هذه الرواية بها، وكنا على استعداد لاحترام هذه الرواية وتقبلها إذا وردت مسلحة بالأدلة مدعومة بالبراهين القوية الكافية، لكنها وردت بلا أدلة على الإطلاق.

ومرة أخرى إذا فحصنا الآية (٢٠ الأعراف) لوجدنا نصها :

﴿**فوسوس لهما الشيطان**﴾ مرة أخرى (لهما)وليس (لها) .

ومادامت الرواية التى تدين حواء قد وردت بلا أدلة فمن يدرينا لعلها تكون رواية مدسوسة أو رواية من الإسرائيليات.

والآن وبعد هذا التحليل الذى قدمناه نجد أنه من المفيد هنا أن نفسح المجال لبعض الآراء التى تلقى المزيد من الضوء على هذه النقطة التى نتعرض لها بالبحث:

ويقول ابن الخطيب :

زعم بعض واضعى الأناجيل، وبعض المتلقفين لكل غريب: زعموا أن حواء هى التى أخرجت آدم من الجنة، وأنها أرغمته على الأكل من الشجرة التى نهاهما

ربهما عن الأكل منها ﴿ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾.

في حين أن النهى قد صدر للاثنين معا، والمخالفة: قد صدرت منهما معا ﴿فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما﴾والسوأة: كل مايسيء الإنسان رؤية غيره له.

هذا ولم تكن حواء هى التى أوقعت آدم فى الأكل من الشجرة المنهى عنها بل جاء القرآن الكريم صريحا: فى أن الذى أوقع الاثنين معا فى الزلة هو الشيطان اللعين.. عدو آدم وذريته إلى يوم الدين.

قال المولى سبحانه وتعالى: ﴿ فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ماوورى عنهما﴾ و ﴿ فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه﴾

وآدم كان صاحب الأمر والنهى شأن سائر الرجال، ولذا اختصه الشيطان بالكلام ﴿ فوسوس إليه الشيطان قال ياآدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لايبلى﴾ (1) أ. هـ.

والآن إلى رأى الدكتور عبدالغنى الراجحى. الذى يقول:

نعم إن المرأة قبل الإسلام كانت مهينة متهمة بأنها رجس وشيطانة حتى كانت فى بعض المجتمعات تدفن حية عند ميلادها، وهى الموءودة.. وكان الفكر المسيحى يعتبرها رأس الشر والفساد والخطيئة استنادا على أن إبليس قد امتنع عليه آدم لما أراد إغواءه بالأكل من الشجرة، فانصرف عنه إلى حواء فاستمعت له وللحية فأغوياها وحرضاها وامتثلت فأكلت من الشجرة التى حرمها الله عليهما فى الجنة، ولم تزل بآدم تحرضه وتغويه حتى أكل مثلها فانكشفت عورتهما، وارتكبا الخطيئة،وحواء هى السبب.

فى التوراة قال الله لآدم: «هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك ألا تأكل منها؟ فقال آدم: المرأة التى جعلتها معى هى التى أعطتنى من الشجرة، فأكلت، فقال الرب الإله للمرأة: ماهذا الذى فعلت؟.. إلخ» [تكوين ٣: ١١ ـ ١٣] .

هذا بينما يعتبر الفكر الإسلامى آدم وحواء على قدم المساواة أمام مسئولية الأكل من الشجرة لظاهر قوله تعالى:

﴿فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما

عدو مبين * قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين*﴾ (1) أ. هـ. [الاعراف ٢٢ ـ ٢٣]

ويقول د. أحمد عبدالرحمن: ـ

إن تلك الأم الأولى الجليلة متهمة بأنها هى التى خضعت أولاً لغواية إبليس، فأكلت من الشجرة المحرمة، ثم تذرعت بأساليب مشينة لحمل زوجها على معصية الله تعالى ونسيان عهده والأكل من الشجرة، وهذه التهم الخطيرة تتردد على أعواد المنابر، وبين الملايين من أبناء أمتنا وهى موجودة بتفاصيلها فى بعض كتب التراث منسوبة إلى مفسرين ومحدثين نجلهم وإلى بعض كبراء الصحابة رضى الله عنهم مثل ابن مسعود وابن عباس.]

ثم يسوق د. أحمد عبدالرحمن صيغة للرواية التى تتهم حواء أشبه ماتكون بالصيغة التى أوردناها فى صدر هذا البحث ثم يقول:

هذه هى إحدى الروايات الشائعة وهى منسوبة صراحة إلى وهب بن منبه أحد مسلمة بنى إسرائيل، فهى رواية إسرائيلية ولا أصل لها فى قرآن أو سنة، بل إن اسم حواء نفسه لاذكر له فى كتاب الله.. وعلى الرغم من ذلك لقيت تلك الرواية قبولا.

إن بين القصة القرآنية والرواية الإسرائيلية تضادا وتصادماً فى النقاط الخمس الجوهرية الآتية:

١ـ آدم فى القرآن هو الذى عصى وغوى ونسى العهد مع الله، ولم يجد الله له عزما ـ

﴿فوسوس إليه الشيطان قال ياآدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لايبلى * فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى﴾ [طه ١٢٠،١٢١]

ولم يذكر أن زوجته فعلت شيئا من ذلك، اللهم إلا أنها تأثرت مثله، بوسوسة الشيطان.وأكلت من الشجرة المحرمة، وهذا يناقض الزعم بأنها هى التى بدأت بالمعصية وأنها هى التى أغوت زوجها، فالشيطان وسوس لآدم مباشرة كما وسوس لهاأيضا.

٢ـ وفى القرآن أن فكرة الخلود هى التى استخدمت فى الغواية لا الرائحة الطيبة أو

الطعم اللذيذ، أو اللون الجميل، كما زعمت الرواية الإسرائيلية.

٣ـ والرواية الإسرائيلية تنطوى على عقيدة الخطيئة الأصلية، فبنات حواء جميعا عوقبن بمتاعب الحيض، ومشاق الحمل، وأخطار الولادة دون ذنب! وذلك يصادم القرآن الذى يؤكد أنه: ﴿ **لاتزر وازرة وزر أخرى** ﴾ و ﴿**كل نفس بما كسبت رهينة**﴾، فالمسئولية فردية، ولايجوز أخذ البنت بذنب أمها لأنه ظلم فادح وهو محرم فى الإسلام تحريما باتا.

٤ـ بل إن حواء ذاتها قد غفر لها كما غفر لزوجها.. هذه حقيقة يؤكدها القرآن الكريم فليس هناك أى سند للعقوبات العديدة التى أنزلتها الرواية الإسرائيلية بحواء، ناهيك عما أنزلته بالملايين من بناتها البريئات.

٥ـ إن العقوبة الوحيدة المذكورة فى كتاب الله هى: الهبوط من الجنة.. وهى العقوبة التى أوقعها الله تعالى على آدم وزوجته.. وإبليس.. وهذا يناقض المزاعم الإسرائيلية] (١) أ. هـ.

وهكذا ـ عزيزى القارئ ـ بالدليل والحجة والبرهان نتأكد أن الأدعاء بأن المرأة هى سبب خروج آدم ادعاء لاأساس له من الصحة.

---

(١) مجلة هاجر عدد ١٥ ربيع الأول ١٤١٢ هـ.

أحكام الحجاب

يقول فضلية الشيخ: محمد متولي الشعراوى

يجب أن نقرر بادىء ذى بدء أن أحكام الحجاب، إنما أثمرت ثمارها، وآتت أكلها فى المجتمع الأول للإسلام، لأنها أظلت قوما آمنوا بالله رباً له الأمر والحكم، وبمحمد ﷺ رسولاً صادقاً فى تبليغه، مفوضاً من ربه أن يشرع لأمته، وكفروا بكل أرباب الأرض حتى أشربوا فى قلوبهم روح الإسلام، ومقاصده، وغاياته، وحتى أصبحت تصوراتهم ومعاييرهم ومقاييسهم إسلامية محضة.

فما يؤثره الله ورسوله ومايقرانه، هو الحق المبين الذى لاريب فيه، وسيخضع له المسلمون بكل قوة. «وسيتمثلونه فى حياتهم مهما كانت تصورات الناس مغايرة، ومهما كان العتو مسيطرا على عاداتهم، والظلم سائدا فى تقاليدهم، والطغيان شائعا ذائعا بين ظهرانينهم.

فالمسلم يتلقى أمر ربه ورسوله، ويتحرك به توا، ويمضى فى سبيله جادا حاسما، لايهمه ماعليه هذه الكتل البشرية التائهة الضالة الذاهلة عن حقيقتها وعن مصائرها السوداء.

وهذا الإيمان الأصيل الذى خالطت بشاشته القلوب من الرعيل الأول من المؤمنين هو الذى دفع نساء الأنصار أن يقمن منذ سماع ربهن يقول:

﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولايبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن﴾ الآية ... إلى مروطهن فيشققنها، ويعتجرن بها حتى كن فى صلاة الغداة، كأن على رءوسهن الغربان.

وهكذا أثنت عليهن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها.. فلم تتعلل واحدة منهن بالخوف من ذهاب الأناقة، ولم تتعلل الأخرى بقسوة القيظ صيفا فى تلك الجزيرة المجدبة ولم تقع منهن كلمات العصرية.وكانت أمهاتنا وكان الناس ولم تتشدق واحدة

---

١ ـ مجلة هاجر عدد ١٥ ربيع الأول ١٤١٢ هـ

منهن قائلة: أقنعوني بضرورة هذا الأمر.وما لاذت إحداهن بالتحررية والانطلاقية وغيرهما مما أملته الشياطين على الأبناء المنكوبين لهذا الزمان.

يكفيهن أن هذا الأمر (وليضربن) منّزل من عند ربهن، وجاء من فوق سبع سماوات ليحرك ذلك المجتمع المبارك في اتجاه يرضاه الله ويمقت ماعداه مقتا كبيرا.

فإذا أردنا الآن أن نعيد التجربة بالنجاح نفسه، فلابد من تهيئة أسباب هذا النجاح، لابد أن يكون جهاز الاستقبال سليماً من العطب حتى ينفعل بإشارات الإرسال بطريقة مرضية.

صورة الحجاب الإسلامي:

لنستعرض معاً صورة الحجاب الإسلامي من واقع كتاب ربنا وسنة نبينا الصحيحة ﷺ:

أولا: ماهو القدر الذي يجب أن يستره الثوب؟

أ- يقول الله تعالى:

﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن إلا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولايبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ماملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا علي عورات النساء ولايضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن وتوبوا إلي الله جميعا أية المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ [النور ٣١]

فالخمار هو غطاء الرأس. والجيب: هو النحر مع مقدم الصدر.. والمطلوب: أن يضرب غطاء الرأس على النحر والصدر. كيف؟

إنكن أكثر دراية منا في هذا الشأن.

وهذه الآية الكريمة تعطى حدود الصورة من أعلى ولكن أين حدودها من أسفل؟

الجواب في الآية ذاتها **﴿ولايضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن﴾**

فزينة الأرجل: (الخلاخيل). ولما كن يخفينها بأثواب سابغة كما تدل عليه الآية الكريمة فإنهن كن يضربن بأرجلهن حتى تعلن ترجمة هذه الزينة عن نفسها من وراء الحجاب.

إذن فلابد بموجب هذه الآية من ستر الساقين حتى مكان الزينة منها.. أى العقبين.

(ب) قال الرسول ﷺ عندما دخلت عليه أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما فى ثياب رقاق: «يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض، لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا» وأشار إلى وجهه وكفيه.

وتحكى السيدة عائشة رضى الله عنها فتقول: «كن نساء المؤمنين يشهدن مع النبى ﷺ صلاة الفجر متلفعات بمروطهن ثم ينقلبن إلى بيوتهن حين يقضين الصلاة لايعرفن من الغلس».

وهذه الحكاية للسيدة عائشة، والحكاية الأخرى التى أثنت فيها على نساء الأنصار لحسن امتثالهن لأمر ربهن تدلان على كيفية ترجمة هذه التوجيهات من الله ورسوله إلى سلوك وواقع فى صفوف المؤمنين.

ويقول رسول الله ﷺ فى حديث: من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة.

فردت أم سلمة قائلة: فكيف يصنع النساء بذيولهن؟ فيقول: يرخينه شبرا.

قالت: إذن تنكشف أقدامهن. فيقول: «فيرخينه ذراعا لايزدن عليه.»

فمعنى الكلام: أن الواحدة من المؤمنات كانت تجر ثوبها وراءها على الأرض، فحذر رسول الله ﷺ من أن تفعل إحداهن هذا للاختيال والدلال، ويرى رسول الله ﷺ: أن ترخى الواحدة ثوبها شبرا من نصف الساق أو الكعب حسب اختلاف أقوال الشراح.

ولكن أم سلمة رضى الله عنها تخشى من ظهور القدم.

والرسول ﷺ أيضا يأبى أن تظهر القدم فيزيد القدر الذى ترخيه المرأة من ثوبها إلى ذراع دون زيادة على ذلك لأن فى ذلك مايكفى لتغطية قدم الواحدة منهن مهما بلغت من الطول.

وترك المجال مفتوحا للاختيار من الشبر إلى الذراع حسبما يقتضيه طول الواحدة. فهو لايحب أن يجر الثوب اختيالا.. ولايحب كذلك أن يظهر القدم.. وعلى المسلمة أن تتخير السبيل الذى ينأى بها عن الوقوع فى أحد هذين المحظورين.

ثم ننظر.. هل ظهرت آثار هذه التعليمات فى المجتمع؟ أم وضعت النساء أصابعهن فى آذانهن، وانقلبن على أعقابهن؟ نعرف الإجابة من القصة الآتية:

جاءت أم ولد لإبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف إلى أم سلمة رضى الله عنها وسألتها: إنى امرأة أطيل ذيلى، وأمشى فى المكان القذر؟

فردت عليها أم سلمة رضى الله عنها قائلة: قال رسول الله ﷺ: «يطهره مابعده».

فأم سلمة سمعت الإجابة آنفا من رسول الله ﷺ.. إذن فلابد أنه سئل عن حل لهذه المسألة من نساء أطلقن ذيولهن، وصادفهن القذر فى الشوارع، وهذه الأخرى تلتمس حلا عند أم سلمة.

إذن فلامفر من التسليم بأنها كانت ظاهرة ماضية فى هذا المجتمع الطاهر.

ومن هذا العرض السريع يبدو جليا أن المسلمة لايحل لها أن تظهر سوى الوجه والكفين من أعلى، ولاتظهر حتى القدمين من أسفل.

ثانيا: وهل ستر هذا القدر المشار إليه بأى ثوب يكفى أم أن هناك شروطا أخرى يجب أن تتوافر فى الثوب قبل أن يسمى ثوبا إسلاميا؟

هناك شروط أخرى منها:

١ ـ **ألا يكون الثوب نفسه زينة**.. وهذا الشرط يفهم من عموم قوله تعالى:

﴿ولايبدين زينتهن﴾ وقوله: **﴿وقرن فى بيوتكن ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾**

وقوله ﷺ: «ثلاثة لاتسأل عنهم: رجل فارق الجماعة، وعصى إمامه ومات عاصيا وأمة أو عبد أبق فمات. وامرأة غاب عنها زوجها قد كفاها مؤنة الدنيا فتبرجت بعده فلاتسأل عنهم».

٢ ـ أن يكون صفيقا لارقيقا.

وذلك لقول رسول الله ﷺ: **«سيكون فى آخر أمتى نساء كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت العنوهن فإنهن ملعونات»**.

وفى حديث آخر زاد: «لايدخلن الجنة، ولايجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا».

ولقصة حفصة بنت عبد الرحمن بن أبى بكر لما رأتها أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها بخمار رقيق، فشقته وقالت: أما تعلمين ماأنزل الله عز وجل فى سورة النور؟ ثم دعت بخمار فكستها.

٣ ـ ألا يكون الثوب مجسداً لهيئة الجسم.

وذلك لقول أسامة بن زيد رضى الله عنه: كسانى رسول الله ﷺ قبطية كثيفة أهداها له دحية الكلبى، فكسوتها امرأتى، فقال: مالك لم تلبس القبطية؟ فقلت: كسوتها امرأتى. فقال ﷺ: «مرها فلتجعل تحتها غلالة فإنى أخاف أن تصف حجم عظامها».

فالرسول ﷺ يخشى على نساء أمته أن يلبسن ثياباً تصف الحجم.. وهذا يختلف عن الشرط السابق الذى يخشى فيه ظهور اللون لرقة الثوب.

٤ ـ ألا يكون معطراً مبخراً.

وذلك لقوله ﷺ: «أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها، فهى زانية».

٥ـ ألا يكون مشبها لثوب الرجل.

وذلك لقوله ﷺ: « ليس منا من تشبه بالرجال من النساء، ولا من تشبه بالنساء من الرجال».

٦ـ ألا يشبه زى أهل الكفر.

وذلك لأن المسلمين مطالبون فى كثير من آيات القرآن ألا يتبعوا أهواء الكفار بعدما جاءهم من البينات من ربهم.

وكان رسول الله ﷺ يتحرى مخالفتهم فى كل شىء حتى فى الهيئات البسيطة مثل فرق الشعر أو إسداله.

وقد قال عبد الله بن عمرو بن العاص : رأى رسول الله ﷺ ثوبين معصفرين فقال : « إن هذه ثياب الكفار ، فلا تلبسها »

٧ ـ ألا يكون ثوب شهرة.

لقول النبى ﷺ : «**من لبس ثوب شهرة فى الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة، ثم ألهب فيه نارا**».

فإنى لا أعرف من تزعم الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر وبعد كل هذا تصر على ما هى فيه مستكبرة، وكأنها لم تسمع شيئا.

﴿ويل لكل أفاك أثيم۝ يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم﴾. [١] أ. هـ.

(١) كتاب المرأة المسلمة لفضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي.

استوصوا بالنساء خيراً

المرأة من ضمن ما وصى به عليه الصلاة والسلام وهو فى الرمق الأخير.

عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال:

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإذا شهد أمراً فليتكلم بخير أو ليسكت، واستوصوا بالنساء خيرا فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج ،وإن أعوج شىء فى الضلع أعلاه، إن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً».

كما أمر الله تعالى بالمعاشرة بالمعروف فى قوله تعالى:

﴿**وعاشروهن بالمعروف**﴾. وأشار إلى تعظيم حقوقهن فى قوله:

﴿**وأخذن منكم ميثاقا غليظاً**﴾.

وكان آخر ماوصى به رسول الله ﷺ ثلاثاً كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه، وخفى كلامه جعل يقول: «**الصلاة الصلاة وماملكت أيمانكم لاتكلفوهم مالايطيقون. الله الله فى النساء فإنهن عوان فى أيديكم** (يعنى أسراء) **أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله**».

ولقد كان رسول الله أرحم الناس بالنساء والأطفال، وفى الحديث يقول أنس رضى الله عنه :كان رسول الله ﷺ أرحم الناس بالنساء والصبيان.

وكان صلوات الله وسلامه عليه يزيد على الاحتمال بالمداعبة والمزح والملاعبة تطييباً لقلوبهن حتى روى عنه ﷺ أنه كان يسابق عائشة فى العدو][1]أ.هـ.

لك الله أيها الرسول الكريم. حتى وأنت فى الرمق الأخير لم تنس أن توصى بالمرأة، فكانت من ضمن آخر ثلاثة نطق بها لسانك الشريف وبعبارة طويلة رهيبة تحذر وتنذر كل من تسول له نفسه أن يظلم المرأة أو يغمطها حقوقها، ومن ذا الذى لاترتعد فرائصه أمام العبارة التى تتوعد كل من يعتدى على المرأة أو على حقوقها.. تتوعده بغضب الله.. استمع معى إليه وهو يقول عليه الصلاة والسلام.. «الله.. الله.. فى النساء..» هل بعد هذه التوصية توصية؟!.. وهل بعدها عناية بالمرأة؟! كيف إذن يدعى المفترون أن الإسلام ظلم المرأة؟!!

---

(١) من كتاب (المرأة فى الإسلام) للشيخ محمد الغزالى الدكتور محمد سيد طنطاوى والدكتور أحمد عمر هاشم .

تحريم الخلوة بالأجنبية

يهتم الإسلام إهتماماً كبيراً بصيانة المرأة ودفع الشبهات عنها .

ومن التشريعات الإسلامية لصيانة البيت المسلم، تحريم الخلوة بالأجنبية منعا لوساوس الشيطان وإبعاداً لهواجس النفس الأمارة بالسوء فقد جاء فى الصحيحين «لايخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذى محرم» .

ومما حرص عليه الإسلام فى هذا الصدد خلوة المرأة بأقارب زوجها كخلوتها بأخى زوجها أو بابن عمه أو ابن خاله، لما فى ذلك من التساهل الذى يمكن أن يحدث من أهل القرابة، ومثل أقارب الزوج أيضا أقارب المرأة فمن ليسوا محارم لها كابن عمها وابن خالها وابن عمتها وابن خالتها فليس لهم الخلوة بها، يقول رسول الله ﷺ «**إياكم والدخول على النساء**» فقال رجل من الأنصار: يارسول الله أفرأيت الحمو؟ قال: «الحمو: الموت» وهم أقارب النساء.. وليس الأمر قاصرا على مايخشى حدوثه من فتنة بل لأن ذلك فتح النوافذ القيل والقال. وإثارة للشبه وألسنة السوء ومايترتب على ذلك أيضا مما لاتحمد عقباه ومما يترتب عليه تخريب البيوت.

ولقد ضرب لنا رسول الله ﷺ أروع الأمثلة على ذلك عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: كلم رسول الله ﷺ إحدى نسائه فمر به رجل فدعاه وقال: يافلان هذه زوجتى، فقال: يارسول الله من كنت أظن فيه فإنى لم أكن أظن فيك.. فقال عليه الصلاة والسلام: «إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم» .

وبهذا يعطى رسول الله ﷺ درساً من أقوى مايكون فى دفع الشبهات وظن السوء حتى لايتعلل أحد كائناً من كان بأنه فوق الشبهات..

كما كان لموقف موسى عليه السلام من ابنة شعيب أثره كذلك فى البعد عن مواطن الشبهات. وذلك عندما وجهت إليه دعوة أبيها فطلب منها أن تسير خلفه وأن تصف له الطريق، ولم يكن هناك أدنى شك بين الطرفين فى نفسيهما، ولكنه الدين فى تعاليمه السامية بعداً عن الشبهات ومنعا لإثارة الفتن والكلام ونشراً للأدب العالى فى البيوت المؤمنة لتلتزم الجادة والسير على المنهج الأمثل.

ومن تشريعات المحافظة على البيت المسلم التزام المرأة المسلمة بزيها الإسلامي الذى يوافق شرع الله، والذى يغطى جميع جسدها وألا يكون رقيقا ولاضيقا.

... والإسلام بهذه التعاليم إنما يريد بناء بيت إسلامى يتسم بالعفة والطهارة والنقاء، وينأى عن الرذيلة والمعاصى ماظهر منها ومابطن.][1]. أ. هـ.

وتأمل معى عزيزى القارىء ـ الخطوات المحكمة التى عن طريقها يصون الإسلام المرأة ويدفع الشبهات عنها:ـ

أولا: الاستئذان:

ويكون من خارج البيت للغرباء

﴿يأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتي تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون * فإن لم تجدوا فيها أحدا فلاتدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم﴾.

واستئذان داخلى:

من أبناء البيت من الخدم والأطفال المدركين فى أوقات يفترض فيها أن يكون الرجل أوالمرأة قد تخففا من ملابسهما فلا تقتحم عليهما حجرات النوم.

﴿يأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولاعليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض﴾.

ثانيا: غض البصر وحفظ الفرج:

يقول الله تعالى

﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكي لهم إن الله خبير بما يصنعون * وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن﴾ والإباحة الجنسية دمرت المجتمعات ودفعت إلى الأمراض والكآبة (وأعلى نسبة انتحار فى العالم فى السويد رغم رخاء المجتمع والإباحة الجنسية وحرية المعاشرة).

---

(١) من كتاب (المرأة فى الإسلام) للشيخ محمد الغزالى ، والدكتور محمد سيد طنطاوى والدكتور أحمد عمر هاشم (بتصريف).

والإسلام حذر من النظر. يقول النبي ﷺ «لك النظرة الأولى وعليك النظرة الثانية»، «النظرة سهم من سهام إبليس». ويقول «ثلاثة لاترى أعينهم النار: عين حرست فى سبيل الله وعين بكت من خشية الله وعين كفت عن محارم الله».

والإسلام يرفض الأحفال المشبوهة التى يختلط فيها النساء بالرجال ويقول ﷺ **«لأن يطعن فى رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لاتحل له»**

وينهى الإسلام أن يدخل الغرباء على النساء، يقول ﷺ **«إياكم والدخول على النساء»** فقال رجل من الأنصار «أرأيت الحمو» أى قريب الزوج. قال «الحمو الموت» كناية عن خطورة انفراد الرجل بالمرأة، ورعى الإسلام آداب الطريق، يقول عليه الصلاة والسلام «إياكم والجلوس فى الطرقات» قالوا «يارسول الله لابد لنا من مجالسنا نتحدث فيها» قال: **«فإن أبيتم إلا المجلس فأدوا الطريق حقه»** قالوا: «وماحق الطريق يارسول الله» قال: **«غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر»**.

ويشجع النبي ﷺ غض البصر فيقول: **«مامن مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم يغض بصره إلا أخلفه الله عبادة يجد حلاوتها»**.

ويحذر النبى ﷺ **«ماتركت فتنة بعدى أضر على الرجال من النساء»**، وراعى الإسلام حماية الأسرة من كل جراثيم البيئة فيقول النبى **«ليس منا من خبّب امرأة على زوجها»** أى أفسدها عليه، إنه يمنع الصلات المشبوهة والصداقات الفاسدة، ويحذر المرأة أن تهتك حرمتها خارج البيت **«مامن امرأة تضع ثيابها فى غير بيت زوجها إلا هتكت مابينها ومابين الله من حجاب»**.

ولذا وجب على المجتمع أن يتطهر من المخنثين والفجرة، يقول النبى ﷺ: **«لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، ولعن الله المتشبهات من النساء بالرجال»**.

ثالثا التحشم:

يقول المولى عز وجل: **﴿ ولايبدين زينتهن إلا ماظهر منها ﴾**.

ولايباح للمرأة أن تكشف فتحات الصدر أو الظهر أو الذراع،

﴿ **وليضربن بخموهن على جيوبهن**﴾ لقد رفع الإسلام ذوق المجتمع، وطهر إحساسه بالجمال، بل ويبالغ الإسلام فى تحشم المرأة فعليها ألاتحرك الرجل لتحدث صوتا يلفت الأنظار ﴿**ولايضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن**﴾ وهذه وصية بحسن المشية، والقرآن يوصى ﴿**ياأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلايؤذين**﴾ ويحدد الحديث ملامح النساء الخارجات على آداب الإسلام «نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنام البخت لايدخلن الجنة ولايرحن ريحها» ويطالب بالحشمة فى الملبس ﴿**يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد**﴾ ولابد من لباس التقوى ﴿**يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير**﴾.

وإذا ما تركت المرأة التحشم فكأنما كشفت عورتها وهذا مايريده الشيطان ﴿**يابنى آدم لايفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم**﴾ ويقول ﷺ «إن المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان، وأقرب ماتكون بروحة ربها وهى فى عقر دارها».

بل طالب الإسلام النساء المسنّات بلزوم التحشم لأن المرأة مهما كبر سنها فهى فتنة.

﴿**والقواعد من النساء اللاتى لايرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن**﴾.

رابعاً: إزالة العوائق من طريق الزواج:

الإسلام لايفرض العفة إلا اذا هيأ أسبابها، ولهذا أمر بمعاونة من يريد الزواج ﴿**وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله** ﴾ ويلزم بيت المال بمساعدة الشباب راغبى الزواج يقول ﷺ: «ثلاث حق على الله عونهم: المجاهد فى سبيل الله، والكاتب الذى يريد الأداء، والناكح الذى يريد العفاف»، وحذر من ترك الخدم والضعفاء نهبا للفوضى أو الإغراء بالفاحشة ونادى بمساعدتهن حتى لاينتشر البغاء

﴿**ولاتكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا**﴾[1] أ. هـ.

(١) حول المشكلة الجنسية في القرآن الكريم – عبد الوهاب عبد المعز

ذات مصونة.. وحمى ممنوع..

أما المرأة الأجنبية فهى فى عرف الإسلام ذات مصونة، وحمى ممنوع، وفاكهة محرمة لاتحل إلا بعقد مشروع، وبهذا العقد يحمى الإسلام المرأة ويصون جسدها من أن يبتذل، ويحافظ على شرفها من أن يدنس، وعلى كرامتها من أن تهدر أو تلوث، ويحافظ على الأنساب من أن تختلط وعلى الأعراض من أن تنتهك أو تغتصب حتى ولا أن تلتهم بالعين، فالنظرة حرام ـ عدا الأولى ـ النظرة الأولى لك والثانية عليك «من نظر إلى امرأة أجنبية بشهوة صب فى عينه الآنك يوم القيامة» والآنك الحديد المذاب، والإسلام قد وقف من النظرة وقفة وقائية حاسمة لالذاتها، بل لمايترتب عليها.

النظرة فى حد ذاتها ليست بذات أهمية فى نظر الشرع.. النظرة بغض النظر عن نتائجها يقف الدين منها موقفا سلبيا سلمياً.. أما إذا تكررت وتمكنت، فأهاجت الأحاسيس ودفعت الدم حارا جارفا فى الأوردة والعروق ففقد الناظر سيطرته على شهوته وحفظ فرجه.. فهنا الخطر كل الخطر، والإسلام يحول بين المرء والأخطار لذلك جعل هذه النظرة التى تسلم إلى الزنا مسمومة قال الرسول عليه الصلاة والسلام عنها « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها خوفا من الله تعالى أعطاه إيمانا يجد حلاوته فى قلبه». ويقول الله سبحانه وتعالى ناهيا عنها **﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم﴾**

ولخبراء الألفاظ والتعابير وقفة إزاء «من» هذه، إذ غض البصر كله مستحيل، لذلك كان من بلاغة القرآن وواقعيته أن عبر بـ «من» ولم يقتصر التحذير فيها على الرجل فقط، بل والمرأة حرم الله عليها أن تنظر نظرة جائعة إلى شاب.. حتى ولو كان أعمى.

المرأة لاتحل للرجل، والرجل لايحل للمرأة إلا برباط مقدس وميثاق غليظ بالزواج، والزواج محبة وتعاون وسكن ومودة وعلاقة شريفة وارتباط جسدى مشروع.. هو الطريق الذى سارت فيه الإنسانية منذ مولدها إلى اليوم وستمضى فيه مواكب البشر إلى نهايته] (١) أ. هـ.

(١) حول المشكلة الجنسية فى القرآن الكريم – عبدالوهاب عبدالمعز.

حكم رمى المحصنات

لقد كان من مظاهر إعزاز الإسلام والمسلمين والعرب للمرأة: أن القرآن الكريم ذم ولعن وهدد بالعذاب من يهاجمها، ويتهمها فى عرضها، ويخدش حياءها ويسيء إلى سمعتها وكرامتها، ويرميها بأنها زنت أو زلت من غير دليل عنده ولابينة.

فقال تعالى ﴿ **إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم * يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون * يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق، ويعلمون أن الله هو الحق المبين**﴾

[النور ٢٣_٢٥]

وحكم على من يفعل ذلك أن يقام عليه عقاب وحدّ فى الدنيا ليكون عبرة لغيره بأن يجلد ثمانين جلدة، فقال تعالى ﴿**والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولاتقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون * إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم**﴾.

[النور ٤_٥]

أما من يعتدى على عرضها بالزنا بها فعلا، فله عقوبة الجلد مائة جلدة، إن لم يسبق له الزواج، والرجم حتى الموت إن كان قد سبق له زواج، وحكمها فى ذلك مثل حكمه تماما إن كان الزنا برضاها، قال تعالى: ﴿**الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولاتأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين**﴾ [النور ٢]

وهذه الجريمة لاتثبت إلا بأربعة شهداء، وذلك كله مما يوفر للمرأة حماية عرضها، وصيانة شرفها وكرامتها، حتى تعيش مرفوعة الرأس معززة فى الوسط الذى تعيش فيه إذا كان من الأوساط التى لايزال فيها للأعراض اعتبار، أما الأوساط التى

---

(١) من كتاب (الحب فى القرآن) د. محمود بن الشريف .

تحللت وانطلقت كالحيوانات تفاخر بالتهتك والتحلل من قيود الفضيلة فهى أحط من أن تخاطب أو تكلف بهذه القيم الرفيعة التى شهد بعظمتها، وطالب بالعودة إليها كعلاج سريع وحاسم هؤلاء الذين اندفعوا فى طريق التحلل والإباحية إلى آخر مداه، فرجعوا فى نهاية الشوط يتلمسون العلاج والإصلاح فى تعاليم الإسلام التى كانوا يتطاولون عليها.] [1] أ. هـ.

(١) من كتاب (الإسلام أنصف المرآة) د. عبدالغنى عوض الراجحي (بتصريف).

تعاليم الإسلام لصالح المرأة

إليك ـ عزيزى القارئ ـ ماتقوله المرأة نفسها حينما ينضج تفكيرها، وتعرف الأمور على حقيقتها:

إذا كان الإسلام يوجه إلى الحشمة ويأمر بها لما يترتب على التحلل من مضار، فإنه يترك تكييف الشكل الذى تكون به الحشمة إلى معطيات البيئات والأجيال، والمهم ألا يكون فى المجتمع الإسلامى عرى، يثير الشهوات ويدفع إلى طريق الفساد، فالنظرة المسمومة، والجسد الخليع، لايقبلهما المجتمع الإسلامى، وليس فى هذا حجر على الحرية، وإنما هو توقية للمجتمع من أخطار التحلل.

فالفتاة التى ترتدى فستانا عارى الظهر والصدر، أو قصيرا، وتسير وسط الرجال لاتمارس حريتها، وليس ذلك هو المقصد، وإنما المقصد هو استجداء النظرات والتقليد البغيض الذى استعبدها وأذلها.

ونحب أن نلفت الأنظار إلى الفرق الكبير بين استجداء النظرات الهابطة والإحترام.وما يبدو من إعجاب لبعض المستهترات هو فى واقعه غلاف زائف يحتوى معانى غير شريفة .وأما الاحترام فلايحتوى إلا الإكبار وكل معنى شريف.

ويكفى الأخت المسلمة التى تحترم دينها أنها ممن يكتسبن الاحترام والإكبار، ولاتخرج النظرة إليها عن هذا المعنى الجليل. ولايقلل من هذا نباح بعض الكاتبات بما تظن أنه يخلخل الثقة فى نفوسنا نحن المسلمات الملتزمات، ويكفى أنه نباح منها على قافلة الإيمان الواثقة بنفسها والتى ترضى الله بتنفيذ أمره.

وقد كانت المرأة فى الجاهلية كما هى اليوم فى الجاهلية الحديثة كاشفة الصدر وغير الصدر فلما نزلت هذه الآيات الكريمة كن كما قالت عائشة رضى الله عنها:

يرحم الله نساء المهاجرين الأول، لما أنزل الله ﴿ **وليضربن بخمرهن على جيوبهن** ﴾ شققن مروطهن فاختمرن بها.

والمروط: جمع مرط وهو ثوب يشبه العباءة تقريبا.

إن هذه الدعوة المؤكدة إلى الحشمة وسيلة من الوسائل الوقائية للفرد والجماعة.

.. ولما كانت الوقاية هى المقصودة فقد مضت الآيات الكريمة تنهى المؤمنات عن الحركات التى يقصد بها لفت النظر..

﴿ولايضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن﴾

ووجوب ملاحظة أن تكون ملابس المرأة ساترة لجميع بدنها حتى يكون ذلك المظهر مانعاً من أن تمتد إلى النساء المسلمات عين أو لسان بالأذى مما نراه ونسمعه ممن تسول لهم أنفسهم التوقح مع اللواتي يتعرين، وكل ذلك صريح فى قوله تعالى:

﴿ يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلايؤذين وكان الله غفورا رحيما ﴾.

[الأحزاب ٥٩]

فتوجيه الخطاب الصريح إلى النبى ﷺ وبناته ونساء المؤمنين دليل على أن جميع النساء مطالبات بتنفيذ هذا الأمر دون استثناء.

وهدف قوله تعالى فى آخر الآية ﴿ **إن الله كان غفورا رحيما** ﴾ أن المسلمة إذا التزمت حدود الحشمة وسترت بدنها يغفر الله لها ماسلف مما قصرت فيه من ترك الستر.

وقد وردت الأحاديث الكثيرة عن رسول الله ﷺ تحذر النساء من العرى والميوعة لما لها من آثار سيئة وخطيرة على الفرد والجماعة، فقال ﷺ: «لعن الله الكاسيات العاريات».

والكاسيات العاريات: هن اللاتى يلبسن ملابس تستر بعض جسدهن وتكشف البعض الآخر إظهاراً للجمال ونحوه.

...هذه هى أوامر الله تعالى وتعاليم رسوله ﷺ فلابد ياأختى المسلمة من اتباعها واحترامها.

ونؤكد للأخت المسلمة أن الإسلام لايمنع المرأة أن تأخذ حظها من الملبس بدليل أنه أباح لها لبس الذهب والحرير وحرمهما على الرجال لأنهما يتوافقان مع

طبيعة الأنوثة.. إلا أنه يجب أن نفرق بين هذا وبين الاستهتار والتعرى وعرض اللحوم على الناظرين.

.. والتفانى فى مرضاة الله تعالى بالجهاد المستمر، عاقبته الفوز للدعاة إلى الله والحق، والخذلان للمتمردين على الدعوة والساخرين منها.

ويقول الحق جل جلاله ﴿ **قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون* فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم** ﴾.

[هود ٣٨ـ٣٩]

وقال تعالى: ﴿ **إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون * وإذا مروا بهم يتغامزون *وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين * وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون * وما أرسلوا عليهم حافظين * فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون * على الأرائك ينظرون * هل ثوب الكفار ماكانوا يفعلون** ﴾

[المطففين ٢٩ـ٣٦]

يقول رسول الله ﷺ: «**لاتزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لايضرهم من خالفهم ولامن خذلهم حتى تقوم الساعة**».

وعلينا أن نلتمس رضاء الله وحده.. فقد قال رسول الله ﷺ: «**من التمس رضاء الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن التمس رضاء الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس**».

– إن بعض المسلمات يعتقدن أن الزى الذى يرضى تعاليم الإسلام يقف فى طريق زواجهن وهذه دعاية مسمومة يجب أن تتنبه المرأة المسلمة إليها. وخبث هذه الدعوة ظاهر لمن تتأملها من العاقلات .

الرغبة الفطرية فى استعمال الزواج عند المرأة تجعلها تأخذ كل مايقال عما يقف فى طريق هذه الرغبة أخيراً سريعا من غير أن تدقق فيه.

ونحن إذا نظرنا نظرة واقعية نجد أن أفسق خلق الله من الرجال إذا أراد الزواج يفتش طويلا عن إنسانة يطمئن على عرضها لأن الرجل بطبيعته يهمه أولا وقبل كل شيء أن تكون زوجته له وحده.

فإذا كان هذا هو أمر الفاسق، فما بالنا بالإنسان المؤمن؟

وبعد هذا يتضح أن العفة والأمانة على العرض هى التى تجذب الرجال، وليس التعرى والاستهتار .

واعلمى يا أختى المسلمة أن أمر الزواج كأمر الرزق لادخل فيه للزى ولالغيره.. وإنما هو تقدير الله سبحانه وتعالى.. وتأملى معى قول رسول الله ﷺ:

«احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة، واعلم أن ماأخطأك لم يكن ليصيبك، وأن ماأصابك لم يكن ليخطئك واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً» .

وتأملى معى أيضا قوله صلوات الله وسلامه عليه:

«من كانت الآخرة همه جعل الله غناه فى قلبه وجمع عليه شمله وأتته الدنيا وهى راغمة.. ومن كانت الدنيا أكبر همه جعل الله فقره بين عينيه وشتت عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له.»

فإذا كانت هناك معارضة لهذه الدعوة الشريفة فإنه يجب ألاتكون لها قيمة أو أثر.

يقول ـ صلى الله عليه وسلم ... «ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة. الناجية، واحدة والباقون هلكى. قيل: ومن الناجية يارسول الله؟ قال: أهل السنة والجماعة. وقيل: وما أهل السنة والجماعة؟ قال: ماأنا عليه وأصحابى» .

واعلمى ياأختى المسلمة أن خير طريق يؤدى إلى السعادة فى الدنيا والنجاة فى الآخرة هو طاعة الله وطاعة رسوله والتمسك بما بيّنه الله فى القرآن وسنة رسوله ﷺ] (١) أ. هـ.

---

(١) من كتاب (الحب فى القرآن) د. محمود بن الشريف . دار المعارف

يصلحها أن يكون خروجها عند الضرورة:

يقول سبحانه وتعالى ـ

﴿وقرن فى بيوتكن ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ [الأحزاب ٣٣]

وقرن: بمعنى واقررن أى الزمن **﴿فى بيوتكن ولاتبرجن﴾** إذا خرجتن من بيوتكن. والتبرج إظهار الزينة ومحاسن المرأة للرجال، (الجاهلية الأولى) ماكان قبل الإسلام **﴿ليذهب عنكم الرجس﴾**: السوء والفحشاء **﴿أهل البيت﴾** يعنى عز وجل بيت محمد ﷺ **﴿ويطهركم تطهيرا﴾** من معاصى الله.[1].

نلمس فى تلك الآية الكريمة ومعانيها السامية جانبا كبيرا وعظيما من الوسائل التي تصون عفة المرأة وتحفظ عليها وقارها وتمنع من كل مامن شأنه أن يبتذلها فالأمر هنا بلزوم البيت يفهم منه أن مما يحافظ على المرأة أن يكون خروجها لضرورة محسوبة وليس بداع وبدون داع، يلى ذلك أمر بالزكاة ولايخفى مافى الزكاة من تطهر وتطهير يلى ذلك أمر بالطاعة الشاملة لله ولرسوله فى كل شيء ولعمرى أن فى ذلك لصيانة لاصيانة مثلها ويعقب ذلك بان كل ماسبق من شأنه إذهاب الرجس.

ولايخفى أن الخطاب هنا لآل البيت وينسحب ايضا على كل امرأة ارادت أن يذهب عنها الرجس وتتطهر.

ويقول سبحانه وتعالى:

﴿ يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلايؤذين وكان الله غفورا رحيما ﴾

[الأحزاب ٥٩]

أمر آخر فى هذه الآية الكريمة بالملابس السابغة المحتشمة عند الخروج فذلك يبعد الأذى عن الفتاة أو المرأة المحتشمة، ويحقق الحفاظ على عفة المرأة وصيانتها.

---

(١) من كتاب (الحب فى القرآن) د. محمود بن الشريف . دار المعارف

ويقول سبحانه وتعالى أيضا فى موكب الآيات الكريمة التى تحفل بما من شأنه أن يحافظ على المرأة ويكفل لها وسائل الصيانة:

﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن إلا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولايبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ماملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولايضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ [النور ٣١]

وليضربن: ليلقين **﴿بخمرهن﴾** جمع خمار **﴿على جيوبهن﴾**: فتحات الصدر والرقبة من الثياب ليسترن شعورهن وأعناقهن وقرطهن، **﴿ولايبدين زينتهن﴾**: الخفية التى ليست بالظاهرة. **﴿ولايضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن﴾** لايجعلن من الحلى ما اذا مشين علم الناس بحركته مايخفين من ذلك، **﴿وتوبوا إلى الله﴾**: أرجعوا طاعة الله فيما أمركم ونهاكم. (١) أ. هـ.

١ - مختصر تفسير الطبرى (دار الشرق)

صيانتها تستلزم حرصاً.. ونظاماً.. وأدباً سامياً:

على مبدأ احترام المرأة أو إرادة البعد بها عن مواطن الزلل والفتنة طلب القرآن إلى المؤمنين أدباً سامياً فى دخول البيوت لم يكن لمشرع سواه أن يفكر فيه ويضع له نظاما كالذى تراه فى قوله تعالى:

﴿ يأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتي تستأنسوا وتسلموا علي أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ۞ فإن لم تجدوا فيها أحدا فلاتدخلوها حتي يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم ﴾.

وقد جاء فى خصوص أدب الأطفال والمملوكين إذا أرادوا الدخول قوله تعالى:

﴿ يأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولاعليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم علي بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ۞ وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استاذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم ﴾

وقال فى حق من لامطمع فيهن بحسب العادة:

﴿ والقواعد من النساء اللاتي لايرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم ﴾ [1] أ.هـ

---

١ - مختصر تفسير الطبرى (دار الشرق)

تبرجها عصيان لأمر الله

أنت أيتها السيدة التى تزعم أنها تتبرج إرضاء لزوجها، وتخرج متزينة طاعة لأمره، أتظنين أن هذا العذر ينفع عند الله بعدما أبطل عذرك بقول رسوله ﷺ «لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق» و «لاطاعة إلا فى معروف» ؟ قال الله تعالى:

﴿ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾ فهل هذا معناه أن طاعة أولى الأمر تجب قبل طاعة الله ورسوله؟ كيف تغضبين ربك الخالق لترضى زوجك الفاسق؟ فأيهما أولى بالطاعة والخشية؟! أهذا الزوج الفاسق الذى يأمرك بالفسق والذى لا يستحى ولايغار سينجيك وينجى نفسه من عذاب النار؟ تبررين فسوقك بزعم أنك تخافين أن يهجرك إلى غيرك، ويطلقك فتحرمى أولادك وسعادتك، فهل هذه السعادة البيتية الوقتية أهم وأعظم من سعادة الجنة الأبدية؟ فما هى هذه السعادة الموهومة المهددة؟

بل لو كنت مؤمنة عاقلة لعلمت أنه من المحال أن تكون سعادة مع زوج فاسق فقد صفات الرجولة، وغفل عن أمر ربه بل جاهر بالخروج عل الدين والأخلاق.

نعم.. لو كنت صادقة الإيمان لما شعرت مع مثل هذا الزوج بسعادة تخافين ضياعها بل لشعرت بشقوة تتمنين الخلاص منها ولاتطيقين احتمالها، لأن من المحال أن تنسجم الروح الطاهرة مع الروح الفاجرة، وأن يحب المؤمن الفاسق المنافق ويوده ويسعد بمعاشرته كما قال الله تعالى:

﴿لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان

(١) من كتاب (القرآن والمرأة) لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى .

وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا أن حزب الله هم المفلحون﴾ (1)

أ. هـ. [المجادلة ٢٢]

(١) من كتاب (التبرج) نعمت صدقى - دار الاعتصام

عفاف المرأة

لاشك أن الإسلام يحافظ على عفافها بكل وسيلة..ويحيطها بجو طاهر نقي:

ولاشك أن عفاف المرأة يسهل كثيرا مشوار عفاف الرجل، ويجلب خيرا كثيرا ويبعد شرا كبيرا عنها وعن الرجال عموما، فهي مركز الفتنة التي تجرفها هي أولا.. ثم خلقا بعد ذلك كثيراً.

قال المرحوم علي فكري: «ولما كانت البيئة التي تنشأ فيها البنت والمؤثرات الخارجية تجعل التهذيب وحده غير كاف لتقويم أخلاقها. نظراً لأن الله خلق المرأة ضعيفة وميالة إلى دواعي الشهوات، وجب أن يحافظ على البنت من كل ماينشيء في نفسها تأثيرا سيئاً، وذلك بإبعادها عن كل مايهيج عواطفها تهيجاً تخشى عواقبه، فلايصح أن تغشى دور الملاهي والمراقص، كما أنه يحسن بها عدم قراءة الروايات الغرامية وعدم الاختلاط بمن فسدت أخلاقهن من الفتيات.

ويجب أيضاً لمصلحة الفتاة ألا تجتمع بالمتزوجات من صديقاتها، أما الاختلاط بالرجال فهو أسوأ مايكون، ويتحتم ألا تختلط الفتاة برجل ما، قال أحد الحكماء: «العفة حجاب يمزقه الاختلاط»[1]، وفي المثل الألماني: «يجب أن تحفظ البنت بين أربعة أناجيل، أو في وسط أربعة جدران».

والتذكير بالله وبالآخرة وما أعده الله فيها للشرفاء والأتقياء، أو العصاة المنحرفين، هو أعظم الأسباب لوجود العفيفة والعفيف.

وقيل لبعض الأعراب، وقد طال حبه لجارية ـ فتاة ـ :ماكنت صانعاً لو ظفرت بها، ولايراكما إلا الله تعالى؟ قال: أخاف الله ولا أجعله أهون الناظرين، ولكن أصنع معها ماأصنع بحضرة أهلها: حديث طويل ولحظ كليل ـ أي يغض بصره ـ وترك مايكرهه الرب وينقطع به الحب: يعني الإشباع الجنسي.

---

(١) سعادة الزوجين جـ ٢ ص ١٠٨.

ودخل رجل غيضة له فقال: لوخلوت هنا بفلانة فلم يرنا أحد ،فسمع صوتا ملأ الغيضة: «ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير».

وحين حرم الله النظر إلى الأجنبى والأجنبية وإن كان تقيا وشريفا وقريبا غير محرم فإنما يسد الذريعة إلى الشيطان، ويحمى العفاف.

ومن كلام السيد المسيح: «النظر يوزع فى القلب الشهوة وكفى بها خطيئة».

...وقال بعضهم: إن اللذة مشوبة بالقبح.. ففكروا فى انقطاع اللذة وبقاء القبح.

إن وجود المحرم أو الزوج مع المرأة يكون دائماً وقاية لها من النزوات ووسوسة الشياطين إنسا وجنا، ولهذا شرع الله ألا تسافر امرأة إلاومعها محرم.

والتفريق بين الإناث والرجال فى النوم، وقلة المحادثة والمناجاة بين الجنسين وقاية للعفاف.

ورضى الله عن ابن عباس إذ قال: «الشيطان من الرجل والنساء فى ثلاثة منازل: فى النظر والقلب والفرج».

وفى المخالطة نظرات وألفة قلب. ويسر اقتراب يفضى إلى الخناء ولو كان اقترابا من راهبة فى دير.

وذوو العفة الحريصون على عفاف النساء يتحاشون زيارتهن عند غياب أزواجهن مهما كانت الصداقة، كما يحذرون مداعبة الأطفال أمام أمهاتهم ففى هذا كسب لعواطفهن.

... والاتفاق على أن المرأة فى خروجها، ومقابلاتها واختلاطهابالرجال إنما تثير وتثار.

وقال العلماء فى الآية :**﴿ الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾** [النور ٢]

إنما قدم الزانية لأن الزنا فى الأغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه فهى التى تقوض عفافه فيقع على عفافها يهدمه.] (١) أ. هـ.

(١) المرأة فى التصور الإسلامى . عبد المتعال محمد الجبرى. ط ٦ . (بتصرف) .

الفصل بينها وبين إخوتها منذ الصغر.. ضرورة

قال النبي ﷺ **«وفرقوا بينهم في المضاجع»** والعلاج تطبيق آيات سورة **«المؤمنون»** التي تدعو إلى الطهارة سراً وعلانية، وقولاً وعملاً وسلوكاً، والتوعية الدينية من الصغر وتنشئة الصغار على الصلاة والطهارة، وملء الفراغ، والارتقاء بهذه الغرائز، وأن نغرس فيهم حب البطولة وإفهامهم أن النظر إلى كل امرأة إنما هى تمثل أمه أو أخته أو زوجته مستقبلاً أو ابنته ،وأن الشهوة خلقها الله لتعمير الكون، وحفظ النوع وليستعد ليوم يبنى فيه أسرة، وينعم بالزوجة وذلك بالجد والاجتهاد، وإنهاء المرحلة التعليمية. يقول الله:

﴿ والذين هم لفروجهم حافظون ﴿ إلا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ﴿ فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ﴾.

والمحافظة على الصلاة من أهم وسائل العلاج لأن الله يقول:

﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون ﴾

والصلاة بما فيها من قرآن وتسبيح ودعاء تطهر القلب وتنقى اللسان فلا ينطق إلا بطيب القول **﴿ والذين هم عن اللغو معرضون ﴾.**

ولابد أن يعلم الشاب أن هناك كتبة تسجل عليه كل مايقول ومايفعل.

﴿ أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون ﴾

والله ما أذن بتصريف الشهوة إلا عن طريق الزواج فى اليقظة وطريق الاحتلام فى النوم فمن جاوز هذا الحد فقد اعتدى **﴿ ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ﴾**

ولذلك وجب على الشباب أن يبتعد عن كل المثيرات من صورة فاجرة أو لقطة

فاحشة أو رواية داعرة، أو نظرة خائنة.] [1] أ. هـ.

هكذا يجب ان نفرق بين الصغار فى المضاجع ونوفر لهم البيئة النقية الطاهرة التى لا غنى لهم عنها حتى يصبحوا اشباباً عفيفاً قوياً مؤمناً.

(١) حول المشكلة الجنسية فى القرآن الكريم . عبد المعز خطاب .

الزواج منها حث عليه الإسلام

وقد وقف الإسلام من العزوبة موقف الكاره الكاشح بدليل قول رسول الله ﷺ لعكاف ابن وداعة الهلالى: **« ألك امرأة؟ قال: لا. قال: ولاجارية؟ قال: لا. قال: وأنت صحيح موسر؟ قال: نعم والحمد لله. قال: فأنت إذن من إخوان الشياطين. إن كنت من رهبان النصارى فالحق بهم، وإن كنت منا فمن سنتنا النكاح »**

إن من شياطين الإنس هؤلاء الذين كلهم قوة وصحة وشباب ثم يعزفون عن الزواج مع مقدرتهم عليه وعلي تكاليفه، ويركنون إلى العزوبة، فتتلوث عواطفهم بأفكار سوداء، وتتوارد على خواطرهم خاطرات تنزع بهم إلى المعصية، وتنحرف بهم عن الطريق السوى المستقيم، وتميل بهم إلى المآثم والشرور، لذا وصفهم رسول الله ﷺ بقوله **«شراركم عزابكم»**.

وماوصفهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه بهذا الوصف.. وما وقف من العزوبة ذلك الموقف إلا لأن إثمها أكبر من نفعها، فهى تسير بأصحابها فى طريق الفناء والدنس، وتبعد عنهم الاستقرار، وتحرمهم عاطفة الأبوة ونعمة النسل.] (١) أ. هـ.

وهاهو المولى ـ سبحانه وتعالى ـ يقول فى محكم آيات التنزيل:

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾. [الروم ٢١]

هكذا إذن يحثنا الإسلام على الزواج لما فيه من عفة للشباب وإعفاف للفتاة التى

(١) من كتاب (الحب فى القرآن) د. محمود بن الشريف.

يتزوج بها فيعين كل منهما الآخر بهذه الصورة النظيفة الرفيعة السامية على النجاة من الوقوع فى الخطيئة، وفى نفس الوقت يعين كل منهما الآخر على أمور دينه وسلوك طريق التقوى.. هذا فى إطار الأسرة الصغيرة.. أما فى إطار المجتمع فحينما تفعل كل أسرة ذلك وتسلك السلوك المستقيم، تحقق على الفور رفعة الأخلاق، فيجد كل فرد فى هذا المجتمع الراحة النفسية، ويشعر بأن هناك سياجاً يحميه من مغبة الوقوع فى الأمراض الوبيلة والأخطار الرهيبة التى تحدث حينما يتخلى المجتمع عن وسائل الصيانة الأخلاقية.

الثرثرة

هى من عادات النساء، ومثلهن بعض الرجال، وتوصف المرأة بالكمال إذا كانت كثيرة الصمت، وقد خطبت لأحدهم فتاة كثيرة الكلام فأبى زواجها قائلا: المشاهد أن التى تجيد الكلام وتكثر منه لا تجيد أعمال المنزل.

والتعليل لهذه الظاهرة أن التى تجعل همها الحديث تستولى عليها شهوة الكلام حتى تستغرق فكرها ومشاعرها فلايبقى للبيت: طعامه وأثاثه.. وتربية الأولاد ومساندة الزوج إلا قليل من وقت التفكير.. فعقلها مشغول بنكتة بارعة تعدها أو قصة طريفة تحوكها..إلخ..

والإسلام لايكمم الأفواه وإنما يطلب انتقاء العبارة واختيار الكلمة الطيبة.. فكلمتها عفة وليست نابية، ونافعة ليست لغوا.. ﴿ **لاخير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما** ﴾ [النساء ١١٤]

كما يقول المولى أيضا:

﴿ **قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون** ﴾ [المؤمنون ١-٣]

فالمؤمنة تحاسب نفسها على الكلمة تخرج من فمها قبل أن تلفظها وشعارها: الكلمة تحكمنى إن خرجت من لسانى، وأحكمها إن لم تخرج. ومثلها السائر الذى تردده «لسانك حصانك إن صنته صانك وإن هنته هانك» والمثل القائل «من كثر لغطه كثر غلطه» وآيتها..﴿ **مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** ﴾ [ق ١٨]

وحكمتها حديث رسول الله ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فيلقل خيرا أو ليصمت»

ولقد صور القرآن الكلمة الطيبة بأنها كالشجرة الثابتة يفيد منها طلاب ثمارها كل حين وفى كل مكان: أليست الحكمة تخرج من فم الحكيم فتتلقفها الجماهير وتتناقلها الأجيال والأمصار، ويجنى ثمارها العالم كله جيلا بعد جيل، ويبقى أجرها للحكيم الذى أذاعها، ويتكرر له ثواب فائدتها بقدر عدد المنتفعين بها، ولهذا قال رسول الله ﷺ عن العلم وتعليمه وهو من أجل الكلمات الطيبات: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»

هذا الامتداذ للمثوبة مع امتداد العلم النافع، والكلمة الطيبة.. هو ماتعنيه الآية الكريمة.

﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء * تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ﴾ [إبراهيم ٢٤_٢٥]

أما الكلمة الخبيثة فقد حدثنا عنها بأنها غثاء ردىء لاثبات له ولاقدرة على الاستمرار، فالمذهب الخبيث والدعوات الباطلة يصورها القرآن بقوله:

﴿ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار ﴾

[إبراهيم ٢٦]

والكلمة المهذبة النافعة مظهر دال على كرم أصل القائل، وهذا هو معنى الآية الكريمة :

﴿ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ﴾ [النور ٢٦] .

يعنى بالخبيثات والطيبات: العبارات. وفى صفة المؤمن يقول الرسول عليه الصلاة والسلام **«ليس المؤمن بطعان ولالعان ولافاحش ولابذىء»**.

هذا هو الإسلام يسد باب الشقاق فى الأسرة أو القرية أو المجتمع، وهل يتناحر

الناس إلا من كلمة خبيثة.. والكذب.. والغيبة، والشتائم، والسخرية بالآخرين، كل ذلك من الخبائث، بينما إفشاء السلام، والنصيحة الرقيقة، وكلمة التوحيد، والقرآن، وترداد أحاديث الرسول، والتحدث عن الإسلام كل ذلك الكلم الطيب.

وإن التكسر بالقول من المرأة للأجنبى كلمة خبيثة.. بينما هو نفسه أمام الزوج ترفيها عنه من الكلمة الطيبة.

والمرأة التى تتسلى بالحديث المعاد إنما ترهق سامعها، فلتحذر المعاد من القول، فإيذاء الناس حرام.

إن البيت الطيب شعاره **«الكلمة الطيبة صدقة»** [1]. أ. هـ.

(١) كتاب (المرأة فى التصور الإسلامى) عبدالمتعال محمد الجبرى.- الطبعة السادسة (بتصرف).

أول قتل فى البشرية كان بسبب امرأة

.. قتل قابيل أخاه هابيل...

وكان أول من قتل فى البشرية.. مصداقا لقول الملائكة لرب العزة:

﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾

وقد ذكر أن سبب هذا القتل ،هو التنازع على المرأة، شأن بنى الإنسان فى سائر العصور!

وهذا العصر قد اتسم بإنشاء جريمة القتل ابتداء من غير سبق كما اتسم أيضا بالتطلع إلى نساء الغير.. فقد تطلع قابيل إلى امرأة هابيل ورأى أنه أولى بها منه فقتله.

وقد شاع القتل بعد ذلك، وفشا الفساد.. فشواً ذريعاً بين العباد] (1) أ. هـ.

(1) من كتاب المرأة فى شتى العصور من لدن آدم عليه السلام حتى الآن لابن الخطيب .

مهمتها الأساسية

ملاك العدل والمصلحة بين الجنسين أن تجرى الحياة بينهما فى الأمة على سنة التعاون والتقسيم لاعلى سنة الشقاق والتناضل بالمطالب والحقوق.

وليس الخلاف بينهما بالخلاف الذى ينفض بالصراع على كفاية واحدة يدعيها كلاهما فى مقام الخصومة، ولكنه خلاف على كفايتين أيهما أصلح لتلك، وإن صلح كلاهما لكفاية الآخر فى كثير من الأحيان.

فلاجدال فى استطاعة الرجل أن يعمل ماتعمله المرأة من تكاليف البيت والأسرة، ولكنه لايقضى عليه من أجل ذلك أن يدع الحياة العامة ليحل فى البيت حيث حلت المرأة من قديم الزمن ولاجدال فى استطاعة المرأة أن تشارك الرجل فى الحياة العامة، ولكنها لاتتخلى عن البيت من أجل ذلك لتزاحم على جميع أعماله، وإذا قضى اختلاف الجنسين أن يكون لكل منهما عمله الذى هو أصلح له، وأقدر عليه، فالجدال فى ذلك ذاهب فى الهواء.

نعم لاجدال فى الوظيفة المثلى التى تستقل بها المرأة، وهى حماية البيت فى ظل السكينة الزوجية من جهاد الحياة، وحصانة الجيل المقبل لإعداده بالتربية الصالحة لذلك الجهاد.

وليست هذه الحصة بأصغر الحصتين: ليس تدبير السكينة فى الحياة بأهون من تدبير الجهاد، وليس العمل الصالح لسياسة الغد بأهون من العمل الصالح لسياسة اليوم.

ولربما ضللنا الطريق فركب كل من الجنسين رأسه فى اللجاجة والشحناء: حقى وحقك، وكفايتى وكفايتك، وسلاحى وسلاحك، وانتصارى وهزيمتك على النحو الذى سبقنا إليه الغرب القديم والحديث غير محسود على سبقه.

ولكن الأمر الذى نحن منه على أتم اليقين أن ضلالنا عن الطريق سيردنا طائعين أو كارهين إلى سوائه، وأن عواقب الأخطاء سوف تصدنا عنها وتخيفنا من وبالها، ثم تستنفد شرورها وأخطارها، فلا نجهلها ولاتبقى منها بقية تسترها وتملى لمن يلج فى ضلالته أن يوغل فيها..

وإن يكن لهذا العالم خير أريد به فسيأتى الأوان المقدور الذى تسمع فيه المطالبات بحقوق المرأة بحق جديد .. ولكنه هذه المرة حقها الخالد الذى لاينازعها فيه منازع: حق الأمومة والأنوثة لاحق الرجولة المدعاة، ولاحق السباق إلى ميادين الصراع،وسلام يومئذ فى العالم الصغير عالم البيت وسلام فى العالم الكبير][1]أ.هـ.

(١) من كتاب (المرأة فى القرآن) عباس محمود العقاد .

لها صورة مكرّمة مشرقة فى الإسلام

الملل والنحل والنظم الاجتماعية المتباينة فى عصور وأقاليم شتى ترينا المرأة فى صورة الحيوان الطريد المخيف الذى ليس مجرد فاقد حق وإنما حقه الإيذاء، وفى أقل درجة وأكثرها رحمة به.. الاجتناب.

فما هى صورة المرأة فى الإسلام:

إنها صورة الجمال مقابل القبح، وصورة العدل فى مواجهة الظلم، وصورة الحب والالتقاء فى مقابل البغضاء والتدابر.. إنها صورة ارتباط على وحدة الجنس:

﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها﴾.

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾.

فهى مسكن هادىء، بل هى السكن الهادىء.. والرجل هو الحركة الدائبة الطوافة التى تنتهى فى حركتها وتطوافها.. إلى المرأة.. إلى السكن **﴿ لتسكنوا ﴾.**

ولكى يزيل الله شبهة انتقاص المرأة قّدمها فى الذكر عندما بين فضله على عباده فى هبة الأولاد، إذ قال سبحانه:

﴿ يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور ﴾ [الشورى ٤٩]

ويعلن المساواة التامة بين الجنسين:

﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيرا﴾. [النساء ١٢٤] (١) أ. هـ.

---

(١) من كتاب (المرأة فى التصور الإسلامى) عبد المتعال محمد الجبرى ط٦.

أين الأدعياء بعد هذا التوضيح.. أين المفترون الذين يزعمون أن الإسلام يظلم المرأة ويفرق بينها وبين الرجل؟!!

نرجو من هؤلاء.. وهؤلاء قبل أن يطلقوا اتهاماتهم المتسرعة المتهورة ومفترياتهم الموتورة أن يعطوا أنفسهم فرصة للتأمل والتفكير والاطلاع ومحاولة فهم الأمور على حقيقتها، ووضع الأمور فى نصابها الصحيح مع مراعاة الاعتبارات التى تحكم كل موقف على حدة.. ونحن على يقين أنهم حينما يفعلون ذلك صادقين مخلصين، ستتبدد مزاعمهم ويحل محلها يقين بأنه ما كرّم المرأة مثل الإسلام.

الحجاب لايعوقها

.. ولم يغض من قدر أم المؤمنين عائشة رضوان الله تعالى عليها أنها لم تكن سافرة، فمع الحجاب الشديد الذى كان يلفها من رأسها إلى قدميها، فقد كانت من أعلم الناس،وأفقههم، وعنها أخذ المسلمون نصف دينهم.

وقد كان من فضليات النساء فى العصر الأول: من يلجأ إليها أفاضل العلماء ويقولون: تعالوا بنا نستشير «وقاية »، فعصابتها خير من عمائمنا (١)] (٢) أ. هـ.

كأنه رد مختصر على الكارهين للحجاب.. الباحثين عن أية حجة يتبجحون بها لمهاجمته بأى صورة وبأى شكل.. ونسوا أن الحجاب أمر تشريعى صادر من المولى عز وجل ،وحاشا لله عز شأنه أن يفرض مافيه ضرر ولكن ماذا نقول فى العقول القاصرة التى لاتعى، والتى كان يجب حينما تعلم أن ذلك أمر من الله سبحانه وتعالى ألاتنطق بشىء سوى «سمعنا وأطعنا».

اللهم اهد قومى فإنهم لايعلمون.

القرآن يرفض المفاضلة بينها وبين الرجل:

[حرم القرآن تحريماً قاطعا ماكان شائعاً بين بعض قبائل العرب فى الجاهلية من تفضيل الذكور على الإناث، ومن وأد البنات وهن صغار ومن الآيات التى وردت فى ذلك قوله تعالى: ﴿ **وإذا الموءودة سئلت * بأى ذنب قتلت** ﴾

[التكوير ٨ ـ ٩].

ولفظ الموءودة من الوأد، وهو دفن الطفلة حية.

---

(١) وقاية: امرأة فاضلة عالمة، كانت بإحدى مدن ليبيا، وكان أفاضل القوم يتبركون برأيها ويستمعون لقولها.

(٢) من كتاب المرأة فى شتى العصور لابن الخطيب ط١.

أى: وإذا الموءودة سئلت على سبيل التبكيت والتقريع لمن قتلها لأى سبب من الأسباب قتلك قاتلك؟

ولاشك أنها لم ترتكب مايوجب قتلها، وإنما القصد من ذلك إلزام قاتلها الحجة، حتى يزداد افتضاحا على افتضاحه وقد حكى القرآن فى آيات أخرى ماكان يفعله بعض أهل الجاهلية من قتلهم للبنات وكراهيتهم لهن وذمهم على ذلك ذما شديدا، فقال تعالى:

﴿ **وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم** ﴾ أى وهو كئيب حزين ـ **يتوارى من القوم من سوء مابشر به أيمسكه على هون** ﴾

أى أيمسكه على هوان ومذلة

﴿ **أم يدسه فى التراب ألاساء مايحكمون** ﴾. [النحل ٥٨ـ٥٩]

هى منه .. وهو منها:

وبين سبحانه وتعالى أنه وحده الذى يملك أن يمنح لمن يشاء الذكور وأن يمنح لمن يشاء الإناث، فقال تعالى:

﴿ **لله ملك السموات والأرض يخلق مايشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور * أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير** ﴾.

[الشورى ٤٩ـ٥٠]

... فى كل مرة يتبين أن الرجل والمرأة من أصل واحد وأنهما متساويان فى طبيعتهما البشرية، وأنه ليس لأحدهما من مقومات الإنسانية أكثر مما للآخر وأنه لافضل لأحدهما على الآخر إلا بالتقوى والعمل الصالح، وأن المفاضلة بين أى رجل وأية امرأة إنما تقوم على أمور أخرى خارجة عن طبيعتهما وهى الأمور المتعلقة بالكفاية والعلم، ومكارم الأخلاق، وما إلى ذلك كما هو شأن المفاضلة بين الرجال أنفسهم بعضهم مع بعض.

وأن ماكان يفعله أهل الجاهلية من كراهيتهم للإناث ومن قتلهن صغارا، هو من

أفحش الفواحش، وأقبح القبائح، وأنكر المنكرات.. وأن منح الإناث فقط أو الذكور فقط.. أو الجمع بينهما مرده إلى الله وحده ولامدخل لمشيئة البشر فى ذلك.

ولقد جاءت أحاديث النبى ﷺ فأكدت هذه الحقيقة وهى أن المرأة من الرجل، والرجل من المرأة، فقال ـ كما جاء فى الحديث الشريف الذى رواه الإمام أحمد والترمذى عن عائشة ـ « **إنما النساء شقائق الرجال** »، وأمر ﷺ بإكرام النساء فى أحاديث كثيرة، ومن ذلك ماجاء فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **استوصوا بالنساء خيراً** » وروى الحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « **ما أكرم النساء إلا كريم، وما أهان النساء إلا لئيم** »، وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: « **من ابتلى أى اختبر من هذه البنات بشىء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار** » (1) أ. هـ.

رد آخر جديد.. واضح.. حاسم .. قاطع على الذين يدعون أن الإسلام فرق بين الرجل والمرأة وظلم المرأة لصالح الرجل..

فماذا بعد هذا البيان الناصع ؟!!

وماذا بعد الحق إلا الضلال ؟!!

---

(1) من كتاب المرأة فى الاسلام . الجزء الذى كتبه د. محمد سيدطنطاوى بتصرف طفيف .

مال المرأة

أموال الزوجة ملك خاص لها، وأهليتها كاملة من حيث التصرف فيها.. والإنفاق على الأسرة مسئولية الزوج:

جعل التشريع الإسلامى أموال الزوجة أياما كان مصدرها ملكا خالصا لها، لاحق فيها لأحد، كما جعلها منفصلة تمام الانفصال عن أموال زوجها. فالزوجية فى نظر الشريعة الإسلامية لاتقضى باتحاد مال الزوجين، ولا باختلاط مال الزوجة بمال زوجها اختلاط شركة وكل منهما أجنبى عن مال الآخر، وكما قرر التشريع الإسلامى هذا أثبت للزوجة أهلية كاملة كأهلية زوجها فليس له عليها بسبب هذه الزوجية ولاية على أموالها ولا إشراف على تصرفاتها المالية.

فالمهر الذى وجب للزوجة بعقد الزواج حق خالص لها فإن شاءت احتفظت به لنفسها.. وإن شاءت أنفقته فى أمورها الأخرى وإن شاءت وهبته لمن تريد: لزوجها أو لبعض أهلها أو لغير هؤلاء، وأى شىء فعلت من ذلك فلاحرج عليها فيه.

وليس للزوج ولالغيره أن يحملها فى هذا على أمر معين، ولا أن يتدخل فى شأنها، وماجرى به العرف من إنفاق هذا المهر أو إنفاقه هو وأضعافه فى شئون الجهاز، ليس عرفا ملزماً ،ولايقوى على تغيير هذه الأحكام التى يجب العمل بها كائنا ماكان أمر هذا العرف.

وإذا كانت الزوجة موسرة، فلاحق لزوجها فى شىء من هذا المال، وليس له أن يطالبها بالإنفاق منه عليه أو على نفسها أو على أولادها فيما هو واجب عليه، وليس واجبا عليها مهما كانت حال الزوج المالية مادام قادراً على القيام بهذا الواجب.

وإن استجابت لهذا الطلب راضية أو أقدمت على القيام بهذا الإنفاق أو بما هو فوقه من تلقاء نفسها كانت بهذا الصنيع موسعة على أسرتها، وبارة بزوجها

وبأولادها، وكان لها أجر هذا البر ومثوبة تلك الصلة، وكانت فى هذه الحالة متبرعة تبتغى رضا الله وهناء أسرتها، ليس لها أن ترجع يوماً بما أنفقت وإن تبدلت الأحوال وانعكس أمر العسر باليسار.

وقد يأخذ الزوج حلى زوجته، وهدايا العرس بعد فترة من الزفاف ويتصرف فيما اجتمع لديه منها. إما بالاتجار فيه أو بإنفاقه فى إصلاح شئونه أو فى قضاء دينه أو فى شراء مايريد من ورائه.. إلخ ،وهذا التصرف ليس تصرفا منه فيما هو مال له.. ولاحق له فى هذا التصرف إلا بموافقة منها، فإن أقدم عليه كرهاً كان غاصبا ظالما.

وإذا أقام الزوج مع زوجته فى مسكنها المملوك لها أو الذى تملك منفعته بطريق من الطرق، كان هذا منها تبرعاً غير لازم شرعا، وكان لها أن تطالبه بالانتقال بها إلى مسكن آخر أو بدفع أجرة المسكن الذى يقيمان فيه، فيما يستقبل من الأوقات، ولكن ليس لها أن ترجع عليه بهذا الأجر فيما مضى قبل ذلك من الزمن.

والجهاز الذى تزف به الزوجة إلى بيت زوجها خالص ملكها ودخولها به فى بيته لايكسبه أى حق فيه، فليس له أن يتصرف فيه أى تصرف بدون إذنها، فليس له أن يبيعه، ولا أن يستبدل به، ولا أن يغيره أو شيئاً منه وإن اشترى شيئاً بماله ليكون محل الذى بلى كان ملكه هو . اللهم إلا أن يشتريه لها، أو يملكها إياه بعد شرائه فيكون ذلك منه هبة لها وليس عوضاً عما بلى من جهازها، وأصابه التلف، ولاقياماً بشيء كان واجباً عليه.

ومايجرى عليه الناس فى خصوماتهم من المطالبة بقيمة الجهاز الواردة بقائمته، وهى قيمته جديداً قبل الاستعمال من غير نظر إلى ما آل إليه أمره وما طرأ عليه بعد الاستعمال العادى المأذون فيه ليس من الفقه فى شيء.

وإذا كانت الزوجة بالغة عاقلة رشيدة، كانت لها أهلية كاملة كأهلية أمثالها من الرجال، فليس لزوجها أية ولاية على شيء من أموالها، ولا أية رقابة على تصرفاتها، فلها أن تتملك بجميع أسباب الملكية من غير توقف على إرادة زوجها، ولا انتظار

لرأيه ومشورته، فإن شاءت فعلت وإن شاءت تركت، ولها أن تتصرف فى أموالها بأهليتها الكاملة فى الحدود المشروعة رضى زوجها أو كره، وليس لزوجها أن يتصرف أى تصرف نيابة عنها ولا أن يمثلها فى تقاضٍ أو سواه إلا بتفويض منها أما الزوجية فإنها لاتكسبه شيئاً من الحق فى ذلك، والزوجة فى كل هذا لاتصدر إلا عن إرادتها ورأيها، وماتمليه عليها العلاقات والروابط التى ترى أن تراعيها طائعة مختارة.

وإذا لم تكن الزوجة كاملة الأهلية. أو لم تكن لها أهلية أصلاً فلا ولاية للزوج على أموالها بسبب هذه الزوجية. وإنما الولاية عليها لأبيها أو لوَصيِّه، أو لجدها والد أبيها أو لوصيه الذى تعينه المحكمة] [1]. أ. هـ.

(١) (الأسرة فى التشريع الإسلامى) محمد أحمد فرج السنهورى (بتصريف).

أعمالها كزوجة وأم..تعدل فى الطاعة
أعمال الرجال المجاهدين

لما كتب الجهاد على الرجال قالت النساء: لقد فاتتنا تبعات الجهاد وأجره ولو كتب علينا القتال لقاتلنا، وذهبت وافدة النساء تقول له عليه الصلاة والسلام: إنى رسول النساء إليك، ومامنهن امرأة علمت أو لم تعلم إلا وهى تهوى مخرجى إليك، الله رب الرجال والنساء وإلههن. وأنت رسول الله إلى الرجال والنساء، كتب الله الجهاد على الرجال، فإن أصابوا أثروا وإن استشهدوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون فما يعدل ذلك من أعمالهم من الطاعة؟

فأرشدها عليه الصلاة والسلام إلى أن أعمال المرأة كزوجة، وأعمالها كأم، تعدل فى الطاعة أعمال الرجال المجاهدين فى سبيل الله.] (١) أ. هـ.

وتأمل معى قوله سبحانه وتعالى:

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾. [الروم ٢١]

إن هذه الآية تدلنا بقوة على قيمة الزوجية، وانظروا معى كيف عبرّ المولى عز وجل عن عملية «الخلق»..و«السكن» و«المودة والرحمة» بأنها آيات لقوم يتفكرون.. ولا يخفى ما فى ذلك من تقدير كبير لدور الزوجة.

أما بخصوص أعمال المرأة كأم فقد كرمها سبحانه وتعالى وأعلى من قيمتها ومركزها بصورة لم يسبق لها مثيل، يتبين ذلك من قوله تعالى:

﴿ فلا تقل لهما أف ولاتنهرهما وقل لهما قولا كريما * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا﴾.

[الإسراء ٢٣_٢٤]

---

(١) (الأسرة فى التشريع الإسلامى) محمد أحمد فرج السنهورى (بتصريف).

وانظر إلى قوله تعالى:

﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير ﴾ [لقمان ١٤]

.. التوصية هنا بالوالدين لكنه عندما جاء بالحيثيات ذكر حيثيات الأم مما يدل على سمو مكانتها.. وهناك من الآثار الإسلامية مالا حصر له يدور حول أهمية دور الأم وعظمته الفائقة.

المساواة فى التكاليف الشرعية

لقد ساوى القرآن الكريم بين الرجل والمرأة فى التكاليف الشرعية ..وكثيراً مانرى القرآن الكريم يجمع بين الرجال والنساء فى التكاليف الشرعية وفى الأوامر الدينية، وفى الثواب على الإحسان، وفى العقاب على المعصية، وفى توجيه الخطاب إليهما. ومن الآيات القرآنية التى تدل على ذلك مايأتى:

قال تعالى:

﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ [الأحزاب ٣٥]

فهذه الآية الكريمة قد اشتملت على عشر فضائل جمع الله تعالى فيها بين الرجال والنساء، وبيّنَ أن الثواب العظيم كائن لمن يتحلى بها، سواء أكان من الذكور أم من الإناث.

وقال تعالى: **﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون ﴾** [النمل ٩٧]

وقال سبحانه: **﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم* وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى**

جنات عدن ور ضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم ﴾ [التوبة ٢١_٧٢]

«ذلك هو الفوز العظيم» أى: ذلك الذى وعد الله تعالى به المؤمنين والمؤمنات هو الفوز العظيم الذى لايقاربه فوز ولايدانيه نعيم ولايسامى شرفه شرف.] [(١)] أ. هـ.

هذا وقد اتفقت كلمة العلماء على أن كل خطاب موجه للرجال من جهة الشارع الحكيم هو موجه أيضا إلى النساء إلا مانص فيه على خصوصية الرجال به أو منع مانع من عمومه للجنسين واشتهر هذا بين العقلاء حتى صار معلوما من الدين بالضرورة.] [(٢)] أ. هـ.

(١)، (٢) من كتاب (المرأة فى الإسلام) الشيخ محمد الغزالى ،وآخرون (بتصرف) .

أحكام النظر

قال سبحانه وتعالى: ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منهاوليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ماملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولايضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** ﴾ [النور ٣٠_٣١]

أى قل أيها الرسول الكريم للمؤمنين أن يمنعوا أعينهم من النظر عما يحرم أو يكره النظر إليه وأن يحفظوا فروجهم عما لايحل لهم فإن ذلك الذى كلفناك بأمر المؤمنين به أزكى لقلوبهم وأطهر لنفوسهم وأنفع لهم فى دنياهم وآخرتهم ونحن لايخفى علينا شيء من تصرفاتهم وسنحاسبهم على مايصنعون فى دنياهم يوم القيامة.

ثم أرشد سبحانه إلى النساء ما أرشد إليه الرجال فقال: ﴿ **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن إلا ماظهرمنها** ﴾.

أى وقل أيها الرسول للمؤمنات أيضا بأن من الواجب عليهن أن يكففن أبصارهن عن النظر إلى مالايحل لهن وأن يحفظن فروجهن عن كل مانهى الله عنه ولايظهرن شيئا مما يتزين به إلا ماجرت العادة بإظهاره كالوجه والكفين.

ومع أن النساء يدخلن فى خطاب الرجال على سبيل التغليب إلا أن الله تعالى خصهن بالخطاب هنا بعد الرجال لتأكيد الأمر بغض النظر وحفظ الفرج ولبيان أنه

كما لايحل للرجل أن ينظر إلى المرأة إلا فى حدود ماشرعه الله فإنه لايحل للمرأة أيضا أن تنظر إلى الرجل إلا فى الحدود المشروعة، لأن علاقته بها كعلاقتها به ومقصدها منه كمقصده منها ونظرة أحدهما للآخر على سبيل الفتنة وسوء القصد - تؤدى إلى الشرور والآثام. وقوله تعالى: ﴿**وليضربن بخمرهن علي جيوبهن**﴾ بيان لكيفية إخفاء بعض مواضع الزينة بعد النهى عن إبدائها.] [1] أ. هـ.

هكذا إذن تكتمل حلقات صيانة المجتمع، وتهيئة البيئة الصالحة لكى تنمو العفة وتترعرع فى جو نظيف طاهر.

فالرجل محرم عليه النظر إلى المرأة نظرة اشتهاء ،كذلك المرأة لم يترك الدين حبلها على الغارب.. بل أمرها أيضا أن تغض من بصرها، وتحتشم، وتحكم زينتها، وتسيطر عليها سيطرة تامة، فلايظهر منها لأجنبى شيء.

هكذا يعلمنا الإسلام.. وهكذا يقدم لنا مجتمع الطهارة الذى به ننجو ،بإذن الله،من مهلكات يعانى منها المجتمع الغربى أشد المعاناة، ويبذل الجهود المضنية المستميتة للتخلص منها دون جدوى.

الحجاب لها أصْوَن

[أما الحجاب الذى كثر فيه اللغط كما كثر فيه الغلط، فالقرآن لم يتعرض له إلا بمقدار مايحق لكل مجتمع سليم أن يتعرض لحياطة الأخلاق والأعراض، لأن شهوات الجنس أخطر من كثير من الأضرار التى تحتاط لها الجماعات البشرية بالحد من الحرية فى بعض الأحوال، وقد سمحت القوانين بالحد من الحرية فى سبيل تأمين الأموال، وحراسة الطرق والمواصلات ووقاية السابلة من أخطار المركبات والسيارات فمن السخف أن يقال: إن الفرد يحظر عليه الانطلاق على هواه فى شئون كهذه ويباح له أن ينطلق فى أهواء الشهوة الجنسية بغير ضابط من قبيل الحيطة والرقابة التى لاتعوقه عن مباح.

وإذا رجعنا إلى نصوص القرآن لم نر فيها مايحرم على المرأة شيئا لايجب على

(١) المرجع السابق .

القانون أن يحرمه فى أحدث المجتمعات.

فلايجوز للمرأة أن تتبرج تبرج الجاهلية الأولى، وفصلت آية الحجاب ذلك فى سورة النور فجاء فيها:

﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن إلا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولايبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أوماملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولايضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ [النور ٣١]

وفحوى ذلك أن المرأة لايجوز لها أن تخرج بزينة جسدها لتتصدى للغواية بين الغرباء، فهى فى حل بعد ذلك أن تلقى من تشاء ممن تجمعها بهم مجالس الأسرة من الرجال أو النساء.

وما من عقل سليم يرى أن الشرائع تتخطى حدودها حين تعرض لمنع التبذل والغواية على هذا النحو الصريح، ومامن عقل سليم يبدو له أن حراسة الأعراض والأخلاق بمثل هذه الحيطة فضول من الشرائع والقوانين، أو تصرف لانظير له فى المجتمعات البشرية التى تتكفل بحراسة الأموال والأرواح.

فلافائدة للرجال ولا للمرأة ولا للأمة فى جملتها من هذا الرياء الذى يجزم باستحالة الأخطاء الشهوانية حين تستثار بغواية الزينة المكشوفة، وهو فى الوقت نفسه لاينزه النفس البشرية من سرقة الدراهم والسلع إذا عرضت بغير حيطة لكل من يمد إليها يديه.. ومن حاول التفرقة بين الأمرين بالتفرقة بين الطمع فى جماد، والطمع فى مخلوق إنسانى يؤكد ضرورة الحيطة هنا من حيث يريد أن يبطلها أو يضعفها.. لأن الخطر الذى تلتقى فيه الرغبة من الجانبين أولى بالحيطة من خطر مقصور على

رغبة السارق دون الجماد المسروق.

ولعل الغربيين قد لمسوا من أضرار الإباحة المطلقة فى مقابلات الجنسين مايميل بهم إلى الصواب فى مسألة (الحجاب) فيفهموا الحكمة فى الاعتدال بين الإباحة المطلقة، والقسر الشديد فى هذه المسألة التى لايغنى فيها الرياء عن الحقيقة،ويدركوا أن أخطار الشهوات الجنسية شيء يحسب له حساب فى الشرائع والآداب لأنه حساب الأعراض والأنساب.

وخير مايطلب من الشريعة عدل وصحة تقدير.. ونحن لانلتزم العدل ولاصحة التقدير حين نتجاوز بالكائن الحى طبيعته فى حقوقه وواجباته، أو حين نطلب من الطبيعة مالا يستطاع.] (١) أ. هـ.

تبرجها يعرض المجتمع لانهيار أخلاقى

يقول الأستاذ محمد عبدالله الهمشرى فى كتابه (سورة النساء):

[وضع الإسلام قواعد للمحافظة على سلامة المجتمع وصونه من الانهيار الخلقى ومن تلك لقواعد.

أ ـ غض البصر.

ب ـ النهى عما يدعو إلى الفتنة وإثارة الشهوة مثل: إعلان الفحش وإظهاره بالتحدث عنه، وقد نهى رسول الله فى قوله: «كل أمتى معافى إلا المجاهرون» وإن من المجانة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول يافلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه» وجاء النهى عن التحدث بالسوء فى كثير من الآيات: ﴿**لايحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما**﴾ [النساء ١٤٨]

ومثل إبراز جسم المرأة وإبداء مواضع زينتها وهذا شيء يحرك الشهوة فى نفس الرجل ويثيره، وقد يرهبه القانون فلايعتدى عليها، ولكن الشهوة إذا أثيرت فمن

(١) من كتاب الفلسفة القرآنية. عباس محمود العقاد.

المتعذر أن تخمد حتى تقضى وطرها وهنا المنزلق.

الدافع موجود:

والهدف بعيد:

فلابد من الحيلة وألف حيلة تتفتق عنها عبقرية الرجل فى إشباع غريزة أصيلة فيه ولن تجد من هذه الحيل الزواج، فالزواج عمل شريف يتم فى تؤدة ولغايات بعيدة.

ولهذا قال تعالى:

﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون * وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن إلا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولايبدين زينتهن إلا لبعولتهن ﴾. [النور ٣٠، ٣١]

مغالطـــــــة:

وقد ناقشت أكثر من فتاة وسيدة فى خروجهن سافرات متبرجات.. فالتقت آراؤهن عند: أن المهم سلوك المرأة وبعدها عن الفاحشة فإذا تجنبت الفاحشة والخلوة بالرجال فما عليها فى إظهار مفاتنها.

وقلن: كم من امرأة ملفوفة فى ملاءة وقد فعلت الأفاعيل!.

وهذه حيلة تدافع بها المرأة عن نفسها، ولكنها حيلة تنطوى على مغالطة وفساد كبير.

إذا كانت المسألة ترجع إلى السلوك فالسفور والتبرج كما نرى فى الشارع وفى الأماكن العامة سلوك سيىء يخالف الدين ويثير الفتنة، وفى الحديث [1]: **«وشر نسائكم المتبرجات المتخيلات» و « أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية».**

وإذا لم ينل السفور،والتبرج من حصانة النساء فسوف ينال حصانة الشباب والرجال

(١) جـ١ من الجامع الصغير للسيوطى.

فالشهوة مركوزة فى الفطرة وليست شيئا عارضا.

والمرأة عضو فى المجتمع ومسئولة عن سلامته وصون أخلاقه وعفته، شأنها فى ذلك شأن الرجل.

﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ [التوبة]

والمرأة التى جرؤت وسهل على نفسها أن تعرض جسمها ومفاتنها على الناس فى ثياب رقيقة ضيقة تكشف أكثر مما تستر يسهل عليها غير ذلك من الموبقات.

وفى ضوء هذه القواعد التى وضعها الإسلام للمحافظة على المجتمع من الانهيار الخلقى نقول: إن خروج المرأة للسعى على الرزق عاملة وموظفة و..... جائز بشرطين:

الأول: أمن الفتنة.

الثانى: وجود الضرورة إلى السعى. فقد قال رسول الله ﷺ (١) : **«ليس للنساء نصيب فى الخروج إلا مضطرة.. إلا فى العيدين: الأضحى والفطر وليس لهن نصيب فى الطرق إلا الحواشى»**.

فإذا لم تؤمن الفتنة ولاضرورة عندها للسعى فأولى لها بيتها

﴿ وقرن فى بيوتكن ﴾ [الأحزاب]

وقياسا على خروجها للصلاة فى المسجد مع أمن الفتنة فأولى لها أن تصلى فى بيتها. قال رسول الله ﷺ : **«لأم حميد وقد جاءت إليه تقول: يارسول الله إنى أحب الصلاة معك، فقال: قد علمت وصلاتك فى حجرتك خير لك من صلاتك فى مسجد قومك وصلاتك فى مسجد قومك خير لك**

---

(١) ج٢ من الجامع الصغير للسيوطى ص ٣٩٧.

المفاهيم الخطأ التى انتشرت بين كثيرين بحسن نية. وأحياناً كثيرة بسوء نية وخاصة بين الحاقدين على الحشمة والحجاب الذين لايريدون إلا التبرج والفساد والخلاعة والانحلال.. الذين يحبون أن تشيع الفاحشة بين الناس، وأن يميل المجتمع ميلا عظيما.

ولكن هاهى كلمات الحق تنطلق مدوية فى أذن الباطل لتصعقه، وتدمغه فاذا هو زاهق.

ونظراً لأهمية تلك النقطة وحرصنا على أن يهضمها المسلم اليقظ الواعى هضماً جيدا، نلقى مزيداً من الضوء فنقدم هذه الآراء إضافة إلى ماسبق:ـ

والمرأة المسلمة عفيفة القلب، فهى لاتطمع فى أن ينظر إليها أحد سواء كان صالحاً أو طالحاً، بل تكره أن يتطلع إليها الرجال كما قالت فاطمة لأبيها محمد عليه الصلاة والسلام حين سألها: أى شيء أحب إلى المرأة؟ فقالت: « ألا ترى رجلا وألايراها رجل» فضمها إلى صدره مسرورا، وقرأ قوله تعالى:

﴿ **ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم** ﴾. [آل عمران ٣٤]

وقد وصف البخارى صورة المسلمة تحترس من رؤية الناس لها فى طريقها ، من وإلى المسجد ـ فروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت :« لقد كان رسول الله ﷺ يصلى الفجر فيشهد معه نساء من المؤمنات متلفعات فى مروطهن [١] ثم يرجعن إلى بيوتهن مايعرفهن أحد »

..... وقد أوصد الإسلام الذريعة إلى الزنا، وانتشار الانحلال وذلك بتحريم التبرج وهو كشف المرأة عن مفاتنها واستثارة الرجل بحديث متكسر، أو نظرة خائنة، أو حركة مثيرة، أو ثياب داعية إلى التفكير فى خيانة الشرف، كالثياب الكاسية العارية أى الشفافةأو التى تكسو الجسم ولكنها تجسم كل أعضائه حتى لكأن المرأة عارية.

وفى الحديث الشريف: « **سيكون فى آخر أمتى رجال يركبون على**

---

(١) المرط الملحفة أو الإزار أو الثوب الأخضر وهو ثوب كالشال الكبير يغطى الرأس والجسم.

السروج كأشباه الرجال ،كأنه يشير إلى السيارات ، **ينزلون على أبواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف العنوهن فإنهن ملعونات»** أخرجه أحمد ٢: ٢٢٣ والطبرانى فى الصغير ص ٢٣٢ وصححه الحاكم ٤: ٤٣٦.

والحق أن التبرج عندما حرمه الإسلام أنقذ بتحريمه المجتمع من الدعارة والتهيج الجنسى.

إن التهيج الجنسى يشل الفكر الرفيع والمنتج شلاً كليا أو جزئياً حال التهيج وبعده مدة تطول أو تقصر ،حسب قرب المثير أو بعده ، وحسب ضعف الشخص وضواغط الحياة، فالقطار يزدحم بالركاب من الجنسين وتتلاصق أجساد وتتقارب أنفاس كان يجب تباعدها، فتهيج الغرائز حتى إذا مابلغ كل عمله بدأه مشتت الذهن فقد ترك شطر عقله بالقطار، إن الهدوء العاطفى الذى كان يتطلبه العمل ليلقى المدرس درسه بين طلابه بعد استجماع المادة العلمية فى ذهنه، أو ليستجمع الطالب أعصابه وذاكرته أو ليرسم الموظف خطته لإنجاز عمله قد انتهى، هذه ظاهرة ترينا أثر التهيج على طبيعة الإنتاج.

... إن الثورة عندما تنشب لابد أن تندلع فتقيم الساكن.. أو تقعده ويستحيل تسكين الثائر بهوادة حتى يشبع جانباً من رغباته.

ولقد كان منطقياً جداً تحريم الاختلاط والتبرج.. وقد لوحظ فشل كثير من الطلاب والطالبات نتيجة مالديهم من مثيرات.

ولوحظ أن المتفوقين فى الجامعة غالبا مايكونون من الريف الذى لاتبرج فيه أو من الشباب المتدين. وأحيانا من المتزوجات بالرغم من أعباء أولادهن، ولذا أخذ رئيس وزراء إنجلترا الآن يدعو إلى الفصل بين الجنسين فى كل مراحل التعليم.

وفى المدن الكبرى بأمريكا مثل نيويورك قامت منظمة نسائية لليهود عملت على الفصل بين الرجال والنساء فى الأحفال والأماكن العامة ورفضت فتاة يهودية مصافحة صديق أخيها قائلة: أن الدين يحرم أن يمس يدها أجنبى [1]. هذا هو

(١) مجلة آخر ساعة: عدد ٢٥ فبراير ١٩٧٨.

منطق العلم والتدين فى الغرب ولم يهاجم هذا أحد هناك....

إن التهيج الجنسى أوجد تنظيم الدعارة، ومنها انتشرت الأمراض السرية المعدية التى جعلت الجيش الفرنسى مثلاً يتخفف من الشروط الصحية اللازمة لقبول الشباب فى الجندية، والتساهل فى شروط اللياقة العسكرية كل بضع سنوات ، بترك شرط وراء شرط ، مظهر دال على ما أصاب الشباب ، درع الأمة الواقى من الضعف..

وقد أصيب بهذه الأمراض ٩٠٪ من الشعب الأمريكى.

ومادامت الإثارة عامة فى كل مكان بالشارع والمدرسة فقد أصبح البحث عن الإشباع فى كل مكان وفى المدارس التى يكون طلابها من نوع واحد أصبح سبيل الإشباع اللواط أو (العادة السرية) بين الذكور، أو السحاق بين الفتيات مما كانت نتيجته اعتياد الإشباع بهذه الوسيلة وكراهية الوسيلة الطبيعية] [١] أ. هـ.

....

والآن ـ عزيزى القارىء ـ ونحن بصدد نقطة «تبرجها يعرض المجتمع لانهيار أخلاقى» أحب أن أقدم لك مفاجأة كبرى تتعلق بهذه النقطة.. هذه المفاجأة هى:

تراجع قاسم أمين :

«أدركت خطر دعوتى.. وأحمد الله أن خذلها..»

[هذا الاعتراف لقاسم أمين.. وهو أول من دعا فى مصر إلى «تحرير المرأة» تحريرها من عبوديتها لله إلى عبوديتها للشيطان والنفس الأمارة بالسوء كما قال ابن القيم رحمه الله.

هربوا من الرق الذى خلقوا له
فبلوا برقّ النفس والشيطان

وبعد سبع سنوات من إعلانه لدعوته ونشرها بين الناس، تنصّل من آرائه ورجع عن دعوته واعترف قائلا:

« لقد كنت أدعو المصريين قبل الآن إلى اقتفاء أثر الترك بل الإفرنج فى (تحرير

(١) من كتاب «المرأة فى التصور الإسلامى» عبدالمتعال محمد الجبرى.

نسائهم) وغاليت في هذا المعنى حتى دعوتهم إلى تمزيق الحجاب، وإلى إشراك النساء في كل أعمالهم ومآدبهم وولائمهم، ولكن ... أدركت الآن خطر هذه الدعوة بما اختبرته من أخلاق الناس، فلقد تتبعت خطوات النساء في كثير من أحياء العاصمة والإسكندرية لأعرف درجة احترام الناس لهن، وماذا يكون شأنهم معهن إذا خرجن حاسرات فرأيت من فساد أخلاق الرجال بكل أسف ماحمدت الله على ماخذل من دعوتي واستنفر الناس إلى معارضتي، رأيتهم مامرت بهم امرأة أو فتاة إلا تطاولوا إليها بألسنة البذاءة، ثم ماوجدت زحاما في طريق فمرت به امرأة إلا تناولتها الأيدي والألسن جميعا ».

إلى آخر ماذكره.. كان ذلك قبل وفاته بعامين، وقد نشر هذا الاعتراف في جريدة الطاهر «أكتوبر ١٩٠٦ » [١] فماذا يقول أدعياء تحرير المرأة اليوم؟؟

ومن طريف مايروى في ذلك أن المؤرخ الإسلامي «رفيق العظم» أراد أن يثبت لقاسم أمين فشله في دعوته بطريق عملي، فطرق منزله يوما فلمارآه الخادم أسرع وأخبر قاسم أمين الذى خرج لاستقباله، فقال رفيق العظم: أنا في هذه المرة جئت لزيارة حرمكم لأتحدث معها في بعض المسائل الاجتماعية.

وعندما استنكر قاسم أمين طلبه أجابه رفيق العظم متعجبا.. كيف تدعو لشيء وتمنع أهلك منه؟ إذن فأنت تدعو الأمة إلى غير ماتريد لنفسك؟!

فقال قاسم أمين: إن زوجتي تلقت تربيتها «وعاداتها» عن والديها وهي لم تألف ما أدعو إليه.. فضحك رفيق العظم وقال: كلنا هكذا والخير في ذلك، وتهذيب المرأة لا يتوقف على لقائها بالرجل ،وقد أردت أن أبرهن لك على أن ما تدعو إليه يمجه الناس جميعا حتى أهل بيتك [٢] .

ونحن نقول لأدعياء تحرير المرأة اليوم ماقاله رفيق العظم رحمه الله: هل ترضون لنسائكم وبناتكم ماتدعون إليه، وترضونه لنساء العالمين من التبرج والسفور والانحلال

(١) المجلة العربية ـ العدد ١٣٧.
(٢) انظر «المرأة المسلمة أم التحديات» لأحمد الحصين نقلا عن مجلة الدعوة المصرية عدد ٨.
(٣) من كتاب «اعترافات متأخرة» محمد عبد العزيز المسند ـ الطبعة الاولى.

وهذا اعتراف للكاتبة المشهورة «غنيمة المرزوق» رئيسة تحرير مجلة (أسرتى) تتحدث لبنات جنسها بصراحة فتقول:

[« عيب إنت بنت » كلمة سمعناها كثيراً فى طفولتنا.. ورددتها أغلب العجائز آنذاك.

كنا نرى « الولد » يحظى بكل أنواع المتعة من مأكل وملبس ولعب وسيارات.. إلخ. كان قلبنا يحترق.. نريد أن نلعب بـ(الفريج) ولكن (الحكّارة) لنا بالمرصاد، إلخ كلمة عيب.. عيب..

كان كل شيء عيبا، ولانعرف مامعنى « عيب ».. ببراءة الطفولة سألت جدتى « كيف أصبح رجلا؟! ».. فردت بدهاء (حبىٍّ كوعك) (١) حاولنا مراراً .. دون جدوى.

كبرنا وكبرت آمالنا وتطلعاتنا، نهلنا كل شيء.. نهلنا من العلم والمعرفة مايفوق الوصف.. أصبحنا كالرجال تماماً.. نقود السيارة. نسافر إلى الخارج.. نلبس البنطلون!! ارتدينا الماكسى الشبيه بالدشداشة والحجاب الشبيه بالغترة، أصبح لنا رصيد فى البنك، أصبح لنا رجل يحمينا ويعطينا كل شيء دون « فرقة » أو « نجرة ».. وصلنا إلى المناصب القيادية و « اختلطنا » بالرجال، ورأينا الرجل الذى أخافنا فى طفولتنا.. أصبحنا نحن النساء: رجالا ،وبدأت تعترى أجسادنا الأمراض، وأصبنا كما يصاب الرجل نتيجة تحمل المسئولية بـ (السكر وتصلب الشرايين).. بدأ الشيب يغزو الشعر الأسود.. وبدأ الشعر الكثيف الذى « كأنه ليل أرخى سدوله » بالسقوط.. وبدأت « الصلعة » تظهر نتيجة التفكير والتأمل والذكاء!!

الرجل كما هو.. والمرأة غدت رجلاً تشرف على منزلها وتربى أطفالها وتأمر خدمها.. وتقف مع المقاولين وتقابل الرجال فى العمل.. إلخ.. وكثرت هذه الأيام ظاهرة « العقم عند النساء » وعن سؤال وجه لاختصاصى كبير فى الهرمونات قال:

(١) اى قبلية وهو كناية عن الشئ المستحيل.

البيئة!!.. هذه حقيقة ذكرها طبيب عريق في مجال « العقم » وبعد أن نلنا كل شيء.. وأثلجت صدورنا انتصاراتنا النسائية على الرجال في الكويت، أقول لكم بصراحتي المعهودة:-

(ما أجمل الأنوثة) وما أجمل المرأة.. المرأة التي تحتمي بالرجل ويشعرها الرجل بقوته ويحرمها من (السفر وحدها) ويطلب منها أن تجلس في بيتها.. تربي أطفالها وتشرف على مملكتها وهو (السيد) القوي.

نعم أقولها بعد تجربة.. أريد أن أرجع إلى (أنوثتي) التي فقدتها أثناء اندفاعي في الحياة والعمل.

إن الذكاء (نقمة) في بعض الأحيان، وأغلب الأمراض الحديثة نتيجة ذلك.. وماأجمل الوضع الطبيعي لكل شيء.

لقد انفتح المجال أمامنابشكل (أتعبنا جميعا).. الآن.. ولو تيسر لنا فعلاً وبالآلات الحديثة (حبة الكوع) فلن أفعل هذا العمل إطلاقا.. ولن أخبركم بالسر، ولكن سأحتفظ به لنفسي(١) .

هذا ماقالته تلك الكاتبة المشهورة، وهو كلام رائع جميل من امرأة مجربة، تدرك ماتقول، فياليت نساءنا وبناتنا يدركن ذلك جيدا، ويعرفن قدر أنفسهن وماخلقن من أجله وإلا فإن أنوثتهن في خطر..] (٢) أ. هـ.

....

«امنعوا الاختلاط وقيدوا حرية الفتاة».

[هذا اعتراف للصحفية الأمريكية «هيلسيان ستانسبرى» وهي صحفية متجولة تراسل أكثر من ٢٥٠ صحيفة أمريكية. لها مقال يومي يقرؤه الملايين عملت في الإذاعة والتليفزيون والصحافة أكثر من عشرين سنة وزارت جميع بلاد العالم.

(١) المجلة العربية - العدد ١٤٣.

(٢) من كتاب (اعترافات متأخرة) محمد بن عبدالعزيز المسند. الطبعة الأولى.

زارت المدارس والجامعات ومعسكرات الشباب والمؤسسات الاجتماعية فى القاهرة وفى ختام زيارتها سجلت هذا الاعتراف:

«إن المجتمع العربى « المسلم » كامل وسليم، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التى تقيد الفتاة والشباب فى حدود المعقول، وهذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوروبى والأمريكى فعندكم أخلاق موروثة تحتم تقييد المرأة وتحتم احترام الأب والأم وتحتم أكثر من ذلك: عدم الإباحية الغربية التى تهدد اليوم المجتمع والأسرة فى أوروبا وأمريكا، ولذلك فإن القيود التى يفرضها مجتمعكم على الفتاة، صالحة ونافعة، لهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم.. امنعوا الاختلاط وقيدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب، فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوروبا وأمريكا.

امنعوا الاختلاط فقد عانينا منه فى أمريكا الكثير.. لقد أصبح المجتمع الأمريكى مجتمعاً معقداً مليئاً بكل صور الإباحية والخلاعة.. وإن ضحايا الاختلاط والحرية يملؤون السجون والأرصفة والبارات والبيوت السرية، إن الحرية التى أعطيناها لفتياتنا وأبنائنا قد جعلت منهم عصابات أحداث وعصابات للمخدرات والرقيق.

إن الاختلاط والإباحية والحرية فى المجتمع الأوروبى والأمريكى قد هدّد الأسرة وزلزل القيم والأخلاق ».

انتهى كلامها وهو كلام واضح من امرأة مجربة نسوقه إلى دعاة الاختلاط وإلى فتياتنا المخدوعات فى كل قطر من أقطارنا الإسلامية فهل من مدّكر ؟!] (١) أ. هـ.

....

«قروية ساذجة فى حجرها طفل.. أفضل للأمة وأنفع للبلاد من ألف نائبة وألف محامية»

وهذا اعتراف لأستاذة مصرية اسمها «عزيزة عباس عصفور» تعليقا على قرار أصدره وزير العدل المصرى بتعيين بعض النساء حقوقيات فى نيابات الأحداث، فقالت:

---

(١) المرجع السابق.

لو كانت الخطوة التى خطاها وزير العدل بتعيين « الحقوقيات » فى نيابات الأحداث كسبا للمرأة لكنت أول من تدعو الله أن يبارك للمرأة فيها، أما وإنى ممن خرجتهن كلية الحقوق فى الأفواج الأولى، وزاولت المحاماة أكثر من عشر سنين، بلَوت فيها حلاوتها ومرارتها معا، فإننى أعلن بصراحة أن النيابة والمحاماة معاً تتنافيان مع طبيعة المرأة وتتعارضان مع مصلحتها، وأعلن إشفاقى على البقية الباقية من فتياتنا المثقفات اللاتى مازلن بخير أن يجربن هذه التجربة المريرة المضنية، **وأهيب بهن أن ينجون بأنفسهن من عاقبة لايدركن مرارتها إلا بعد أن يقعن فيها، ويهدمن بأيديهن صرح سعادتهن.** لقد تحطمت أعصابنا ـ نحن المحاميات ـ من إرهاق المهنة وعنائها ومن محاربتنا للطبيعة وتنكبنا طريق الواقع، بالله ماذا تكون العاقبة إذا خضعت النائبة لطبيعتها واستجابت لحقها فى الحياة فتزوجت ورزقت أطفالا فاقتلعتها من بينهم طبيعة التحقيقات والانتقالات والمعاينات، وتركت زوجها قعيد الدار يربى الأولاد ويرضع الصغار وهى فى الخارج تدور فى كل مكان كأنها رجل الشارع يهجر بيته آناء الليل وأطراف النهار. وماذا تصنع إذا عينت فى بلاد نائية عن أهلها، وليس بها مكان لسكن غير استراحة الموظفين، هل تبيت ليلتها مع زملائها من الرجال؟.. إن الدين والأخلاق والعرف الحميد تحتم أن تعيش المرأة بعيدة عن مواطن الفتنة والإغراء والزلل، واختلاطها على هذه الصورة يعرضها لخطر محقق وضرر مؤكد، ويضع سيرتها فى ألسن الناس تلوكها بالمذمة والمسبة والعار.

إن رسالة المرأة فى الحياة لها جلالها وقدسيتها التى لاتعادلها حقوق تمنحها ولا امتيازات تعطاها وإن كثرت.

ثم تقول (١):

« ولقروية ساذجة فى حجرها طفل أفضل للأمة وأنفع للبلاد من ألف نائبة وألف محامية، وحكمة الله فيكن أن تكن أمهات.»] (٢) أ. هـ.

....

(١) حوار هادىء لسلمان العودة نقلاً عن كتاب« من هنا نعلم للغزالى ص ١٦١ .

(٢) من كتاب اعترافات متأخرة محمد بن عبدالعزيز المسند .

« لاتأخذى من العائلة الأوروبية مثالا لك .. »

فى مقابلة صحفية أجرتها إحدى المجلات العربية مع « نادية أوبيريه » وهى امرأة فرنسية متخصصة فى الفن الإسلامى قالت:

« وجدت المرأة العربية «المسلمة» محترمة ومقدرة داخل بيتها أكثر من الأوروبية، وأعتقد أن الزوجة والأم العربيتين تعيشان سعادة تفوق سعادتنا، وربما كان الأمر مختلفاً بالنسبة للمرأة العاملة التى تقع عليها أعباء كثيرة بالإضافة إلى أعباء البيت » .

وتوجه نصحها للمرأة المسلمة فتقول:

« لاتأخذى من العائلة الأوروبية مثالا لك.. لأنها أنموذج ردئ لايصلح مثالا يحتذى » [1] .

إن بقاء المرأة فى بيتها، واهتمامها برعاية زوجها وأولادها هو سر نجاحها وسعادتها واستقرار الأسرة وتماسكها، ولاسيما أن الإسلام أمر المرأة بطاعة زوجها فى المعروف كما أمر الرجل بإكرام المرأة واحترامها والعطف عليها فقال عليه الصلاة والسلام.

« استوصوا بالنساء خيرا »

بل إن بقاء المرأة فى بيتها هو سر نجاح الأم وتفوقها كما شهد بذلك العقلاء من الفلاسفة والمفكرين.

وخروجها وتبرجها واختلاطها بالرجال من أكبر الأسباب المؤدية إلى انهيار الأمم وسقوط الحضارات، ومن الأمثلة على ذلك الحضارة الرومانية ...

« أنا أنثى .. أعتز بأنوثتى .. أنا امرأة.. »

هذا الاعتراف للأديبة الكويتية (ليلى العثمان) حيث كتبت تقول:

« سأعترف اليوم بأننى أقف فى كثير من الأشياء ضد مايسمى بـ «حرية المرأة» .. تلك الحرية التى تكون على حساب أنوثتها.. وعلى حساب كرامتها.. وعلى حساب بيتها وأولادها ..

سأقول: إننى لن أحمل نفسى كما تفعل كثيرات مشقة رفع شعار المساواة بينها وبين الرجل .. نعم أنا امرأة.

(١) رسالة الى حواء الجزء الثالث ص ٨٥.
(٢) كتاب (اعترافات متأخرة) المشار اليه سابقا .

ثم تقول :ـ

« هل يعنى هذا أن أنظر إلى البيت الذى هو جنة المرأة ـ على أنه السجن المؤبد وأن الأولاد ماهم إلا حبل من مسد يشد عنقى.. وأن الزوج ماهو إلا السجان القاهر الذى يكبل قدمى خشية أن تسبقه خطواتى؟؟

لا .. أنا أنثى أعتز بأنوثتى.. وأنا امرأة بما وهبنى الله.. وأنا ربة بيت. ولابأس بعد ذلك أن أكون عاملة أخدم خارج نطاق الأسرة.

ولكن ويارب اشهد بيتى أولاً .. ثم بيتى . ثم بيتى ..ثم العالم الآخر..» [1]][2]

أ. هـ.

....

« إنى أتعس امرأة.. »

هذا الاعتراف رسالة كتبتها الممثلة الأمريكية «مارلين مونرو» لفتاة طلبت نصيحتها إلى أفضل طرق التمثيل فقالت:ـ

[« إلى هذه الفتاة وإلى كل فتاة ترغب فى العمل فى السينما: احذرى المجد احذرى كل من يخدعك بـ الأضواء .. إنى أتعس امرأة .. أفضل البيت والحياة العائلية الشريفة على كل شىء .. إن السعادة الحقيقية للمرأة هى فى (الحياة العائلية الشريفة الطاهرة .. بل إن هذه الحياة العائلية لهى رمز السعادة للمرأة بل للإنسانية ».

وتقول فى النهاية:

« لقد ظلمنى كل الناس.. وإن العمل فى السينما يجعل من المرأة « سلعة » رخيصة تافهة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة.. إنى أنصح الفتيات بعدم العمل فى السينما والتمثيل..

إن نهايتهن كنهايتى [3] .

---

(١) (المرأة بين العفة والقانون) لمصطفى السباعى ص ٣١٥ .

(٢ ، ٣) من كتاب (اعترافات متأخرة) محمد بن عبدالعزيز المسند.

إنها كلمات صادقة.. صدرت من امرأة عانت الكثير من الشقاء والألم رغم ماوصلت إليه من الشهرة والثراء، ولكنها سنة الله التى لاتتبدل :

﴿ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ﴾ [طه ١٢٤]

فاعتبروا يا أولى الأبصار] (١) أ. هـ.

والآن إلى هذه الكلمات المضيئة: ـ

[.... إن كل إنسان فى هذه الحياة يبحث عن السعادة فبعضهم يظن أن السعادة فى جمع المال، وبعضهم يظنها فى الحصول على الجاه والمنصب، وبعضهم يظنها فى ذيوع الصيت والشهرة، وتصفيق الجماهير.. إلخ.. فيسعى كل واحد من هؤلاء إلى الوصول إلى السعادة فيما يظن أنه يوصل إليها ، فيقضى فى ذلك أيام عمره وزهرة شبابه، ثم يكتشف بعد ذلك أنه قد أخطأ الطريق، فقد يعود وقد لايعود، وقد يدركه الأجل المحتوم قبل أن يكتشف ذلك فيموت شقياً فيخسر الدنيا والآخرة .

ولا شك أن طريق السعادة الحقيقى هو الاستقامة على دين الله القويم وصراطه المستقيم، قال تعالى: ﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون ﴾
[النحل ٩٧]

هذا هو طريق السعادة.

ولست أرى السعادة جمع مال
ولكن التقى هو السعيد

وهذه الاعترافات شاهد من الواقع على ماذكرناه، والسعيد من وعظ بغيره والشقى من وعظ بنفسه] (٢) أ. هـ.

....

ونختم هذا الملمح برأى للعقاد يقول فيه:

---

(١) من كتاب (اعترافات متأخرة) المرجع السابق.

(٢) من كتاب (هذه الشجرة والانسان الثانى).

(فأسخف السخف أن يظن بالحضارة المدنية أنها خصة تبيح التهافت على المتعة ونسيان الحواجز الجنسية.) أ.هـ .

وكان ذلك ردا على الذين يقولون بأن حرية المرأة فى العصر الحديث تبيح لها ما حرم عليها فى العصور القديمة فلا يعيبها أن تبدأ الرجل وتلاحقه لتستولى عليه..

واستعرض العقاد فى الرد عليهم العناصر الآتية:

ضبط النفس ـ الشخصية المميزة ودورها ـ الحواجز الجنسية.

وبين لنا أن «التهافت نقص فى الخليقة قبل أن يكون نقصا فى الآداب الاجتماعية.»

ويختم العقاد رأيه بقوله:

إن الاحتجاز قوام أخلاق الأنوثة وإن المرأة التى تنساه هى حيوان ناقص فى تكوينه وليس قصارى القول فيها أنها فرد مقصر فى حق المجتمع والأسرة، وأن مساك الأخلاق جميعا ـ ما أوجبته الفطرة وما أوجبه المجتمع. هو ضبط النفس والترفع عن مطاوعة كل عارضة من عوارض الأهواء] .

التبرج

التبرج حرام على الشّابة منهن..والعجوز،والجميلة،والدميمة:

تقول الأستاذة نعمت صدقى:

[وكم غر الشيطان المتزوجات زاعماً لهن أنهم لايزلن فى ميعة الشباب، ولم يحن بعد وقت الاحتشام، كأن الخمار جعل لستر الشيب والشيخوخة لا لستر الجمال والزينة، مع أن الله تعالى يأمر بعكس ذلك فى قوله جل جلاله:

﴿ والقواعد من النساء اللاتى لايرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم ﴾

[النور ٦٠]

أى إذا وصلت المرأة إلى سن الشيخوخة بحيث قعدت عن الزوجية، فلابأس عليها أن تكشف رأسها غير متبرجة بزينة لأنها لاتخلب القلوب، ولكن كلما كانت المرأة صغيرة وجميلة كانت أدعى للفتنة فيجب عليها ستر هذا الجمال عن أعين الفاسقين، وعن أعين المؤمنين الورعين الذين يتألمون من سرقة أبصارهم لجمال ليس لهم حلالاً، ويخشون الله.

ومن السيدات من تزعم أنها كبيرة فى السن، فلن ينظر إليها رجل وفى الوقت نفسه تتصابى وتتجمل وتحاول أن تصلح ما أفسده الدهر، مع أن الله تعالى نهى القواعد عن التبرج بزينة وذلك لحكمة عظيمة منه جل شأنه، فإن هناك المرأة التى تحتفظ ببعض جمالها، وببعض نضارتها ورشاقتها حتى تتجاوز الخمسين، فإذا هى تجملت ورممت عيوب وجهها وبدنها ،وصبغت شعرها وحاولت أن تبدو رشيقة أنيقة ظنها من رآها أصغر من حقيقة سنها بكثير.

كما أنه تعالى يبغض نية المرأة التى تتمنى أن يعجب بها من يراها وتستمتع بأن تحدق العيون فى جمال بدنها، لأن فى ذلك نية أثيمة ينهى عنها الإسلام، وعملا

بعيدا عن الاحتشام قد يغرى باقتراف أكبر الآثام.

ومن السيدات من تزعم أنها دميمة لاتسترعى أنظار الرجال وهى تقول ماتعتقد، وتعمل ماينادى بكذبها إذ أنها تكثر من التجمل، لتخفى هذه الدمامة، فإذا كانت تعتقد حقيقة أنها لن ينظر إليها رجل فلماذا تحاول إذن ستر هذه الدمامة بالأصباغ والزينة لتستلفت إليها الأنظار؟ ولماذا لاتسترها بالاختمار والتحجب؟

مهلاً ياسيدتى فأذواق الرجال وميولهم تختلف.. وربما يوجد من يرى دمامتك جمالا، بل ويوجد من الرجال الشره الذى يشتهى كل امرأة فالنفس الخبيثة الجشعة تستسيغ كل طعام والنفس المحرومة الجائعة يعجبها أى غذاء، إذن فلايجوز لأى امرأة أن تتبرج مهما كان سنها أو شكلها.

كم من حكمة عظيمة فى الاحتشام والاختمار وعدم الاختلاط.. فبذلك لاتستر الجمال فحسب، بل تستر الدمامة فلا تخجل الدميمة من قبحها ولاتزدهى الجميلة بحسنها، ولايرى زوج الدميمة محاسن غيرها، فيتحسر على حظه ويحسد غيره، بل هناك زوج من الرجال يصبو إلى من هى أدنى من زوجه جمالاً وكلما رأى نوعاً من الجمال تمناه، وكلما رأى حسناً لم يتملكه اشتهاه، وكره جمال زوجه فيسعى إلى إشباع شهواته، ولايبالى بهتك عرض، ولا بشقاء أسرة ولا بغضب الله.

فتبرج المرأة ضرر جسيم، وخطر عظيم يخرب الديار، ويجلب الخزى والعار. فكم دعا إلى العداوة والبغضاء بين الأخت وأختها والأخ وأخيه، وكم فصل الزوج من زوجه، وحرمه بناته، وكم خيب الآمال، وحسر قلوب النساء والرجال، ودعا إلى الحرام وترك الحلال.

...... ما أسعد المرأة التى تشعر بأن جمالها برىء لم يقترف إثماً، ولم يؤذ أحداً، ولم يسبب حسرة، ولم يثر شهوة، ولم تلتهم لحمها الأنظار، ولم تك عرضة للأفواه.

فجمالك إذا صنته كان سعادة ونعمة، واذا ابتذلته حولته إلى شقوة ونقمة.

فكم من جميلة أغواها شيطان جمالها بالانغماس فى التبرج، تهيم على وجهها مستعرضة لزينتها فى كل واد، فذهب شبابها، وخسرت مستقبلها فى الدارين ورغب الرجال عنها، مستنكرين ماكان من جمالها ولم يتزوجها واحد ممن كان يحوم حولها.

فبالله عليك أيتها المتبرجة، سلى نفسك لوكنت مسلمة إذا رآك الرسول ﷺ بهذا الشكل بين الرجال ماذا كان يقول... إن الله يراك ففكرى هل هو راض عنك؟!.. وكيف تخدعين نفسك، وأنت على يقين أن الله غاضب عليك والرسول برىء منك.

فيا أيتها الغافلة انتبهى واسمعى..واقنتى لربك واسجدى واركعى، ولاتتبرجى تبرج الجاهلية الأولى.. وارجعى وبادرى إلى التوبة قبل فوات الأوان] (١) أ. هـ.

إنها صيحة مخلصة من المرأة إلى أختها المرأة. صيحة هى بمثابة طوق النجاة تلقيه المرأة إلى المرأة علها تنجو من خضم الأكاذيب والمغالطات.

النظرة بينها وبين الرجل محرمة:

[العقاب فى الشرع فى كل الحالات.. لايبدأ إلا عند النزوع إلى عمل شيء.. فأنت ترى وردة جميلة.. انظر إليها كما شئت فليس هناك إثم ولا حساب.. وتمتع برائحتها كما شئت فليس هناك إثم ولاحساب، إلا أن تمد يدك لتقطعها.. حينئذ تكون قد اعتديت.

وأنت ترى فرساً جميلة، انظر إليها كما شئت.. وتمتع بالنظر إليها كما تريد.. فلا إثم عليك.. إلا أن تحاول أن تركبها دون إذن صاحبها.. وهكذا كل مافى الدنيا من جمال والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون ﴾.

[سورة النحل ٨]

زينة لمن؟.. ألصاحبها فقط؟.. الآية جاءت بالزينة على إطلاقها.. ولهذا فهى زينة لصاحبها.. ولمن أراد أن ينظر إليها ويتمتع بجمالها.. كل مافى الكون من جمال..

---

(١) من كتاب (التبرج) ـ نعمت صدقى (مع التصرف)

انظر إليه كما تشاء.. فليس هذا محرماً.. إلا المرأة.. فالنظرة إليها محرمة.. من المرأة للرجل.. ومن الرجل للمرأة.. والنظر إليها والتأمل فى جمالها من غير زوجها إثم.. وكذلك الرجل بالنسبة للمرأة.. نظر المرأة للرجل وتأملها فى ملامح رجولته إثم.. ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز:

﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ﴾. [النور ٣٠]

وقوله جلا جلاله:

﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ﴾ [النور ٣٠]

لماذا حرمت النظرة بين الرجل والمرأة؟.. ولم تحرم بالنسبة لباقى مخلوقات الكون؟ لأن النظرة هى بداية النزوع بالنسبة للرجل والمرأة.. ومادامت النظرة قد بدأت.. فأنت لاتستطيع أ ن تتحكم فى نفسك.. بالنسبة لما يمكن أن يحدث بعد ذلك..

النظـرة قد أوجدت تغييراً يقودك إلى المعصية. ولذلك نجد مثلاً عندما حرم الله سبحانه وتعالى على آدم وحواء أن يأكلا من الشجرة المحرمة فى الجنة.. لم يقل لهما لا تأكلا من هذه الشجرة.. بل قال جل جلاله :

﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ [البقرة ٣٥]

لماذا لم يقل الله سبحانه وتعالى : لاتأكلا من هذه الشجرة.. لأنه أراد أن يحميهما من إغراء المعصية.. فلو أنه قال لهما لاتأكلا من هذه الشجرة.. ربما جلسا إلى جوارها فأغراهما لون ثمارها وشكلها ، أو الرائحة المنبعثة منها ،ولذلك قال سبحانه: **﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾** ليقيهما الإغراء الذى يمكن أن يوقعهما فى المعصية.. وكما يقول رسول الله ﷺ: **« إن لله محارم فلاتقربوها فمن حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه»**

وقال الرسول عليه الصلاة والسلام: **«إن الله حد حدودا فلا تعتدوها، وفرض فرائض فلاتضيعوها، وحرم أشياء فلاتنتهكوها».**

إذن فتحريم النظر بين الرجل والمرأة.. حماية لكليهما.. وقالت أم سلمة.. كنت

عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم وكان أعمى.. ذلك بعد أن أمرنا بالحجاب.. فقال رسول الله ﷺ: احتجبا منه.. فقلنا يارسول الله: أليس أعمى لايبصرنا ولايعرفنا؟ فقال رسول الله ﷺ **«أفعمياوان أنتما ألستما تبصران»**.

والله جل جلاله يقول:

﴿وإذا سألتموهن متاعا فسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾ [الأحزاب ٥٣]

على أننا لابد أن نلتفت إلى حقيقة مهمة.. هى أن الله سبحانه وتعالى يريد أن تعتدل الموازين فى كونه.. ويريد للعقل الذى ميز الله به الإنسان أن يعطى حرية الاختيار دون أية مؤثرات.. حتى تستقيم الأمور فى الكون.. وإظهار المرأة لمفاتنها يجعل الميزان يختل.. لماذا؟

لأن المرأة إذا تعمدت إغراء رجل غريب بزينتها والكشف عن جسدها.. تتدخل فى عمل العقل، لأنه فى هذه الحالة ، قد يتخذ قراراً ويعلم أنه باطل لينال من هذه المرأة أو يرضيها.. وكلنا يعلم تأثير النساء فى الصفقات التى تحدث فى العالم كله.. وكيف أنهن يتخذن كوسيلة للإغراء ليقضى الإنسان بغير الحق.. ويختل ميزان الحكم..

كل هذا موجود فى شركات عالمية تستخدم إغراء المرأة لتتم أعمالا وصفقات مشبوهة.. ماكانت لتتم لو أن الميزان كان معتدلا.. والعقل هو الحكم الوحيد فى هذه المسائل من أمور الدنيا] (١) أ. هـ.

وسائل صيانتها تشريع لها.. لاعليها

لم يكن من المعقول أن يمنح القرآن المرأة هذه الحقوق التى سبق التنبيه إليها ثم يتركها من غير ما يحدد لها طريقاً يحفظ عليها كرامتها ويجعلها أهلاً للتمتع بتلك الحقوق.

---

(١) كتاب المرأة فى القرآن الكريم، فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى .

لهذا رسم لها ماينبغي أن تسلكه في ملبسها وزينتها وعلاقتها بالرجل.. أنظر قوله تعالى : ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون * وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن إلا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولايبدين زينتهن إلا لبعولتن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو أخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ماملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا علي عورات النساء ولايضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن وتوبوا إلي الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون** ﴾ [النور ٣٠، ٣١]

وانظر قوله تعالى: ﴿ **ياأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما** ﴾ [الاحزاب ٥٩]

ولعلك تلمح من قوله تعالى فى هذه الآية: ﴿ **ذلك أدنى أن يعرفن فلايؤذين** ﴾ أن ليس القصد من هذا التشريع التضييق على المرأة وإحراجها بسلب حق من حقوقها، وإنما القصد حفظ كرامتها وعدم إيذائها ممن لايعرفون للفضيلة قيمة ولا للشرف وزناً ، فهو فى الحق تشريع للمرأة لاعليها. ومن هذا الذى يقول لمن يريد له حفظ الكرامة وحسن السمعة إنك قد ظلمت وشددت عليّ خناق الحياة؟!

المرأة إنسان له من الكرامة ماللرجل فكما يحب الرجل أن يحفظ كرامته وأن لايدعها ألعوبة بين الناس، فما أحوج المرأة إلى أن تكون لها هذه المنزلة، وأن يتخذ لصونها جميع الوسائل التى تقيها شر الرجل الساخر بنفسه الهازئ بالحياة. ولعل الذين يتغنون بالحريات والحضارات يجدون فى هذا مايخفف من إسرافهم ويهدئ من ثائرتهم فيرجعون إلى حدود الله التى هى حدود الإنسانية الفاضلة] (١) أ. هـ.

---

(١) كتاب القرآن والمرأة لفضيلة الشيخ محمود شلتوت.

يصعب على الطائشة أن تدارى جمالها

[..كلما نقص عقل المرأة زاد تبرجها، وكلما زادت جهلاً أفرطت فى تزينها وتهتكها، وتمثلت بنساء الجاهلية الأولى، كما قال سبحانه وتعالى:

﴿ **ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى** ﴾ [الأحزاب ٣٣]

وما أحكم المثل الذى يقول: « الرأس الفارغ يحتاج إلى الزينة، أما الرأس المملوء بالعلم فإنه لايحتاج إلى الزينة لأن العلم يزينه »

وقد قال الشاعر:

أقبل على النفس واستكمل فضائلها

فأنت بالنفس لابالجسم إنسان

وآية أن التبرج نتيجة الجهل والطيش وصغر العقل أن الطفل يعشق التبرج ويزدهى ويباهى بثيابه الجديدة، ويطيل النظر فى المرآة كما تفعل المتبرجة. ولكن الطفل لايلبث أن ينسى جماله وزينته. وأما هى فتقضى حياتها فى المرآة.

وإنه ليشق على المرأة الطائشة أن تستر جمالها المصطنع، ويؤلمها أشد الألم ألا تفتن الناس بمحاسنها وأناقتها، وتترقب كلمة الاستحسان من السفهاء فتطير بها فرحا، وأعجب العجب أن تحذو حذوها وتعمل عملها مثقفة متنورة متخرجة فى الكليات، فتتغافل عن أمر الله وتتبرأ من الخمار وتبيح لنفسها ماحرم ربها، مستهترة بغضبه، مصرة على اتباع هواها.

﴿ **ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لايهدى القوم الظالمين** ﴾ [القصص ٥٠]

فويل لهذه المتعلمة المتجاهلة التى لاتستطيع أن تعصى هواها، وتستهين بأن تعصى خالقها ومولاها.

أو تظن هذه المتغافلة أن الله جعل إليها الاختيار فى شرائعه بما تهوى لها نفسها؟ فتختار منها ماتشاء وتعصى منها ماتشاء.

إن الله لم يجعل الشرائع والأوامر تبعاً لأهواء الناس ومزاجهم وهو القائل جل

جلاله: ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن﴾
[المؤمنون ٧١]

وأنه سبحانه لم يجعل لأحد من المؤمنين والمؤمنات أن يختار برأيه وهواه إذ قال جل ذكره: ﴿ وماكان لمؤمن ولامؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴾

[الأحزاب ٣٦]

فهذه الظالمة لنفسها التي عرفت الحق، فأغمضت عينيها وأشاحت بوجهها لتظل في الظلام باختيارها وقد غلبت شهوتها إرادتها، ينطبق عليها قوله جل جلاله: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه، وأضله الله علي علم، وختم علي سمعه وقلبه وجعل علي بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ﴾

[الجاثية٢٣] [(١)] أ.هـ.

حجابها .. لايمنع زواجها، ولكن العكس

يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى مخاطبا الفتاة المؤمنة:

يقولون لك: ان الفتاة التى تحبس نفسها عن الناس من وراء حجاب إنما تحرم بذلك شبابها بل حياتها من سعادة الزواج، فالشاب إنما يقبل الفتاة التى يعجب بها، وإنما يعجبه منها، قبل كل شيء، جمالها ومايتصل به من مظاهر شخصيتها. وأنى له أن يطمئن إلى ذلك منها إذا لم يتهيأ له أن يراها.. وكيف يتهيأ له ذلك إذا كانت تأبى إلا أن تحبس نفسها وراء سور الحجاب ؟

تلك هى حجة الأمهات لبناتهن، تحسب الواحدة منهن أنها تجلب الخير بذلك لابنتها وتقرب السبيل لها إلى اختيار فتى أحلامها،ويزيدها فى ذلك إندفاعاً إغراءات جنود الشيطان من حولها، يستغلون لديها هذه الرغبة، فيزيدون من مخاوفها إن تزيت ابنتها بلباس الإسلام ويدعمون آمالها إن هى تحررت منه وانساحت بين صفوف

---

(١) من كتاب (التبرج) ـ نعمت صدقي ـ (بتصرف).

الشباب تعرض من زينتها عليهم .

وأقول لك: إنها لخدعة باطلة توحى بعكس الواقع والحقيقة!.. خدعة يصوغها دعاة الباطل، وتـطلى على أفكار الفتيات وأمهاتهن .

ولو تأملت الواقع الذى نعيش فيه، لرأيت نسبة الإقبال على الفتيات المحافظات للزواج منهن أكثر بما يقارب الضعف من الإقبال على الأسر المتحررة، بل إن الزواج عموما يشيع بين الأسر المحافظة المتدينة أكثر مما يشيع بين الأسر الأخرى بنسبة تزيد على الضعف.

ولأوضح لك أسباب هذه الحقيقة حتى تزدادى يقينا بحكمة الخالق جل جلاله، وبأن الإنسان لن يجد مصلحته إلا فى تطبيق شرع الله عز وجل أقول...:ـ

إن الشاب فى مجتمعنا، لايعدو أن ينتمى إلى أحد صنفين:ـ

الصنف الأول:

متدين فى الجملة، فهو متقيد بآداب الإسلام، فالشاب من هذا الصنف لابد أن يتزوج فيما بين العشرين والثلاثين من عمره، لايستثنى من ذلك إلا أصحاب الظروف الاستثنائية الخاصة. والزواج فى اعتبار مثل هذا الشاب بمثابة ساعة الإفطار للصائم يحشد له جميع آماله الدنيوية فى الحياة، ويجعل منه ركيزة سعادته كلها.

والشباب من هذا الصنف يبحث عن الفتاة كما يحبها، ولكن ضمن دائرة الستر والصيانة التى آمن بها ونشأ فى داخلها،وحتى لو بعدت به الظروف عن هذه الدائرة فإنه لايطمئن لفتاة ستصبح أمّاً لأولاده إلا إذا رأى طابع الدين والستر جلياً وأصيلاً فى حياتها..

وهذا الشاب لن يصطدم بمشكلة الجهل بشكلها أو عدم الاطمئنان إلى خلقها، فإن شريعة الله عز وجل قد حلت له المشكلة عندما، شرعت له بل أمرته أمر إرشاد وندب أن ينظر إليها، ويكلمها، حتى إذا شعر من نفسه أنه لم ينل حظاً كافيا فى المرة الأولى لمعرفتها كان له أن يعاود النظر ثانية وثالثة.

الصنف الثانى:

متفلت عن سلطان الدين واحكامه فهو لايبالى أن يمتع نفسه بحظوظها كلما تسنى له ذلك لافرق بين أن ينالها من حل أو حرام!! فالشاب من هذا الصنف إن تزوج، فهو إنما يدخر زواجه إلى أواسط عهد الكهولة أو آخرها، ولن تجد واحداً من هؤلاء تزوج قبل سن الخامسة والثلاثين، إلا أن يكون ذلك لظروف استثنائية نادرة.

والزواج فى اعتبار مثل هذا الإنسان كرجوع السائح إلى داره بعد نزهة استنفدت كل نشاطه، حتى إذا أدركه الملل والجهد عاد إلى داره يبغى فيها الراحة والهدوء، فهو إنما يريد من الزوجة الآن أن تعينه فى راحة ينشدها أكثر من أن يريد بالزواج متعة يشترك فيها مع الزوجة، وسعادة يلتقى مع الزوجة على ارتشافها.

وما أكثر ما تظاهر بالرغبة فى الزواج من قبل فانجذبت إليه الفتيات كلّ تعرض ماعندها على مذهب هؤلاء المخدوعات اللائى يحسبن أن الفتاة لايمكن أن تعثر على الزوج الذى تبتغيه إلا فى الشارع الذى تتعرى فيه، فتذوق من هذه وتلك، ونال ما يبغيه منهن غنيمة بدون مغرم.

وبين الرجل والمرأة فارق فى التسابق إلى حظوظ النفس، قلما يتبينه الناس تكون المرأة هى الخاسرة فيه دائما! .. **إذ المرأة مهما تحللت من قيود الدين والآداب، فإنها لاتصل إلى قمة سعادتها إلا فى ظلال بيت تصبح أمًّا فيه**، والرجل مهما كان شأنه تهفو نفسه إلى نعيم تصفو لذته عن كدور الغرامة أوالمسئولية أوالجهد، ولايعظم نفسه عن التعلق بذلك إلا دين يتحكم بمجامع قلبه، فإذا فقد الدين **فإن الرجل والمرأة يلتقيان على مائدة تكون المرأة دائما هى الطرف المغلوب فيها.**

وحصيلة هذا الكلام **واقع مشاهد ملموس** لايحتاج لرؤيته إلا إلى تأمل وانتباه **وهو أن نسبة الذين يقبلون على الزواج من الشباب المتدينين تزيد على ضعف نسبة من يقبلون عليه من المتحللين أو المتحررين.** والمتدينون لايتزوجون ولايتعلقون إلا بجمال زانه خلق وستر ودين.

ونتيجة لذلك فإن العنوسة لاتنشيع فى أعم الأحوال إلا فى الأسر التى شاءت أن تنفلت عن منهج الدين وحكمه وتربيته.

يا أختى المؤمنة: إن فيما أوضحته لك مايكفى لإقناعك بأن اتباع شريعة الله تعالى لايضمن بلوغ مرضاة الله تعالى فحسب، بل هو يضمن لك إلى جانب ذلك تحقيق أسباب سعادتك الدنيوية كلها. والسعادة ليست فى تحقيق الخيال الذى تتصورين، وإنما هى فى الواقع الذى يورثك الطمأنينة ويشيع فى حياتك الارتياح والرضى.

أما وقد تبين لك كل ذلك فقد آن لك أن تنهضى لاستجابة حكم مولاك العظيم وأن تصطلحى مع الله عز وجل بعد طول نسيان ، وتنكرّ له.

ولسوف تجدين وأنت تعزمين على الرجوع إلى صراط الله من يحاول أن يرهق مشاعرك تخديراً تحت وطأة هذه التقاليع التى أحاطت بك كما تحيط خيوط العنكبوت بضحيتها الحبيسة.

وأما أنا فأذكرك بالحكم الإلهى الواضح الذى نقلته لك بأمانة، وبهذا الحديث الثابت عن رسول الله ﷺ إذ يقول:ـ

« **صنفان من أمتى لم أرهما قط: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة** (أى كسنام الجمل) **لايدخلن الجنة ولايجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا** » رواه مسلم والإمام أحمد.

ولسوف تجدين أيضا من يذكرك بجمال هذه الدنيا، ومغريات الارتواء من لذائذها وزينتها !. ولكنى أذكرك بخطورة عقباها وجسامة ماينتظرك من آثارها ونتائجها. أذكرك بيوم الديان.

ودعنى أذكرك أيضا..بأن جميع هؤلاء الخادعين إنما ينظرون فيما ينصحون لك إلى أمر أنفسهم وحاجة شهواتهم، ولو أنى أردت لنفسى حظها، لفعلت مثلهم ولانضممت إلى حزبهم، فأنا رجل فى نفسى من هوى الرجال وشهواتهم مثل

الذى عندهم جميعا.

لكنى والله لا أريد أن أبوء بإثمى وإثمك يوم القيامة.. أريد أن تكونى باستقامتك على الحق، حسنة فى ميزانى وأن أكون بما أذكرك من الحق حسنة فى ميزانك، أريد لى ولك شيئا أقدس وأسعد من كل شهوة ولذة وهوى.

أريد لى ولك مرضاة الله [1] أ. هـ.

هكذا كنا مع هذه السطور التى نرجو أن تكون قد أرجعت الصواب إلى بعض الأمهات اللاتى يعتقدن أن فتياتهن يجب أن تكشف كل واحدة منهن عن مفاتنها حتى تجذب الزوج الذى تحلم به.

هكذا فندت هذه السطور مزاعم الشيطان ودحضت مفترياته وخدعه، وكشفت ألاعيبه، وفضحت أحابيله التى يحاول بها أن يستدرج بنى آدم لينحدروا ويسقطوا درجة درجة حتى يجدوا أنفسهم فجأة وقد وصلوا فى التدهور إلى الحضيض، ووقتها ستدوى فى آذانهم ضحكات إبليس وقهقهاته الساخرة حينها فقط سينتبهون لما فعله بهم، سيشعرون بالدرك الأسفل الذى جرهم إليه.

ولكن هاهى هذه السطور تدق لهم أجراس الإنذار علهم يتنبهون للخطر الداهم فيصححوا مفاهيمهم، ويرجعوا إلى الله قبل فوات الأوان.

---

(١) كتاب إلى كل فتاة تؤمن بالله د. محمد سعيد رمضان البوطى . (بتصرف).

إختلاطها بالرجال يفسدها ، ويفسدهم

يقول الأستاذ محمد عبد الحكيم خيال:ـ

يرى الإسلام فى الاختلاط بين المرأة والرجل خطراً محققا، فهو يباعد بينهما إلا بالزواج.

سيقول دعاة الاختلاط إن فى ذلك حرماناً للجنسين من لذة الاجتماع، وحلاوة الأنس التى يجدها كل منهما فى سكونه للآخر، والتى توجد الرقة، وحسن المعاشرة ولطف الحديث، ودماثة الطبع.. إلخ، وسيقولون أن هذه المباعدة بين الجنسين ستجعل كلاً منهما مشوقاً إلى الآخر، مما يوجد معه كثير من العقد النفسية والكبت، ولكن الاتصال بينهما يحل هذه العقد.

ونحن نقول لهؤلاء:

مع أننا لانسلم بما ذكرتم، نقول لكم إن مايعقب لذة الاجتماع من ضياع الأعراض، وفساد النفوس، وتهدم البيوت، وشقاء الأسر، ومايستلزمه هذا الاختلاط من طراوة فى الأخلاق، ولين فى الرجولة، يتجاوز ذلك إلى حد الخنوثة ، يعتبر آثاراً سيئة تربو ألف مرة على ماينتظر منه من فوائد، وإذا تعارضت المصلحة والمفسده فضرب المفسدة أولى ولاسيما إذا كانت المصلحة لاتعد شيئاً بجانب هذا الفساد.

أما الأمر الثانى فغير صحيح وإنما يزيد الاختلاط قوة الميل، وقديماً قيل: إنما الطعام يقوى شهوة النهم، والرجل يعيش مع امرأته دهراً، ويجد الميل يتجدد إليها فما باله لاتكون صلته بها مذهبة لميله إليها، والمرأة التى تخالط الرجال تتفنن فى إبداء ضروب زينتها ولايرضيها إلا أن تثير فى نفوسهم الإعجاب بها.

.... مصانع الأزياء بماذا تتاجر، مصانع العطور بماذا تتاجر، مصانع ومعاهد التجميل بماذا تتاجر؟ القصص، الفن، الأفلام، الروايات، الشعر، المجتمع كله بماذا يتاجر؟.. أنه يتجر بجسد المرأة، يبيعه لكل راغب .

لقد أباح الإسلام للمرأة شهود العيد، وحضور الجماعة، والخروج للقتال عند الضرورة الماسة، ولكنه وقف عند هذا الحد، واشترط له شروطاً شديدة من البعد عن كل مظاهر الزينة ومن ستر الجسم، وإحاطة الثياب به فلاتصف وتشف، ومن عدم الخلوة بأجنبي مهما تكن الظروف.

إن من المعاصي في الإسلام أن يخلو الرجل بامرأة ليست بذات محرم، ولقد أخذ الإسلام السبيل على الجنسين من هذا الاختلاط أخذاً قويا محكما.

فالستر فى الملابس أدب من آدابه.

وتحريم الخلوة بالأجنبى، حكم من أحكامه.

وغض الطرف واجب من واجباته.

والبعد عن الإغراء بالقول والإشارة والزينة وبخاصة عند الخروج حد من حدوده.

كل ذلك إنما يراد به أن يسلم الرجل من فتنة المرأة وهى أحب الفتن إلى نفسه، وأن تسلم المرأة من فتنة الرجل وهو أقرب الفتن إلى قلبها، والآيات الكريمة والأحاديث المطهرة تنطق بذلك والواقع شاهد على ذلك.

.... يقول المولى عز وجل :

﴿ فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض ﴾ [الأحزاب ٣٢]

يقول صاحب تفسير (فى ظلال القرآن) فى تفسير هذه الآية: ينهاهن حين يخاطبن الأغراب من الرجال أن يكون فى نبراتهن ذلك الخضوع اللين الذى يثير شهوات الرجال، ويحرك غرائزهم ويطمع مرضى القلوب ويهيج رغائبهم.

ومن هن اللواتى يحذرهن الله هذا التحذير ، إنهن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم، اللواتى لا يطمع فيهن طامع ، ولا يرف عليهن خاطر مريض ، فيما يبدو للعقل أول مرة ، وفى أى عهد يكون هذا التحذير ؟ فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وعهد الصفوة .. ولكن الله الذى خلق الرجال والنساء يعلم أن فى صوت المرأة حين تخضع بالقول ، وتترقق فى اللفظ مايثير الطمع ويهيج الفتنة . وأن القلوب المريضة التى تثار وتطمع موجودة فى كل عهد ، وفى كل بيئة ، وتجاه كل امرأة ..

وأنه لاطهارة من الدنس ولا تخلص من الرجس حتى تمنع الأسباب المثيرة .

فكيف بهذا المجتمع الذى نعيش اليوم فيه فى عصرنا المريض الدنس الذى تهيج فيه الفتن وتثور الشهوات ؟ .. كيف بنا ، ونساء يتخنثن فى نبراتهن ، ويتميعن فى أصواتهن. نهاهن الله من قبل عن النبرة اللينة ، واللهجة الخاضعة ، وأمرهن فى هذه أن يكون حديثهن فى أمور معروفة غير منكرة ، فإن موضوع الحديث قد يطمع مثل لهجة الحديث . فلا ينبغى أن يكون بين المرأة والرجل الغريب لحن ولا إيماء ، ولا هذر ولا هزل ، ولا دعابة ، ولا مزاح ، كى لا يكون مدخلا إلى شئ آخر وراءه من قريب أو بعيد .

والله سبحانه وتعالى الخالق العظيم العليم بخلقه ، وطبيعة تكوينهم هو الذى يقول هذا الكلام لأمهات المؤمنين كى يراعينه فى خطاب أهل زمانهن خير الأمة على الإطلاق ﴿ **وقرن فى بيوتكن** ﴾ [٣٢ الأحزاب]

من قر ، يقر . إن ثقل واستقر . وليس معنى هذا الأمر ملازمة البيوت فلا يبرحنها إطلاقاً إنما هى إيماءة لطيفة إلى أن يكون البيت هو الأصل فى حياتهن والمقر وما عداه استثناء طارئاً لا يثقلن فيه .

والبيت هو مثابة المرأة التى تجد فيها نفسها على حقيقتها كما أرادها الله تعالى غير مشبوهة ولا منحرفة ولا ملوثة ولامكدودة فى غير وظيفتها التى هيأها الله لها بالفطرة .

يقول المولى عز وجل :

﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون * وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولايبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على**

عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ [النور ٣١]

يقول الأستاذ سيد قطب فى تفسير هذه الآية:ـ

«إن الإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف ، لا تهاج فيه الشهوات فى كل لحظة، فعمليات الاستثارة المستمرة تنتهى إلى سعار شهوانى لا ينطفئ . والنظرة الخائنة والحركة المثيرة ، .. كلها لا تصنع شيئاً إلا أن تهيج ذلك السعار الحيوانى المجنون، وأن يفلت زمام الأعصاب فإما الإفضاء الفوضوى الذى لا يتقيد بقيد وإما الأمراض العصبية ، والعقد النفسية الناشئة من الكبح بعد الإثارة .

وإحدى وسائل الإسلام إلى إنشاء مجتمع نظيف هى الحيلولة دون هذه الاستثارة وإبقاء الدافع الفطرى العميق بين الجنسين سليماً وبقوته الطبيعية دون استثارة مصطنعة وتصريفه فى موضعه المأمون النظيف .

... يقول القرطبى فى تفسيره « البصر هو الباب الأكبر إلى القلب وأعمر طرق الحواس إليه، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته ،ووجب التحذير منه ، وغضه واجب عن جميع المحرمات وكل ما يخشى الفتنة من أجله » .

وحفظ الفرج هو الثمرة الطبيعية لغض البصر أو هو الخطوة التالية لتحكيم الإرادة ويقظة الرقابة والاستعلاء على الرغبة فى مراحلها الأولى، ومن ثم يجمع بينهما فى آية واحدة بوصفهما سبباً ونتيجة أو باعتبارهما خطوتين متواليتين .

(ذلك أزكى لهم) : فهو أطهر لمشاعرهم وأضمن لعدم تلوثها وعدم ارتكاسها إلى الدرك الحيوانى الهابط ، وهو أطهر للجماعة وأصون لحرماتها .

والله هو الذى يأخذهم لهذه الوقاية وهو العليم بتركيبهم النفسى ، وتكوينهم الفطرى، الخبير بحركات نفوسهم وبحركات جوارحهم :

﴿ إن الله خبير بما يصنعون ﴾

﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ﴾ فلا يرسلن بنظراتهن الجائعة المتلصصة أو الهاتفة المثيرة تستثير كوامن الفتنة فى صدور الرجال،

ولايحن فروجهن إلا فى حلال طيب يلبى داعى الفطرة فى جو نظيف لا يخجل الأطفال الذين يجيئون عن طريقه عن مواجهة المجتمع والحياة» أ.هـ.

....

... فى رسالة لكاتبة أمريكية متخصصة فى دراسة مشكلات الشباب نشرتها إحدى الصحف التى تصدر فى إحدى الدول العربية المسلمة .. لعل الله يفتح بها قلوباً غلفاً، ويهدى بها قوماً فتنهم المجتمع الغربى .. تقول صاحبة الرسالة « هيلسيان ستانسبرى » :ـ

إن المجتمع العربى كامل وسليم، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التى تقيد الفتاة والشاب فى حدود المعقول ، وهذا المجتمع يختلف عن الأوربى والأمريكى ، فعندكم تقاليد موروثه تحتم تقييد المرأة ، وتحتم احترام الأب والأم ، وتحتم عدم الإباحية الغربية التى تهدد اليوم المجتمع فى أوربا وأمريكا، ولذلك فإن القيود التى يفرضها المجتمع العربى على الفتاة الصغيرة، وأقصد ما تحت العشرين هذه القيود صالحة ونافعة .

لهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم وامنعوا الاختلاط ، وقيدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب فهذا خير لكم من إباحية أوربا وأمريكا .

إن الاختلاط والإباحية والحرية فى المجتمع الأوربى والأمريكى هدد الأسر وزلزل القيم والأخلاق، فالفتاة الصغيرة فى المجتمع الحديث تخالط الشبان وترقص وتشرب الخمر والسجائر وتتعاطى المخدرات باسم المدنية والحرية والإباحية .

والعجيب فى أوربا وأمريكا أن الفتاة الصغيرة تلهو وتعاشر من تشاء تحت سمع عائلتها وبصرها تتحداهم باسم الحرية والاختلاط ، وتتحداهم باسم الإباحية والانطلاق][1] أ.هـ.

.. وهذه سطور تزيد الأمر وضوحاً :ـ

قال المرحوم على فكرى : ولما كانت البيئة تنشأ فيها البنت والمؤثرات الخارجية

---

(١) الاختلاط بين الجنسين . محمد عبد الحكيم خيال .

تجعل التهذيب وحده غير كاف لتقويم أخلاقها نظراً لأن الله خلق المرأة ضعيفة وميالة إلى دواعي الشهوات وجب أن يحافظ على البنت من كل ما ينشئ فى نفسها تأثيراً سيئاً أما الاختلاط بالرجل فهو أسوأ ما يكون . ويتحتم ألا تختلط الفتاة برجل ما . قال أحد الحكماء « العفة حجاب يمزقه الاختلاط (١)

وبعد أن استبان الحق لماذا لا نعمل جاهدين فى المحافظة على عفاف وحياء فتياتنا وعلى رجولة شبابنا بإلغاء نظام الاختلاط « المستورد » فى مؤسساتنا التربوية والتعليمية ، ولتكن خطوة كالخطوة المباركة التى خطتها مديرية التربية والتعليم بمحافظة المنيا بعزل الطلاب عن الطالبات فى مدارس خاصة بكل جنس .. وفى التعليم الجامعى لن يكلفنا هذا الإجراء شيئاً ، فإذا كان لدينا عشر جامعات مثلاً فلماذا لا تخصص مجموعة منها لكل جنس حسب نسبته العددية ؟

فلتكن خطوة تتلوها خطوات فى العودة إلى منهج الله وعلى بركة الله .

اللهم إنا قد بلغنا اللهم فاشهد] (٢) أ . هـ .

ويقول الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود :ـ

إن هذا الاختلاط بين الشباب والشابات ، مؤد إلى الفاحشة الكبرى لأنه يعد من أقوى الأسباب لإفساد البنات وتمكن الفساق من إغوائهن .

الفساق هم الذين يحرصون أشد الحرص على مثل هذا الاختلاط لينالوا أغراضهم ويشبعوا شهواتهم .

إلى متى نغش أنفسنا أو نغش بناتنا ، ونتعامى عما يترتب على هذا الاختلاط من فساد، فالنظرة هى نظرة فى مبدئها لكنها تكون خطرة فى القلب ، ثم تكون خطوة بالقدم ، ثم تكون خطيئة .

إن تحويل النساء المسلمات عن الآداب الإسلامية إلى تقليد نساء الغرب مبدأ لقطع الرابطة الإسلامية والأخلاق الدينية وتقويض لدعائم الشرف وفتح لباب السفاح

---

(١) سعادة الزوجين جـ ٢ ص ١٠٨ عن كتاب المرأة فى التصور الإسلامى للأستاذ عبدالمتعال الجبرى .

(٢) الاختلاط بين الجنسين . محمد عبدالحكيم خيال .

والفساد .

فليس ضرره مقصوراً على عصيان النساء لأمر الله في إبداء زينتهن للأجانب، وجرأتهن في اختلاطهن بالأغيار وما ينجم عنه من فنون الأضرار على الدين والشرف والعرض فحسب ، بل إن ضرره يتعدى بطريق العدوى والتقليد الأعمى من طور إلى طور ومن بلد إلى بلد إذا لم يوجد من يعارضه بمنعه من جانب القائمين على الناس بالإصلاح.

والرجل الصالح يصلح الله به أهله وكثيراً من أهل بلده ، وإن أكثر ما يجنى على الناس بالشر ويوقعهم فى فعل المنكر هو تقليد بعضهم لبعض، ولا قدوة فى الشر ، فقد قيل: لا تستوحشن طرق الإسلام من قلة السالكين ، ولا تغتر بكثرة الهالكين التاركين لأخلاق الدين ، فإن الله يقول « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » .

إن تحويل النساء المسلمات عن أخلاقهن الدينية يقع بتأثير روح أخلاق أجنبية غايتها تحويل المسلمات عن دينهن وجميل أخلاقهن ... فتقليد المسلمين لغير المسلمين فى مثل هذا الاختلاط هو مدعاة إلى فتنة فى الأرض وفساد كبير ، ولن يخفى ضرره على من له مسكة من عقل أو دين ولكن الهوى يعمي ويصم .

... وإن العرب المسلمين فى تقليدهم لغيرهم فيه شبه الطفل مع الرجل الأحمق الفاجر ، يحسب الطفل أن كل ما يفعله هذا الأحمق مفيد له ، فإذا رآه يشرب الخمر شربه.

وهكذا الأمة الجاهلة بمصالحها ، تحسب أن كل ما يفعله الأجانب مفيد لها فتقلدهم على غير بصيرة لاعتقادها أنه محض التمدن، و جهلت بأن رؤساء الأمم أصبحوا وهم قلقون من هذا الاختلاط وما ينجم عنه من فساد إلى درجة أن بعض رؤسائهم امتنع عن الزواج لما يشاهده من سوء الطباع وفساد الأوضاع ، ويقول : كيف أتزوج امرأة يأخذ بيدها خدنها من الشباب إلى الصحراء والمغارات فتبقى عنده اليومين والثلاثة ولا أقدر على إنقاذها منه ولا صده عنها » .

وقال آخر : « إنى أغبط المسلمين على أشياء أهمها عندى صونهم لنسائهم »

... يا معشر المسلمين العرب ، إنى نذير لكم من شر قد اقترب ، إنكم على ملة إسلامية دينها المحافظة على الفرائض والفضائل ، واجتناب منكرات الأخلاق والرذائل، وقد بعث نبيكم ليتمم لكم مكارم الأخلاق .

وإن هذا الاختلاط يعد من مساوئ الأخلاق ، وليس من خلق أهل الإسلام فى شئ ، بل ولا من خلق العرب فى جاهليتهم ، فإن العرب على شركهم يتهالكون فى حفظ أحسابهم وأنسابهم وصيانة نسائهم ، فهم أباة العار حتى أن الزنا يعد قليلا عندهم كما قالت هند: أو تزنى الحرة يا رسول الله . استبعاداً لوقوع الزنا من الحرائر، وإنما هو من أخلاق الإماء، **« الرجال قوامون على النساء بما فضل بعضهم على بعض »** فمتى زالت قوامة الرجل ورقابته على موليته ساءت طباعها ، وفسدت أوضاعها ووقعت فيما يكره فعله .

إن مبدأ بدعة الاختلاط إنما نشأت من الأوربيين، وكان فى شريعتهم تحريم الزنا ودواعيه لكنهم من أجل غلوهم فى نسائهم اخترعوا بدعة الاختلاط بين الشباب والشابات تمشياً مع شهوة نسائهم ليزيلوا بها الحياء والحشمة والنفرة بين الجنسين ، ثم استرسلوا معهن فى توسيع النطاق فى الانطلاق فى مساوئ الأخلاق ، فأعطوا المرأة كمال حزيتها تتصرف فى نفسها كيف شاءت ليس لزوجها ولا لأبيها عليها من سلطان ، فلها أن تعاشر من شاءت وعلى أثر هذا جرى القانون فى عرفهم إباحة الزنا واللواط ، وصار كالشئ العادى الذى لاتعاب به المرأة إلى حالة أنهم صاروا يمدحون المرأة المجربة ، أى التى تأتى بولد أو ولدين من غير زواج ، فهذه هى الحرية التى ينوه بمدحها الأوربيون ، وهى تفرق شمل أهل البيت وتلطخهم بالتهمة لمخالفتها لشرف الصيانة الإسلامية الجامعة بين الكمال والجمال .

وبحسب العاقل أن يعرف مبدأ الاختلاط وغايته وسوء عاقبته ، وأن الدعاة إليه يريدون أن تكون نساؤهم وبناتهم وأهل بلدهم كحالة المرأة الغربية ، فإن لم يريدوا ذلك ، فإن التقليد يصيرهن إليه اضطراراً لا اختياراً ، والدفع للمنكرات قبل وقوعها أيسر من دفعها بعد وقوعها ، وحسبك من شر سماعه، فما بالك برؤيته .

اقتباساً من أخلاق الأوربيين أخذت بعض البلدان العربية تنادى بعملية الاختلاط فى الجامعات اتباعاً لكثرة الأصوات وترتب على أثره التوسع فى المفاسد والمنكرات ، وهتك الأعراض ما لا يخفى على أحد ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من منكرات الأخلاق والأقوال والأعمال ، ونقل صاحب المنار قائلاً :« إن القائمين على عملية المطالبة بالاختلاط فى مصر هم المنحلون عن دين الإسلام وآدابه وأخلاقه ، والذين يودون لو مرق جميع المسلمين منه ،ويحبون أن يعيشوا فى الدنيا عيشة البهائم ليس عليهم أمر ولا نهى ولا صلاة ولا صيام ولا حلال ولا حرام » أ . هـ .

وساعد على هذا كثرة ما يشاهدونه من عرض الأفلام الخليعة والصور الشنيعة والفواحش الفظيعة التى تعبث بالعقول والتى هى بمثابة الدروس تطبع فى نفوس النساء والشباب محبة العشق والميل إلى الفجور .

فهى بمثابة حبائل الصيد للقلوب الضعيفة من الشباب والنساء تفسد عليهم عقائدهم وعفافهم ،وتقطع روابط الزوجية فيما بينهم وتدنيهم من الإباحة المطلقة .

... والحاصل أنه يجب على الحكومات نصب رقابة تمنع نشر الفواحش ، صيانة لكرامة الناس واتقاء فتنتهم .

ومثله إطلاق السراح لكتاب الجرائد والمجلات الماجنة الخليعة الذين يقودون الأمة إلى مهاوى الجهالة ، ويبثون عوامل الفساد ، فهم كما قال تعالى :

﴿ لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر ﴾

فجناية التحرير يترتب عليها فتنة فى الأرض وفساد كبير ، لكون العامة بما طبعوا عليه من السذاجة وعدم الرسوخ فى العلم قد يغترون بما يقول هولاء ويحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ، لأن من أولى قدرة على صف الكلام قدر أن يغش به العوام وضعفة العقول. والمنافقون فى هذا الزمان هم اشر من المنافقين الذى نزل فيهم القرآن :

﴿ يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم ﴾

فهم يحبون أن تشيع الفواحش في بلدهم، وصفهم النبي ﷺ بأنهم الدعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها.

ثم إنه في هذا الزمان انتشرت العقيدة الشيوعية حيث تسمم بها قلوب كثير من الشباب في هذا الزمان، وجعلوها طريقة لهم وعقيدة، ومن عقائدها: وجوب الاشتراك بين الناس في الأبضاع والأموال ويجعلون النساء كالسوائب اللاتي لايحق لشخص أن يختص بواحدة منهن دون الثاني لازوج ولاغيره.

تدخل البنت العذراء المصونة المحصنة هذا المجتمع المختلط في غاية من النزاهة والعفة فتقعد بحيث تكون في متناول كل ساقط وفاسق.

والمسئولون عن هذا أمام الله والناس هم الأمراء والزعماء الذين يجب عليهم منع اختلاط الجنسين اتقاء الفتنة.

إن أكبر أمر تخسره المسلمة في هذا الاختلاط هو خسرانها للحياء الذى هو بمثابة السياج لصيانتها وعصمتها، وفي البخارى أن النبى ﷺ قال: « **الحياء من الإيمان** » وقال: « **الحياء خير كله** » لأن الحياء ينحصر في فعل مايجملها ويزينها، واجتناب مايدنسها، والحياء مقرون به البهاء والجلال، ترى المرأة الملقية لجلباب الحياء في صورة قبيحة وقحة مترجلة لاتدرى أهي رجل أو امرأة.

وإذا أردت أن تعرف خسارة فقد الحياء فانظر إلى بعض البلدان التي هجر نساؤها الحياء ترى فيهم العجب من فساد الأخلاق والآداب ونكوص الطباع، فلاتبالي بما فعلت أو فعل بها، شبه الحيوان فلا تستحي من الله ولا من خلقه، ولاترغب في أن يبقى لها شرف أو ذكر جميل تذكر به، وهذا معنى قول النبى ﷺ: « **إذا لم تستح فاصنع ماشئت** »][1] أ. هـ.

ويضيف الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود قائلا:ـ

[إن الغيرة على المحارم تعد من شيم ذى الفضائل، فالغيور مهاب، ومن لاغيرة فيه مهان، والغيرة الواقعة في محلها هي بمثابة السلاح لوقاية حياة الشخص وحماية أهله، إن الرجل العاقل والمفكر الحازم، يجب عليه أن يراقب العواقب، وأن يقابل بين

(١) المرجع السابق.

الصالح والفاسد، إذ المنكرات يقود بعضها إلى بعض، وتكون الآخرة شر من الأولى، فعند نجاح القائلين بإباحة الاختلاط فى مثل هذه القضية، فإنه يقودهم إلى المطالبة بإباحة الرقص، ثم المطالبة بإعطاء المرأة كمال حريتها تتصرف كيف شاءت ليس لزوجها ولا لأبيها عليها من سلطان، كفعل المرأة الأوروبية، وكأن هذا هو هدفهم الأكبر وبعمله يعملون.

إن الاختلاط يعد أيضاً من أسباب موانع العلم، لكونه يغرى الشباب والشابات بالفتنة ويولعهم باللذة ويصرفهم عن فهم العلم وتعلمه .

أيها العقلاء اعتبرو وفكروا.. واعلموا بأن المسلمين.. مانكبوا فى مجتمعهم وأخلاقهم إلا بعد مانكبوا فى نظام عائلتهم وفساد تربيتهم لنسائهم وأبنائهم التربية الدينية الصحيحة المبنية على التحلى بالفضائل والتخلى عن منكرات الأخلاق والرذائل.

وبسبب إهمالهم لحسن تربيتهم وفساد تعليمهم ساءت طباعهم، وفسدت أوضاعهم وأخذوا يتناسون التعاليم الإسلامية، والأخلاق العربية، لأنه إذا ساء التعليم ساء العمل وإذا ساء العمل ساءت النتيجة.

﴿ ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ﴾] [1]أ. هـ.

ويقول الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود أيضاً فى موضع آخر:

[... المرأة بما أنها راعية على بيت زوجها وعلى بناتها ومسئولة عن رعيتها، فإن من واجبها أن تربى بناتها على الحياء والستر والصيانة والنهى عن التكشف والخلاعة، وعلى الأمر بالطهارة والصلاة فى وقتها، فإن الصلاة تقيم اعوجاجها وتصلح فسادها وتذكرها بالله الكريم الأكبر، وتصدها عن الفحشاء والمنكر.

فيامعشر النساء المسلمات: إن الله سبحانه شرفكن بالإسلام، وإن المرأة بدينها وأخلاقها لابزيها وجمالها، الزمن لباس الشرف والحشمة. ولاينجرف بكن الهوى

(١) المرجع السابق.

والتقليد الأعمى إلى مشابهة نساء الكفار، ولاتنخدعن بالدعاة إلى النار.

فحذار حذار أن تكن من نساء أهل النار فللمسلمة دينها وسترها وللكافرة خلاعتها وكفرها.

﴿ وقرن فى بيوتكن ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ﴾

﴿ واذكرن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا ﴾

هذا والله التهذيب.. يأمر الله نساء نبيه ونساء المؤمنين بالتبع بأن يقرن فى بيوتهن لأن أشرف حالة المرأة أن تكون قاعدة فى قعر بيتها ملازمة لمهنتها من خياطتها أو كتابتها أو قراءتها أو خدمة بيتها وعيالها لايكثر خروجها واطلاعها.

لأن ثقل القدم من المرأة فى بيتها فضيلة، وكثرة الدخول والخروج رذيلة، وقد حكم النبى ﷺ بين على وفاطمة، أن على فاطمة خدمة داخل البيت، وعلى على جلب ماتحتاجه خارج البيت، وقد وصف الله نساء أهل الجنة بما يتصف به الحرائر العفائف فى الدنيا، فوصفهن بالبيض المكنون، ووصفهن بالمقصورات فى الخيام.

إن الستر والصيانة هما من أعظم العون على العفاف والحصانة..

قال تعالى: **﴿ وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ﴾**

ويقول: **﴿ واذكرن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا ﴾**

فأمر الله نساء نبيه ونساء المؤمنين بأن يقمن الصلاة، أى يأتين بها فى وقتها مقومة معدلة بخشوع، وخضوع فى السجود والركوع، لأن لب الصلاة الخشوع فى الركوع والسجود، ولأن الصلاة من أكبر العبادات وهى من أكبر مايستعان بها على حسن تربية البنين والبنات لأنها عمود الديانة ورأس الأمانة تهدى إلى فعل الفضائل وتكف عن منكرات الأخلاق والرذائل، وتنبت فى القلب محبة الرب والتقرب إليه

بطاعته ولا إسلام ولا دين لمن ترك الصلاة.] [1] أ. هـ.

ويحذر الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود من التقليد الأعمى فيقول:

إن عشاق التفرنج الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وخرقوا سياج الشرائع واستخفوا بحرمات الدين، يظنون بدافع من رأيهم القصير، أن الحضارة والتمدن والرقي والتقدم يكمن في تشييد القصور، ومعاقرة الخمور ومجاراة المتفرنجين في الحرية والخلاعة والسفور.. قد ضربهم من الجهل سرادق ومن الغباوة أطباق، وغرهم بالله الغرور. تالله لقد سلكوا شعاب الضلالة] [2] أ.هـ.

إنها سطور تضيء فتبدد الظلمة.. ظلمة الجهل.. وظلمة الإنخداع بالبريق الزائف.. سطور عن طريقها نستشعر النور ونحسه فإذا به ينبهنا إلى **(صفقة الشيطان)** التي كنا على وشك إبرامها معه، والتي بمقتضاها كنا على وشك التخلي عن عقيدتنا وأخلاقنا النظيفة الرفيعة القويمة السامية.. التي تمثل الجوهر الثمين الذى لايقدر لكي نأخذ بدلاً منه حبات من الخرز البراق الزائف، كل ذلك بدافع من الضعف الديني والجهل والسفاهة، وبدافع أيضاً من **(عقدة الخواجة)**.

وليتنا نكون قد علمنا الآن وتأكدنا أن ليس كل ماعندنا سيئاً وليس كل ماعند الخواجة حسنا.. وخاصة إذا علمنا أن عقيدتنا ليست من صنعنا وإنما هي نعمة عظمى، ومنة كبرى أنزلها علينا المولى عز شأنه .فكيف نتخلى عنها وكيف يخدعنا الخواجة ويعطينا بدلاً منها خرزات مزورة زائفة أصلها خسيس.. كيف وأهل الخواجة أنفسهم.. العقلاء منهم يعترفون بما عندنا من جوهر كريم لامثيل له ويغبطوننا عليه.. أما آن لعيوننا آن تبصر؟!!.

.. والآن إلى ملمح آخر يوضح لنا خطورة التبرج..

(١) ، (٢) كتاب الاختلاط وماينجم عنه من مساوىء الأخلاق الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود (بتصرف)

تبرجها هادم لكل الحسنات

تقول الأستاذة نعمت صدقي:

إن التبرج هوى سيطر على النفوس وأعمى بصائر النساء والرجال معا.. وانقاد له الجميع بلا تردد.

أسكرتهم خمرته، فتغاضوا عن تحريم الله له، وأباحوه، وانتحلوا المعاذير واختلقوا له المزايا ليبرروه.

١ ـ فمن قائلة أنه من الصغائر.

٢ ـ ومن قائلة أنه عنوان المدنية.

٣ ـ ومن قائلة أنها لاتستطيع مخالفة غيرها، فتضع نفسها موضع السخرية والنقد.

٤ ـ ومن قائلة أنه أقرب سبيل للتعجيل بزواج بناته.

٥ ـ ومن النساء من ادعت أنها تتجمل طاعة لزوجها وحرصا على إرضائه وخوفا من انصرافه عنها إلى غيرها.

٦ ـ ومن ادعت أنها صغيرة السن ولم يحن بعد وقت الاحتشام.

٧ ـ ومن ادعت أنها عجوز لايعبأ بها أحد.

٨ ـ ومن ادعت أنها تبيح لنفسها السفور والصباغ لأنها دميمة ينفر منها الرجال.

وهكذا خدع كل منهم نفسه وأصر على معصية الله وهو يعلم ليرضى هواه.

فالمرأة المتعلمة أقدر النساء على الجدل ولو بالباطل.. فهي تجادل وتسمى تقوى الله تزمتا كأنها لم تعرف الإسلام. إن المسلمة المتنورة ترى أن من أوجب الواجبات عليها أن تحارب الفجور وأن تنهى عن المنكر، وأن تحاول أن تنقذ نفسها وبنات جنسها ودينها من الخروج على آداب الإسلام وأن تدعو إلى الله ربها، إلا أن أولئك المتعلمات يعلمن ظاهرا من الحياة الدنيا، وهن عن الآخرة غافلات، ولذلك فهن يرين الكبائر صغائر، والمنكر معروفا، فتزعم المتدينات منهن أن التبرج من الصغائر، وأن حسناتها الكثيرة ستمحو هذه الذنوب الصغيرة!.

ألا فاعلمى أيتها المستهينة بأمر الله أن كل مانهى الله عنه فى القرآن فهو من الكبائر خصوصا هذا التبرج الذى شدد الله فيه الوعيد.

ألا فتيقنى أن التبرج هادم لكل الحسنات، بل وهادم لحقيقة الإسلام، وهو إثم من أكبر الآثام.. ففكرى أيتها السيدة كم مرة أتيت هذه الأمر الكبير وكم أظهرت من عورة، وكم هتكت من حرمة، وكم أيقظت من فتنة، وكم من نفس مجرمة تشوقت لوصلك.

إجمعى ياسيدتى هذه الآثام فى كل خروجك، فستجدين وزرا ثقيلا، لاتستطيعين حمله يوم الحشر، إنك تستصغرين كبير الإثم وإن فى تصغير الذنب تصغيراً لأمر الله، وفى تعظيم الذنب تعظيماً لأمره سبحانه وتعالى، وفى الحديث:

« المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه، يخاف أن يقع عليه، والمنافق يرى ذنبه كالذباب وقع على وجهه فأطاره ».

إن الحسنات إنما يذهبن السيئات مع الندم والتوبة، أما مع الإصرار على المعصية والجرأة، والاستهتار بالسيئات فإن السيئات عندئذ هى التى تذهب بالحسنات وتحرقها حرقا، قال تعالى: ﴿ **إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما** ﴾ [الفرقان ٧٠]

... وكيف نقرأ فى القرآن أمر مولانا وخالقنا ورازقنا:

﴿ **وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولايبدين زينتهن** ﴾

ثم نجسر على مخالفة أمره ولانخشى غضبه .

إن من لم يستنر بنور القرآن يظل يتخبط فى ظلمات الضلال بالرغم من حصوله على أعلى الشهادات... الله تعالى يقول: ﴿ **إن الحسنات يذهبن السيئات** ﴾

وغفلت المسكينة عن أنها فقدت حسناتها بالإصرار على معصية التبرج لأن تبرجها مستمر فى كل يوم، لذا فإن هدمها مستمر لما تعمل من حسنات فهى تدخر السيئات وما أكثرها، وتهدم بها الحسنات وما أقلها، فهل فوق ذلك خسران وهلاك؟

إن المتبرجة قدمت الدنيا على الآخرة، وقدمت رضا هواها على رضا خالقها ورازقها، وقدمت لذة التبرج والتبذل على لذة الجنة. حقاً إن الجاهل عدو نفسه.

﴿ اعملوا ماشئتم إنه بما تعملون بصير ﴾ [فصلت٤٠]

وما أعجب أمر أولئك الذين يتشدقون بالمدنية يقولونها كلمة جوفاء لايفقهون لها معنى فيزعمون أن التبرج هو ما تقتضيه مدنية العصر الحاضر، وأن الخمار أصبح من مخلفات العصور الغابرة، وأنه يحط من قدر المرأة المثقفة ويصمها بالتأخر.

والحقيقة عكس ذلك ، فإن السيدة المحتشمة هى التى عرفت دينها، وخافت مولاها، ومعرفة الدين والخوف من الله هو أعظم علم، وأكبر تنور وتمدين.

والطائشة المتبرجة تدل على أنها لم تعرف الحياء وأنها جهلت دينها وربها، إن المدنية تتبرأ من قوم مزقوا ثوب الحياء، فانظروا معى إلى الإنسان الأول فى حياته الوحشية الأولى، وإلى الشعوب الزنجية المتوحشة، تروا أن أبرز ماتمتاز به هو العرى والإباحية وجدل الشعر والتزين بالريش والعظام والقواقع والحلى البراقة الزاهية، وتغير لون الشفاه والخدود والعيون وإطالة الأظافر، والرقص العنيف، هذه هى مظاهر همجية الشعوب المتأخرة. وهذا هو ماتقهقرت إليه الشعوب الغربية وهى تجرف معها الشعوب الشرقية المقلدة الغافلة التى فقدت شخصيتها حين أعرضت عن تعلم الدين الإسلامى من موارده الصافية فاتبعتها فى تأخرها لا فى تقدمها وفى همجيتها لا فى مدنيتها وسارعت النساء المسلمات إلى تقليد المرأة الفاجرة وظنن أن هذا التهتك هو مايستلزمه نظام القرن العشرين، كأن الله تعالى لايدرى من شئون الحضارات مايدرين، وكأن الناس أعرف بما يصلحهم من رب العالمين، فما أعظم شقاءكن يامن تعبدن (المودة) وتكفرن بكتاب رب الأرض والسموات.

... إذا أمرت (المودة) قلتن سمعنا وأطعنا ولو كان فى ذلك هلاككهن، وإذا أمر الله تعالى جادلتن وعارضتن وقلتن سمعنا وعصينا، لن نستطيع مخالفة عصرنا، ولانبالى بمخالفة ربنا، لانطيق الخمار فى هذا الحر ولانطيق أن نكون عرضة لسخرية الناس، فهل تطقن أن تكن عرضة لعذاب رب الناس.

﴿ قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون ﴾ [التوبة ٨١]

... أيتها المسلمة الغافلة، نساء عصرك فجرن فلم تقلدينهن؟ ألا تعلمين أن رسول الله ﷺ قال: « من أحب قوماً حشر معهم ». وقال أيضا: « من

تشبه بقوم فهو منهم ؟

وأعجب لزعم المتبرجة أنها تتبرج لتكون كبقية الناس وحتى لاتمتاز عن غيرها بالاحتشام الذى يستلفت إليها الأنظار ويحوطها بالتهكم ونظرات السخرية.

فواعجبا أتخجلين من استلفات الأنظار إلى تقواك وحيائك ولاتخجلين من استلفات الأنظار إلى تبجحك واستهتارك؟ فأيهما أولى بالخجل أن تظهرى بالأدب والرزانة أم تظهرى بالوقاحة والرعونة؟ كيف لاتخجلين من أن تجهرى بالفسق والعصيان، وتخجلين من أن تجهرى بالتقوى والإيمان؟

... أتفسقين مع من فسق لتكونى مثلهم، فلايسخرون منك؟ أتسرقين مع من سرق لئلا يسخر منك اللصوص؟ أتشربين الخمر لئلا يسخر منك المدمنون؟ أتظلمين لئلا يسخر منك الظالمون؟ أتستبدلين الذى هو شر بالذى هو خير خوفا من نظرة تهكم من الفسقة العصاة، وتقدمين رضاهم على رضا الله؟

إنهم ينظرون إليك هكذا، لأنهم لم يروا الاحتشام من أمد بعيد، ونسوا أوامر الإسلام من زمن مديد، فذكريهم وعرفيهم مالم يعرفوه.. إنك على قمة الكرامة وهم فى الدرك الأسفل من العار.. أنت تتبعين سبيل المؤمنين الأبرار وهم يتبعون سبيل العصاة الفجار. فلاتبالى بنظرات السخرية وقولى كما قال نوح عليه السلام:

﴿ إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون * فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ﴾ (1) أ. هـ. [هود ٣٨-٣٩]

.. إنها سطور تصدر عن المرأة حينما ترفض الزيف وترفض النفاق والرياء فتدرك حقائق الأمور ولاينطلى عليها خداع، فإذا بها تكتب هذه الكلمات التى تكشف المخادعين الذين حاولوا أن يخدعوا المرأة بصيحات كاذبة لارصيد لها من الحقيقة، وترد كيد الكائدين فى نحورهم.

انها كلمات تضع الأمور فى نصابها الصحيح وتثأر للحقيقة بدك قلاع الباطل.

---

(1) من كتاب التبرج نعمت صدقى (بتصرف).

الطلاق

يأخذ كثير من باحثي الفرنجة على الإسلام أنه قد جعل الطلاق حقاً للرجل وحده وحرم المرأة من ممارسته، ويقولون إنه لما كان كل من الرجل والمرأة طرفاً في عقد الزواج وشريكاً مع الآخر في الحياة فإن منح حق الطلاق لأحدهما دون الآخر يتعارض مع أصول التعاقد ومع ماينبغي أن تكون عليه المساواة بين الجنسين، وأن الوضع السليم ألا يفسخ العقد إلاّ برضا الطرفين المتعاقدين معاً، أو إذا منح هذا الحق لأحدهما يجب أن يمنح كذلك للآخر.

وقد فات هؤلاء أمور كثيرة. فاتهم أن المرأة إذ تبرم مع الرجل عقد الزواج على سنة الله ورسوله ووفق الشريعة الإسلامية تقبل بذلك أن يتولى الرجل وحده شئون الطلاق في الحدود التي قررها الإسلام، وتتنازل تبعا لذلك فيما يتعلق بالطلاق، عن جميع الحقوق التي يمكن أن تنشأ عن اشتراكها في عقد الزواج، فالزوج إذ يمارس الطلاق وحده إنما يمارسه بناء على رضا الزوجة، ذلك الرضا الذي يتضمنه عقد الزواج نفسه. وفاتهم كذلك أن الإسلام قد راعى في هذا الموضوع **أن المرأة تغلب عليها العاطفة، وسرعة الانفعال، وأنه لايقع عليها غرم مالي من الطلاق فلايصح مع هذه الأوضاع وهذه الحالات النفسية والقانونية للمرأة أن يوضع في يدها حق خطير كحق الطلاق، وإلا لأصبحت الأسرة مهددة بالانهيار لأضعف نزوة عابرة، وأوهى انفعال طارئ على حين أن الرجل لايندفع في العادة مع عواطفه وانفعالاته اندفاع المرأة، وهو وحده من جهة أخرى الذي سيقع عليه غرم الطلاق، هذا إلى أنه [illegible] على الأسرة البصير بشئونها المقدر لجميع ظروفها، فاقتضت الحكمة الإلهية أن يمنح هذا الحق بالقيود التي ذكرناها، وهي قيود تكفل عدم استخدامه له إلا حيث يقتضي ذلك صالح الأسرة والصالح العام، وتكفل عدم الإضرار بالأسرة.**

هذا إلى أن الإسلام قد أباح الطلاق عن تراضى الطرفين فى صورة الخلع، بل أباح أنواعاً من الطلاق تستأثر بها المرأة إذا تنازل لها الزوج عن هذا الحق، وجعل العصمة بيدها، وأباح لها أن تشترط فى عقد الزواج شروطاً خاصة على أن يفسخ العقد عند عدم الوفاء بهذه الشروط، وأباح للقاضى أن يوقع الطلاق فى حالة إعسار الزوج أو غيبته غيبة طويلة ولاتقاء الضرر والضرار.] [1] أ. هـ.

ويقول الأستاذ وهبى سليمان غاوجي حول نفس النقطة:

الزواج عقد على شركة الأبد بين الرجل والمرأة، يبقى مادامت الحياة قائمة بالزوجين وهو عقد يحل لكل منهما الاستمتاع بالآخر على الوجه المشروع.

وككل العقود الشرعية قد يعرض له مايقضى بزواله، حين لاتستقيم الحياة الزوجية، فإنه قد يقع الطلاق.

وكما يدب الخلاف بين الولد وأبيه فيفترقان، وكما يدب الخلاف بين الأخوين فيفترقان، ويدب الخلاف بين الشريكين فيفترقان، كذلك يرى العاقل إمكان وقوع الطلاق عند تحقق الأسباب الظاهرة أو الموجبة لذلك الطلاق.

إذن الزوج هو الذى يملك أصلاً نقض الزوجية.. أعنى الطلاق:

والحكمة فى جعل الطلاق بيد الرجل يمكن عرضها فيما يلى:

١ ـ أن الرجل هو الذى يطلب الزواج عادة، ويدفع المهر ويعد سكن الزوجية.

٢ ـ أن الرجل له القوامة والمسئولية الكبرى فى الأسرة، فمن حقه أن يملك تنظيم الأسرة وحفظها وتفريقها.

٣ ـ أن الزوج هو الذى ينفق على الزوجة المطلقة أثناء عدتها حتى تنقضى، وقد تطول العدة إلى تسعة أشهر، وذلك فيما إذا طلقها وهى حامل فتنتهى عدتها بوضع الحمل.

٤ ـ أن الزوج هو الذى ينفق على أولاده فى فترة حضانة الزوجة لهم، فهو ينفق على إرضاع الصغير رضاعاً وخدمة، وينفق على سائر أولاده فترة حضانة أمهم لهم.

---

(١) الدكتور على عبدالواحد وافى فى كتابه : بيت الطاعة وتعدد الزوجات.

٥ ـ أن الرجل أقوى إرادة وأكثر تعقلاً وأبصر بالعواقب من المرأة عادة ولاتعرض له تلك الحالات المرضية التى تعرض للمرأة أثناء الحيض وغيره من الأمور النسائية التى تحدث اضطراباً فى كيان المرأة ونفسيتها قال الله تعالى فى بيان أن الطلاق هو بيد الرجل: ﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ﴾ ﴿ فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتي تنكح زوجا غيره ﴾ [البقرة ٢٢٨، ٢٣٠] وقال ﷺ: « الطلاق بيد من أخذ بالساق » رواه الطبرانى وهو حديث حسن] (١) أ. هـ.

هذا الرأى قد قدم لنا مزيدا من الضوء على أسباب جعل الطلاق بيد الرجل إلا أنه لم يتعرض لبيان الحالة التى يجوز للمرأة فيها أن تتولى بنفسها هذا الحق لهذا عزيزى القارئ، يمكنك أن تضيف هنا ما ورد بالفقرة الأخيرة من رأى الدكتور على عبدالواحد وافى الذى أوردناه آنفا حتى تكتمل الصورة أمامك بخصوص تلك النقطة.

(١) من كتاب المرأة المسلمة وهبى سليمان غاوجى ط٧ (بتصرف)

الرسل من الرجال لا منهن

[«قال الحافظ ابن كثير: يخبر الله تعالى أنه إنما أرسل رسله من الرجال لامن النساء وهذا قول جمهور العلماء، كما دل عليه سياق هذه الآية الكريمة . أى أن الله تعالى لم يوح إلى امرأة من بنات آدم وحى تشريع، وزعم بعضهم أن سارة إمرأة الخليل، وأم موسى، ومريم بنت عمران أم عيسى نبيات،واحتجوا بأن الملائكة بشرت سارة بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، وبقوله : ﴿ **وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه** ﴾

الآية، وبأن الملك جاء إلى مريم فبشرها بعيسى عليه السلام، وبقوله تعالى:

﴿ **إذ قالت الملائكة يامريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين* يامريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين** ﴾

وهذا القدر حاصل لهن، ولكن لايلزم من هذا أن يكن نبيات فإن أراد القائل بنبوتهن هذا القدر من التشريف فهذا لاشك فيه» أ. هـ.

أقول :وإنما كان وحى التشريع خاصاً بالرجال دون النساء لأن المرأة لها من نظامها الفطرى واختصاصها المنزلى مايعوقها عن توفية الرسالة الإلهية حقها، والقيام بها حق القيام بتلقيها وتبليغها، ومن أكبر موانعها الفطرية الحمل والولادة، وحضانة الأطفال وتربيتهم وتدبير المنزل، وإدارة شئونه، وقد اقتضت طبيعة الأنوثة أن تسقط الشريعة عن النساء الصلاة زمن الحيض والنفاس، ووجوب الجماعة، والجمعة والعيدين، وخصت الرجال بالقتال، وحماية الديار، والدفاع عن الحق بالقوة، وحكمة هذا التخصيص وعلته طبيعة كل من الذكر والأنثى، ونظام فطرته التى فطره الله عليها ﴿ **لاتبديل لخلق الله ولكن أكثر الناس لايعلمون** ﴾ على أن القيام بأعباء الرسالة فوق ذلك كله، والله يصطفى من خلقه، ويختص برحمته من يشاء فيجعله من أنبيائه ورسله: ﴿ **ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله** ﴾ (١) أ. هـ.

(١) تفسير سورة يوسف . لفضيلة الشيخ محمد رشيد رضا . الطبعة الأولى ـ مطبعة المنار بمصر .

حريتها .. ليست مطلقة !

إن الحجاب تأمين للمرأةوحماية لها ولزوجها ولبيتها .. كيف يكون ذلك ؟

يحدثنا فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى فيقول:

[سألتنى صحفية إنجليزية: لماذا يمنع الدين الإسلامى المرأة من أن ترتدى ماتشاء؟ لماذا يقيد حريتها فى أن تختار ثيابها؟ وترتدى ماتحب.. أليست هذه حرية شخصية للمرأة ؟

قلت: قبل أن أجيب على هذا السؤال لابد أن نتفق على نقطة مهمة.. هى أنه ليس لانسان يعيش فى مجتمع مايسمى بالحرية المطلقة.. فلابد أن تكون حريته حرية نسبية لاتعتدى على حريات الآخرين.. وبعيداً عن مخالفة الدين وتعاليمه.

هل تستطعين أنت أن تفعلى ماتريدين؟ إذا أردت أن تمشى فى الطريق العام بدون ملابس على الإطلاق.. فهل يمكنك ذلك بدعوى أنك حرة تفعلين ماتشائين؟ ... هل تستطعين إذا دخلت أحد المحال أو البنوك ووجدت صفاً طويلاً من الناس يقف هل تتجاهلين الصف وتكونين أول الواقفين؟... إلخ

..... لايوجد إذن شيء اسمه الحرية المطلقة فى أى مجتمع من المجتمعات.. ولكنها حريةنسبية تعطيك من التصرف الذى تريدينه ماليس فيه اعتداء على حرية الآخرين، فإذا حدث اعتداء على هذه الحرية فإن المجتمع يتدخل ليوقفك عند حدك قائلا: « هذا ليس من حريتك لأنك اعتديت على حرية الآخرين »

والطريق الوحيد لكى تتمتعى بالحرية المطلقة.. هو أن تذهبى إلى مكان لايعيش فيه أحد.. مكان تعيشين فيه وحدك.. دون أن يكون فيه آخرون.. حينئذ تستطعين أن تتمتعى بحريتك كما تشائين.. فمادام لايوجد أحد حولك، ولا أحد من الناس يراك فإنك تستطيعين أن تفعلى ماتشائين.

يحدث هذا بعيدا عن منطق الدين.. وبعيدا عن منهج السماء، فإذا كان هذا هو

منطق الحياة فى الكون.. فكيف تريدين من منهج الله أن يخلق مجتمعا من الفوضى الذى يضيع فيه كل شيء؟.

الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ **يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما** ﴾ [سورة الأحزاب ٥٩]

ويقول جل جلاله:

﴿ **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن إلا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن** ﴾ [النور ٣١]

هذا هو حكم الله سبحانه وتعالى بالنسبة للمرأة .. وهو خفاء الزينة التى تلفت الأنظار.

إن من اختار الدين فعليه أن يقبل أحكام هذا الدين، حتى لو كانت هذه الأحكام تقيد حريته فى إفعل ولاتفعل.. لأن تقييد الحرية هنا.. هو لخير الإنسان وليس شرا له.

إن هذه الأحكام جاءت من الله ـ سبحانه وتعالى ـ وهو أعلم بنا من أنفسنا فإذا كانت تقيد حركتنا فهى تعطينا الخير، وتذهب عنا السوء، فلايوجد دين بلامنهج.. إلا أن يحاول الإنسان أن يرضى غريزة التدين فيه وفى نفس الوقت يفعل مايشاء، فيعبد الأصنام أو الشمس أو غير ذلك مما لايقيده بمنهج فى الحياة، فيخلص نفسه من تعاليم الله، ليفعل مايشاء.. وفى هذه الحالة يكون قد كفر والعياذ بالله.. لأنه لايريد منهجا سماويا يقيد حركته.

والمرأة التى تتضرر من الحجاب بزعم أنه يقيد من حريتها بستر ما أمر الله من مفاتنها عليها ألا تعترض على منح هذه الحرية لغيرها فإن أباحت لنفسها أن تتزين وتكشف مفاتنها لتجذب إنساناً وتفتنه .. فعليها ألا تعترض على قيام غيرها بكشف مفاتنها لتجذب زوج هذه المرأة أو ابنها.

إن الهدف هو صيانة المجتمع كله من الفتنة وإبقاء للاستقرار والأمن بالنسبة للمرأة حتى لايخرج زوجها من بيته وهى لاتعلم هل ستفتنه امرأة أخرى فيتزوجها أم أنه سيعود إلى بيته؟

إن الله سبحانه وتعالى قد وضع من القواعد والضوابط مايمنع الفتنة للمرأة والرجل حفاظاً على الاستقرار للأسرة وأمنها وأمانها.. وحرم أى شيء يمكن أن تكون فيه فتنة من امرأة لرجل غريب عنها.. ولذلك حرم إبداء الزينة إلا لمحارم المرأة.

بل إن الله سبحانه وتعالى حرم على النساء أن يضربن بأرجلهن كنوع من التحايل لإظهار الزينة التى أخفتها الثياب وذلك بتعمد الإتيان بحركات تظهر مفاتنها.. قال الحق جل جلاله :

﴿ ولايضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ [النور ٣١]

كل هذا قد يفهمه البعض على أنه تقييد لحرية المرأة ولكنه فى الحقيقة حماية لها.. لو أن الله سبحانه وتعالى لم يفرض الحجاب، لكان على المرأة أن تطالب به.. لأنه أكبر تأمين لها ولحياتها. ذلك أن نضارة المرأة موقوتة، وفترة جمالها لو حسبناها فلن تزيد عن خمسة عشر عاما.. ثم بعد ذلك تبدأ فى الذبول.

هب أن امرأة بدأت فى الذبول وزوجها مازال محتفظاً بنضارته.. قادراً على الزواج وخرج إلى الشارع ووجد فتاة فى مقتبل العمر، وفى أتم نضارتها وقد كشفت عن زينتها . ماذا سيحدث ؟!

إما أن يفتن بهذه الفتاة ويترك زوجته ويتزوجها، وإما أنه عندما يعود إلى المنزل يلحظ الفرق الكبير بين امرأته وهذه الفتاة.. فيزهد فى زوجته.. ويبدأ فى الانصراف عنها.

لكن لو حجبت النساء مفاتنهن عن الرجال لصارت كل منهن آمنة من فقدان زوجها، ومن تغير نفسه من ناحيتها، ولظلت محتفظة بحبه لها وإقباله عليها.. لماذا..؟

لأن الجمال نمو ... والنمو فى المخلوقات لايدركه المتتبع له..

الفلاح مثلاً لايلحظ نمو زرعه، فإذاغاب عنه فترة لاحظ هذا النمو.

الرجل مع زوجته كذلك.. فهو عندما يتزوجها وهى عروس تكون فى أبهى زينتها ونضارتها، لكن لأنه يراها كل يوم، فإنه لايلحظ فيها أى تغيير.. وتكبر وتذهب نضارتها وجمالها من أمامه شيئاً فشيئاً دون أن يلاحظ هذا الذبول.. بل تظل فى

عينيه هى نفس العروس الجميلة التى زفت إليه.. ولكن إذا رأى امرأة غيرها أصغر منها، ولاتزال فى قمة نضارتها.. بدأت المقارنة وأحس بالتغيير.. وأثر ذلك فى نفسه.

ولذلك ونحن نرى أمهاتنا بعد أن كبرن وملأت وجوههن التجاعيد.. لانشعر بهذا بل نجد فى أمهاتنا نضارة لانشبع من النظر إليها.

فإذا كان سبحانه وتعالى قد حجب المرأة من أن تستلفت الأنظار إليها بالكشف عن زينتها.. فهو قد حجب غيرها ممن هن أصغر وأجمل وأكثر نضارة من أن يستلفتن أنظار زوجها فيعرض عنها.

والعجيب أن المرأة لاتلتفت إلى هذه الحكمة.. وهى أن الحجاب حماية لها.. ولزوجها ولبيتها.. بل تأخذ المسألة على أساس من الحرية الجوفاء.. ناسية أن هذا التقييد إنما شرع لحمايتها][1] أ. هـ.

هكذا وفق الله فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى فى الرد بأسلوب بسيط حاسم قاطع مقنع على الصحفية الإنجليزية التى سألته، وهى لاتدرك المعنى الحقيقى للحرية فأوضح لها هذا المعنى وأوضح لها بأسلوب هو السهل الممتنع الحكمة الكبيرة والعميقة التى تكمن وراء الحجاب.ولسنا ندرى والله لماذا العجب «والراهبة» عندهم رمز الطهارة والنقاء لاترتدى إلا رداء كأنه الحجاب لايظهر إلا الوجه والكفين.

(١) كتاب المرأة فى القرآن الكريم فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى (بتصرف)

صلاة المرأة

صلاتها تكون على هيئة خاصة:

[شروط صلاة المرأة كشروط صلاة الرجل إلا ستر العورة، فإن عورتها في الصلاة جميع بدنها ماعدا وجهها وكفيها، وإذا بدا شيء من عورتها المستورة في الصلاة، واستمرت مقدار أداء ركن في الصلاة، ويقدّر بثلاث تسبيحات، بطلت صلاتها.

تكتفي المرأة برفع يديها حذاء منكبيها عند دخولها في الصلاة وتضع يديها على صدرها في قيامها في الصلاة، لأن ذلك أستر لها.

وإذا سجدت قربت يديها إلى جسمها ولاتجافي ضَبْعَيها عن جسمها ،كما يفعل الرجل ـ لأنه أستر لها، وإذا جلست للتشهد جلست على إليتها اليسرى لأن ذلك أستر لها كذلك.

وإذا صلت وراء الإمام وأخطأ في شيء من أعمال الصلاة فإنها تلاحظ عليه بأن تصفق بباطن يدها اليمنى على ظاهر يدها اليسرى، أما الرجل فيلاحظ بالتسبيح ، قال رسول الله ﷺ: «**التسبيح للرجال والتصفيق للنساء**» [رواه البخاري]

وهي لاتؤذن للصلاة ولاتقيم، ولاتصلي إماما بالناس .

ولاتكَلَّف بصلاة الجماعة، ولا الجمعة والعيدين، وإذا حضرت إحدى تلك الصلوات وقفت وراء الصبيان الذين يقفون وراء الرجال.

ويسن لها بعد الصلاة أن تبادر بالخروج من المسجد قبل أن يخرج الرجال، دون أن ترفع صوتها بذكر أو تسبيح.

وإذا حاضت تركت الصلاة أيام حيضها، وإذا طَهُرت من حيضها عادت إلى الصلاة، ولم تقض مافاتها من صلوات أيام حيضها، ومثل الحيض النفاس بدليل الإجماع] (١) أ. هـ.

هكذا نتبين الفروق الدقيقة بين الرجل وبين المرأة فيما يتعلق بالصلاة التي هي عماد الدين..

(١) من كتاب المرأة المسلمة وهبي سليمان غاوجي.

صيام المرأة

المرأة فى الصيام كالرجل سواء بسواء، إلا أن لها حالات أكثر منه لترك الصيام.

إذا حاضت المرأة فى رمضان تركت الصيام أيام حيضها، وكذا أيام النفاس.

ثم إنها لاتقضى الصلوات التى فاتتها أيام الحيض والنفاس لما فى ذلك من مشقة عليها، وتقضى الصيام لأن رمضان ضيف العام فلاتجد حرجا فى قضاء مافاتها من الصيام فى رمضان.

قالت السيدة عائشة رضى الله عنها:

« **كنا نؤمر فنقضى الصوم ولا نقضى الصلاة** » [رواه البخارى]

وتؤخر الصيام إذا كانت حاملا أو مرضعا ويتضرر الجنين أو الطفل من صيامها.] (١) أ. هـ.

(١) نفس المصدر السابق.

حج المرأة ..!

المرأة فى عبادة الحج مثل الرجل إلا أنها لاتخرج إليه إلا ومعها زوج أو محرم إذا كانت المسافة بينها وبين مكة المكرمة تعدل مسافة السفر (وتقدر بـ٨٢كم)، وتجعل إحرامها فى وجهها، وكفيها فلاتنتقب ولاتلبس القفازين أثناء إحرامها وإذا خشيت الفتنة سترت وجهها حين قربان الرجال الأجانب منها، وتبقى على ثيابها المعتادة فيما سوى ذلك، ولاترفع صوتها بالتلبية ولاترمل فى الطواف ولاتهرول بين الميلين الأخضرين فى السعى بين الصفا والمروة، ولاتزاحم الرجال فى الطواف، وأما فى تقبيل الحجر الأسود أو استلامه فلا ثم لا] .

مثل مقدس عند النساء !!

فى المثل المصرى «قصقص طيرك لايلوف بغيرك» أى قص أجنحة طائرك حتى يظل عاجزاً عن الطيران بعيداً عنك.. وهو كناية عن تعجيز المرأة رجلها عن الزواج بأخرى، وذلك بجعله لايملك المال الذى يتزوج به، إما عن طريق إرهاقه بالمطلوب للبيت من الكماليا ت وإما ببذل أمواله وتبديدها على أهلها أو أصدقائها.

وهى سياسة خاطئة، إذ أنها تجعل الرجل يشقى كثيراً، ويعمل ليل نهار حتى يجهده العمل فيكره الحياة، ويعيش فى نكد يظهر أثره فى حديثه مع زوجته، وفى شجاره المستمر الذى ينتهى إلى ماخشيت منه الزوجة وهو طلاقها، وزواجه بغيرها.

وكان من الخير لها أن تحتبس طيرها بالطريق الطبيعى.. الحب.. وإظهار حسن تدبيرها لاقتصاديات منزلها.. فإنما يسقط الطير حيث يرى الحب.

فبالحب تحسن المعاشرة، وتطيب الإقامة مع المحبوب.. وبحسن تدبير المنزل يستريح الرجل من العناء، ويتوافر له الوقت الذى يجلس فيه مع أولاده، ويسهم فى تربيتهم بتجاربه وأقاصيصه] (١) أ. هـ.

وهكذا تصبح المرأة سكنا للرجل ،كما ذكر القرآن الكريم ،ومنبعاً ومصدراً للسرور وراحة البال.. انظر معى إلى قوله تعالى:

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ [الروم ٢١]

وهكذا أيضا تكون المرأة قد سارت طبقا لما رسمه لها الإسلام من خطوات، أما تبديد مال الزوج فصورة لايقرها الإسلام ولايرضاها. ولعل المرأة تنتبه إلى هذه الحقيقة وتغير من سلوكها الذى يؤدى بها إلى سوء العاقبة إلى السلوك القويم الذى يضمن لها حسن العاقبة.

---

(١) من كتاب (المرأة فى التصور الإسلامى) عبدالمتعال محمد الجبرى .

المرأة تحتل فى القرآن حيزا كبيرا

منذ فجر الخليقة والمرأة تشارك فى صنع الحياة والقيام بأدوارها البطولية والبناءة مع الرجل جنباً إلى جنب، والقصة فى القرآن تعتبر سجلاً حافلاً ببيان هذه الحقيقة، وكشفها لأنظار الباحثين، فإن من الظواهر البارزة فى قصص القرآن: أن المرأة تحتل فيه حيزاً كبيراً، حيث قامت فيه بأدوار بارزة يتكون منها هيكل القصة، وتبرز بصورة واضحة دور المرأة فى صنع الحياة، وأحداث المجتمع، فلمريم أم عيسى مكانتها المرموقة فى القصة حيث جاء قصصها بإطناب فى سورة آل عمران، ميلادها، ونذر أمها امرأة عمران مافى بطنها لخدمة « بيت المقدس » (هيكل سليمان) كما يقول تعالى:

﴿ إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك مافى بطنى محررا فتقبل منى إنك أنت السميع العليم * فلما و ضعتها قالت رب إنى و ضعتها أنثى والله أعلم بما و ضعت وليس الذكر كالأنثى وإنى سميتها مريم وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم * فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا و كفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ [آل عمران] ٣٥_٣٧]

وميلادها عيسى مع جوارها لقومها دفاعاً عن شرفها مذكورة بإطناب فى سورة مريم حيث يقول تعالى:

﴿ واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا* فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا * قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا * قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا *قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا * قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا * فحملته فانتبذت به مكانا قصيا * فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا * فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك

سريا * وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا * فكلى واشربى وقرى عينا فإما ترين من البشر أحدا فقولى إنى نذرت للرحمن صوما فلن كلم اليوم إنسيا * فأتت به قومها تحمله قالوا يامريم لقد جئت شيئا فريا * ياأخت هارون ماكان أبوك امرأ سوء وماكانت أمك بغيا * فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا * قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا * وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا * وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا * والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ﴾

[مريم ١٦ـ٣٣]

ولأم موسى وأخته وامرأة فرعون فى ظروف ميلاده، ورضاعته، وإلقائه فى التابوت ثم فى اليم. دور بارز فى القصص القرآنى فى سورتى طه والقصص، [انظر سورة طه ٣٨ـ٤٠، سورة القصص ٧ـ١٣].

ولزوج موسى وأختها دور كبير فى القصص القرآنى على طريق رسالته، فقد جاء ذلك فى سورة القصص ٢٢ـ٢٨.

ولامرأة إبراهيم ذكر عريض فى قصته فى سورة هود ٧١ـ٧٣.

وامرأة لوط ورد ذكرها فى قصته على اعتبار أنها كانت من معوقات الدعوة وخائنة لزوجها فى رسالته ـ انظر هود ٨١، الشعراء ١٧٠ـ١٧١، والعنكبوت ٣٣، والنمل ٥٧، والحجر ٥٩ـ٦٠ وضرب بها وبامرأة نوح المثل فى سورة التحريم ١٠.

وفى مقابلتهما ضرب مثل آخر بامرأة صالحة هى امرأة فرعون حيث يقول تعالى فى سورة التحريم : ﴿ **و ضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين** ﴾ [التحريم ١١]

وملكة سبأ تحتل حيزاً كبيراً فى قصة سليمان فى سورة النمل.

وتحتل المرأة فى قصة يوسف حيزاً كبيراً من أول قوله تعالى ﴿ **وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه** ﴾

إلى قوله تعالى فى نفس القصة والموضوع:

﴿ **وقال الملك ائتونى به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله مابال النسوة اللاتى قطعن أيديهن إن ربى بكيدهن عليم * قال ماخطبكن إذ**

راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ماعلمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين * ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لايهدى كيد الخائنين ﴾ [يوسف ٥٢]

وحواء زوج آدم تحتل حيزاً كبيراً من قصة آدم لأول سكناه الجنة تشترك معه فى المعصية والتوبة والإخراج من الجنة والتنبيه عليهما بما سوف ينزله الله إليهما من هدى وذكر.. جاء ذلك فى السور: البقرة، الأعراف، وطه بعبارات مختلفة

﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى * فقلنا ياآدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى * ان لك ألا تجوع فيها ولاتعرى * وأنك لاتظمأ فيها ولاتضحى* فوسوس إليه الشيطان قال ياآدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لايبلى * فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى * ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى * قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلايضل ولايشقى * ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا، ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ [طه ١١٦_١٢٤][(١)] أ.هـ.

ويقول الدكتور عبدالغنى عوض الراجحى أيضاً حول نفس الملمح :

[ومن عناية القرآن بالمرأة أن فيه سورة طويلة تسمى سورة النساء تحتوى على مائة وست وسبعين آية فيها أحكام النساء، وحقوقهن وواجباتهن، وكثير مما يتعلق بهن، وفى القرآن سورة الطلاق وتسمى سورة النساء الصغرى لأن آياتها أقل بكثير من سورة النساء الكبرى، وفى القرآن سورة تسمى المجادلة نزلت على إثر مجادلة امرأة لرسول الله تشكو زوجها الذى ظاهر منها، ولها منه أطفال إن ضمهم إليه ضاعوا، وإن ضمتهم إليها جاعوا.

﴿ قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ﴾ [المجادلة١]

وهذه المرأة عاشت إلى خلافة عمر، ونادته ذات مرة بالطريق فوقف يستمع لها، فاستكثر الناس منه ذلك، فقال لهم: هذه هى التى استمع الله لها من فوق سبع

---

(١) من كتاب الإسلام أنصف المرأة، الدكتور عبدالغنى عوض الراجحى (بتصرف).

سماوات أفلا يقف عمر ليسمع لها؟

وأن نعيم الجنة الذى وعد الله به عباده المتقين، لم يخل منه ذكر المرأة بجوار الرجل وذلك فى القرآن وشريعته:

﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ﴾ [البقرة ٢٥]

واعتباره المرأة نعيماً، ونعمة وأنساً للرجل ليست رجساً ولا شيطانة لايتنافى اقتران الرجل بها فى الجنة مع ماهو فيه من القرب إلى الله والتمتع برضوانه، فلا المتعة بالمرأة تحول بين الرجل وبين رضوان الله ولا الرجل يحول بين المرأة وبين مرضاة الله.] (١) أ. هـ.

---

(١) المرجع السابق.

إختيار الزوجة

أحسنهن للزواج ذات الدين:

قد يختار المسلم زوجته على أساس من الدين القويم، والخلق الكريم، فهو يؤمن في نفسه أن جمال الدين نضر في كل لحظة، وأن كمال الخلق سعادة في النفس والأسرة، فإن المؤمنة ولو كانت جميلة غنية ذات شرف مرموق تقوم دائما على بر زوجها، ورعايته في قلبه وشعوره وماله وولده وعرضه.

هذا الاختيار جدير أن يحض عليه المسلم ويغرى به ويرغب فيه من الحريص بالمؤمنين والرءوف الرحيم بهم ﷺ.

قال ﷺ: ـ « **تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك** » [رواه البخارى]

وقال: من « **من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلاً، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقراً، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره ويحصن فرجه ويصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه** » [رواه الطبرانى فى الأوسط]

وقال: « **لاتزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ولاتزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين، ولأمة خرماء** ـ مثقوبة الأذن ـ **سوداء ذات دين أفضل** » [رواه ابن ماجه]

إن المرأة المختارة على أساس الدين أولا وبالذات هى الكنز، بل هى خير مايكنزه المرء، كما قال ﷺ لعمر رضى الله تعالى عنه والله تعالى يقول:

﴿ **فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله** ﴾

إن الزوجة الصالحة عابدة تعين زوجها على العبادة، وتطبق أحكام الإسلام على الأسرة، وهى أمينة تحفظ عليه ماله وسره، ولاتدخل على نسبه من ليس منه، ولا

---

(١) من كتاب (المرأة المسلمة) وهبى سليمان غاوجى.

ترزؤه في مال أو متاع.

فالدين القويم والخلق الكريم هو الأساس الأول في بناء الأسرة] (١) أ. هـ.

إنها كلمات من نور لو أخذ بها المسلمون وجعلوها حجر الزاوية وعملوا بها حينما يتزوجون لزالت مشاكل الزواج لديهم أو كادت .

(١) فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ـ كتاب المرأة فى القرآن الكريم .

الرضاعة

مامن قضية أثارت جدلاً فى كل بيت مسلم، وفى كل بيت غير مسلم.. مثل قضية الأحكام الخاصة بالمرأة فى القرآن الكريم.. وماحورب الإسلام من المستشرقين مثلما حورب بقضايا المرأة فى تعدد الزوجات.. وميراثها الذى يبلغ نصف ميراث الرجل، أيضا شهادتها، حيث إن شهادة الرجل بشهادة امرأتين، وغير ذلك من الأحكام التى تعمدوا فيها القول بالباطل والمفاهيم الخاطئة لإثارة الناس.

لكن فجأة، وبعد أن طحنت التجربة المرأة فى أوروبا وأمريكا.. وبعد أن أصيبت مجتمعاتهم بأمراض عضوية وخلقية إذا بهم لايجدون إلا الطريق الإسلامى مضطرين إليه اضطراراً.. بعد أن بينت لهم التجربة النتائج المدمرة التى يمكن أن تحدث عندما يشرع الناس لأنفسهم، ويتركون ماشرعه الله.

لقد قالوا: لاطلاق.. زواج كاثوليكى.. امرأة واحدة فقط.. وأخذوا يتباهون أنهم وجدوا الحل الأمثل للحياة.

وإذا بالكنيسة الكاثوليكية نفسها، التى تبنت هذا القانون،هى التى تلغيه تحت ضغط المشاكل الهائلة التى حدثت منه.. وإذا بهم يوم إلغاء هذه الأبدية وإباحة الطلاق.. تقام أربعون ألف قضية طلاق فى يوم واحد فى روما وحدها!

وقالوا: لاترضعوا أولادكم وأنشأوا شركات هائلة تصنع اللبن للطفل مدعين أن هذا اللبن الذى يصنعونه هو أفضل من لبن الأم الذى خلقه الله سبحانه وتعالى وهو العليم بخلقه ومايصلح أو مالا يصلح لهم.

ثم مرت السنوات.. وللأسف الشديد.. الدول الإسلامية قلدت دول الغرب وقلد أطباؤنا أطباءهم ثم ماذا حدث؟ أثبتت الأبحاث أن لبن الأم هو الذى يعطى الطفل المناعة طوال حياته، وأن البعد عن لبن الأ أنشأ أجيالا مريضة جسديا ونفسيا وعقليا.

وأفاقت المجتمعات الغربية.. فأخذت تصرغ قصائد المدح فى لبن الأم وفوائده.. ومايفعله فى الطفل.. وإذا بكل وسائل الدعاية تدعو الأمهات لإرضاع أطفالهن لأن الطفل لايأخذ من ثدى أمه اللبن فقط، ولا الصحة فقط. ولكن يأخذ منه الحنان

والشعور بالأمان والانتماء للأسرة..وكل ماهو طيب فى هذه الحياة] [1] أ. هـ.

وصدق الله العظيم، وهو دائما صادق رغم أنف بعض الطائشين، إذ يقول فى محكم آياته.. ﴿ **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة** ﴾ ... الآية ... [البقرة ٢٣٣]

وللذين تجاوزوا قدرهم نقول: ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير؟! يالكم من قوم غطى الجحود على عقولهم فأعماهم.

(١) فضيلة الشيخ محمود شلتوت فى كتابه (القرآن والمرأة).

تزين الرجال للنساء

على الرجل أيضا أن يتزين لها .

[أوجب الإسلام أن يتزين الرجل لامرأته، وهذا من صميم المعاشرة الجنسية يقول عليه الصلاة والسلام : « **اغسلوا ثيابكم وخذوا من شعوركم، واستاكوا، وتزينوا فإن بنى إسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك فزنت نساؤهم** »] (١) أ. هـ.

هذا هو الإسلام الذى أنزله الله العليم الخبير.. الذى خلق الإنسان وهو أعلم وادرى به من أية نظم وضعية تتخبط بين التحرر الزائد والانحلال، وبين التضييق والانغلاق والتزمت.. إنه وحده الذى خلق فسوى، والذى قدر فهدى.. وهو وحده العليم الخبير بمكنونات النفس البشرية ومايصلحها. وهكذا يعالج هذه النقطة معالجة وضع الشيء فى مكانه ووضعه المناسب الصحيح دون إفراط أو تفريط.

ومن المناسب هنا أن نسوق هذه الرواية التى تؤكد على ضرورة تزين الرجل لإمرأته كما تتزين هى له:

[أتت امرأة بزوج لها أشعث أغبر، إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقالت: ياأمير المؤمنين لا أنا ولا هذا خلصنى منه، فنظر إليه عمر،وعرف ماكرهت منه، فأشار إلى رجل، وقال له: اذهب به وحممه، وقلم أظافره، وخذ من شعره وأُتنى به، فذهب وفعل ذلك ثم أتاه فأومأ إليه عمر، أن خذ بيدها، وهى لاتعرفه، فقالت: ياعبد الله سبحان الله، أبين يدى أمير المؤمنين تفعل هذا؟ فلما عرفته ذهبت معه. فقال عمر:

هكذا فاصنعوا لهن، إنهن يحببن أن تتزينوا لهن كما تحبون أن يتزيّن لكم] (٢) أ. هـ.

دين قمة فى التحرر السليم..يضع الأمور فى نصابها الصحيح، دون تزيد أو نقصان، ويعالج الأمور معالجة سليمة قمة فى التقدم والموضوعية.. ولم لا، أليس من لدن العليم الخبير الذى يعلم السر وأخفى، والذى هو أدرى وأعلم بالإنسان الذى خلقه فسواه...وأعلم أيضاً بأسرار نفسيته العميقة.

---

(١) من كتاب حول المشكلة الجنسية فى القرآن الكريم عبد العزيز خطاب .
(٢) من كتاب الأنابيش الجزء الأول ـ عبد الرحمن الضبع

لها حق المبايعة على السمع والطاعة:

جعل الله للمرأة حقا فى المبايعة على السمع والطاعة والقيام بحدود الشريعة وأحكامها، انظر قوله تعالى فى سورة الممتحنة:

﴿ياأيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لايشركن بالله شيئا ولايسرقن ولايزنين ولايقتلن أولادهن ولايأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولايعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم﴾ [الآية ١٢]

ومن لطيف مايروى فى شأن مبايعة النبى ﷺ النساء ذلك الحديث الذى جرى بينه ﷺ وبين هند بنت عتبة زوج أبى سفيان وقت المبايعة: قال عليه السلام: **«وأبايعكن على ألا تشركن بالله شيئا، فقالت هند:وكيف نطمع أن يقبل منا ما لم يقبله من الرجال، فقال عليه الصلاة والسلام: ولاتسرقن، فقالت هند: إن أبا سفيان رجل شحيح إنى أصبت من ماله هناة فما أدرى أتحل لى أم لا؟ فقال أبو سفيان** (وكان حاضرا)**: ما أصبت من شيء فيما مضى فهو لك حلال. فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فقال لها: «وانك لهند بنت عتبة» قالت: نعم فاعف عما سلف يا نبى الله عفا الله عنك.. فقال عليه الصلاة والسلام: ولاتزنين، فقالت: أوتزنى الحرة! فقال: «ولاتقتلن أولادكن» فقالت: ربيناهم صغاراً وقتلتهم كباراً فأنت وهم أعلم** «تشير إلى مقتل ابنها حنظلة وكان قد قتل فى بدر» **فضحك عمر حتى استلقى على ظهره. وتبسم رسول الله ﷺ فقال: «ولاتأتين ببهتان» فقالت: إن البهتان لأمر قبيح وماتأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق. فقال: «ولاتعصينني فى**

(١) كتاب القرآن المرأة فضيلة الشيخ محمود شلتوت .

معروف»، فقالت: والله ماجلسنا مجلسنا هذا وفى أنفسنا أن نعصيك فى شىء.»

.... انظر إلى ظاهرة حرية المرأة فى نقاشها وحوارها مع النبى ﷺ حرية لايحلم بها الرجال عند أعظم ملوك الأرض ديمقراطية] [1] أ. هـ.

(١) فضيلة الشيخ محمود شلتوت (القرآن والمرأة)

سماع الله لشكوى النساء

لم يقف القرآن بالمرأة عند هذا الحد بل احترم رأيها واستمع إليه، وقرره مبدأ يسير عليه التشريع العام. اقرأ قوله تعالى:

﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير * الذين يظاهرون منكم من نسائهم ماهن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا وإن الله لعفو غفور * والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير * فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم ﴾ [المجادلة ١ - ٤]

هذه آيات أربع نزلت في حادثة بين أوس بن الصامت وزوجه خولة بنت ثعلبة. قال لها: أنت على كظهر أمي. وكان الرجل في الجاهلية إذا قال مثل هذا لزوجته حرمت عليه، ثم دعاها فأبت. وقالت: والذى نفس خولة بيده لاتصل إلى وقد قلت ماقلت حتى يحكم الله ورسوله ﷺ: فأتت رسول الله ﷺ فقالت: **يارسول الله إن أوساً تزوجني وأنا شابة مرغوب فلما خلا سني، ونثرت بطني، جعلني عليه كأمه وتركني إلى غير أحد. فإن كنت تجد لي رخصة يارسول الله تنعشني بها وإياه فحدثني بها. فقال عليه الصلاة والسلام: ما أمرت في شأنك بشيء حتى الآن وما أراك إلا قد حَرمت عليه. قالت: ماذكر طلاقاً .وجادلت رسول الله ﷺ مرارا ثم قالت: إن لي صبية صغاراً إن ضمهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إلي جاعوا!! وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقول: اللهم إني أشكو إليك، اللهم فأنزل على لسان نبيك، ومابرحت حتى نزلت الآيات تشنع على المظاهرين من نسائهم وتبكتهم وتضع طريقاً للخلاص من الظهار،وتبين أنه ليس طلاقاً ولاموجباً للفرقة. وانظر بعد ذلك كيف جعلها القرآن (مجادلة) للرسول ﷺووصف مابينهما بالتحاور ونظمهما في باب واحد.. ثم كيف قرر رأيها وجعله تشريعا عاماً خالداً.. فآيات الظهار، وأحكامه في**

الشريعة الإسلامية وفى القرآن الكريم أثر من آثار الفكر النسائى، وصفحة إلهية خالدة تلمح فيها على مر الدهور صورة احترام الإسلام لرأى المرأة وأن الإسلام لايراها مخلوقة تقاد بفكر الرجل ورأيه، وإنما لها رأيها وللرأى قيمته ووزنه.

على هذا المبدأ وهو احترام رأى المرأة وأن لها حقا فى التفكير وإبداء الرأى قبل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نقدها إياه وهو يخطب الناس ويحذرهم التغالى فى المهور. ولم يلبث أن رجع إلى رأيها وعاد على نفسه باللائمة. انظر ما رواه المفسرون عند قوله تعالى فى سورة النساء:

﴿ وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شينا أتأخذونه بهتانا وإثما مبيناً ﴾] [1] أ. هـ

المرأة أول نوع من أنواع الشهوات:

ومادة من أهم مواد الامتحان

[إن أمر وجودنا فى هذه الحياة جد وأخطر من الجد.

فلا يحجبنك عن تصور عاقبتها أى لون من ألوان مغرياتها، ولاينسينك هوانها كثرة ماترين من المتعلقين بها. ولاتنسى أن الناس إنما يجتازون إلى الله فى هذه الدنيا بساعة امتحان سواء علموا ذلك أم جهلوا، وربما طالت هذه الساعة أو قصرت، ولكنها على كل حال ليست أكثر من ساعة امتحان.

وإذا كان الاجتياز بهذه الساعة الامتحانية قدراً مشتركاً بين الرجال والنساء فإن المرأة تمتاز عن الرجل بحمل عبء آخر شديد الخطورة وعظيم الأثر فى العقبى.

فالمرأة بالإضافة إلى كونها تشترك مع الرجل فى اجتياز هذه الساعة الامتحانية، تعتبر مادة من أهم موادها الامتحانية ذاتها.

ذلك لأن الشهوات على اختلافها هى المنزلق الامتحانى.

والمرأة ـ بتقرير الله وصريح بيانه ـ أول نوع من أنواع هذه الشهوات، أو ليس القائل: **﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ﴾** [آل عمران ١٣]

---

(١) كتاب القرآن والمرأة فضيلة الشيخ محمود شلتوت .

فقد عد الله النساء فى أولى مراتب الشهوات التى وضعها زينة وابتلاء فى طريق الناس، ولولا أنها تفوق سائرها فى الخطورة والأهمية لما جعل مرتبتها فى الذكر قبلهن جميعا.

وإذاً، فالمرأة فى حياة الإنسان أخطر ابتلاء دنيوى على الإطلاق، وسر ذلك أن جميع الآثام التى حظرها الله تعالى على عباده، ليس بينها وبين الإنسان أى انسجام فطرى، فالظلم بأنواعه المختلفة محرم، ويعين الإنسان على تجنبه أن الفطرة الإنسانية تشمئز منه. وشرب الخمر محرم، ويهون من أمر تحريمها أن الفطرة الإنسانية الأصيلة تعافها، وكذلك السرقة، والغش والغيبة والنميمة، وبقية المحرمات الأخرى كلها لاتتفق مع مقتضيات الفطرة الإنسانية السليمة.

وإنما يستثنى من هذا العموم شيء واحد فقط، هو الغريزة الجنسية الشرعية ـ تعتبر من أخص مستلزمات الفطرة الإنسانية وأهم متطلباتها، ولاسبيل لأى إنسان إلى أن ينفك عنها أو يسمو فوقها.

ومن خلال هذه المقارنة تستطيعين أن تدركى أن الشهوة الجنسية فى الإنسان أخطر ابتلاء دينى فى حياته. إذ فى الوقت الذى تقف الفطرة الإنسانية فيه عونا على تطبيق حكم الله بالنسبة لمختلف المعاصى والمنكرات، فإنها تقف بالنسبة للشهوة الجنسية مثيرة لها، أو عاجزة ـ فى أحس الأحوال ـ عن أن تكبح لجامها أو تقلل شيئا من هياجها.

وبناء على ذلك فإن العلاج الإسلامى بالنسبة لسائر المعاصى يكمن فى مزيد من الابتعاد عنها، والاستعلاء فوقها.

أما بالنسبة لأمر الجنس خاصة فقد كان العلاج هو الارتواء منه وإمتاع الغريزة به ولكن ضمن حدود مرسومة معينة لايتجاوزها.

فهذا معنى قولنا: إن المرأة أخطر مادة امتحانية فى حياة الرجل على الإطلاق.

وربما تقولين: ولماذا لايعتبر الرجل أيضا مادة امتحانية فى حياة المرأة، مادام الشعور الجنسى شائعا بيهما؟

والجواب: أن الفاطر الحكيم أقام فطرة المرأة على أسس نفسية جعلت منها مطلوبة أكثر منها طالبة، فهى مهما شعرت من إلحاح غريزى فى كيانها تظل ميالة إلى أن تتحصن بمركز الانتظار والاستعلاء، وأن تفرض على الرجل ظروفاً وأسباباً تجعله يلح

في طلبها والسعي وراءها، وبذلك تكون المرأة فتنة للرجل أكثر من أن يكون الرجل فتنة لها.

وقد قرر رسول الله ﷺ هذه الحقيقة في قوله : « **ماتركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء** » [متفق عليه]

... ولتعلمى أن أمر هذه الفتنة التى ابتلى بها الرجل.. تشديداً وتهويناً.. عائد إليك، فالمرأة تستطيع إذا شاءت أن تجعل من شأن نفسها عوناً له على السير فى طريق السلامة والنجاة.

.... ومن هنا كان أخطر الوظائف الإسلامية التى كلف الله بها المرأة أن تغمد سلاح فتنتها أمام الرجال ما استطاعت إلى ذلك سبيلا حتى لا يقعوا فى رهق من أمر هذا البلاء أو الامتحان.

وقد تم الإجماع على أن المرأءة لاتحرز رضى الله تعالى عنها بعمل من الأعمال الصالحة كما تحرزه بالسعى فى سبيل يعين الرجل على الاستقامة الخلقية وضبط نوازعه الشهوانية، ولا تتسبب فى غضب الله عليها بعمل من الأعمال المحرمة كما تتسبب إلى ذلك بالسعى فى سبيل أ ن تثير فى الرجل نوازعه الشهوانية وتقصيه عن أسباب الاستقامة والعفة الخلقية.

وماكان أكثر أهل النار ـ النساء ـ بإخبار النبى عليه الصلاة والسلام ـ فى الحديث إلا لجملة عوامل من أهمها أنهن لايتقين الله تعالى فى هذه الوظيفة الخطيرة التى أناطها الله تعالى بهن](1) أ.هـ.

أعتقد أن على الرجل الآن وبعد ماقرأوا هذا الملمح خصوصاً أن يحترسوا وينتبهوا، ويأخذوا حذرهم أكثر من أى وقت مضى حتى لايرسبوا فى الامتحان وخاصة بعدما علموا بكلمات مثل هذه الكلمات واضحة صريحة تبرز لنا الحقيقة سافرة: «احترس ياهذا وأنت تنظر إلى المرأة فإنها فى ظاهرها بهجة ومسرة ولكنها فى باطنها إمتحان.. وأى امتحان »

كما أعتقد أن هذه السطور من شأنها أن تساعد المرأة على إدراك مدى المسئولية الملقاة على عاتقها، كما تساعدها على إدراك أن الأمر جد وليس بالهزل.

هل التبرج يعجل بالزواج ؟

قد يظن الآباء والأمهات أن تبرج بناتهم واستعراض جمالهن يعجل بزواجهن فيعرضون لذلك بناتهم، كما يعرض التاجر سلعة للبيع، ولم يفطن هؤلاء الآباء إلى أن الذى يطلب الزواج بابنتهم لجمالها ودلالها، ولايستنكر تجردها من الحياء والاحتشام، وخروجها على آداب الإسلام هو رجل فاسق شهوانى يبحث عن جسم جميل خليع ليتمتع، ولايبحث عن قلب تقى ليسعد، فلن يكون هذا الرجل زوجاً صالحاً.

أما الرجل الذى يطلب الزواج من ابنتهم لتقواها واحتشامها ويعجبه حياؤها وتدينها، فهو الرجل المسلم المستقيم، وهو الزوج الصالح الكريم، ولاسعادة حقة.. بلاتقوى، فتقوى الله أساس الاستقامة.

والاستقامة أساس السعادة، ومن يخش الله فإنه لايخشى غيره، فزوجوا ابنتكم من التقى، فإذا أحبها أكرمها، وإذا كرهها لم يظلمها، ولاتزوجوها من حيوان شهوانى، إذا فرغت منها حاجته، وأكلها لحما طرحها ونبذها عظماً بدون حياء ولاخوف من الله لأنه إنما كان ينشد المتعة البهيمية ولايفهم معنى السعادة الإنسانية] (١) أ. هـ.

الزواج إذن يكون إما من مؤمن وإما من فاسق.. والزواج من فاسق قلّته أفضل لأن المشاكل العديدة تأتى من ورائه وتعانى الزوجة فيه كثيراً ولاتجد إلا الشقاء والتعاسة. أما الزواج من مؤمن فهو الزواج المعتبر حقا، وهو الذى يسعى من أجله الساعون، ويفرح به الأهل ويطمئن أولياء الأمور به على بناتهم.

فالمولى عز وجل يقول:

---

(١) من كتاب التبرج نعمت صدقى (بتصرف)

وعليه فالزوج المؤمن أفضل بدون شك من الزوج الفاسق.. لأن المؤمن إذا أحب زوجته أكرمها، وإن كرهها لم يظلمها.

هذا الزوج المؤمن لن يأتى ويطرق الباب إذا وجد تبرجاً، وهكذا فإن التبرج هنا من شأنه أن يعطل الزواج لا أن يعجل به.. أما الذى يجذبه حقا ويعجل بالزواج فهو أن يجد تقوى ويجد فتاة تخشى الله وتلتزم فى زيها بالاحتشام وبالحجاب الإسلامى.

---

(١) من كتاب التبرج. نعمت صدقى .

هل الحجاب يؤخر الزواج؟

إن الاحتشام لايمنع الأناقة، ولايدعو إلى التهكم، بل قد يكون التبرج أدعى إلى السخرية، وبعيداً عن الأناقة، وقد يكون الاحتشام فى أناقة، لايمكن للتبرج أن يجاريها.

ومما يدهش له أن تزدرى المتبرجة المسلمة المحتشمة كأن قيمة المرأة بأصباغها وطول مخالبها، لابكمال عقلها، وتقواها وآدابها، فتسخر الطائشة المقلدة لنساء باريس المتهتكات من التقية المتبعة لنساء النبى المؤمنات.

فهل بلغ حد الكفر والجهل فى عصرنا أن يضحك الباطل من الحق والجنون من العقل، والفسق من التقوى، والتهتك من التعفف؟

مهلا أيتها الساخرات الضاحكات، فإن من تضحكن منهن اليوم سيضحكن منكن غداً، والفوز للضاحك الأخير: **﴿ إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون * وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين * وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون * وما أرسلوا عليهم حافظين * فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون * على الأرائك ينظرون * هل ثوب الكفار ماكانوا يفعلون ﴾**
[المطففين ٢٩ـ ٣٦] [1] أ.هـ.

هذه سطور نهديها فى إخلاص إلى الفتيات والسيدات اللاتى يعتقدن أن الحجاب ضد الأناقة بينما الحقيقة غير ذلك على خط مستقيم، وخاصة أن المحجبة المتدينة المتنورة تجمع بين جمال وأناقة المظهر وبين حسن المخبر.

(١) من كتاب التبرج نعمت صدقى.

استخدام المرأة ضد دينها

ماذاكان السلاح الأول الذى استعمله الغربيون لتفتيت الحضارة الإسلامية وتحويل الأخلاق الإسلامية عن وجهتها الإسلامية الأولى؟

إن أمضى سلاح شهره الغرب لتحقيق هذه الغاية إنما هو: عنصر المرأة، فلقد علموا أن الشبهات العقلية لايمكنها أن تفعل فى عقول المسلمين عشر مايمكن أن تفعله فى نفوسهم الإثارات الجنسية، وإذا كان لابد من شُبه فكرية يطرحونها، فلامناص من أن يكون بين يدى ذلك، ومن خلفه دوافع أو آثار شهوانية تجند لها امرأة، فمن أجل ذلك يقوم الغزو الفكرى للمسلمين، على عنصر مهم هو المرأة بكل مايمكن أن يستغل فيها من عوامل الفتنة والتأثير والإغراء، ومن أسباب الإقصاء بها عن رعاية النشء،والأسرة.

وما أظن أنك بحاجة إلى عرض الأدلة المسهبة على هذه الحقيقة، فقد باتت دلائل ذلك مكشوفة واضحة يعرفها ويتناقلها كل من كانت له مشاركة بسيطة فى ثقافة العصرومعرفة طبيعته.

ومع ذلك، فلأضع بين يديك هذا النموذج من كلام المبشر والمستشرق المعروف (جسب):

[إن مدارس البنات فى البلاد العربية هى بؤبؤ عينى، لقد شعرت دائماً بأن مستقبلنا فى سوريا إنما هو بتعليم بناتها ونسائها. لقد بدأ نشاطنا فى ذلك على ضعف ولكن هاهى ذى قد أثارت اليوم اهتماماً شديداً فى أوساط الجمعيات التبشيرية] (١).

ولاأظن أن أى إنسان يمكنه أن يتصور بأن مدارس البنات بؤبؤ عينى (جسب)

(١) التبشير والاستعمار لمصطفى الخالدى وعمر فروخ : ٨٧

لشدة مايغار على مصلحة البلاد الإسلامية أو العربية ولشدة إخلاصه فى حب الخير لها.

لقد كانت « بؤبؤ عينية » لأنه كان يدرك مدى ما للمرأة من آثر فى تقويم حياة الجيل الجديد أو إفسادها، وإذا فلابد من الاعتماد على مدارس البنات والسيطرة من هناك على تربيتهن وتوجيه سلوكهن.

ولكن كيف اتخذ قادة الغزو الفكرى من عنصر المرأة سبيلا لتحقيق الغاية التى كانوا، ولا يزالون يستهدفونها ؟

والجواب: أنهم ساروا إلى ذلك فى خط معاكس لكل ماقد قضى به الإسلام من حكم فى حق المرأة، فما قضى به الإسلام هو أن تتمتع بالصيانة والستر، وألا تبدى شيئا من مفاتنها أمام الرجال، فكان سبيل هؤلاء هو العمل على إبعادها ما أمكن عن قيود الصيانة والستر، ودفعهاما أمكن إلى أن تبرز مفاتنها فى سائر الأمكنة، واستعانوا لتحقيق ذلك بكل منافق مستعد لأن يبدل كلام الله تعالى وحكمه لقاء عرض من الدنيا قليل.

ومما قضى به الإسلام ألاَّ لاتتبرج المرأة المسلمة كتبرجها الجاهلى المعروف، وأن تقر فى بيتها، وتبذل قصارى جهدها فى سبيل إنشاء أسرة صالحة وتربية ذرية طيبة، فكان سبيل هؤلاء هو العمل على ألاَّ تطيق المرأة قراراً فى بيتها، وأن تحمل من أعباء الحياة مالا يدع لها مجالاً للنظر فى بيتها أو تربية أولادها.

واستعانوا لتحقيق ذلك بالتركيز على أضعف نقطة يعانى منها المسلمون.. فلقد راحوا يروجون بأن سر تخلف المسلمين إنما هو عجزهم عن التصنيع، وأن التصنيع لاينهض إلا على أكثر قدر من الأيدى العاملة، وإنما يكون ذلك بإشراك المرأة فى العمل.. وأن العالم الغربى إنما يتقدمهم بشىء واحد هو التنبه إلى هذه الحقيقة، فهم يستغلون سائر طاقاتهم الإنسانية بدلاً مما يفعله المسلمون من إهدار نصفها.

ولقد انطلت هذه الحيلة التى باتت اليوم قديمة ومكشوفة، على عقول طائفة كبيرة من ناشئة المسلمين وقادتهم حتى باتوا يتصورون حقا أن سر تخلف المسلمين

إنما يكمن فى هذا الحجاب الذ ى تفيض منه على مفاتنها، وأنه ليس بيننا وبين أن نلحق بركب المدنية الحديثة ونتساوى مع شعوب العالم الراقى إلا أن نضاعف أيدى الرجال العاملين بمثلها من أيدى النساء العاملات.

ولقد بات الحديث بعد ذلك عن حكم الإسلام فى لباس المرأة وعملها وتعلمها مثار استهجان أو محل استشكال، بل بات ذلك دليلاً عند هؤلاء الناس على أن الإسلام إنما يشد أهله إلى الوراء بدلا من أن يدفع بهم إلى التقدم والصعود فى مدارج الرقى.

وزاد البلاء خطورة ماظهر حول هؤلاء الناس من متلاعبين بنصوص الشريعة الإسلامية وأحكامها ابتغاء الحصول على مأرب دنيوى، أو اتقاء خسارة مركز، أو زعامة منصب، وإنما نصوص الشربعة ألفاظ كألفاظ القوانين، فكما أن المحامى الذى يطمع فى كسب مالى معين لايعجزه شيء عن أن يؤول المواد القانونية ويتلاعب بالفاظها ودلالتها، فكذلك العالم الذى لايبالى بغضب الله لايعجزه شيء عن أن يؤول نصوص الشريعة، ويتلاعب بألفاظها ودلالتها.

ولقد كان من نتيجة هذا البلاء أن ازداد سواد الشر الذى خطط له الغرب، بواسطة من ضللتهم فتاوى هؤلاء المتلاعبين، فانحرفوا عن المنهج الإلهى بنية حسنة، وتاهوا عن الصراط السوى من وراء تقليدهم لهؤلاء الكبراء، فقد ظنوا أنهم إنما يدلونهم على صراط الله، فإذا هم يقودونهم إلى مهاوى الشقاء الأبدى الأليم.] [(١)] أ. هـ.

.... يقول المولى عز وجل:

﴿ يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ﴾ [الأحزاب ٥٩]

ويقول أيضا:

(١) كتاب إلى كل فتاة تؤمن بالله للدكتور محمد سعيد رمضان البوطى.

﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾ [النور الآية ٣١]

ويقول أيضا: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾

[الأحزاب ٣٦]

إنها نصوص قاطعة لاينبغى لمؤمن أو مؤمنة أن يغفل عنها لحظة حتى يكون فى حصانة ضد من يحاول الانحراف عن أصول دينه القويم وأوامر الله ونواهيه، ولقد قدمنا أخى القارئ سمات الحجاب الإسلامى الواجبة.

---

(١) كتاب القرآن والمرأة الشيخ محمود شلتوت .

حق طلب الطلاق

وجعل لها حق التخلص بمالها من سوء معاشرة الرجل إذا رأت ذلك سبيلا متعباً لراحتها وهناءتها . انظر قوله تعالى فى سورة البقرة :

﴿ فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ﴾

وقد كان شأنها فى ذلك شأن الرجال يتخلصون بأموالهم من كل ماينزل بهم متى رأوا أن بذل المال سبيل للخلاص منه، وهذا آية الملكية التامة والحرية الكاملة فى التصرفات.] [(١)] أ. هـ.

... هكذا تتبين أن الإسلام لم ينقص المرأة حقاً من حقوقها.. بل كان حريصاً أشد الحرص على التأكيد على ألا يظلمها الرجل حتى قال الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه: «خيركم.. خيركم لأهله ...» وجعل اللقمة يضعها الرجل فى فم زوجته يأخذ بها صدقة..

وفى هذا مافيه من توفيته لحقوقها كاملة ثم تجاوز هذه الخطوة إلى خطوة أرفع وأسمى وتتمثل فى إكرامها والمحافظة على مشاعرها. فإذا لم يتوافر ذلك كان لها حق الخلاص.

---

(١) كتاب القرآن والمرأة الشيخ محمود شلتوت .

آداب اللقاء الجنسى

إن الشارع جل جلاله نظم اللقاء الجنسى بين الرجل والمرأة عن طريق إخضاعه لضوابط الزواج وتنظيماته الشرعية.. ولايمكن أن يتحقق هذا النظام إلا بإيجاد وضع يجعل من أحد الجنسين غاية مطلوبة فقط، ويجعل الجنس الآخر طالبا لتلك الغاية ساعياً وراءها.

فمن خلال هذا الوضع يمكن فرض النظام المذكور، وإقامته جسراً وحيداً لابد من عبوره، والخضوع لكل مافيه من ضوابط وحدود، بحيث لايصل الباحث إلى غايته من الجنس الآخر إلا من هذا الطريق وحده.

فأيهما ينبغى أن يكون المطلوب.. الرجل أم المرأة؟

إن الوضع السليم الذى يضمن تحقيق النظام المذكور محصور فى أن تكون المرأة هى المطلوبة دائما، وأن يكون الرجل هو الطالب لها والساعى وراءها.

وذلك لأن المرأة إذا كانت فى وضع يجعلها هى الساعية للبحث عن زوج لها، فقدت بذلك أخص سماتها الفطرية التى تتعلق بالجنس. فقد أقام الله تعالى تكوينها النفسى والجسمى على نحو يجعلها متعة للرجل أكثر من أن يكون الرجل متعة لها، بل جعل سعادتها فى شعورها بأنها كذلك، وبأن الرجل منساق للخضوع لهذه المزية التى فيها.

ولذلك كان الشأن فى عبارات التودد والاستعطاف أن تأتى فى أعم الأحوال من جانب الرجل، وأن يكون من المرأة تجاه ذلك دلال يصرف، وتأثر لايترامى أو يتهالك.

هذا شيء.. والشيء الثانى أن ضوابط التنظيم المذكور تفقد سلطانها، بل وجودها إذا وجد الرجل أن المرأة هى التى تسعى إليه وتتعرض له هنا وهناك. فأى أمر يدعو إلى أن يلتزم تجاهها بالشروط والقيود الشرعية التى ألمحنا إليها وهى تسعى إليه بالعرض والرجاء؟

ومتى كان قانون العرض والطلب متفقا مع هذا المنطق المقلوب؟!

فى أكثر أنحاء أوروبا نشأت أوضاع فرضت على المرأة أن تكون هى الطالبة للزواج والباحثة عنه فى كثير من الأحيان، فما الذى ترتب على ذلك؟

من السهولة بمكان أن تعلمى الجواب، عندما تعلمين كم تسقط المرأة هناك، ريثما تعثر على الزوج الذى هو الزوج الحقيقى!

الذى ترتب على ذلك، أن الرجال نظروا، فوجدوا فرص المتعة الخلفية الميسورة قد كثرت أمامهم، بفضل بحث النساء عن أزواج لهن فى المجتمع، وأعجبهم الوضع.. فازدادوا تثاقلا وزهداً فى الزواج، لتزداد النساء بحثاً عنهم وسعياً وراءهم.

وهكذا كان سعى المرأة فى البحث عن الزوج.. أهم سبب من أسباب فقدها له!..

وانتشرت موجة الإباحية لعدة عوامل، ولكن هذا العامل أهم عامل فيها، وتفسخت الأسرة، وتهاوت أركانها لعدة عوامل، ولكن ما من شك أن هذا العامل أخطرها، وفقدت المرأة هناك سعادتها، إذ فقدت أجمل وأغلى أحلامها وهو الانضواء فى عش زواج هانىء سعيد لعدة أسباب ولكن مامن ريب أن هذا السبب كان فى مقدمتها.

إذاً ما من ريب أن ضبط اللقاء الجنسى بين الرجل والمرأة بنظام الزواج الشرعى لايتم إلا فى الأوضاع التى تفرض على الرجل أن يكون هو الطالب للزوجة، وتفرض على المرأة أن تكون هى المطلوبة.

فما هى الأوضاع التى تضمن تطبيق هذا الغرض؟

ليس ثمة أية ضمانة لذلك إلا بواسطة تطبيق سياسة الشريعة الإسلامية فى نظام الإنفاق!.. فالرجل هو المسئول عن نفقة المرأة سواء كان والدها أو زوجها أو أى قريب آخر لها، والمرأة تأخذ مهرها كاملا من الزوج نحلة كما أمر الله عز وجل. وليس للزوج أن يفرض عليها أى تعاون أو شركة فيه فضلا عن أن يحملها بطريقة ما،على أن تتقدم هى إليه بالمهر.

ونتيجة لذلك كان نصيب الرجل من الميراث ضعف نصيب المرأة منه، لأن نصف

نصيب الرجل من ذلك أو أكثر يقتطع منه تحت سلطان هذا النظام الإلهى ليضاف إلى نصيب المرأة.

وأثر هذا التنظيم المالى فى حراسة المبدأ المذكور واضح جداً.. فإن الشأن فى المسلمات الاقتصادية أن الذى يطالب الآخر بشيء يقر بحاجته إليه، وهذا الإقرار يعتبر حجة للآخر فى أن يطالبه بالأجر أو القيمة. ومعنى ذلك أن الطالب للشيء هو الذى يبذل الثمن.

فإذا علم كل من المرأة والرجل أن الثانى هو المطالب بنفقات الزواج من مهر وإنفاق، لم يكن للمرأة من سبيل عندئذ للتقدم والطلب، لأن طلبها يعنى حينئذ إعلان حاجتها إلى الزوج، ومهره معا، وهو وضع معكوس فى ميزان تبادل المنافع وقانون العرض والطلب، وهكذا ينحصر السعى المادى لاقامة ركن الزوجية فى الرجل فقط، وعندئذ يسهل حصره فى سبيل الضوابط الشرعية التى ألمحنا إليها.

أما إذا اصطلح المجتمع على أن تكون نفقات الزواج من مهر وغيره شركة بين الزوجين أو حقاً على الزوجة وحدها كما هو الحال فى بعض جهات أوروبا، فإن الأمر عندئذ ينعكس بالتدريج، يتثاقل الرجل عن المبادرة إلى الزواج، ويخفى رغبته فى ذلك طمعاً فى عروض أفضل!. وتزداد المنافسة بالمقابل من الطرف الآخر إذ كان سبيل الفوز بالزوج هو الغنى الأوفر والعروض الأفضل، ثم تتوالد بعد ذلك النتائج السيئة الاخرى] [1] أ. هـ.

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ **وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلاتأخذوا منه شيئا** ﴾

ويقول :

﴿ **وليستعفف الذين لايجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله** ﴾

[النور ٣٣]

وآيات آخرى كثيرة سياقها يدل على أن الرجل هو الذى عليه أن يسعى ويطلب، والمرأة هى المطلوبة.

---

(١) إلى كل فتاة تؤمن بالله .. د. محمد سعيد رمضان البوطى.

من حقوق المرأة فى الإسلام

قال تعالى: ﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ﴾ [سورة البقرة]

قال الأستاذ الشيخ محمد عبده:

« هذه الدرجة التى رفع الله إليها النساء لم يرفعها إليها دين سابق، ولا شريعة من الشرائع، بل لم تصل إليها أمة من الأمم قبل الإسلام ولابعده.. وهذه الأمم الأوروبية التى كان من تقدمها فى الحضارة أن بالغت فى احترام النساء وتكريمهن وعنيت بتربيتهن وتعليمهن الفنون والعلوم.. لاتزال دون هذه الدرجة التى رفع الإسلام النساء إليها، ولاتزال قوانين بعضها تمنع المرأة من حق التصرف فى مالها بدون إذن زوجها وغير ذلك من الحقوق التى منحتها إياها الشريعة الإسلامية من نحو ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن، وقد كان النساء فى أوروبا منذ خمسين سنة بمنزلة الأرقاء فى كل شىء كما كن فى عهد الجاهلية عند العرب أو أسوأ حالا »

إلى أن قال:

«وقد صار هؤلاء الأفرنج الذين قصرت مدنيتهم عن شريعتنا فى إعلاء شأن النساء يفخرون علينا، بل يرموننا بالهمجية فى معاملة النساء ويزعم الجاهلون منهم بالإسلام أن مانحن عليه هو أثر ديننا»] أ. هـ.

هذه كلمات من الواجب على المرأة أن تقرأها بإمعان حتى تدرك الحقيقة جيداً وتعرف موقف الإسلام منها وكيف كرمها تكريماً لامثيل له.

عندما تدرك المرأة ذلك على حقيقته تكون قد سلحت نفسها السلاح اللازم لمواجهة من يحاولون خداعها بمفترياتهم على الإسلام.

الزواج بها ليس مجرد عقد .. بل ميثاق غليظ

إنا نجد أول مايقرع السمع بمكانة هذه الظاهرة فى نظر القرآن أنه سماها (ميثاقا غليظا) فقال فى سورة النساء: وهو فى معرض تحذير الرجل أن يأخذ شيئا مما دفعه إلى المرأة: ﴿ **وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا** ﴾ [النساء ٢١]

فالزوجية فى نظر القرآن ليست عقد تمليك كعقد البيع والاجارة، وليست إسترقاقاً وأسراً كما يفعل بمن يراد استرقاقه، وإنما هى ميثاق غليظ، وعهد قوى متين ترتبط به القلوب، وتختلط المصالح، ويندمج به كل من الطرفين فى صاحبه فيتحد شعورهما وتلتقى رغباتهما وآمالهما، هى علاقة الصداقة، بله القرابة، بله الأبوة والبنوة، وقد من الله على عباده بأن أفرغ عليها الصبغة التى جعلتها أسمى أنواع العلاقات وأحقها بالتقدير والاعتبار.. قال تعالى:

﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾ [الروم ٢١]

وقال تعالى فى سورة البقرة: ﴿ **هن لباس لكم وأنتم لباس لهن** ﴾

قال الزمخشرى فى معناه: بينكم وبينهم ملابسة ومخالطة. فهو يرى أن كلمة (لباس) مصدر لابسه بمعنى خالطه وعرف دخائله، وليس هو اللباس والإزار كما يظن كثير من الناس، وكما يراه بعض المفسرين. وقال ابن عباس: معناه هن سكن لكم وأنتم سكن لهن: والأقرب والأنسب تفسير الزمخشرى لإفادته معنى لم يكن مستفاداً من غير هذه الآية، ولأنه يلتئم مع الحكم الذى سيق بيانا له وهو قوله تعالى:

---

(١) المرجع السابق .

وهذه قصة زوجة عرفت جيداً معنى الميثاق الغليظ:

[روى أن رجلاً من بنى عذرة شكا إلى أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان، مروان بن الحكم عامله بالمدينة، لرغبته فى التفريق بينه وبين زوجته رغم أنفها، لفقر نزل به، ولرغبته فى أن يتزوج منها لجمالها، فأمر أمير المؤمنين بإحضارها فلما مثلت بين يديه، راقه هو أيضاً جمالها، وود لو أنها له زوجه، فقال لزوجها: إننا نخيرها بيننا. فقال الرجل: ذلك إليك ياأمير المؤمنين، فتوجه معاوية نحوها وقال لها: ياسُعدى أينا أحب إليك أمير المؤمنين فى عزه وشرفه وقصوره، أم مروان بن الحكم فى غضبه واعتدائه، أم الأعرابى فى جوعه وأطماره، فأشارت الجارية إلى ابن عمها الأعرابى، وأنشأت تقول:

هـذا وإن كـان فى جوع وأطمار ... أعـز عندى من أهـلى ومـن جارى

وصـاحب التـاج أو مروان عامله ... وكـل ذى درهـم منـهم ودينـار

ثم قالت:

يا أمير المؤمنين لست والله لحدثان الدهر بخاذلته، ولقد كانت لى معه عيشة راضية وأنا أحق من صبر معه على السراء والضراء، وعلى العافية والبلاء، وعلى القسم الذى كتب الله لى منه.

فتعجب معاوية ـ من عقلها ومروءتها، وأمر لها بعشرة آلاف درهم، وألحقها بصدقات بيت المؤمنين.] (١) أ.هـ

أهم مظاهر التسوية بينها وبين الرجل

[ولقد يكون من أهم مظاهر التسوية بين الذكر والأنثى فى الحقوق البشرية المشتركة بينهما أن قررت الشريعة الإسلامية التسوية بينهما فى الدماء، وأن الرجل

(١) الأنابيش، الجزء الثانى ، عبدالرحمن الضبع .

يقتل بالمرأة.

وقد جرى العمل من زمن النبى ﷺ إلى يومنا هذا على القصاص بينهما، وقد كان أساس هذه التسوية قول الله حكاية لما فى التوراة، وقد أقره: ﴿**وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس..**﴾ الآية. وقول الله فى بيان حكمة القصاص :

﴿ **ولكم فى القصاص حياة** ﴾ فإن الحياة المترتبة على القصاص لاتتحقق إلا إذا قتل الرجل بالمرأة وقتلت المرأة بالرجل.

ومما يجدر بنا التنبيه إليه فى هذا المقام أن من الناس من يقرأ آية القصاص الواردة فى سورة البقرة: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى**﴾ .. إلخ فيقف منها عند ظاهرها الذى قصد منه إبطال ما كان عليه العرب من الإسراف فى القتل وعدم الاقتصار على القاتل ، فقد كانوا إذا قتل عبد عبداً لايقتلون به العبد وإنما يقتلون به سيداً من سادات القبيلة. وكانوا إذا قتلت المرأة المرأة لايقتلون بها القاتلة وإنما يقتلون بها واحداً من قبيلتها، فهذا الذى كان عليه العرب يشرح لنا المقصود من ظاهر الآية، ومن مقابلة الأصناف الواردة فيها، قال البيضاوى فى تفسير الآية:

(كان فى الجاهلية بين حيين من أحياء العرب دماء وكان لأحدهما طول على الآخر فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد، والذكر بالأنثى، فلما جاء الإسلام تحاكموا الى الرسول ﷺ فنزلت الآية فأمرهم أن يتباءوا، ولاتدل على ألا يقتلن الحر بالعبد والذكر بالأنثى كما لاتدل على عكسه، فإن المفهوم يعتبر حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم.) أ. هـ.

... فالقرآن يسوى بين إنسانية المرأة وإنسانية الرجل، ويرى أن من يعتدى على إنسانية المرأة كمن يعتدى على إنسانية الرجل يستحق عقوبة الدنيا وجزاء الآخرة، انظر قوله تعالى فى سورة النساء:

﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها ﴾

نجده رتب الجزاء الأخروى على وصف الإيمان المشترك بين الرجل والمرأة.. واتفق علماء التشريع على أن مثل هذا يناط بالوصف اينما وجد.. وأنه يعم الصنفين الذكر والأنثى على حد سواء.] (١) أ. هـ.

(١) كتاب القرآن والمرأة فضيلة الشيخ محمود شلتوت.

غض البصر عنها أحفظ للرجل ..

وغضها البـ ـر عن الرجل أحفظ لها:

بخصوص هـ ـه النقطة الخطيرة تكلم الإمام ابن قيم الجوزية فأحسن الكلام وأجاد وأبان فلم نر أفضل من أن نستضيفه هنا، ونسرع بإفساح المجال له ولآرائه النافذة الساطعة القاطعة فلنصغ إليه السمع وهو يقول:

قال الله تعالى:

﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ۞ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ﴾ [النور ٣٠ ـ ٣١]

فلما كان غض البصر أصلا لحفظ الفرج بدأ بذكره ولما كان تحريمه الوسائل فيباح للمصلحة الراجحة، ويحرم إذا خيف منه الفساد، ولم يعارضه مصلحة أرجح من تلك المفسدة، لم يأمر سبحانه بغضه مطلقا، بل أمر بالغض منه، وأما حفظ الفرج فواجب بكل حال لايباح إلا بحقه، فلذلك عم الأمر بحفظه.

وقد جعل الله سبحانه العين مرآة القلب، فإذا غض العبد بصره، غض القلب شهوته وارادته، وإذا أطلق بصره، أطلق القلب شهوته.

.. وثبت عنه ﷺ:

« ياعلى لاتتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الثانية »

ووقعت مسألة: ما يقول السادة العلماء فى رجل نظر إلى امرأة نظرة فعلق حبها بقلبه واشتد عليه الأمر، فقالت له نفسه: هذا كله من أول نظرة فلو أعدت النظر إليها لرأيتها دون مافى نفسك فسلوت عنها، فهل يجوز له تعمد النظر ثانيا لهذا المعنى؟

فكان الجواب:

الحمد لله .. لايجوز هذا لعشرة أوجه:

أحدها : أن الله سبحانه أمر بغض البصر ولم يجعل شفاء القلب فيما حرمه على العبد.

الثانى : ان النبى ﷺ سئل عن نظر الفجأة وقد علم أنه يؤثر فى القلب فأمر بمداواته بصرف النظر لابتكراره.

الثالث : أنه صرح بأن الأولى له وليست له الثانية، ومحال أن يكون دواؤه فيما ليس له.

الرابع : أن الظاهر أن الأمر كما رآه أول مرة فلا تحسن المخاطرة بالإعادة.

الخامس: أنه ربما رأى ماهو فوق الذى فى نفسه فزاد عذابه.

السادس : أن إبليس عند قصده للنظرة الثانية يقوم فى ركائبه فيزين له ماليس بحسَن لتتم البلية.

السابع : أنه لايعان على بليته إذ أعرض عن امتثال أوامر الشرع وتداوى بما حرمه عليه، بل هو جدير أن تتخلف عنه المعونة.

الثامن : أن النظرة الأولى سهم مسموم من سهام إبليس، ومعلوم أن الثانية أشد سما، فكيف يتداوى من السم بالسّم؟

التاسع : أن صاحب هذا المقام فى مقام معاملة الحق عز وجل فى ترك محبوب كما زعم، وهو يريد بالنظرة الثانية أن يتبين حال المنظور إليه، فإن لم يكن مرضيا تركه، فإذاً يكون تركه لأنه لايلائم غرضه لا لله تعالى، فأين معاملة الله سبحانه بترك المحبوب لأجله؟

العاشر: يتبين بضرب مثل مطابق للحال وهو أنك؛ إذا ركبت فرسا فمالت بك إلى درب ضيق لاينفذ ولايمكنها أن تستدير للخروج، فإذا همّت بالدخول فيه فاكبحها لئلا تدخل، فإذا دخلت خطوة أو خطوتين فصح بها وردها إلى وراء عاجلا قبل أن يتمكن دخولها فان رددتها إلى ورائها سهل الأمر، وإن توانيت حتى ولجت وسقتها داخلا، ثم قمت تجذبها بذنبها عسر عليك أو تعذر خروجها، فهل يقول عاقل إن طريق تخليصها سوقها إلى داخل؟ فكذلك النظرة إذا أثرت فى القلب، فإن عجل الحازم وحسم المادة من أولها سهل علاجه وأن كرر النظر ونقب عن محاسن

الصورة ونقلها إلى قلب فارغ فنقشها فيه تمكث المحبة وكلما تواصلت النظرات كانت كالماء يسقى الشجرة فلاتزال تنمو حتى يفسد القلب ويعرض عن الفكر فيما أمر به فيخرج بصاحبه إلى المحن ويوجب ارتكاب المحظورات، ويلقى القلب فى التلف.. والسبب أن الناظر التذت عينه بأول نظرة فطلبت المعاودة كأكل الطعام اللذيذ اذا تناول منه لقمة، ولو أنه غض أولا لاستراح قليه وسلم.

.... وفى مسند الإمام أحمد بن حنبل عن النبى ﷺ انه قال:

« النظــرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن غض بصره عن محاسن امرأة أورث الله قلبه حلاوة ويجدها إلى يوم يلقاه أو كما قال : قال جرير بن عبد الله رضى الله عنهما : سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجأة، فأمرنى أن أصرف بصرى »

ونظرة الفجأة هى النظرة الأولى التى تقع بغير قصد من الناظر، فما لم يعتمده القلب لايعاقب عليه، فإذا نظر الثانية تعمدا اثم، فأمر النبى ﷺ عن نظرة الفجأة أن يصرف بصره ولايستديم النظر، فإن استدامته كتكريره، وأرشد من ابتلى بنظرة الفجأة أن يداويه باتيان إمرأته، وقال: إن معها مثل الذى معها، فإن فى ذلك التسلى عن المطلوب بجنسه.

والثانى أن النظـر يثير قوة الشهوة فأمره بتنقيصها بإتيان أهله، ففتنه النظر أصل كل فتنة كما ثبت فى الصحيحين من حديث أسامة بن زيد رضى الله عنهما أن النبى ﷺقال: « ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء »

وفى صحيح مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ

« إتقوا الدنيا واتقوا النساء »

وفى مسند محمد بن اسحاق السراج من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى ﷺ :

« أخوف ماأخاف على أمتى النساء والخمر »

وقال ابن عباس رضى الله عنهما: لم يكفر من أمتى من كفر ممن مضى إلا من قبل النساء وكفر من بقى من قبل النساء.

وفى غض البصر عدة فوائد:

إحداها : تخليص القلب من ألم الحسرة فإن من أطلق نظره دامت حسرته، فأضر شيء على القلب إرسال البصر، فإنه يريه مايشتد طلبه، ولاصبر له عنه ولاوصول له إليه، وذلك غاية ألمه وعذابه.

والنظرة تفعل فى القلب مايفعل السهم فى الرمية، فإن لم تقتله جرحته وهى بمنزلة الشرارة من النار ترمى فى الحشيش اليابس فإن لم تحرقه كله أحرقت بعضه كما قيل:

كل الحوادث مبدأها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت فى قلب صاحبها ... فتك السهام بلا قوس ولا وتر
والمرء مادام ذا عين يقلبها ... فى أعين الغير موقوف على الخطر
يسر مقلته ماضر مهجته ... لا مرحبا بسرور عاد بالضرر

والناظر يرمى من نظرة بسهام غرضها قلبه وهو لايشعر فهو إنما يرمى قلبه. ولى من أبيات:

يارامياً بسهام اللحظ مجتهداً ... أنت القتيل بما ترى فلا تصب
وباعث الطرف يرتاد الشفاء له ... توقه إنه يأتيك بالعطب

الفائدة الثانية : أنه يورث القلب نورا وإشراقا يظهر فى العين، وفى الوجه، وفى الجوارح كما أن إطلاق البصر يورثه ظلمة تظهر فى وجهه وجوارحه.

الفائدة الثالثة : أنه يورث صحة الفراسة فإنها من النور وثمراته وإذا استنار القلب صحت الفراسة لأنه يصير بمنزلة المرآة المجلوة تظهر فيها المعلومات كما هى، والنظرة بمنزلة التنفس فيها فإذا أطلق العبد نظرة تنفست نفسه فى مرآة قلبه فطمست نورها.

الفائدة الرابعة : أنه يفتح له طريق العلم وأبوابه، ويسهل عليه أسبابه، وذلك بسبب نور القلب، فإنه إذا استنار ظهرت فيه حقائق المعلومات، وانكشفت له بسرعة ونفذ بعضها إلى بعض، ومن أرسل بصره تكدر عليه قلبه، وأظلم، وانسد عليه باب العلم وطرقه.

الفائدة الخامسة: أنه يورث قوة القلب، وثباته وشجاعته، فيجعل له سلطان البصيرة مع سلطان الحجة، وفى الأثر: إن الذى يخالف هواه يفرق الشيطان من ظله. ولهذا يوجد فى المتبع لهواه من ذل القلب وضعفه، ومهانة النفس، وحقارتها، ماجعله الله لمن آثر هواه على رضاه..

قال الحسن: أبى الله إلا أن يذل من عصاه.. وقال بعض الشيوخ الناس يطلبون العز بأبواب الملوك ولايجدونه ألا فى طاعة الله.

الفائدة السادسة: إنه يورث فى القلب سروا وفرحة وانشراحا أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظر، وذلك لقهره عدوه بمخالفته، ومخالفة نفسه وهواه، وأيضا فإنه لما كف لذته وحبس شهوته لله وفيها مسرة نفسه الأمارة بالسوء. عوّضه الله سبحانه وتعالى مسرة ولذة أكمل منها.

الفائدة السابعة: انه يخلص القلب من أسر الشهوة فإن الأسير أسير شهوته وهواه.

الفائدة الثامنة: أنه يسد عنه بابا من أبواب جهنم، فإن النظر باب الشهوة الحاملة على مواقعة الفعل.. فغض البصر يسدعنه هذا الباب الذى عجزت الملوك عن استيفاء أغراضهم فيه.

الفائدة التاسعة: أنه يقوى عقله ويزيده ويثبته، فإن إطلاق البصر وإرساله لايحصل إلا من خفه العقل وطيشه، وعدم ملاحظته للعواقب، فأن خاصة العقل ملاحظته للعواقب ومرسل النظر لو علم ماتجنى عواقب نظرة عليه لما إطلق بصره، قال الشاعر:

وأعقل الناس من لم يرتكب سببا حتى يفكر ماتجنى عواقبه.

الفائدة العاشرة: أنه يخلص القلب من سكر الشهوة ورقدة الغفلة، فان اطلاق البصر يوجب استحكام الغفلة عن الله والدار الآخرة ويوقع فى سكرة العشق.

....

وفوائد غض البصر وآفات إرساله أضعاف أضعاف ماذكرنا ، إنما نبّهنا عليه تنبيها

ولاسيما النظر إلى من لم يجعل الله سبيلا إلى قضاء الوطر منه شرعا.[1] أ.هـ.

لانملك بعد هذا البيان الوافى الشافى الذى وضح الأمور توضيحا عظيما ليس كمثله توضيح، إلا أن ندعو لهذا الإمام الحكيم بأن يجزيه الله خير الجزاء على عظيم ماأوضح، وخطير مابين وهو موضوع النظر إلى النساء، فأزال الغموض، وبدد الالتباسات المحيرة المقلقة التى تكتنف هذا الموضوع الخطير، وبين بما لايدع مجالا لأى شك أن النظر خطير.. خطير.. يورد النفس موارد التهلكة، ويدفع الإنسان إلى سوء العاقبة، ومع ذلك ترى هذا الإنسان مستخفا مستهترا به شأن من لايعرف خطورة مايقترف.. لذا وجب الأحتراس منه أشد الاحتراس.

(١) كتاب حكم النظر للنساء ـ الإمام ابن قيم الجوزية ـ مكتبة التراث الإسلامى

المقياس الصحيح لاختيارها زوجة

المقياس الأول:

أن تكون ذات دين.

المقياس الثانى:

أن تكون ذات خلق حسن يتوافر فيها الأمانة والاستقامة بحيث تقدر على رعاية البيت وتربية الأولاد، وفى هذا يروى النبى ﷺ فيقول: « تخيروا لنطفكم فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن » من رواية عائشة.

فالرسول يدعو إلى طلب نكاح الخيرات خلقا وخلقا، وكذلك يدعونا الحق سبحانه وتعالى إلى اختيار الصالحات، قال تعالى:

﴿ وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ﴾ [النور ٣٢]

أما إذا كانت سيئة الخلق كان ضررها كثيرا، ولقد جاءت الوصية من العرب قولهم «لاتنكحوا من النساء سته: لا أنانة ولامنانة ولاحنانة ولاتنكحوا حداقة ولا براقة ولا شدّاقة ».

أما الأنانة: فهى التى تكثر الأنين والتشكى وتعصب رأسها كل ساعة.

والمنانة: هى التى تمن على زوجها فتقول له فعلت لأجلك كذا وكذا.

والحنانة: أى التى تحن إلى زوج آخر أو ولدها من زوج آخر.

والحداقة: التى تشتهى كل شىء فتكلف زوجها ما لا يطيق.

والبراقة: هى التى تقضى معظم وقتها فى التزين فتهمل البيت.

والشداقة: الكثيرة الكلام.

المقياس الثالث:

أن تكون حسنة الوجه لما للوسامة من عظيم الأثر فى حياة الأسرة وحتى لاينظر الزوج إلى غير زوجته بل يقنع بما أعطاه الله وفى ذلك يقول الرسول ﷺ « خير نساء أمتى أصهن وجها واقلهن مهرا »

رواه ابن عدى من حديث عائشة وفيه متهم.

وقوله ﷺ « خير النساء التى تسره إذا نظر وتطيعه إذا أمر ولاتخالفه فى نفسها ولا مالها بما يكره »

أى خير النساء التى تسر زوجها إذا نظر إليها لأن جمال وجهها عون له على عفته ودينه.

والمقياس الرابع:

أن تكون ولودا: إذ يتحقق الغرض من الزواج وهو النسل، وطريق معرفة هذه الصفة وخاصة التى لم يسبق له زواج، بشبابها وصحتها، وذوات قرابتها كأمها وأختها المتزوجة، وفى هذا يقول ﷺ « تزوجوا الودود الولود فإنى مكاثر بكم الأمم »

والمقياس الخامس:

أن تكون خفيفة المهر، وفى هذا يقول رسول الله ﷺ « خير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهرا » رواه ابن حبان من حديث ابن عباس.

ويقول أيضا « خيرهن أيسرهن صداقا » رواه ابن حبان، وروت السيدة عائشة «من يمن المرأة تسهيل أمرها وقلة صداقها » وروى أبو عمر التوقانى فى كتاب معاشرة الأهلين (أن أعظم النساء بركة أصبحهن وجوها وأقلهن مهورا .

وقد نهى عن المغالاة فى المهر، فلقد تزوج المصطفى ﷺ بعض نسائه على عشرة دراهم، وأثاث بيت، وهو رحى، وجره، ووسادة حشوها ليف.

وكذلك نهى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وارضاه عن المغالاة فى المهور ويقول « ماتزوج رسول الله ﷺ ولازوج بناته بأكثر من أربعمائة درهم »

هذا... ونعنى بعدم المغالاة فى المهور ألا يتشدد ولى المرأة فى طلب المهر العالى للتفاخر فإن ذلك مما ينفر الشباب فى الزواج ويكون سببا فى انتشار الرذيلةوليس معنى ذلك أن يتحمل ولى المرأة مالا طاقة له به، بل على الزوج أن يعد بيته فى حدود استطاعته ثم ينميه بعد ذلك ان استطاع.

والمقياس السادس:

استحسان كونها بكرا: لأنها أقرب إلى الألفة التى هى مصدر السعادة والطباع

مجبولة على أن تأنس بأول مألوف، والمودة تتمكن إذا صادفت قلبا خاليا.

أما من تزوجت قبل ذلك فربما لاترضى ببعض الصفات التى تخالف ما ألفته من زوجها الأول وبذلك لاتتحقق الألفة ، وفى ذلك يقول ﷺ لجابر: وقد نكح ثيبا «هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك» فقد روى البخارى فى حديثه عن محارب قال: سمعت جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يقول تزوجت فقال لى رسول الله ﷺ ماتزوجت؟ فقلت: ثيبا. فقال مالك وللعذارى ولعابها، فذكرت ذلك لعمرو بن دينار، فقال، أى عمرو سمعت جابر بن عبد الله يقول: قال لى رسول الله ﷺ «هلا جارية تلاعبها وتلاعبك»

وكذلك روى البخارى فى باب نكاح الأبكار قوله: وقال ابن أبى مليكة قال ابن عباس لعائشة: «لم ينكح النبى ﷺ بكرا غيرك»

والمقياس السابع :

ألا تكون من القرابة القريبة.. فان القرابة القريبة تقلل الشهوة لأن الشهوة تابعة للأحساس وإنما يقوى الإحساس بالأمر الغريب الجديد، فأما المعهود فانه يضعف الحس.

والمقياس الثامن :

يحسن ان تكون مقاربة للزوج فى السن والثقافة حتى يكون هناك تجاوب بين الطرفين وأدعى إلى تحقيق الآلفة،وقد جمع الرسول ﷺ خلاصة المقاييس السابقة التى تتعلق بالمخطوبة بحديث أبى هريرة رضى الله عنه قال:

قال النبى ﷺ :

«تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فأظفر بذات الدين تربت يداك» (1) أ. هـ.

يقول المولى عز وجل:

﴿ يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾

[النساء ٥٩]

ويقول: ـ

﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ [النساء ٨٠]

قد تكون الزوجة عدوا.. كيف؟ وفي أي حالة؟

جاء تحذير القرآن للمؤمنين من عداوة الأزواج والأولاد صريحا فى قوله تعالى:

﴿ **يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فأحذروهم** ﴾

[التغابن ٢]

وحقيقة العداوة المحذر منها فى هذه الآية تتمثل فى نزول الزوج على إرادة زوجه حين تحول بينه وبين ممارسة مايعقب من ورائه نفعا فى الدنيا ومثوبة فى الآخرة.

قال غير واحد فى تفسير هذه الآية: إن عداوتهن من حيث إنهن يحلن بينهم وبين الطاعات والأمور النافعة لهم فى آخرتهم، وقد يحملنهم على السعى فى اكتساب الحرام وارتكاب الآثام لمنفعة أنفسهن، كما روى عنه ﷺ « يأتى زمان على أمتى يكون فيه هلاك الرجل على يد زوجته وولده يعيرانه بالفقر فيركب مراكب السوء فيهلك »

ومن الناس من يحمله حبهم، والشفقة عليهم على أن يكونوا فى عيش رغد فى حياته وبعد مماته فيرتكب المحظورات لتحصيل مايكون سببا لذلك وإن لم يطلبوه منه فيهلك.

وسبب النزول أوفق بهذا..

عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية

﴿ **يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم** ﴾ إلخ فى قوله فى ناس من أهل مكة أسلموا وارادوا أن يأتوا النبى ﷺ .. فأبى أزواجهم، وأولادهم أن يدعوهم فلما آتوا رسول الله ﷺ فرأوا الناس قد فقهوا فى الدين هموا أن يعاقبوهم فأنزل الله تعالى الآية، وفى رواية أخرى عنه أنه قال: « **كان الرجل يريد الهجرة فتحبسه إمرأته وولده فيقول: أما والله لئن جمع الله تعالى بينى وبينكم فى دار الهجرة لأفعلن ولأفعلن** » فجمع الله عز وجل بينهم فى دار الهجرة، فأنزل الله تعالى

﴿ **يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم** ﴾ الأية، وقيل أنهم قالوا لهم : لئن جمعنا الله تعالى فى دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فنزلت.. وعن عطاء بن أبى رباح أن عوف بن مالك الأشجعى آراد الغزو مع النبى ﷺ فاجتمع أهله وأولاده فثبّطوه، وشكوا إليه فراقه فرق ولم يغز، ثم إنه ندم فهم بمعاقبتهم.. فنزلت.

وفى ضوء ذلك كله يتحتم أن يفهم تحذير الله ورسوله للمؤمنين من فتنة النساء، فلا تسولن للنساء أنفسهن أن يحملن كلام الله ورسوله على مضادتهن أو غبنهن، فما وصف القرآن لبعضهن بالعداوة لأزواجهن إلا من قبيل وصف الأموال والأولاد بالفتنة فى قوله سبحانه وتعالى بعد هذه الآية. ﴿ **إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده آجر عظيم** ﴾

[التغابن ١٥]

وبديهى أن ذلك لايقتضى حمل المؤمنين على كره المال والولد، أو تزهيدهم فيهما.. بل يقتضى التحذير من ان ينحى بالاستمتاع بهما منحى غير الذى يحبه الله ورسوله.

وقصارى القول أن من حق المرأة ألا تترك نهبا للجانب المدمر من طبيعتها وألا تطاع ولا يركن إليها حين لا تؤمن بوائقها والله اعلم.] (١) أ. هـ.

(١) كتاب (طبيعة المرأة فى الكتاب والسنة) د. عبد المنعم سيد حسن ـ دار النهضة المصرية.

أوصى الإسلام بحسن الاختيار

أوصى الإسلام بحسن اختيار الزوجة لأنها محضن الطفل يقول عليه الصلاة والسلام:

« تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس »

ويقول « إياكم وخضراء الدمن » قالوا : وماخضراء الدمن يارسول الله. قال: «المرأة الحسناء فى المنبت السوء »، ويقول « ألا أخبركم بخير مايكتنز المرء، المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرته، وإذا غاب عنها حفظته وإذا أمرها أطاعته »

ويحث الشباب على الزواج من الأبكار « عليكم بالأبكار فإنهن أنتق أرحاما وأكثر أولادا ـ وأعذب أفواها وأقل خبأ ـ خداعا ، وأرضى باليسير »

وكان الرسول قدوة فى تكوين الأسرة.

﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية ﴾ .. والزواج عصمة يقول ﷺ :ـ

« من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله فى الشطر الثانى »

ويقول « تنكح المرأة لأربع لمالها وجمالها وحسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك »

ويوصى النبى بقبول الرجل المتدين « إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير »[1] أ. هـ.

.... والباحث فى القرآن الكريم سيجد أنه أولى عناية فائقة بشئون النساء وجوانبها المختلفة بما فى ذلك الاحتشام وغض البصر مثل:

﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن

---

(١) حول المشكلة الجنسية فى القرآن الكريم ـ عبد المعز خطاب.

إلا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ [النور ٣١]

ونجد تكملة هذه الآية تهتم بتحديد الفئات التى يجوز إظهار الزينة (١) أمامها فتقول:

﴿ ولايبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو... ﴾ الآيةوفى القرآن أيضا نجد الصفات الحسنة فى النساء حتى لتستحق صاحبة هذه الصفات المغفرة والأجر العظيم مصداقا لقول المولى عز وجل:-

﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ [الأحزاب ٣٥]

هذه الآيات وغيرها وتلك الأحاديث التى وردت عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه.. كلها تقول لمن ينوى الزواج عليك أن تنتبه وتبذل قصارى جهدك فى مجال حسن الاختيار فتتأكد بقدر الإمكان أن زوجة المستقبل تنفذ أوامر الله التى وردت فى آياته من احتشام وغض للبصر.. وخلافه.. وتتأكد أنها تتصف بالصفات الحسنة التى تمهد لحياة زوجية ناجحة مثل الإيمان والصدق والصبر والخشوع.. إلخ، مما ورد فى الآية الكريمة.. ولكى تتأكد من أنها تنفذ أوامر الله التى وردت فى قرآنه، وتتأكد أن لها من الصفات التى وردت بالقرآن الكريم والحديث الشريف حظا.. عليك أن تحسن الاختيار.

(١) من الآراء التى وردت فى تفسير ابن كثير عن الزينة أن: الزينة لايراها إلا الزوج، وزينة يراها الأجانب وهى الظاهر من الثياب وقال الزهرى لايبدو لهؤلاء الذين سمى الله ممن له إلا الأسورة والأخمرة والأقراط من غير حسر.

الأمن.. والعفاف بعد وحدانية الله مباشرة:

والقرآن يضع العفاف والأمن فى مرتبة واحدة مع وحدانية الله، ويجعل إزهاق الأرواح وانتهاك الأعراض مساويا للشرك يقول سبحانه وتعالى:

﴿والذين لايدعـون مع الله إلهـا آخر ولايقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاما ـس يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا﴾ [الفرقان ٦٨ و ٦٩]

وكما تحارب الأمة المسلمة (الشرك) و (القتل) وجب عليها محاربة (الزنا) بكل صوره ودواعيه ومن العار أن نسكت الآن عن الفواحش التى يرتكبها الشباب، ونفترض (كالدول الأوروبية) أن فى حياة الشباب بضع سنين يقضيها فى لظى هذا السعار الحيوانى قبل أن يظفر بنكاح شريف، وفى كثير من أرجاء العالم الإسلامى لاحرج من تأخير الزواج. وتطويل أمد الفوضى الجنسية التى تسبقه حتى يمكن للشباب أن يوفر المهر الباهظ، ونفقات حفل الزواج، وعجيب أيضا أنه فى هذه البلاد تقتل البنت إذا زنت وحملت، ويترك الشاب دون مساءلة، والغضب هنا ليس لحق وإنما غضب الحمية والشرف والسمعة.

ولابد لكى يشيع الزواج من إزالة العوائق التى تعترض طريقه، وهذا واجب الدولة أن تيسر الأسباب.

والإسلام لم يأمر بحبس البنت لتظل سجينة جهلها وكبتها، وإنما أوصى بتعليمها وفتح الباب أمام الزواج كما أن العجز عن ضبط العلاقات الجنسية وترك الشهوة البهيمية تجتاح المجتمع هو سقوط بالفطرة والخلق، وتمرد على شريعة الله.

وياحبذا لو درس المسلمون الآن كيف انتظمت العلاقات بين الجنسين فى الصدر الأول من الإسلام وكيف اجتمع أفراد الأسرة فى ساحه المسجد طرفى النهار وزلفاً من الليل ، بل كيف قاتل الرجال والنساء معا لإعلاء كلمة الله.

وفى الأسرة نلبية مأمونة لغريزة الجنسبين الزوجين فهى قيد للعلاقات الجنسية بأشباع الغريزة متجنبة الفوضى تكسر من حدة الشهوة فى الإنسان، لأنه يزهد فى

أى شيء يملكه، فإذا اطمأن الزوجان بعد فترة التعطش الأولى، وإلى أن كلا منهما ينال الآخر متى رغب، لم يعد هناك داع إلى التشهى العنيف، والسعار الملهوف، فالأسرة هى النظام الفريد الذى يضمن الاستجابة للغريزة دون إعنات للفرد أو تدمير للمجتمع.

والله أوضح هذه الحقيقة فى تناول العلاقات الجنسية بين الزوجين يقول تعالى:

﴿ نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾ [البقرة ٢٢٣]

ليشعر المرء أنه لاحجر عليه، ولاتقييد مستمدا من قوله تعالى.

﴿ والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم ﴾

وفى قول الله يتجلى هذا المعنى.

﴿ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ﴾ [١] أ. هـ.

... هكذا نرى مدى أهمية العفة.. نرى موقعها الخطير الهام.

(١) حول المشكلة الجنسية فى القرآن الكريم ـ عبد المعز خطاب.

للرجال عليهن درجة

.. أما الدرجة التى جعلها الله فى الآية نفسها للرجال على النساء وقال: (وللرجال عليهن درجة) فهى درجة الإنفاق والرياسة البيتية الناشئة فى عهد الزوجية وضرورة الاجتماع، وهى درجة القوامة التى ذكرها الله فى سورة النساء بقوله:

﴿ الرجال قوامون على النساء بمافضل الله بعضهم على بعض ﴾

[من الآية ٣٤ النساء]

ولقد يكون فى قوله ﴿ فضل بعضهم على بعض ﴾ دون أن يقول (بما فضلهم عليهن) كما قال فى الإنفاق -مايرشد إلى هذا التفضيل ليس إلا كتفضيل بعض أعضاء الشخص الواحدعلى الآخر، وأنه لاغضاضة فى ذلك مادام الخلق الإلهى اقتضى أن يكون الرجل فوق المرأة فى القوة والقدرة على الكسب، واحتمال المشاق ومتاعب الحياة التى تعترف المرأة نفسها بأنه لاطاقة لها بها، والتى ترجع فيها بمقتضى فطرتها إلى الرجل تطلب منه المعونة وأن يقوم مقامها، وأن يسد حاجتها فى تلك الناحية إذا قدر أن يعرض لها شيء منها. هذه هى درجة الرجال على النساء وليس من الحكمة أن يترك مجتمع دون أن يجعل له رئيس يرجع إليه عند الاختلاف وتضارب الآراء، وإلاضاعت المصالح، وانحلت عروة المجتمع وصارت الحياة الزوجية مملؤة بالفوضى والاضطراب فلا يستقر لها قرار، ولا ينتظر لها بقاء وبذلك تنقلب رأسا على عقب وتضيع عوامل الأسر وتكوينها، ويمتد ذلك إلى الأمم المكونة من الأسر وبذلك يصبح العالم لا رابطة تربطه، ولاجامعة تجمعه، مفكك الوحدات منثور اللبنات، وهذا لايتفق وحكمة الحكيم فى خلق الإنسان وتكليفه عمارة الكون، فسبحانه من عزيز حكيم. (١) أ.هـ.

---

(١) كتاب القرآن والمرأة لفضيلة الشيخ محمود شلتوت

لها حق إبداء الرأى فى نظام الولد والرضاعة

جعل القرآن للزوجة حق إبداء الرأى فيما يتعلق بفطام الولد ورضاعه ولم يجعل للرجل حق الاستئثار به، أنظر قوله تعالى:

﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾

إلى أن قال :

﴿ فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلاجناح عليهما ﴾

وإذا كان للمرأة حق إبداء الرأى فى نظام الولد وإرضاعه وهى مسألة تتعلق بأصل الحياة فلأن يكون لها ذلك الحق فى سائر ما بينهما من شئون الحياة فهو من باب أولى [١] أ. هـ.

---

١٠) المرجع السابق.

من حق المرأة على الرجل

نهى الإسلام الرجل أن يحرم المرأة حقها من لذتها ولو باسم العبادة فيقول لعبد الله بن عمرو بن العاص الذى أراد أن يصوم النهار، ويقوم الليل ولايقرب النساء.

« لاتفعل، صم، وأفطر، وقم، ونم، فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا » لأن إجهاد جسمه يجعله لايوفى الزوجة حقها.

بل إن الإسلام حدد مدة (الإيلاء) وهو هجر الزوجة حدده بأربعة أشهر، بعدها إما العودة وإما الطلاق حتى لاتقع الزوجة فى الفتنة

﴿ للذين يؤلـون من نسـائهم تربص أربعة أشـهر فإن فاءوا فان الله غفـور رحيم* وإن عزموا الطلاق فان الله سميع عليم ﴾

بل ويصل الأمر بالإسلام أن يأمر الرجل بأن يرعى مشاعر المرأة، فإنها بطبعها يغلب عليها الحياء، وقد يقضى الرجل شهوته دون مراعاة لأحاسيسها .

يقـول النبى ﷺ **« فإذا جامع أحدكم أهله فليصدقها، ثم إذا قضى حاجته قبل أن تقضى حاجتها فلا يعجلها حتى تقضى حاجتها »**

ويضع الآداب اللائقة بالإنسان فينهى عن التجرد كالبهائم يقول ﷺ **« إذا أتى أحدكم أهله فليستتر ولايتجرد تجرد البعيرين »** ويقول **« إياكم والتعرى فان معكم من لا يغادرونكم إلا عند الحاجة، وعندما يفضى أحدكم إلى امرأته فاستحيوهم وأكرموهم»**

...وفرض التيمم له علاقة بالمعاشرة الزوجية حتى لايتهرب من امرأته بسبب فقد الماء .

﴿ وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مر ضى أو على سفر أو جاء أحد منكم

من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ﴾

والإسلام يحث على إرضاء الزوجة والجزاء من الله عظيم، يقول النبي ﷺ :

« كل شيء ليس من ذكر الله لهو ولعب إلا أن يكون أربعة : ملاعبة الرجل إمرأته، وتأديب الرجل فرسه، ومشى الرجل بين الغرضين أى الصفين المتحاربين دليل القوة - وتعلم الرجل السباحة » [1] أ. هـ.

---

(١) حول المشكلة الجنسية فى القرآن ، عبد المعز خطاب .

المرأة متكاملة مع الرجل وليست متعاندة معه

الناس تحسب أن الرجل والمرأة خلقا متنافسين، ولكنهما فى الحقيقة خلقا متكاملين، أى يكمل كل منهما الآخر.. واقرأ قول الحق سبحانه وتعالى:

﴿والليل إذا يغشى* والنهار إذا تجلى* وماخلق الذكر والأنثى* إن سعيكم لشتى﴾ [الليل ـ ١ـ٤]

لقد أراد الله تبارك وتعالى أن يلفتنا إلى أن قضية التكامل بين الرجل والمرأة كقضية التكامل بين الليل والنهار.. الليل والنهار مختلفان فى الطبيعة فالنهار يملؤه الضوء، وهو وقت السعى وراء الرزق والحركة.. والليل تملؤه الظلمة وهو وقت السكون والراحة والنوم.

كلاهما، أى الليل والنهار، يختلفان فى طبيعة مهمتهما فى الكون ولكنهما مع ذلك متكاملان فى هذه المهمة.. أى يكمل أحدهما الآخر.. فلو أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ جعل الدنيا كلها نهار لتعب الناس لأنهم لايجدون وقتا تسكن فيه حركة الكون.. ويستطيعون الراحة فيه.

ولو أن الله سبحانه وتعالى خلق الكون كله ليلا ما استطاع الناس الحركة ولا العمل، ولا السعى على الرزق إلا بصعوبة.

واقرأ قول الحق جل جلاله:

﴿ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون * قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلي يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ﴾

[سور القصص٧١، ٧٢]

إن الله سبحانه وتعالى يلفتنا إلى أن مهمة الليل والنهار فى الكون هى مهمة متكاملة، وليست متعاندة.. أى لايعاند بعضها بعضا،ولكن يكمل بعضها بعضا وهذا واضح من حركة الحياة.

الإنسان إذا لم يسترح ويسكن ليلا لايستطيع السعى والعمل نهارا.. والإنسان الذى تضطره ظروفه مثلا أن يواصل العمل ليلا ونهارا لايمر عليه يومان إلا يكون قد فقد القدرة على العمل والحركة. ولابد أن ينام فترة توازى فترة ليل اليومين اللذين قضاهما مستيقظا.

النوم بالليل هو الذى يعطى الراحة الحقيقية للجسم.. ذلك أن حركة الحياة تهدأ ليلا مما يتيح للانسان نوما عميقا فضلا عن ذلك فإن النوم ليلا كما ثبت من الأبحاث الطبية الحديثة يعطى الجسد راحة لا يعطيها له نوم النهار.

كذلك لايستطيع أحد أن يقول أن الليل والنهار متعاندان، بل هما متكاملان يكمل كل منهما الآخر ولكى تستقيم الحياة لايستغنى الإنسان عن الليل أو نهار.

أيضا الرجل والمرأة خلقهما الله سبحانه وتعالى متكاملين وليسا متعاندين.. الرجل له وظيفته فى السعى على الرزق، ورعاية زوجته وأولاده وتوفير أسباب الحياة لهم، والمرأة لها مهمتها فى رعاية البيت وإنجاب الأولاد، وتكون سكناً للزوج عندما يعود إلى بيته متعبا من حركة الحياة تستقبله بإبتسامة تمسح له شقاء اليوم، ويجد كل مايحتاجه فى بيته معدا.. ولذلك قال الله تبارك وتعالى:

﴿ ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ [الروم ٢١]

وهكذا حدد الله سبحانه وتعالى المهمة المتكاملة للرجل والمرأة فكلاهما يكمل بعضه بعضا لا الرجل يصلح لمهمة المرأة فى انجاب الأطفال ورعاية البيت وتربية الأولاد والعناية بهم.. ولا المرأة مهمتها الأساسية أن تسعى فى سبيل الرزق لتوفر لقمة

العيش للرجل. وليس هذا على مستوى الأمة الإسلامية، ولكنه القانون السائد الذى وضعه الله سبحانه وتعالى فى الكون كله.

لايوجد رجل يبقى فى البيت وامرأته تعوله وهو قادر على الكسب إلا نال احتقار الناس بما فيهم زوجته، ولاتوجد امرأة إلا تتمنى أن تعيش فى حماية رجل يوفر لها كل شىء ويرعاها.

تلك هى سنة الله فى كونه بصرف النظر عن الإيمان وعدم الإيمان ومن تمام الحياة أن يؤدى كل إنسان مهمته فيها.. أما قلب الموازين فلا ينجم عنه إلا الشقاء للإنسان.

ولكن ما الذى حدث؟ أخذت القضية غير مسارها.

وأصبح هناك شبه معركة بين الرجل والمرأة.. فلا المرأة قنعت بدورها ومهمتها، ولا الرجل رضى بمهمة المرأة فى الحياة، بل كلاهما دخل فى معركة متعاندة.. وهذا هو الذى أوجد القضية التى ماكان يجب أن توجد لو أن كلاً منهما رضى بمهمته فى الحياة.

لكن المرأة أصرت على أن تزاحم الرجل فى العمل..

والرجل استسلم لمزاحمة المرأة، بل دفعها إلى ذلك، فما الذى حدث.. حدث إختلال فى المجتمع.. بعض الناس يقول أن الضرورة قضت عمل المرأة.. ونحن لانتحدث هنا عن وضع شاذ.. ولكننا نتحدث عن الأمور الطبيعية (١) أ. هـ.

---

(١) المرأة فى القرآن الكريم . فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى .

لاينبغى إكراهها على التزوج ممن تبغضه

يقول الأستاذ محمد عبد الله الهمشرى فى كتابه (سورة النساء) :ـ

من حقوق المرأة حق اختيار الزوج، فالزوجية لاتورث وللمرأة أن تختار من يكون شريكا لها وأن ترفض من لاتحب قال تعالى:

﴿ يأيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها ﴾ [النساء ١٩]

فلا يحل رجل مكان رجل آخر قريب له بعد موته على زوجته كما كان موجودا فى الجاهليه، ولاتكره المرأة على التزوج من رجل تبغضه. جاء فى زاد المعاد لابن القيم (١) : ثيبا فى الصحيحين أن خنساء بنت جذام زوجها أبوها وهى كارهة وكانت ثيبا فأتت رسول الله فرد نكاحها، وفى السنن من حديث ابن عباس: أن جارية بكرا أتت النبى فذكرت أن آباها زوجها وهى كارهة فخيرها النبى وقال:**«لاتنكح البكر حتى تستأذن » قالوا: وكيف اذنها: قال أن تكست.**

ويعقب ابن القيم على حق المرأة فى اختيار زوجها بقوله: البكر العاقلة الرشيدة لايتصرف أبوها فى أقل شىء من ملكها إلا برضاها، فكيف يجوز أن يزوجها بغير رضاها إلى من يريده؟

ومعلوم أن إخراج مالها كله بغير رضاها أسهل عليها من تزويجها بمن لاتختاره أ.هـ.

هذه أخطر نقطة على الإطلاق فى حياة المرأة.. وأخطر حق ضمنه لها الإسلام..

---

(١) ج٤ ص٢

تخيل معى المرأة فى الجاهلية وكان شيئا عاديا ان يفرض عليها من تكره ولاتحب فيصبح من المقدر عليها ان تعيش معه عمرها كله تحت سقف واحد تقتسم معه كل لحظات حياتها، يلازمها فلايفارقها وهى مبغضة له، ومن حقه ايضا وهى تطيق العمى ولاتطيقه أن يعاشرها معاشرة الزوج لزوجته.. فأى حياة تكون حياتها.. وأى عذاب يكون عذابها.. وأى معاناة تكون معاناتها المضنية التى يصبح معها باطن الأرض أرحم بكثير لها من ظاهرها.

وجاء الإسلام كالشمس المشرقة على المرأة ومنع ذلك منعا باتا وأعطاها الحق فى أن توافق أو ترفض من يتقدم لخطبتها وإذا تم العقد عليها بغير رضاها إعتبر عقدا باطلا.

وها هو رسول الإنسانية ﷺ يضرب المثل عمليا أمام الجميع يرونه ويلمسونه بأيديهم ليصبح واقعا فى عهد النور الذى الغى عهد الظلام.. هاهو يرد نكاح خنساء بنت جذام التى زوجها أبوها وهى كارهه.

لو لم يعط الإسلام المرأة إلا هذا الحق، ويرد عليها إنسانيتها التى أهدرت طويلا طويلا، لكفى ذلك دافعا لأن تظل المرأة تلهج بفضل الإسلام مادامت على الأرض حياة.

حسن عشرتها واجب

حسن العشرة أمر حث عليه الدين بوجه عام وأوجبه مع زوجته بوجه خاص، فيكون معها كريم الفعال حسن المقال لطيفا مجاملا قال تعالى:

﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾

وقال رسول الله ﷺ:

« **فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيرا** » وليس من حسن العشرة حبس الزوجة غير المرغوب فيها من زوجها مضايقة لها ولتفدى نفسها منه بالمال تدفعه نقدا أو تسقطه عنه من مؤخر صداقها وقد نهى الله عن ذلك فى قوله :

﴿ ولاتعضلوهن[1] لتذهبوا ببعض ماآتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ﴾ [النساء ١٩]

فطول العشرة ق يحدث شيئا من النفور، وقد يولد فى نفس الرجل رئيس الأسرة هنة من الضيق والضجر يخل بما تلزمه حسن العشرة فيعقب الله بالأمل الحلو فى قوله:

﴿ فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ﴾

وهذه دعوة إلى الصبر والتحمل والتغاضى عن الهفوات .

ومن حسن العشرة إرشاد المرأةوتوجيهها إلى اعمال الخير التى ترضى الله وبها تستقيم الحياة، وتؤجر عليها المرأة فى الآخرة [1] أ.هـ.

كانت فى الجاهلية جمادا باردا لا روح فيها ولاحياة ولا حس ولاحركة فإنها

---

١ – الفصل : التضييق

٢– كتاب سورة النساء. محمد عبدالله الهمشرى.

قطعة من أثاث البيت.. كانوا لاينظرون إليها إلا على أنها كذلك.. لا رأى لها ولا اعتيار على الإطلاق.. مجرد كم مهمل لايؤبه له.

وجاء الإسلام فأعطاها حقها مستوفيا وأرسى قواعد هذا الحق فى عمق الحياة الزوجية فأوصى بها مرارا وشدد على ذلك حتى أن نبى الإسلام عليه الصلاة والسلام ، لم ينس وهو فى الرمق الأخير، تتردد فى صدره الشريف أخر أنفاس الحياة.. لم ينس وهو فى ذلك الموقف أن يوصى بالنساء رغم أنه سبق و أوصى بهن كثيرا.. وانظر معى إلى الأسلوب واللهجة والكلمات التى أوصى بها بالنساء رغم الموقف:

« الله .. الله .. فى النساء »

كلمات رهيبة تتوعد كل من تسول له نفسه الإساءة اليهن.

وها هو القرآن قبل ذلك ينزل بالأمر الإلهى ﴿ **وعاشروهن بالمعروف** ﴾

وينهى عن التضييق عليهن ﴿ **ولاتعضلوهن** ﴾ حتى عندما يكره الزوج زوجته إذا به يسمع صوت المولى من فوق سبع سموات ينبه عليه

﴿ **وعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** ﴾

حسن فهمها .. وعلمها .. وحفظها

الفهم والحفظ ملكتان معروفتان للسيدة عائشة كثرت أو قلت الشواهد التى وصلت الينا من أخبارها.

فحسبها أنها قد روت للنبى عليه الصلاة السلام أكثر من ألفى حديث فى مختلف المسائل التى تدخل فيها الأحكام الشرعية والعظات الخلقية والآداب النفسية والأصول التى يرجع إليها فى الدين والعبادة.

بل حسبها أن يثبت لها عشر هذا العدد من الأحاديث النبوية ليثبت لها أنها كانت تفهم، وتعى، وتحسن الحفظ فيما تنقله بحروفه كما تحسن التعبير فيما تحكيه بكلامها، وأنها تحيط فى فهمها وحفظها بكل ماأحاطت به الأحاديث من المعارض رالمناسبات.

ومع هذا يروى الثقات أنها كانت تحفظ وتفقه وتفسر، ولايقتصر علمها على وعى الكلمات والعبارات. قال أبو موسى الأشعرى: ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها علما فيه، وقال عطاء بن أبى رباح: كانت أفقة الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأيا فى العامة وقال مسروق الهمذانى رأيت مشيخة أصحاب رسول الله الأكابر يسألونها عن الفرائض. وقال عروة بن الزبير: ما رأيت أحدا أعلم بفقة ولابطب ولابشعر من عائشة.

ومن الأحاديث التى ترفع الى النبى انه قال:

« خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء »، وهو حديث لم يثبت بالسند الصحيح، ولكن الحق الذى لامراء فيه ان المسلمين قد عرفوا من أمر نبيهم وأمر دينهم من أحاديث عائشة عن زوجها المحبوب عليه الصلاة والسلام.

ولاريب أنها كانت تقتدى بأبيها فى حفظ الأخبار والأ. ساب كما كانت تقبس من ميراث أخلاقه وطباعه وملكاته، ويستفاد من بعض المنقول عنها أنها كانت تواقة

إلى معرفة كل مانعرف من تواريخ الأمم غير قانعة بأخبار الأمة العربية.. ولا بالأخبار التى تعنيها، خاصة كأخبار النبى والصحابة والعشيرة الإسلامية ومنها خبر النجاشى حيث هاجر المسلمون إلى بلاده فأوفد إليه المشركون جماعة منهم يحملون اليه الغوالى والنفائس ليبطش بأولئك المهاجرين أو يردهم إلى قومهم فقال: « ماأخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكى فآخذ الرشوة منه، ومأأطاع الناس فى فأطيعهم فيه فخفى على السامعين معنى كلامه هذا حتى بلغ السيدة عائشة ففسرته بما انتهى إلى علمها، وهو أن هذا النجاشى كان من الأمراء المغصوبين فأقصاه الملك الغاصب، وباعه بيع الرقيق، ثم أعيد إلى ملكه، فاقتضى الرجل الذى اشتراه حقه، وأبى هذا النجاشى إلا أن يعطوه الدراهم من أموالهم ليجزيهم بصنيعهم، فذلك إذ يقول: مأأخذ الله منى رشوة حين رد على ملكى فآخذ الرشوة فيه.

وهو تفسير لايعنينا هنا أن نستقصيه من الوجهة التاريخية ولكن الذى يعنينا منه شغف السيدة عائشة باستطلاع أحوال الأمم كافة حينما تسنى لها سبيل الإطلاع.

وغزارة الاطلاع تظهر الى جانب هذا، من لغة السيدة عائشة التى امتزجت باسلوبها فى كل ما نقل عنها، ولاسيما الخطب والوصف خاصة، فقد كانت لها مادة من اللغة لاتتهيأ بغير محصول كبير من أبناء العربية التى تستقى من أعرق مصادرها.

ومع هذه المادة اللغوية التى تنم عن استقصاء مادة اللغة العربية من أعرق مصادرها لانستغرب ماتواترت به الروايات من علم السيدة عائشة بطب زمانها ومايصح فى زمانها أن يسمى بعلم الفلك والظواهر الجوية لإلمامه بمسالك النجوم ومهاب الأنواء وغير ذلك من معارف البادية والحاضرة فى عصر الدعوة الإسلامية.

وهكذا تنظر عائشة لنفسها فلاترى أنها تقصر عن عائشة فى المكان الذى خصتها به الآداب العربية، ورفعتها إليه الآداب الإسلامية والحظوة النبوية، لأنه مكان قد استحقته لنشأتها فى قبيلتها ودخولها فى دينها، واستحقته كذلك بما تميزت به بين

أترابها من جمال وفهم ومعرفة وبيان. (١) أ. هـ.

ويصف العقاد (٢) أيضا حياة السيدة عائشة فيقول:

وهى على الجملة حياة زوجية سعيدة نزلت منها السيدة عائشة منزلة الزوجة المدللة فى طوال أيامها، ثم منزلة الشريكة المعينة فى عبء التبليغ والرسالة، وبلغت من الثقة بها فى هذه المعونة قصارى ماتبلغه شريكة حياة، فحفظت من تعليم النبى مالم يحفظه أحد وحفظ عندها النبى أغلى الودائع من بعده: صحف الكتاب وسنته المشروعة لتابعيه. أ. هـ

ويقول العقاد (٣) ايضا فى موضع آخر

فما هو إلا أن هدأت ثائرة الفتنة بعد وفاة النبى عليه الصلاة والسلام، وتوفرالمسلمون على تحصيل مراجع الدين حتى كانت هى المرجع الأول فيما حفظ عندها من آى القرآن وما حفظته من السنن والأحاديث، وحتى كان بيتها مثابة الزوارمن أبنائها وبناتها يدعونها ياأمه. ومنهم من هى فى سن بناته الصغريات، وياله من دعاء محبب إلى الأسماع.

وكانت إذا فرغت من تلقين الأحاديث وجواب السائلين تأوى إلى الصلاة والتسبيح فى جوار الضريح أو تعمل فى مهنة البيت ذلك العمل الذى كان النبى ﷺ يسرها بمساعدتها فيه. أ. هـ.

إنه مثل رائع من بين أمثلة عديدة قدمناه ليدل على فهم المرأة، وعلمها، وحفظها أما بخصوص فراستها.. وحيلتها.. وبعد نظرها، فنقدم الملح التالى:

---

١ - كتاب (الصديقة بنت الصديق) - عباس العقاد

(١) ، (٢) ، (٣) الصديقة بنت الصديق. عباس محمود العقاد « بتصرف»

فراسة النساء

قد حفظ القرآن من تاريخ المرأة فى الحياة ومواقفها من مشاكلها ودقائقها ما أنبأ عن تهيئتها واستعدادها لهذا العطاء، وأنها لم تكن فى مواهبها الطبيعية بأقل من أخيها الرجل، وتحدث عنها بكثير من هذا: تحدث عنها بما يسجل لها قوة الفراسة وحسن الحيلة وبعد النظر فى استجلاء الحقائق الغامضة وتدبير الملك على اساس الشورى.

أما حديثه عنها بما يسجل لها قوة الفراسة فتراه فى قوله تعالى عن احدى ابنتى شعيب فى سورة القصص:

﴿ قالت إحداهما ياأبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين ﴾

فان الأمانة من الصفات الباطنة التى لابد فى ادراكها من عشرة طويلة،وتجارب متعددة، ولايكفى فى ادراكها اجتماع واحد ولانظرة واحدة.. وبنت شعيب هذه لم تر موسى قط إلا حينما ورد ماء مدين ووجد عليها شرذمة من الناس يسقون ووجدها مع أختها تزودان فقال لهما ما خطبكما؟ قالتا لانسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير، فسقى لهما ثم تولى إلى الظل. وهذا القدر من الرؤية ليس من شأنه أن يمكن الإنسان من معرفة أسرار النفوس ودخائلها إلا اذا كان قد أولى من قوة الفراسة ما أوتيته إبنة شعيب.

أما حديثه عنها فى حسن الحيلة وكيف أنقذت بها طفلا عقدت المقادير الإلهية ببقائه رسالة من رسالات السماء إلى الأرض لتطهير البشرية من أدران الشرك والوثنية ونشر دلائل الهدى والسلم على ربوعها فتراه فى قوله تعالى عن أخت موسى عليه السلام فى سورة القصص أيضا:

﴿ هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له نا صحون ﴾

وكان ذلك حينما ألقته أمه فى اليم خوفا عليه فالتقطه آل فرعون، وقالت امرأة

فرعون:

﴿ لاتقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا ﴾

وأصبح بذلك فؤاد أم موسى فارغا مضطربا يكاد يتميز فرقا عليه، وامتنع موسى عن المراضع وكانت أخته هذه تقصه فأشارت عليهم بأهل بيت يكفلونه وقالت لهم ماقالت فرد إلى أمه وأنقذ من فرعون وجبروته.

أما حديثه عنها فى بعد النظر واستجلاء الحقائق الغامضة فتراه فى قوله تعالى عن ملكة سبأ فى سورة النمل:

﴿ وإنى مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون ﴾

وقد روى أنها قالت إن كان نبيا حقا لم تصادف هديتنا مكانا من قلبه، ولم تحل بينه وبين تبليغ أمر ربه وإن لم يكن فسوف يفرح بها، ويعرض عن قتالنا، بزخرفها، وقد كان ماقدرت

﴿ فلما جاء سليمان قال أتمدوننى بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون*إرجع إليهم فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ﴾ [النمل ٣٦_٣٧]

أما حديثه عنها فى تدبير الملك وحسن السياسة على أساس الشورى، وعدم الاستبداد بالرأى فتراه أيضا فى قوله تعالى عن ملكة سبأ هذه وقد وصلها كتاب سليمان عليه السلام:

﴿ يأيها الملأ أفتونى فى أمرى ماكنت قاطعة أمرا حتى تشهدون *قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر إليك فانظرى ماذا تأمرين* قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ﴾

[النمل ٣٢_٣٤]

أنظر هنا تجد مالها من حصافة فى الرأى وسبر لغور النفوس، وتجد فى الوقت نفسه

عدم الأغترار بما يبديه الأتباع والأشياع من إظهار الاعتداد بنفوسهم وقوتهم وعدم الاكتراث بغيرهم فى وقت الكلام، وإدراكها أن هذا موقف عرف عن المروجين للمتبوعين سيراً وراء مايدركون من رغباتهم، غير مقدرين الحقائق، ولاممحصين النصح والإرشاد [1] أ. هـ.

مثال حى رأيناه على أرض الواقع.. علمنا منه كيف أن المرأة أحيانا تحوز نصيبا وافرا من الفراسة والحكمة وحسن التصرف والحيلة.

---

(١) من كتاب (القرآن والمرأة)، فضيلة الشيخ محمد شلتوت.

حسن رأيها أحياناً

قدم الحارث بن عوف المرى على أوس بن حارثة الطائي خاطبا، فدخل أوس على زوجته ودعا بنته الكبرى فقال لها: يابنيه،هذا الحارث بن عوف سيد من سادات العرب قد جاءنى طالباً خاطباً وقد أردت أن أزوجك فما تقولين؟ قالت: لاتفعل، قال: ولم؟ قالت: لأنى امرأة فى وجهى رده، وفى خلقى بعض العهده ولست بابنة عمه فيرعى رحمى، وليس بجارك فى البلد فيستحى منك، ولاآمن أن يرى منى مايكره فيطلقنى فيكون على وعليك من ذلك مافيه.

فصرفها ودعا بابنته الوسطى، وعرض عليها ماعرضه على الكبرى فقالت: إنى خرقاء وليست بيدى صناعة، ولا آمن أن يرى منى مايكره فيطلقنى.

فلما دعا ابنته الصغرى قالت: ولكننى والله الجميلة وجهاً، الصناع يدا، الرفيعة خلقا، الحسيبة أبا، فان طلقنى فلا أخلف الله عليه بخير!

وهذه الفتاة الصغرى ـ واسمها بهيسه ـ هى التى تزوجها الحارث وزفت اليه فأنكرت منه أن يدخل عليها فى ثياب العرس والحرب قائمة بين عبس وذبيان فلايشغله عن الطيب والزفاف أن يصلح بينهما.. فأكبر منها زوجها هذه الحكمة وسعى فى الصلح بين الحيين حتى استجيب إليه (١) أ. هـ.

هكذا يدلنا التاريخ فى وقائعه، وأحداثه أن للمرأة أحيانا آراء سديدة،غاية فى الحزم والحكمة.. انظر معى إلى إبنة أوس الكبرى ورأيها الحكيم وبعد نظرها، وحسن إدراكها للأمور، وانظر أيضا إلى تقديرها السليم لما لديها من صفات دون أن تخدع نفسها كما تفعل أغلب النساء.

أنظر أيضا إلى إبنته الصغرى الواثقة من نفسها ثقة تأتى فى مكانها، وأنظر إلى

---

(١) كتاب (الصديقة بنت الصديق) .عباس محمود العقاد

موقفها الرائع من الحرب القائمة بين عبس وذبيان وهو موقف لم يقفه زوجها الحارث بن عوف المرى.. انظر أيضا إلى موقفها من زوجها وإخلاصها له، وحكمتها فى اختيار الموقف الشريف الذى يتسم بالمروءة له، وابعاده عن الموقف الذى يشينه.

من وصايا النساء

أوصت امرأة عوف بن محلم الشيباني إبنتها عند زفافها إلى ملك كنده:

أى بنيه، إنك قد فارقت بيتك الذى منه خرجت وعشك الذى فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فكوني له أمة يكن لك عبدا، واحفظى له عشر خصال يكن لك ذخرا:

أما الأولى والثانية:

فالصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة.

أما الثالثة والرابعة:

فالتعهد لموقع عينه، والتفقد لموضع انفه. فلا تقع عينه منك على قبيح، ولايشم منك إلاطيب ريح، والكحل أحسن الحسن والماء والصابون أطيب الطيب المفقود.

وأما الخامسة والسادسة:

فالتفقد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبه.

وأما السابعة والثامنة:

فالعنايةببيته وماله، والرعاية لنفسه وحشمه وعياله، وملاك الأمر فى المال حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة:

فلا تفشى له سرا، ولاتعصى له أمر. فإنك ان أفشيت سره لم تأمنى غدره، وإن عصيت أمره اؤ غرت صدره.

ثم اتقى مع ذلك الفرح إن كان ترحا [1]، والإكتئاب عنده ان كان فرحا، فان الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير وكوني أشد ماتكونين له اعظاما يكن أشد مايكون لك إكراما وأشد ماتكونين له موافقة، يكن أطول مايكون لك مرافقه،

(1) حزينا.

واعلمى أنك لاتصلين إلى ماتحبين حتى تؤثرى رضاه على رضاك وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت، والله يخير لك.

وأوصت أم ابنتها فقالت:

اى بنية: لاتغفلى عن نظافة بدنك، فإن نظافته تضىء وجهك وتحبب فيك زوجك، وتبعد عنك الأمراض والعلل، وتقوى جسمك على العمل فالمرأة التّفلة تمجها الطباع وتنبوعنها العيون والأسماع وإذا قابلت زوجك فقابليه فرحة مسرورة مستبشرة، فإن المودة جسم روحه بشاشه الوجه.

وأوصت أم ابنتها ليلة زفافها قائلة:

لاأريد أن أخدعك يا ابنتى: إن حلاوة الزوجية تنتهى بنهاية الشهر الأول الذى لاتزال فيه الى حقائق والأوهام غالبة فى تخيلات تلك الصبوه، فإذا تمنيت مزيدا من الحلاوة فى حياتك الزوجية فعليك بالنصائح الآتية ـ

١ ـ اجتهدى أن تنمى فيه السجايا التى حببتك إلى زوجك، وجعلتك عزيزة فى عينيه يوم كنت آنسة. ولاتظنى أنك، وقد صرت زوجه يجوز لك أن تغيرى مظاهرك السابقة. واذكرى دائما أن وظيفة الزوجة لاتبتدى وتنتهى فى مخدعها.

٢ ـ لاتسلمى لأحد فى دعواه انه يفهم زوجك أكثر منك حتى ولا لأمك التى هى أنا لا تصغى للذين ينتقدون زوجك بحجة النصح له فإنهم أعدى أعدائك.

٣ ـ إذا عرفت خطأ زوجك، أو شعرت بقصور منه فإياك، أن تؤنبيه أو تعظيه لئلا تعتدى على حق هو لأبويه أو لأخيه الأكبر

٤ ـ تيقنى أنك لاتقدرين على محاربة الرجل بسلاحه قوته فى لفظه وعناده لأنه ثقيل فى يدك النضيرة.. وإنك لتتعبين من حمله.

وسيريك الزمان أن أسلحة المرأة الماضية الحادة هى الجمال والاستسلام والحلم

واللطف والسكينة والخجل والبكاء.. ولعلك تظنينها أسلحة ضعيفة. ولكنى أؤكد لك أنها إذا شحذتها الحمية والأمانة كانت ماضية جدا، كافية لأن تدمِّت الطباع الخشنة وتخفض من غلواء الرجل.

٥ ـ لاتعظمى المصائب فى بيتك ولاتستسلمى للحزن والأسى بعد وقوع النازلة، يكفى زوجك جهاده خارج المنزل. فعليك أن تخلقى السرور داخل البيت. فبشى له على أى حال. واستقبليه بكل ابتسامة تنبىء عن متسع الأمل، وتحيى الرجاء فى النفس.

٦ ـ تحاشى ان تستطلعى أسرار ماضى زوجك. فقد انقضى، وفى وقوفك عليه مابنغص عيشك، ويجعل هناءك شقاء ولاتنسى أن زوجك إنسان لاملاك.

٧ ـ إرفقى بجيب زوجك فلا تستنفدى نقوده لاقتناء الحلى والحلل، وعليك أن تكتفى بما تمس إليه الحاجة من ذلك، أما مازادعن ذلك فيعد اسرافا لا مسوغ له، والكساء البسيط بهندام حسن يدل على سلامة ذوق السيدة ونبلها.

٨ ـ احترمى عواطف بعلك وبادرى الى قضاء حاجاته قبل أن يطالبك بها، حببى إلى نفسك حرفته، فإذا كان من أهل الأدب مثلا فرتبى أوراقه ومكتبه، ونظفى أقلامه وأدواته وهكذا إفعلى مايرضيه من ذلك وتولى هذا العمل بنفسك.

٩ ـ اعتنى باختيار صديقاتك فبالنظر اليهن يحكم العالم على مكانتك ولاتطلعى صديقة لك على كل شىء من دخائل منزلك مهما بلغت منزلتها عندك، ولاسيما مايتعلق منها بعيب.

١٠ ـ حينما تجلسين الى المائدة اجتهدى أن تكونى فى أوضح مظاهر البهجة والسرور، لأن الوجه العابس يعوق الهضم ويفسده وفساده داع إلى اعتلال الصحة.

١١ ـ كونى للزوجات نموذجا صالحاً: فأحبى وشجعى وعزى واحتملى وسامحى، واحترمى ترى نفسك فى السبيل الذى يفضى بلزوجة الى السعادةوالهناء.

وأوصت أمريكية ابنتها فكان فيما قالته:

١ ـ لايبرح من ذهنك أنك تزوجت بإنسان لابكائن فوق البشر، فلاتأخذك دهشة مما ترينه فيه من النقص والعيب.

٢ ـ قد يكون زوجك بلا قلب. ولكن له على كل حال معده يجب إرضاؤها بتهيئة ما تشتهيه من الأطعمة

٣ ـ اتركى له له من آن إلى آخر الكلمة الأخيرة والقول الفصل.. ففى هذا مايسره ولايضرك.

٤ ـ كونى معه على أدب تام دائما، وتذكرى انه هو خطيبك الذى كنت تنظرين إليه على أنه أرقى الكائنات، وأنه لامسوغ لتغيير وجهة النظر بعد الزواج.

٥ ـ دعيه يعتقد من آن إلى آخر أنه أكثر منك علما وأغزر معرفة فان فى هذا الاعتقاد مايسره ويرضى عواطفه باعتبار كونه رجلا.

٦ ـ إحترامى آله وخصوصا والدته التى أحبها قبل أن يحبك [(١)] أ. هـ.

وأوصت أم إبنتها فيما يتعلق بأمور المنزل فقالت:

ياابنتى البيت مملكة صغيرة، والعاقلةمَنْ تَسوس هذه المملكة بحكمة وحسن إدارة، وتعطى كل فرد من افرادها حقه: فتحسن معاملة زوجها وتربية أولادها. ومعاملة الخدم، لتكون محبوبة من زوجها محترمة من أولادها، مطاعة من خادمتها، مشكورة من آلها، مقبولة عند الله وعند الناس، فترفع مملكتها إلى ذروة السعادة،

(١) سعادة الزوجين: جـ١ ص٢١ـ٢٣ و١٤ـ١٧ نقلا عن كتاب المرأة فى التصور الإسلامى لعبد المتعال محمدالجبرى طـ ٦ مكتبة وهبه.

وترقى بأسرتها قمة الراحة والمجد، أما المرأة الجاهلة التى لاتحسن القيام بادارة منزلها ولاتقوى على سياسة مملكتها فانها تسقط من نظر زوجها وأولادها وخدمها أيضا، وتهوى بأسرتها إلى وهدة البؤس والشقاء.

والرجل يا ابنتى إن لم يكن مسرورا من حسن ادارة منزله وراحة افراد أسرته، وكان سبب ذلك جهل امرأته، فلابد أن ينفر منها مهما يكن بفؤاده من الحب والميل إليها.

شرف المرأة ـ يا ابنتى ـ هو أن تقوم بواجباتها النسائية وأمورها المنزلية، ولاتترك زوجها يفكر فى غيرها أو يطلب سواها لراحته وترتيب منزله. [1]أ. هـ.

هذه أمثلة ونماذج ـ عزيزى القارىء ـ قدمتها لك لتعلم أن المرأة تبلغ من الحكمة ـ أحيانا ـ ومن بعد النظر شأوا بعيدا.

وأظن وأنك تقرأ هذه الأمثلة تحس كأنما هى امتداد لبلقيس ملكة سبأ التى كان من بعد نظرها أن قالت:

﴿ وإنى مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون ﴾

[النمل ٣٥]

روى أنها قالت إن كان نبيا حقاً لم تصادف هديتنا مكانا من قلبه، وإن لم يكن فسوف يفرح بها ويعرض عن قتالنا وقد كان ماقدرت

وانظر إلى حكمتها وبعد نظرها حينما استشارت قومها

﴿ قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد ﴾

[النمل ٣٣]

فما كان منها إلا أن تصرفت التصرف الحكيم البعيد عن الطيش والاندفاع رغم تزيين قومها لهذا الاتجاه وبذلك جنبت بلدها الهلاك والدمار.. أنظر اليها هى تقول ردا عليهم..

---

(١) من كتاب (المرأة فى التصور الإسلامى) عبدالمتعال محمد الجبرى طـ ٦ مكتبة وهبه.

﴿ إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون﴾ [النمل ٣٤]

إنه بعد النظر من المرأة والفرق بين بلقيس وبين تلك النسوة اللاتى قدمن وصايا ثمينة هو أن رأى بلقيس جاء بشأن سياسة الملك أما رأيهن فقد جاء بشأن سياسة البيت.. أى أنه بعد نظر ولكن كل فى مجاله.

وانظر إلى وصية إحداهن لابنتها عندما زفت إلى زوجها:ـ

لايأكل خير ما فى بيتك غير زوجك، ولاتكشفى عن رأسك فى بيت غيرك ولو كان صاحبه فى العراق.

فما أحلى هذا الخلق

وما أبدع هذا النصح! (١) أ.هـ.

يالها من وصية!

أنظر إلى هذه الأم وهى تودع ابنتها وفلذة كبدها خير ماتعلمته من حكمة وهى تزف إلى زوجها وتقبل على حياة جديدة تحتاج فيها إلى كل رأى سديد.. وكل خبرة، وكل حنكة فى معالجة أمور الحياة وشئونها.

إنها تركز كل خبرتها فى وصية ثمينة.. غالية كأنها الأحجار الكريمة.. والدرر اللآلئ التى لامثيل لها، ولانظير ..

إنها توصيها وصية تتكون من شقين.

الشق الأول تقول فيه:

« لايأكل خير مافى بيتك غير زوجك »

وهى وصية ثمينة لاتقدر بمال تتمشى مع ما أوصى به دين الإسلام الزوجة من حسن معاملة زوجها وطاعته والعناية به والسهر على راحته فالزوج رأس المنزل وهو

(١) من كتاب (المرأة فى شتى العصور من لدن آدم عليه السلام حتى الآن) لابن الخطيب الطبعة الأولى ـ المطبعة المصرية ومكتبتها.

الشخص الذى قال فيه رسول الله عليه الصلاة والسلام حينما جاءت إمرأة تسأله عن حق الزوج قبل أن تبت فى أمر زواجها: « **من حقه لوسال منخراه دماً وقيحاً فلحسته بلسانها ما أدت حقه.. لو كان ينبغى لبشر أن يسجد لبشر لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها**» .

من هنا وجب على الزوجة أن تعامل زوجها أفضل معاملة وأن تكرمه الإكرام كله ومن ذلك أن يكون طعامه مكونا من خير ما فى البيت فذلك حقه.. ولاشك أن ذلك المبدأ من شأنه أن يقرب بين الزوج وزوجته ويدعم أواصر الود والمحبة بينهما وفى ذلك عمار البيوت ودوامها، وتحقيق السعادة لكلا الطرفين.

أما الشق الثانى فتقول فيه :

« ولاتكشفى عن رأسك فى بيت غيرك ولو كان صاحبه فى العراق » ويالها من وصية من أثمن الثمين.. وصية تتعلق بصيانة الشرف والمحافظة عليه أقوى محافظة.. أنظر معى قولها «ولو كان صاحبه فى العراق » أى إياك وذلك مهما كانت الأسباب.

غواية النساء

﴿ ويا آدم إسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ❁فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين❁وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين❁ فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ﴾ [الأعراف ١٩ ـ ٢٢]

﴿ وقلنا ياآدم إسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ❁ فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا إهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ [البقرة ٣٥ ـ ٣٧]

« رأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون شهية للنظر، فأخذت من ثمرها، وأكلت وأعطت رجلها أيضا معها فأكل فانفتحت أعينهما وعلما أنها عريانان.. ونادى الرب آدم وقال له: أين أنت؟ فقال: سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت. فقال: من أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك ألا تأكل منها؟ فقال آدم: المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت. فقال الرب للمرأة: ما الذى فعلت؟ فقالت المرأة: الحية غرتنى فأكلت. فقال الرب للحية: لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم، ومن جميع وحوش البرية، على بطنك تسعين وتراباً تأكلين كل ايام حياتك، وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها: هو يسحق رأسك وأنت تستحقين عقبه »

[العهد القديم الإصحاح الثالث سفر التكوين]

هى القصة الخالدة فى الأديان الكتابية:

وهى الرمز الخالد إلى طبيعة المرأة التى لاتتغير: هى تفعل مأتنهى عنه، وهى تغرى الرجل، وفى كل من هذين الخلقين دليل مجمل على خلائق أخرى مفصلة تنطوى فى ذلك الرمز الكبير.

قال الشاعر الجاهلى طفيل الغنوى:

إن النساء كأشجار نبتن لنا ... منها المرار وبعض المر مأكول

إن النساء متى ينهين عن خلق ... فإنه واجب لابد مفعول

وقد ألهم الشاعر البدوى ، إبن الفطرة وابن البادية ، خلاصة قصة الشجرة فى بيتيه المطبوعين، وخلاصتهما أن المرأة تغرى بأكل المر الذى لايساغ، وأنها تفعل ماتنهى عنه، فهو عندها « واجب لابد مفعول »

وكل خلق كامن فى المرأة يظهر من هذا الولع بالممنوع.

فلم كانت كذلك؟ ألأنها ضعيفة؟ لا، إن قبل ذلك خطوة نخطوها ثم نصل منها إلى هذه الخطوة التالية:

قبل ذلك أنها محكموهة. ثم هى محكومة لأنها ضعيفة، ومازال من داب المحكوم أن يحن إلى التمرد والعصيان، وأن يلتذ المخالفة للمسيطرين عليه، لأنه بهذه المخالفة يثبت وجوده أو يستوفى حياته، فهى عنده ضرب من حب الحياة.

«وأحب شيء إلى الإنسان مامعنا» كما قيل :

نعم إلى الإنسان كافة لا إلى المرأة خاصة، ولكن المرأة قد خصت بهذه الشهوة لأنها محكومة لاتحكم غيرها إلا من طريق الإغراء، أو تنبيه النفوس إلى ماهو « شهى للنظر بهجة للعيون » كما جاء فى العهد القديم.

....

كل خلق من أخلاق المرأة مرموز إليه فى قصة « هذه الشجرة » فالولع بالممنوعات خلاصة طبائع المرأة التى تنمى إلى أسباب كثيرة ولاتنحصر فى منبت واحد.

ولكن السبب الأساسى منها أنها تؤمر وتنهى كثيرا، وأنها تؤمر وتنهى لأنها أضعف من آمرها وناهيها، ولاتزال معه أبدا بين لذة الخضوع ولذة العصيان، ولعلها لاتعصى

إلا لتعود كرة اخرى إلى خضوع أعمق وأشهى من خضوع البداية والارتجال.

ولا تولع المرأة بالممنوع لأنها محكومة وكفى أو لأنها محكومة لضعفها وإعتمادها على من يمنعها.

بل هى تولع بالممنوع لأنها تتدلل، ولأنها تسىء الظن ولأنها تعاند، ولأنها تجهل وتستطلع، ولأنها موهونة الإرادة لاتطيق الصبر على محنة الغواية والإمتناع.

وكل أولئك عنوان لخصلة أخرى من ورائها: هى خصلة الضعف الأصيل.

هى تتدلل لأن قيمتها موقوفة على غيرها، أو معلقة بنظرة غيرها إليها.. فهى تحب أن تعرف قيمتها، ولاتعرف قيمتها إلا بقدر ماتكلف الرجل من الصبر عليها، وإحتمال الدالة المحببة منها.

والدلال نوع من الإباء أو نوع من المخالفة والعصيان، واغراء بتكرار الطلب وتكرار الممانعة.. ويتمنعن وهن الراغبات.

ولو لم تكن قيمتها معلقة بمشيئة غيرها لما كانت بها حاجة الى الدلال، ولا إلى توابع الدلال من المكابرة والولع بالممنوع.

وهى تسىء الظن كماتسىء الظن كل رعية محكومة.

فالرعية التى طال عليها عهد التسلط، والحكم تحسب كل أمر من الحاكم شيئا يفيده ولايعنيها، وتحسب كل نهى من الحاكم مصلحة تهمه ولاتهمها، واجتنابا لمحظور يسوءه ولايسوءها.

فينبعث منها سوء الظن بداهة وفطرة كلما دعيت الى فريضة أو نهيت عن محظور.

وتلح بها رغبة المخالفة بغير بحث، ولا روية، بل تخالف ولها منفعة فى الطاعة، لأن المخالفة هوى، والمنفعة تفكير، ومازال الهوى فى النفوس أقوى سلطانا عليها من التفكير.

فالمرأة تحسب أبدا أن سيدها ينهاها لأنه يريد أن يستأثر بها، ويخشى من المزاحمة عليها، فتلك رغبته إذن لارغبتها، ومتعته إذن لامتعتها، وهى اذن تنصف نفسها كلما تمردت عليه، وتحقق غرضها كلما فوتت عليه غرضا من أغراضه، أو هكذا

توصى إليها بداهة المخالفة بغير روية ولا بحث مفيد فى حقائق الأسباب.

ثم هى تولع بالممنوع لأنها تجهل وتستطلع وتشبه الطفل الناشىء فى غريزة الجهل والاستطلاع.

والجهل والاستطلاع مولعان بالهدم، قبل الولع بالبناء.

فهما لايذعنان إلا بعد معرفة يطول تحصيلها، وقبل الوصول الى تلك المعرفة يآبيان الإذعان ويستحريحان إلى الممانعة والتعويق والتحطيم.

أما ضعف الإرادة فهو عذاب بين يدى الغواية لايخلص منه الضعيف إلا بمقارنة الشيء الممنوع، فينتهى بذلك عذاب الفتنة والإغراء والمصابرة والامتناع.

فاذا وضع بين يدى الضعيف قدح من الماء القراح وقيل له لاتشرب منه، شرب منه وهو غير ظمآن.

لأنه يريد أن يمتنع فتنازعه الرغبة، ويريد أن يكبح الرغبة فيعذبه الكبح، ويريد أن يتحمل العذاب فيعيبه الاحتمال. فهو ضعيف مع الرغبة، ضعيف مع الكبح، ضعيف مع العذاب، ضعيف مع هذا التردد كله، لا يريحه منه إلا أن يفعل مانهى عنه،ويفض المشكلة بهذه النهاية.

فهو يشرب الماء القراح لأنه يفض مشكلة الامتناع عنه، لا لأنه ظمآن إلى الماء القراح.

والشيطان حين قال لآدم وحواء:

﴿ ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين﴾

قد ألهب فى حواء كل علة من علل المخالفة والولع بالممنوع وسول لها الغواية والأغراء.

فأكلت وزينت لآدم أن يأكل مثلها.

فتمت بذلك صفات الضعف كلها، لإن الاغراء علامة المشيئة التى تصل الى بغيتها من طريق التحسين واثارة الشهوات فى غيرها، لامن طريق الأمر والإخضاع أو من طريق الغلبة بالشهوة الطاغية على شهوة أخرى.

وكأنما لسان الحال الذى تنطق به المرأة فى هذا المقام: إنك أيها الرجل تخضعنى وأنا أغريك! أنت تخضعنى بسلطانك، وأنا أخضعك بما أليح لك من « شهوة النظر وبهجة العيون »

فهذه الشجرة ..

هذه الشجرة التى أكلت منها المرأة لأنها نهيت عنها والتى طعمت منها ثم أطعمت آدم معها.

هذه الشجرة هى عنوان مافى المرأة من خضوع يؤدى إلى لذة العصيان، ومن دلال يؤدى إلى لذة الممانعة، ومن سوء ظن، وعناد وضعف، واستطلاع جهل، ومن عجز عن المغالبة، وعجز عن الغلبة بغير وسيلة التشهية والتعرض والإغراء.

وهذه هى قصة « الأنثى الخالدة » كلها فى كلمتين.[1] أ. هـ.

هذه إذن وجهة نظر العقاد بخصوص ملمح (ولع المرأة بالممنوع) عرضناها لصدقها، ودقة التحليل الذى أورده.. وإن كان هذا لايمنع من أن نقول ان العقاد استند فى وجهة نظره هذه إلى:

ـ القرآن .

ـ العهد القديم .

أما القرآن فلم يرد به نص يدل على أن حواء هى التى أغرت آدم وإنما النصوص التى وردت بالقرآن دائرة حول قصة الشجرة دائما نجدها تأتى تارة بصيغة المثنى أى ان الخطاب لآدم وحواء على السواء وتارة أخرى نجدها لآدم وحده عند ذكر الوسوسة، وأيضا عنده علمه ربه كلمات فتاب عليه، واستمع معى إلى قوله تعالى فى الآية ٣٥

---

١ – من كتاب (هذه الشجرة والانسان الثانى) . عباس محمود العقاد

﴿ وقلنا ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ۞ فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين۞ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴾

لاحظ معى كلمة « فأزلهما الشيطان » عنها.. أزلهما الصيغة هنا صيغة المثنى لاتفيد أبدا أن حواء هى المقصودة.. لاحظ أيضا كلمة « فاخرجهما » ولم يقل « فاخرجها » .. لاحظ أيضا الآية ٣٧ تجد أن الذى تلقى كلمات من ربه هو آدم ثم تاب عليه.. وفى هذا مايفيد أن الفعل الإيجابى فى هذه القصة كان من ناحية آدم وليس حواء.

وهذه الآيات التى استشهدنا بها هى نفس الآيات التى ذكرها العقاد فى صدر كلامه وتأمل معى الآيات الأخرى التى أوردها قبل آيات سورة البقرة ومنعا للتكرار أرجو أن ترجع إليها وستجد الآتى :

قوله تعالى:

﴿ فوسوس لهما الشيطان ﴾ ولم يقل **﴿ فوسوس لها ﴾**

وتجد أيضا: «وقاسمهما إنى لكما لمن النّاصحين ولم يقل «وقاسمها »

وتجد **﴿ فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما ﴾**

الصيغة أيضا هنا كما ترى للمثنى وليس للمفرد المؤنث.. وانظر معى أيضا إلى قوله تعالى:

﴿ وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ﴾

تجد ﴿ ناداهما ﴾ و ﴿ ألم أنهكما ﴾ و ﴿ أقل لكما ﴾

كلها بصيغة المثنى ويقول عز وجلّ فى سورة طه:

﴿ فوسوس إليه الشيطان قال ياآدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لايبلى ۞ فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى ادم ربه فغوى ﴾ [١٢٠ ، ١٢١]

وهنا جاءت بصيغة المفرد المذكر.. فوسوس اليه، لتبين ان المسئولية تقع عليه أولا، وتأمل معى:

﴿ وعصى آدم ربه فغوى ﴾

بل ان العقاد يقول فى كتابه (المرأة فى القرآن) « وليس فى هذه الآيات الثلاث إشارة إلى ابتداءحواء بالإغراء أو بالكيد ولكن بعض المفسرين ذكر ذلك فى شرح الآيات معتمدا على أقوال حفاظ التوراة بنى من بنى اسرائيل الذين دخلوا فى الإسلام » أ . هـ . وكأنه بهذا رجع عن رأيه الذى أوردناه فى كتاب « هذه الشجرة والإنسان الثانى »

إذن فنحن فى النهاية مارأينا آية ألقت المسئولية فى الإغواء والإغراء على حواء والقرآن هو كتاب الله الصادق والوحيد الذى لم يحدث فيه تحريف او تبديل أو تغيير.

والعهد القديم ألقى المسئولية على المرأة فى إغواء آدم فأكل من الشجرة لكنه « أى العهد القديم » قد تعرض للتحريف والتغيير وهذا لايخفى على العقاد وعليه فإننا نقول ان هذه القصة التى أوردها قد تصح ولكن ينبغى أن نضع فى الاعتبار أيضا أنها قد لاتصح ، وهذا هو الأرجح حينما نتأمل آيات القرآن التى وردت بخصوص قصة الشجرة.

نقول أيضا إننا كنا نتمنى أن يورد العقاد ـ وهو المعروف بعمقه ودقة تحليلاته ـ

كيف تكون معاملتها الصحيحة فى هذه الحالة ؟!

هل يعرض رجلها عن نهيها حتى لاتفعل الشىء المنهى عنه؟.. وهنا يبرز سؤال آخر وهو أن الحياة لاتستغنى عن أن ينهى الرجل امرأته عن بعض الأشياء.. فكيف إذن يتصرف ؟!

حاولنا أن ندلى بدلونا فى تلك القضية فوجدنا أن أفضل وسيلة هنا أن يقلل الرجل من النهى ما أمكن، ويمكنه الوصول الى بغيته بوسائل أخرى غير وسيلة النهى مثل أن يستخدم نفس السلاح التى تستخدمه هى، وهو سلاح « الأغراء ». لماذا لايجعلها تنفذ مايريد عن طريق إغرائها بأنها لو فعلت كذا وكذا لكانت صورتها صورة المرأة التى تتصف بكذا وكذا من الصفات المغرية التي تجب أن تتصف بها كل إمرأة وغنى عن البيان أن ذلك ينبغى أن ينفذ بأسلوب فنى دقيق مسبوك..

وهكذا على الرجل أن يلجأ إلى الأسلوب غير المباشر.. والتلميح دون التصريح.. وهكذا..

تعليم من الفقه بدل الجنس

يقول صاحب الكشاف معلقا على تفسير الآية الكريمة

﴿ فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾

إنه تمثيل، أى فأتوهوهن كما تأتون أراضيكم التى تريدون أن تحرثوها من أى جهة شئتم، والمعنى جامعوهن من أى شق أردتم بعد أن يكون المأتى موضوع الحرث، وهو من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة ، وهذه وأشباهها فى كتاب الله آداب حسنة، على المؤمنين أن يتعلموها ويتأدبوا بها ويتكلفوا مثلها فى محاوراتهم ومكاتباتهم. أ. هـ.

ولو رأى صاحب الكشاف مانحن عليه اليوم من تعرية فاضحة للجنس بالكلمة واللمسة والصورة وأسلوب الأداء لتشدد أكثر من هذا؟! ومن الواجب أن نتأسى بأسلوب القرآن الكريم.. فى تناول الجنس بكل حذر، وبدون إسفاف مع الاكتفاء بالإشارة الدالة. ومع استبعاد الألفاظ العارية لأن ذلك يسىء إلى خلق الحياء . ولقد سرت القدوة من القرآن إلى المجتمع ، فتناولوا هذه المعانى بكل تهذيب وحياء رجالا ونساءً.. ولنستمع إلى السيدة عائشة تعبر عن بعض هذه المعانى بقولها: « مارأيت منه ولا رأى منى » تريد العورة وقت الجماع.. فهو تعبير مهذب يدل على المعنى ولايجرح الحياء.

ومثله ما أجابت به المرأة رسول الله ﷺ عندما سألها: ماذا كان آخر العهد بينك وبين زوجك؟ فقالت: يارسول الله كان بينى وبين زوجى « ماكان بين الزوج وزوجه عادة »

آثرت المرأة تعبيراً مهذبا موحيا ولقد حذر رسول الله ﷺ أن تذاع أسرار الفراش وأن يبتذلها الجهال بكشف ما أمر الله أن يستر ، ويستبيحوا من الحديث ما لايقبله ذوق ولا يرضى عنه دين ، لتظل أسرار الأسرة مصونة معززة فعن أسماء بنت يزيد أنها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء قعود عنده فقال:

لعل رجلا يقول مافعل بأهله ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها.. فأزم القوم ، أى سكتوا وجلين. فقلت.

« إى » « أى نعم » والله يارسول الله إنهم ليفعلون، وإنهن ليفعلن، قال: « فلا تفعلوا فإنما مثل ذلك، مثل شيطان لقى شيطانه فغشيها والناس ينظرون » .

وهو تحذير شديد وتصوير يوحى بقبح هذه الفعلة وينفر منها أبلغ تنفير فما أجمل أن يحاط الفراش بالقداسة والتصون ،

ولقد قال رسول الله ﷺ

« إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر سرها »

هذا أدب محمد صلوات الله وسلامه عليه، أدبه ربه فأحسن تأديبه وتلك هى شريعته صيانة للحرمات، وحفاظ على الأداب وتجنب لذكر العورات وتناول للجنس لكن بالكلمة الموجزة والإشارة العابرة والكناية الدالة والابتعاد عن الإسفاف وتجريد الكلمات.

ولقد كانت المرأة « موضوع هذه التربية » محتشمة.. لم تبرز عارية .. فلا غرو أن أوجدت حول نفسها هالة من الجلال لم تسمح لأحد أن يتحدث عنها باللفظ العارى، أما « حواء اليوم » فقد انكشف منها كل شيء فانكشف كل اسلوب يعبر عنها، فلتحتشم المرأة لتحتشم اللغة.

ذئاب على الطريق:

أين هذا كله مما نسمع ونرى؟ فى هذه الأيام ؟

نقرأ فى الصحف أن الجامعة ستجعل من الحب درس للفتيات وسيدرس الجنس فى المدارس والمعاهد والكليات ونحن نتساءل كيف يدرس الحب ؟ وكيف يدرس الجنس ؟ ومن الذى سيتولى ذلك ؟ولماذا نلجأ إلى هذا الإتجاه؟

أهو التقليد للغرب؟ هل استطاع الغرب أن يصل من وراء هذا الفجور الى هدف اللهم إلا الإباحية والأنحلال؟!

هل إذا سمعنا بما يجرى فى أمريكا من تفكك الأسرة وانطلاق الفتاة واستباحة الفجور.. هل نجد فى ذلك مايدعو الى التقليد فى مجتمع شرقى يؤمن بالمثل والمبادىء ؟ أهذه هى التقدمية! فأين الحيوانية إذن؟

أوَماكفى أن نرى عى الشاشة صورا فاضحة يندى لها الجبين؟ أو ماكفى أن تنبذ البنت ثياب الحشمة، وتمضى فى ثوبها كاشفة عن مفاتنها؟ ألم يبق إلا أن ندرس لها صور العشق، ووسائل الحب، وأساليب الجنس؟!

يكفى مايتدفق الينا من الغرب على شكل كتب جنسية مثيرة فيها العرى والقحة وعندما تتنادى أصوات نكراء بضرورة تدريس الجنس فى مدارسنا على الطريقة الواقعية، فإنهم يعنون بذلك أن يستخدموا اللفظ المكشوف لتتعلم البنت فى هذا الجو مايزيدها فساد ، على فساداً ونسألهم ماهدفكم؟ ويجيبون بأن المراهقين والمراهقات متى فهموا هذه المسائل فلن يقعوا فى الأخطاء الجنسية، ولن يستقوها من منابع آسنة، وهذا كلام خاطىء وتبرير ضعيف.

ذلك أن الفتاة فى هذه السن ، ومثلها الفتى ، يغلب عليهما الحياء وهو خلق يحب تنميته حتى يعيشا فى كنف الفضيلة فإذا صارحناهما بحقيقة الأوضاع الجنسية، ذهب منهما الحياء واجترآ على هذه الأوضاع، وتناولاها مكشوفة عارية.. ولن تكون هناك أى ثمرة لهاسوى رفع الحياء بالمرة ، أما المعلومات المبتغاة ، فما وجدنا فتاة ولافتى ضلا عنها بعد الزواج، إنها مسائل تدرك بالطبيعة وتعرف بالفطرة، وتكفى فيها لمحات خاطفة فى علوم الأحياء والتشريح. يكفى كذلك أن تسمع البنت

من أمها كلمات قبل أن تدخل عش الزوجية ، وحتى الآن لم نجد أخطارا تأتينا عن هذا الطريق، وإنما تكمن الأخطار فى هذه الصراحة الوقحة التى تجعل من درس العلم مجالا لابشع الألفاظ.

إن بناتنا وأبناءنا ليسوا فى حاجة إلى ثقافة جنسية بقدر ما هما فى حاجة الى ثقافة دينية تغرس فى نفسيهما خلق الحياء، وما من رجل نبيل فى هذا المجتمع يرضى لابنته أن تجلس فى درس لتستفيد فى الحب والعشق والغرام دروسا تجهلها.

فإذا كان ولابد من دراسة لهذه الموضوعات فلتكن أولا بأسلوب مهذب ولغة موحية. ولنا فى أسلوب القرآن وأسلوب الرسول وأسلوب السلف الصالح قدوة حسنة.

لتكن الموضوعات مما تهم البنت ومما يتعلق به حكم دينى ومن نوع الموضوعات التى أثارها القرآن، وشرحها الرسول، ولهذا الهدف وبتلك اللغة.

وليكن القوامون على هذا اللون من التثقيف رجالا صالحين لهم دراية ومعرفة لأن الخطأ فى هذه الموضوعات يكون عظيم الخطر إننا نؤمن بأن هناك موضوعات تعنى المرأة وترتبط بطبيعتها وتعبر عن جنسها.. وياليتنا نهتم بإحياء الفقه النسائى وتدريسه للفتيات بدلا من هذه الثرثرة الجوفاء!.. فلتكن دراسة الجنس فى هذا الإطار .

وإن إثارة مثل هذه الموضوعات أجدى على الفتاة وعلى الحياء وعلى المجتمع من مسائل الجنس العارية والحب الفاضح.

فما يعنينا منها هو إحياء الفقة النسائى الخاص بالمرأة لتتعلمه بوضوح كما أراد الله ، وفيه مسائل حساسة لابأس بتناولها على طريقة القرآن وبأسلوب الرسول الكريم. فأما الطفح الذى يقذف به الغرب فى شرقنا الطهور النظيف فذلك مانحذر منه ونزهد فيه ونكافحه بكل قوة وعزم.

إنها فى الحقيقة صيحات متشابهة بل متشابكة.. الاختلاط ، الجنس ، الحب ، كلها معاول هدم فى صرح الفضيلة، ودعوات خبيثة يجب أن نتصدى لها بإيمان وقوة.. وقد قرأنا ورأينا ثمارها فى المجتمعات الضالة الفاسدة.

فلنتق الله فى فتياتنا وفتياننا، وكفى ماعندنا حتى نتمكن من تطهيره، وعلينا ان نحول بينهم وبين هذه الأفكار، نريد أن تتوخى وسائل إعلامنا عرض كل ماهو جميل وليسألوا أنفسهم عن هدفه وغايته! وليتقوا الله فى أبنائنا وبناتنا.. نريد ثقافة هادئة وعلما نافعا ومجتمعا نتنفس فيه الفضيلة.. ويزدهر فيه الإيمان ، ولا نريد أن نصب آذانهم بما يخدش الحياء أو يجرح المروءة ولا أن نرى أعينهم مايندى له الجبين...

ولقد قرأت كلمة متزنة لكاتب معروف ليس رجل دين يحذر من الاتجاه الجنسى المحموم.. ولقد أعجبت بها لأنى قرأت فيها إشفاق رجل غيور على مصير الفتيان والفتيات.

وسوف أنقل منها فقرات، يقول: « فجأة أصبحت أكثر المسرحيات المعروضة فى القاهرة جنسية عارية الحركة والكلمة.. مما دعا إلى التقزز والنفور ، لِمَ انتشرت هذه المسرحيات الجنسية؟.. لاشك أن المسرح الذى يعتمد على الجنس هو مسرح لايحترم الإنسان، ولاتزال الكلمة واللمسة والهمسة والإشارة أقوى من الطلب الصريح الذى يحول الإنسان إلى حيوان ويجرده من الذوق.. إن هذا المسرح يرد المتفرج إلى حيوانيته، ويعامله على أنه كذلك.

إننا نطالب أن تلتزم وسائل إعلامنا كلها بالمعانى الطيبة، وبصور الخير والحق والجمال.

تنشر كل ذلك وتذيعه وتمثله.. فما أحب ذلك إلى نفوسنا.

هناك قصص رائعة للكفاح، وصور مشرفة للفضيلة، وآمال عريضة للشعب فلنركز على ذلك.

نطالب بمنع هذا التيار الوافد علينا من الغرب وكله يدور حول الجنس ، فإن الإثارة ليست فنا وإنما هى تبذّل وضعة.. تهزم فى النفوس معانى الخير وتهدم كل طاقات البناء ، وتنزلق بشبابنا إلى المراهقة وتنعكس آثار ذلك على مجتمعنا تحللا

وفسادا.

نطالب والأمر جد خطير أن يلتزم كل مفكر بالتقاليد التى أرساها ديننا، وقام عليها وجودنا وتحركت بها جيوشنا ففتحت الدنيا وسادت العالم.وأن ترفعنا وسائل الاعلام إلى حيث يجب أن نرتفع، وأن يرى الناس صورة كريمة لمصر.

من حقنا عليها أن تقوم وتثقف وتهذب وتهدى إلى سواء السبيل.. فتقدم الصورة الطيبة، والكلمة الطيبة، والأفلام الطيبة لتكون البلد الطيب « **والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لا يخرج إلا نكدا** »

إن هذا الوطن ملك لأبنائه جميعا ومن حقه علينا أن نصونه من الأخطار التى تتهدده [1] أ. هـ.

وتصديقا لهذه الكلمات الصادقة.. هيا بنا نرى الغرب الذى يريدون لنا أن نقلده.. إلى أى الأحوال وصل؟ وإلى أى دَرْك أسفل انحدر؟! هيا بنا نراه ليس بقلمنا ولكن بقلم واحد من أبنائه.. إنه المفكر الإنجليزى «كولين ويلسون» فى كتابه (الجنس والمراهق الذكى).. فلتستمع اليه وهو يقول:

وها نحن فى عصرنا الحالى اشبه بالوثنيين القدامى فى سلوكنا الجنسى الإباحى، وبذلك صرنا بعد ألفى سنة من ميلاد المسيح متقززين من الفساد ومن العالم، وبحاجة الى رد فعل جديد يرد اعتبار الروح، وها هى مدينتنا تتداعى من الداخل وينخرها السوس، كما تداعت المدنية الرومانية التى كانت مثلنا مغرقة فى المادية وشهوات الجسد.

ألم يتزوج (نيرون) رسميا من غلام البسوه ثياب امرأة، وتم ذلك فى حفل بالغ الأبهة! ألم يقترف « نيرون » أيضا الفسق مع أمه بحثا عن نشوة جنسية من نوع طريف؟! ومثله كان الأمبراطور « تيبريوس » و « كاليجولا ».. ومن شاء المزيد من التفاصيل المذهلة فليقرأ تاريخ الاثنى عشر قيصرا.. ولست أشك فى أن مؤرخى

(١) من كتاب نفوس ودروس فى إطار التصوير القرآنى توفيق محمد سبع . (بتصرف)

عصرنا سيقولون عن عصرنا مثل هذا، وسوف يستشهدون على انهيار الأخلاق بكتب كثيرة، والحقيقة أن جرائم الانحراف والاغتصاب قد تضاعفت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وهى تزداد كل سنة عن سابقتها فى أمريكا بمقدار ١٠٪ وليس الحال فى إنجلترا وفرنسا بأخف منه فى أمريكا.. وتدخل فى الصورة جرائم الادمان على أنواع المخدرات. وبنفس النسبة تزداد معدلات الاختلال العقلى، والانهيار العصبى والانتحار.. وهذا كله يؤيد ماذهب إليه الفيلسوف« إشبنجلر » من أن حضارة الغرب تنهار بعد أن أدركتها الشيخوخة بكل عللها.

الجنس والإجهاض والسجون فى السويد.

والجنس هناك مسألة طبيعية سهلة يتعامل معها الناس بكل بساطة.. والإجهاض قانونى، وله مستوصفات مجانية منتشرة.. والرقابة على المطبوعات ضئيلة جدا.. الدخول عالية جدا.. والترف عام، وليست هناك بطالة، وسجونها مفتوحة أشبه بدور الضيافة الفاخرة. وهى أفخر بكثير من الفنادق العادية فى انجلترا والنتيجة أن الزنا والانتحار أصبحا هوايتين قوميتين فى السويد!

ولكن الملاحظ أن إنجلترا وفرنسا وأمريكا والمانيا وكل عالم الغرب يزداد قرابا من النمط السويدى عاما بعد عام، ومن واجب الجميع التنبه لما يعقب ذلك من النتائج منذ الآن أ. هـ.

هاهو الرجل يطلق صيحات التحذير من الحال الذى وصل اليه الغرب، ومع ذلك نجد بيننا من يطالب بتقليد الغرب! فأى طامة كبرى هذه؟!

أنظر إلى « كولين ويلسون » أيضا وهو يقول:

.. ولكن اتجاه العصر الحاضر على العموم الى رفع الحظر عن الشذوذ الجنسى.

ثم انظر اليه أيضا وهو يقول بالحرف:

أجل إن الفوضى هى الصفة التى تتلخص فيها روح العصر.. وهذه الأباحية فى نشر الكتب الجنسية بلا ضابط إنما هى تطبيق خاطىء لشعار حرية الفكر وحرية

أن يكون أكبر خير، وذلك يتوقف على أسلوب استخدامها.. ان الحيوان لايعرف لحياته معنى ولاغاية ولايتساءل عن معناها أو غايتها حسبه أن يعيشها بغرائزه الفطرية.. أما الإنسان فيتميز بأنه يتساءل دائما عن معنى وغاية لحياته، ولهذا لايكفى أن يعيش بغرائزه كالبهائم، أن يشبع شهوته الجنسية حيثما اتفق، كلما شعر بالجوع، بل يجب لكى يكون الإنسان إنسانا، أن يتعلم كيف يستخدم أهم غرائزه بحيث يحقق لحياته معنى، ويجعل لها غاية أرفع من الوجود السلبى المنقاد للغرائز بهذا وحده يمكن أن يكون للإنسانية غد تتطلع إليه الأنظار! (١) أ. هـ.

....

ياهواة تقليد الغرب أليست هذه الكلمات كلمات مفكر من مفكرى الغرب.. الذى تعشقون تقليده تقليدا أعمى.. إذن فانظروا إلى كلماته.. إقرأوها بتمعن.. هذا هو الغرب بقلم كاتبهم فماذا تريدون من تقليده.. وهل آن لنا أن نرجع عن الهاوية ونتمسك بتعاليم ديننا التى تضمن لنا السلامة والصيانة.

إن كل من ذهب إلى الغرب رأى الحضيض والدرك الأسفل الذى وصلوا إليه.. حكى لى صديق أنهم أصبحوا يمارسون الجنسى مع الحيوانات ومسألة الشذوذ الجنسى أصبحت هناك شيئا عاديا ،كما تصدر هناك مجلات جنسية بها من الفظائع مايشيب له شعر الوليد وكل يوم يخترعون شيئا جديدا يتدهور بهم أكثر وأكثر فى هذا الطريق.. كل ذلك لأنهم فتحوا على أنفسهم بابا شيطانيا خبيثا كلما أوغلوا فيه كلما ازدادوا تورطا وانحدارا وهبوطا وفى نفس الوقت لم يشبعوا أى شىء من شهواتهم، إنهم كالظمآن الذى وجد ماء ملحا أجاجاً فأخذ يصب منه وهو لايدرى أنه كلما ازداد شربا منه كلما ازداد عطشا وظمأ.

إن الله هو خالق الإنسان وهو أدرى بما يصلحه، وهو الذى وضع النظام الأمثل والقانون الأسمى الذى يمكن للإنسان طبقا له أن يجعل من الجنس نعمة لا نقمة،

---

(١) العدد رقم ٣٠ من مختارات كتابى، اصدار جديد وبه عرض لكتاب الجنس والمراهق الذكى (كولين ويلسون).

وشيئا بناء لاشيئا هداما، وطريقا الى الفضيلة لاطريقا إلى الرذيلة، ولما أعرض الغرب عن الطريق الذى رسمه الخالق عز وجل لبنى الإنسان كانت النتيجة أن فتح عليهم باب الفتن التى لاتنتهى وكانت النتيجة الغرق فى إباحيات تثير أشد حالات الاشمئزاز ، وليت الأمر وقف عند هذا الحد،بل لقد جرهم جرا الى اعلى نسبة للانتحار فى العالم كما جرهم أيضا إلى أمراض شديدة الفتك حاروا بكل علمهم فى إيجاد علاج لها.. فهل هذا هو الغرب الذى تريدون تقليده.. قولوا لى بالله عليكم يا أولى الألباب ، ولعلكم الآن أيقنتم فعلا أن الرجوع إلى الحق فضيلة.

من آداب الجنس فى الإسلام :

إهتم الإسلام بالقبلة.. والقبلة: حديث بلغة الشفاة ، حديث طلى يترجم عن دفين العواطف ومكنون الأحاسيس..

.. وقبلة الزوج لزوجته: هى القبلة التى أولاها الإسلام عناية فقال عليه الصلاة والسلام:

« لايقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة وليكن بينهما رسول.. قيل.. وما الرسول يارسول الله؟ قال القبلة والكلام »

والرسول عليه الصلاة والسلام بهذا الحديث النبوى الاجتماعى النفسى يقنن مبدأ من أهم مبادئ الحياة الجنسية العملية القويمة.. فلابد للنتيجة من مقدمة، وللغاية من وسيلة وطريقة، وأول طريقة للتجاوب الجنسى السعيد: قبلات، وكلمات، وهمسات ولمسات تهيء الجسد وتوحد الرغبة. وتوصل للإمتزاج والتجاوب، والعملية الجنسية اذا كان فيها تجاوب ووفاق جبت كل مايقف فى طريق الحياة الزوجية من صعاب وذللت كل مايوجد من عقبات.. وسارت سفينة الحياة الزوجية ثابتة وسط الأنواء والأعاصير.

أما إذا انعدم التجاوب جدت المشكلات ووجدت المشاكسات والمنازعات.. ولاسيما فى بدء الحياة الزوجية مردها إلى اضطراب الحياة الجنسية، فكم من اسر تقوضت، لأن التكافؤ الجنسى والتوافق الجسدى معدوم بين الزوجين، أو لأن معاشرتهما الجنسية قائمة على عدم الانسجام، فلا وسائل ولا مقدمات بل قسر!! وتوحش!! واغتصاب!! أو أنانية إذ يقضى الرجل وطره من زوجته ويتركها قبل أن تقضى وطرها منه، مخالفا بذلك قول رسول الله ﷺ:

« إذا جامع أحدكم أهله فليصدقها.. ثم إذا قضى حاجته قبل أن تقضى حاجتها فلا يعجلها حتى تقضى حاجتها »

وملاعبة الرجل امرأته من أهم المسائل التى عنى بها علماء فلسفة التناسليات فى العصر الحديث، وقد وضعها الإسلام قبلهم بأكثر من أربعة عشر قرنا وضعها موضع الاهتمام ، وذلك لتنبيه الغافلين إلى أمور تحقق بها السعادة الزوجية وتجعل العلاقة بين القرينين أرفع من أن تكون مجرد عمل آلى بعيد عن العطف والمودة، وعار من الحب والحنان، قال جابربن عبد الله نهى رسول الله ﷺ عن المواقعة قبل الملاعبة .[1] أ. هـ.

....

يقول المولى عز وجل :

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ [الروم ٢١]

مودة ورحمة : أى حبا وعطفا حسب رأى الأستاذ محمد فريد وجدى ويقول ابن كثير (مودة وهى المحبة، والرحمة وهى الرأفة)

وفى القرطبى نجد (قيل المودة والرحمة عطف قلوبهم بعضهم على بعض، وقال السدى: المودة: المحبة، والرحمة: الشفقة، وروى معناه عن ابن عباس قال: المودة حب الرجل لامرأته، والرحمة رحمته إياها أن يصيبها بسوء) أ. هـ.

وهكذا نعلم أن العلاقة بين الرجل والمرأة ليست مجرد علاقة جنسية بهيمية.. بل هناك بينهما الحب والمودة والرحمة والعطف والشفقة كذلك هناك الرفق واللين الذى يجعل لديه من الكياسة ما يجعله قبل أن يصل إلى غرضه، أن يبعث برسول أولا ويقوم كذلك بالتمهيد اللازم فى رفق وحب وعطف من يريد لشريكة حياته ان تصل هى أيضا الى نصيبها من البهجة، وهكذا تكون هذه العلاقة علاقة إنسانية على أرفع مستوى.. فيها يراعى كلّ صاحبه ويحافظ على مشاعره بأسلوب لاتعرف الأنانية إليه سبيلا.

---

(١) من كتاب الحب فى القرآن د. محمود بن الشريف ـ دار المعارف (بتصرف)

أحكام الخلوة

من القواعد العامة فى التشريع أن مايؤدى إلى الحرام محرم فحمل السلاح من غير رخصة، ونوم الحارس.. ممنوع ويعاقب عليه فاعله لأنه يؤدى إلى ضرره أو مظنة وجود ضرر،وهذا يكفى فى المنع.

ومن هنا حرم الإسلام كل مايؤدى أو يحتمل أن يؤدى إلى الزنا أو اللواط.. فحرم النظرة الآثمة إلى مايثير الشهوة. وقال الله تعالى:

﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ﴾ [سورة النور . ٣٠]

﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ﴾ [سورة النور . ٣٠]

وفى الحديث: « زنا العينين النظر »

وحرم خلوة الرجل بالأجنبية وجاء فى الحديث:

« إياكم والخلوة بالنساء والذى نفسى بيده ماخلا رجل وإمرأة إلا ودخل الشيطان بينهما » و « لايخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذى محرم »

وحرم خروج النساء متبرجات .

وحرم صداقة الرجل للأجنبية عنه، وقد جاء النهى عن ذلك فى صدد الحديث عن التزوج بالإماء (١) قال الله تعالى

﴿ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن محصنات غير مسافحات ولامتخذات أخدان﴾

[النساء] (٢٥)

والخدن : الصاحب.

---

١ - الأسيرات المملوكات

﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ﴾ [سورة النور . ٣٠]

وفى الحديث: « زنا العينين النظر »

وحرم خلوة الرجل بالأجنبية وجاء فى الحديث:

« إياكم والخلوة بالنساء والذى نفسى بيده ماخلا رجل وإمرأة إلا ودخل الشيطان بينهما » و « لايخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذى محرم »

وحرم خروج النساء متبرجات .

وحرم صداقة الرجل للأجنبية عنه، وقد جاء النهى عن ذلك فى صدد الحديث عن التزوج بالإماء [(١)] قال الله تعالى

﴿ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن محصنات غير مسافحات ولامتخذات أخدان﴾

[النساء] (٢٥)

والخدن : الصاحب.

ومن الدقة البالغة أن النهى عن اتخاذ الأخدان جاء فى سياق الحديث عن نكاح الإماء وهن بالرق متبذلات ممتهنات لايحرصن على ماتحرص عليه الحرائر من كرامة النفس وصونهامن الشبهات والظنون فما بال الحرائر فى اتخاذ الأخدان؟ [(١)]

....

إنها الأسس القويمة لبناء وتشييد المجتمعات النظيفة القوية التى يسعد المواطن بالعيش فيها ، يرسيها الإسلام ويحرص عليها لأنها القواعد التى يقوم عليها البناء كله.

ما أخذ بها مجتمع إلا وتقدم تقدماً فائق السرعة ووفر لأبنائه العيش السعيد.

---

١ - محمد عبد الله الهمشرى فى كتاب (سورة النساء)

ونـنتقل الآن لمعالجة نقطة بالغة الأهمية كانت محورا لكثير من الجدل والنقاش:

....

﴿ للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ ـ المرأة تعيش حياتها كلها فى كنف رجل مكفولة منه، مسئول هو عنها.. فإن كانت فتاة.. فالذى ينفق عليها هو والدها.. وإذا فقدت والدها أنفق عليها أخوها.. أو عمها أو خالها.. ولذلك فهى مكفولة من رجل دائما.. فإذا تزوجت فهى مسئولة من زوجها.. هو الذى ينفق عليها ويوفر لها مقومات حياتها.. وعلى أسوأ الأحوال فهى مسئولة عن نفسها فقط.. وهى ليست مسئولة شرعا أن تنفق على إنسان آخر مهما كانت درجة قرابته.

لكن الرجل له وضع مختلف.. إنه مسئول عن غيره..فهو مسئول شرعا عن أمه وإخوته.. وعندما يتزوج يصبح مسئولا عن زوجته.. أما المرأة فيعولها وليها قبل أن تتزوج.. ويعولها زوجها بعد الزواج، ثم يعولها أولادها بعد ذلك.

ولنفرض أن الأب يملك ستة أفدنة.. وليس له سوى ابن وابنة.. الإبن يحصل على أربعة أفدنة.. والإبنة تأخذ فدانين.

فى أقسى الظروف الإبنة قد تضطر أن تعول نفسها فقط.. ويكفيها الفدانان وعندما تتزوج يعولها زوجها وتوفر الفدانين لما قد تحتاجه زيادة عما ينفق عليها زوجها.

أما الإبن الذى أخذ أربعة أفدنة.. فسيتزوج امرأة ويعولها.. وتصبح الأفدنة الأربعة لتوفير حياة الإثنين.. وليست لفرد واحد.. فمن عنده أكثر من الآخر؟.. المرأة طبعا.. لأنها غير مسئولة عن أن تعول أحدا.

وإذا أخذنا المسألة بالمتقابلات.. أقول لك مثلا: أنا عندى بنت وولد.. وأنت عندك بنت وولد.. كل من الإبنتين أخذت ثلث الميراث وكل من الولدين أخذ ثلثى الميراث.. ابنتى تزوجت ابنك.. وابنتك تزوجت ابنى.. يصبح لكل عائلة ميراث كامل.. وتكون المسألة قد تساوت.

الله سبحانه وتعالى حينما خلق الحياة وخلق الإنسان وضع له منهجا ليعيش به.. وهذا المنهج أنزله الله من السماء ليعطى الإنسان الحياة الآمنة الكريمة على الأرض.. فقال سبحانه: إفعل كذا ولاتفعل كذا ليقى المجتمع البشرى من شرور سيعانيها لو

تركت المسائل لشهوات الناس وظلمهم.. والدين لايتدخل فيما ليس فيه هوى النفس.. إنما يتركه للإنسان.

التجارب التي تجرى في المعمل على المادة، والعلم التجريبي الذى لاتحكمه إلا التجربة المعملية.. هذه التجارب لايتدخل فيها الدين.. إلا أنه يتطلب الأمانة في العمل وفي النتائج.

إذت فالله سبحانه وتعالى حين يقنن للبشر إنما يعطى كل ذى حق حقه دون ميل أو تميز.. فإذا قال الحق تبارك وتعالى: ﴿ **للذكر مثل حظ الأنثيين** ﴾ فيجب أن نعلم أن هذا الحكم عادل لم يقصد به تفضيل جنس على آخر.. لآن الله خلق الإنسان يعرف مايصلح لمهمته في الحياة ، ولذلك أعطى كل واحد على قدر تبعاته.

لقد أعطى المولى ـ سبحانه وتعالى ـ الذكر نصيبين.. لأنه سيتزوج ويعول أنثى وأعطى الأنثى نصيباً واحداً، لآن غاية ماستتحمله وفي أقسى الظروف، هو أن تقيم حياتها أو تنفق على نفسها.. ولكنه ميزها ولم يرد أن يحرمها.. لأنها عندما تتزوج سيكون هناك من يعولها.. ومن هو مسئول عنها.. فأبقى لها نصيبها رغم أن هناك رجلا سيعولها ويكفلها وينفق عليها أليست هذه ميزة؟..وهل يعتبر هذا انتقاصا من حق المرأة؟ (١) أ. هـ.

....

وإلى ملمح آخر جديد تعرضت له وجهات نظر عديدة وكثيرة.

---

١ – من كتاب المرآة في القرآن الكريم . فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى

الولاية العليا لشئون الأمة للرجل دونها .

الولاية العامة العليا، التى تعنى بلغة العصر رئاسة الدولة، خاصة بالرجل، ذلك لأن رئيس الدولة فى الإسلام يملك ويحكم، وهو المسئول الأول عن تطبيق الإسلام عقيدة ونظاما ودعوة، وهو المسئول عن حفظه وحفظ الجماعة والمحافظة على حقوقهم تجاه بعضهم بعضاً وتجاه الأعداء.

هو كما قال الدكتور مصطفى السباعى رحمه اله تعالى: « إن رئيس الدولة فى الإسلام ليس صورة رمزية للزينة والتوقيع، وإنما هو قائد المجتمع، ورأسه المفكر ووجهه البارز ولسانه الناطق وله صلاحيات واسعة خطيرة الآثار والنتائج»

فهو الذى يعلن الحرب على الأعداء ويقود جيش الأمة فى ميادين الكفاح، ويقرر السلم والمهادنة إن كانت المصلحة فيهما أو الحرب والاستمرار فيها إن كانت المصلحة تقتضيها وطبيعى أن يكون ذلك كله بعد استشارة أهل الحل والعقد فى الأمة، عملا بقوله تعالى:

﴿ وشاورهم فى الأمر ﴾

[١٥٩ آل عمران]

ولكنه هو الذى يعلن قرارهم ويرجح ما اختلفوا فيه، عملا بقوله تعالى:

﴿ فإذا عزمت فتوكل على الله ﴾

[١٥٩ آل عمران]

ورئيس الدولة فى الإسلام يتولى خطابة الجمعة فى المسجد الجامع، وإمامة الناس فى الصلوات، والقضاء بين الناس فى الخصومات إذا اتسع وقته لذلك.

ومما لاينكر أن هذه الوظائف الخطيرة لاتتفق مع تكوين المرأة النفسى والعاطفى، وبخاصة مايتعلق بالحروب وقيادة الجيوش، فإن ذلك يقتضى قوة الأعصاب وتغليب

العقل على العاطفة والشجاعة فى خوض المعارك ورؤية الدماء فالحمد لله تعالى على أن المرأة ليست كذلك، وإلا فقدت الحياة أجمل مافيها من رحمة ووداعة وحنان [١].

... إن وظيفة المرأة الأصلية القرار فى البيت وتربية رجال المستقبل، وتهيئة البيت السعيد للزوج بعد عناء العمل وشقاء الكفاح.

وإنها لاتخالط الرجل ولاتخلوا بأجنبى آيا كانت الأسباب.

وإنها لقوية العاطفة سريعة التأثر، وذلك يعوقها عن تغليب العقل والحزم والقوة على مظاهر الحنو والرحمة.

وكيف تخطب فى الناس وتصلى بهم، وهى ليست مكلفة بصلاة الجمعة والجماعة ولا تتولى إمامة الرجال فى الصلاة.

ومن الولاية التى لاتكون للمرأة ولاية القضاء، فلايصح أن تكون قاضية بين الناس، لما يقتضى القضاء مايخالف طبيعة المرأة ووظيفتها فى الحياة.

وهذا أمر متفق عليه بين الأئمة، وقال إمامنا أبو حنيفة رحمه الله تعالى: إذا قضت المرأة فى غير الجنايات نفذ قضاها وأثم من ولاها.

أما الولاية الخاصة، مثل ولاية أمر الأيتام والقيام بشئونهم المالية والتربوية فذلك جائز لاخلاف فيه، ومثل ولاية الشهادة فى غير الدماء فذلك حق لها على أن يكون معها رجل سوى ماهو خاص بشئون النساء مثل الحمل والولاة. [٢] أ. هـ.

.... هكذا وبخصوص تلك النقطة لمسنا حججا لها وجاهتها ورأينا وجهة نظر لم تأت من فراغ بل جاءت مستندة إلى أسس وأدلة وبراهين يصدقها الواقع.

---

(١) المرأة بين الفقة والقانون ص ٣٩ .

(٢) من كتاب (المرأة المسلمة) وهبى سليمان غاوجى

الجهاد الشرعى للرجل دونها .

الجهاد الذى هو حمل السلاح ومباشرة يقتضى القتال قوة البدن وشدة الصبر، ومضاء العزيمة، وكثيرا من الأعمال الشاقة التى لاتستطيع المرأة القيام بها، لذا لم تكلف بمباشرة القتال إلا إذا داهم العدو البلاد ونزل بها معاذا لله .

لقد كانت المرأة تخرج إلى الجهاد مع رسول الله ﷺ حتى غزوة حنين ولاتباشر القتال، ولكن تعمل فى الخطوط الخلفية ـ وهو من الجهاد بالمعنى العام للجهاد ـ فقد خرجت فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلى الجهاد كما خرجت عائشة ونسيبة بنت كعب، وأم سليم وغيرهن ـ وهن على ما يعهد فيهن وفى كل مسلمة من الستر والعفة، وتجنب مخالطة الرجال ـ يسقين المجاهدين، ويحملن القتلى والجرحى من الصحابة الى خارج أرض المعركة.

ولكنها (اى المرأة) لم تكن تباشر القتال إلا مضطرة.

قالت عائشة رضى الله عنها: يارسول الله نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاه؟ فقال: « لكُنّ أفضل الجهاد حج مبرور » رواه البخارى.

وفى رواية أخرى قالت: « أستأذنت رسول الله ـ ﷺ ـ فى الجهاد، فقال: «جهادكنّ الحج »

ثم نسخ خروج المرأة إلى الجهاد بعد الفتح، جاءت أم كبشه القضاعية رضى الله تعالى عنها، قالت: يارسول الله إئذن لى أن أخرج فى جيش كذا وكذا، قال: لا، قالت: يارسول الله إنى لست أريد أن أقاتل إنما أريد أن أداوى الجرحى والمرضى، وأسقى الماء.

قال: لولا أن تكون سنة، ويقال فلانة خرجت لأذنت لك، ولكن اجلسى» رواه ابن ابى شيبة والطبرانى وغيرهما.

وكـان ذلك بعـد فتـح مكة (أنظر الإصـابة فى تمييـز الصـحابة لابن حجـر: ٤/٤٦٣ .

ومن هنا كـان حقـا للإمـام أن يمنع النسـاء من الخروج الى الجهـاد عند وفرة الرجال وخوف الفتنة عليهن ويقصر عملهن على الخطوط الخلفية البعيدة عن أرض المعركة، فى إعداد الطعام والشراب، والدواء والثياب للجنود المقاتلين،ويحصل لهن ثواب عظيم فى هذا النوع من الجهاد.

وقد سار على هذا رسول الله ـ ﷺ بعد الفتح، ثم الخلفاء الراشدون والتابعون لهم من خلفاء بنى أمية والعباس وكفى بهم قدوة [١] أ. هـ

(١) من كتاب (المرأة المسلمة) وهبى سليمان غاوجى

إختصاص المرأة بدماء معينة.

تختص المرأة بثلاثة أنواع من الدماء يخرجن من قبلها وهي: الحيض، والنفاس، والاستحاضة.

أولا الحيض: دم ينفضه رحم امرأة بالغة لاداء بها ولا حبل.

والحيض هو عادة المرأة الشهرية كتبها الله على حواء وبناتها، ويبدأ من حين بلوغ الأنثى في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة إلى الخامسة عشرة، ويستمر عادة إلى الخمسين أو الخامسة والخمسين.

.. ولا تصلي الحائض أثناء حيضها ولاتصوم، وإذا انتهى موعد الحيض اغتسلت وصلت ماتستقبل من أوقات الصلوات ولاتقضي ما فاتها من الصلوات أثناء الحيض وتقضي مافاتها أثناء الحيض من أيام الصوم.ولا تقرأ الحائض شيئا من القرآن الكريم ولاتمس المصحف إلا ماكان من القراءة بقصد الدعاء فيباح لها ذلك مثل التسمية أول الطعام والشراب والحمد أخرهما. ويباح لها قراءة أي كتاب أو مسه سوى القرآن الكريم وكل ذكر لله تعالى ومنه الصلاة على رسول الله ﷺ والاستغفار وسائر التسبيحات.

.. إذا طهرت المرأة من الحيض لأقصى مدته وهي عشرة أيام ندب لها أن تغتسل قبل أن يقربها زوجها، وإذا طهرت لأقل من ذلك وجب عليها أن تغتسل قبل أن يقربها زوجهاأو يمضي عليها وقت الصلاة.

والحكمة في ذلك: إنها في الحالة الأولى قطعت بطهارتها من الحيض وليس كذلك في الحالة الثانية قال تعالى:

﴿ ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن ﴾

وفى قراءة متواترة ﴿ حتى يطهرن ﴾ يعنى يغتسلن.

ثانيا ـ النفـاس:

النفاس هو الدم الخارج من الرحم عقيب الولادة أو خروج أكثر الولد.

أحكام النفاس كأحكام الحيض فيما ذكر من ترك الصلاة والصوم أثناءه وعدم دخول المسجد وعدم قراءة القرآن وعدم قربان زوجها لها.

والدليل على اعتبار أحكام النفاس أحكام الحيض فيما ذكر هو الإجماع، والإجماع حجة وأى حجة.

ثالثا ـ الاستحاضة :

دم يخرج من أنسجة رقيقة وهى العروق فى قبل المرأة وقد سمّاه رسول الله ﷺ عرقا ويسميه الطب نزيفا وهو على هذا دم مرض عارض وليس نظاما شهريا كالحيض أو قاعدة بعد الولادة كالنفاس.

والاستحاضة دم مرض مثله كمثل الرعاف لايمنع المرأة من الصلاة والصيام ودخول المسجد،وقراءة القرآن ومس المصحف، ولايمنع قربان زوجها لها أثناء الاستحاضة.

والمستحاضة معذورة، وشأن المعذور أنه يتوضأ لوقت كل صلاة من الصلوات الخمس ثم يصلى فى الوقت ماشاء من الفرائض والنوافل [١] أ. هـ.

(١)المرجع السابق .

مايراعى من أحوالها عند الزواج منها

الخصال الطيبة للعيش التي لابد من مراعاتها فى المرأة ليدوم العقد وتتوافر مقاصده ثمانية: الدين، والخلق الحسن، وخفة المهر، والولادة، والبكارة، والنسب، وأن لاتكون قرابة قريبة.

الأولى ـ أن تكون صالحة ذات دين: فهذا هو الأصل وبه ينبغى أن يقع الأعتناء فإنها ان كانت ضعيفة الدين فى صيانة نفسهاوفرجها أزرت بزوجها وسودت بين الناس وجهه وشوشت بالغيرة قلبه وتنغص بذلك عيشه.

فإذا سلك سبيل الحمية والغيرة لم يزل فى بلاء وان سلك سبيل التساهل كان متهاونا بدينه وعرضه ومنسوبا إلى قلة الحمية والأنفة، وإن كانت فاسدة الدين باستهلاك ماله أو بوجه آخر لم يزل العيش مشوشا معه، فان سكت ولم ينكره كان شريكا فى المعصية مخالفا لقوله تعالى:

﴿ قوا أنفسكم وأهليكم نارا ﴾

وإن أنكر وخاصم تنغص العمر ولهذا بالغ رسول الله ﷺ فى التحريض على ذات الدين فقال: « **تنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ودينها، فعليك بذات الدين تربت يداك** ».

الثانية ـ حسن الخلق: فإنها إن كانت سليطة بذيئة اللسان كافرة للنعم فالضرر منها أكثر من النفع والصبر على لسان النساء مما يمتحن به الأولياء.

الثالثة ـ حسن الوجه: فذلك أيضا مطلوب إذ به يحصل التحصن والطبع لايكتفى بالدميمة غالبا، ومانقلناه من الحث على الدين ليس زاجرا عن رعاية الجمال بل هو زجر عن النكاح لأجل الجمال المحض مع الفساد فى الدين، فإن الجمال وحده فى غالب الأمر يرغب فى النكاح ويهون أمر الدين، ويدل على الالتفات إلى معنى الجمال، أن الألف والمودة تحصل به غالبا وقد ندب الشرع إلى

مراعاة أسباب الألفة ولذلك أستحب النظر فقال: « إذا وقع الله فى نفس أحدكم من امرأةفلينظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينهما » أى يؤلف بينهما، وكان بعض الورعين لاينكحون كرائمهم إلا بعد النظر إحترازا من الغرر.

وقال الأعمش كل تزويج يقع على غير نظر فآضره هم وغم، وروى أن رجلا تزوج على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان قد خضب فنصل خضابه فاستعدى عليه أهل المرأة إلى عمر وقالوا حسبناه شابا فأوجعه عمر ضربا وقال غررت القوم.

والغرر يقع فى الجمال والخلق جميعا فيستحب إزالة الغرر فى الجمال بالنظر وفى الخلق بالوصف والاستيصاف، ولا يستوصف فى أخلاقها وجمالها إلا من هو بصير صادق، خبير بالظاهر والباطن لايميل إليها فيفرط فى الثناء ولايحسدها فيقصر وقل من يصدق فيه بل الخداع والاغراء أغلب والاحتياط فيهم مهم.

الرابعة ـ أن تكون خفيفة المهر : فقد نهى عن المغالاة فى المهر.. وتزوج بعض الصحابة على نواة من ذهب يقال قيمتها خمسة دراهم وزوج سعيد بن المسيب ابنته من أبى هريرة رضى الله عنه على درهمين ثم حملها هو إليه ليلا فأدخلها من الباب ثم انصرف ثم جاءها بعد سبعة ايام فسلم عليها. وفى خبر: من بركة المرأة سرعة تزويجها، وسرعة رحمها أى الولادة، ويسر مهرها وكما تكره المغالاة فى المهر من جهة المرأة فيكره السؤال عن مالها من جهة الرجل ،ولاينبغى أن ينكح طمعا فى المال وإذا أهدى إليهم فلا ينبغى أن يهدى ليضطرهم إلى المقابلة بأكثر منه، وكذلك إذا أهدوا إليه فنية طلب الزيادة نية فاسدة، وداخل فى قوله تعالى ﴿ **ولاتمنن تستكثر** ﴾ أى تعطى لتطلب أكثر.

الخامسة ـ أن تكون المرأة ولودا: فان عرفت بالعقر فليمتنع عن تزويجها.

السادسة ـ أن تكون بكرا. قال عليه الصلاة والسلام لجابر، وقد نكح ثيبا « هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك » .

---

(١) كتاب (الزوج المثالى فى الشريعة الإسلامية) للعلامة الإمام الغزالى ـ دار الكتب الشرقية.

السابعة ـ أن تكون نسيبة.. أعنى أن تكون من أهل بيت الدين والصلاح فإنها ستربى بناتها وبنيها فإذا لم تكن مؤدبة لم تحسن التأديب والتربية وفى خبر « تخيروا لنطفكم فإن العرق نزاع ».

الثامنة ـ أن لاتكون من القرابة القريبة: فان ذلك يقلل الشهوة.

ويجب على الولى أيضا أن يراعى خصال الزوج ولينظر لكريمته فلا يزوجها ممن ساء خَلْقَه أو خلقه، أو ضعف دينه أو قصر عن القيام بحقها أو كان لايكافئها فى نسبها، ومهما زوج ابنته ظالما أو فاسقا أو متبعا، أو شاب خمر فقد جنى على دينه وتعرض لسخط الله لما قطع من حق الرحم وسوء الإختيار.

قال رجل للحسن قد خطب إبنتى جماعة فممن أزوجها ؟ قال: ممن يتقى الله فإن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها [١] أ. هـ.

من يقرأ هذه السطور سيجد دليلا وافيا شاملا.. مختصرا ومركزا فى نفس الوقت.

دليل مابعده دليل يفيد كل شاب مقبل على الزواج أيما فائدة.. ويغنيه عن الدخول فى منزلقات قد تجلب عليه تعاسةمابعدها تعاسة.

دليل يضمن بعون الله ـ لمن يتبعه الزوجة الصالحة والحياة الزوجية الموفقة السعيدة.

أما من نظر إليه ثم هز كتفيه ومضى.. فلا يلومن إلا نفسه.

---

(١) الزواج المثالى فى الشريعة الإسلامية ، للعلامة الإمام الغزالى

حق الزوج عليها

على الزوجة طاعة الزوج فى كل ماطلب منها مما لامعصية فيه، وقد ورد فى تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة قال ﷺ :

« أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة »

وقال ﷺ **« إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها »**.

قال ابن عباس أتت امرأة من خثعم إلى رسول الله ﷺ فقالت إنى امرأة أيم وأريد أن أتزوج فما حق الزوج. قال: **« أن من حق الزوج على الزوجة إذا أرادها فراودها عن نفسها وهى على ظهر بعير لاتمنعه »**

ومن حقه ألا تعطى شيئا من بيته إلا بإذنه فإن فعلت ذلك كان الوزر عليها والأجر له. ومن حقه ألاتصوم تطوعا إلا بإذنه فإن فعلت ذلك جاعت وعطشت ولم يقبل منها وإن خرجت من بيتها بغير إذنه لعنتها الملائكة حتى ترجع الى بيته أو تتوب: فحقوق الزوج على الزوجة كثيرة، وأهمها أمران أحدهما الصيانة والستر، والآخر ترك المطالبة مما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه إذا كان حراما.. ومن حقها على الوالدين تعليمها حن المعاشرة وآداب العشرة مع الزوج كما روى أن أسماء بنت خارجة الغزارى قالت لابنتها عند التزوج « إنك خرجت من العش الذى فيه درجت فصرت إلى فراش لا تعرفيه. وقرين لم تألفيه فكونى له أرضا يكن لك سماء وكونى له مهادا يكن لك عمادا، وكونى له أمة يكن لك عبدا، ولاتلحفى به فيقلاك، ولاتباعدى عنه فينساك إن دنا منك فاقربى منه وإن نأى فابعدى عنه واحفظى أنفه وسمعه وعينه فلايشمن منك إلا طيبا ولايسمع إلا حسنا ولاينظر إلا جميلا »

فالقول الجامع فى آداب المرأة من غير تطويل أن تكون قاعدة فى قعر بيتها، لازمة لمغزلها لايكثر صعودها واطلاعها..قليلة الكلام لجيرانها، لاتدخل عليهم إلا فى حال

يوجب الدخول. تحفظ بعلها في غيبته وحضرته.. وتطلب مسرته في جميع أمورها، ولاتخونه في نفسها وماله، ولاتخرج من بيتها إلا بأذنه فإن خرجت فمختفية.. تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والأسواق.. محترزة من أن يسمع غريب صوتها أو يعرفها أو تعرفه.. همها صلاح شأنها وتدبير بيتها. مقبلة على صلاتها وصيامها. واذا استأذن صديق لبعلها على باب وليس البعل حاضرا لم تستفهم ولم تعاوده في الكلام غيرة على نفسها ، وتقدم حقه على حق نفسها وحق سائر أقاربها، متنظفة في نفسها مستعدة في الأحوال كلها للتمتع بها بها إن شاء، مشفقة على أولادها، حافظة للسر عليهم قصيرة اللسان عن سب الأولاد ومراجعة الأزواج.

ومن آدابها أن لاتتفاخر على الزوج بجمالها ولاتزدري زوجها لقبحه.

ومن آدابها ملازمة الصلاح والانقياض في غيبة زوجها والرجوع الى اللعب والانبساط وأسباب اللذة في حضور زوجها.

ومما يجب عليها من حقوق النكاح إذا مات عنهازوجها آن لاتحد عليه أكثر من أربعة أشهر وعشر، وتتجنب الطيب والزينة في هذه المدة.. وقال ﷺ « **لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا** » ويلزمها لزوم مسكن النكاح إلى آخر العدة وليس لها الإنتقال إلى أهلها ولا الخروج إلا لضرورة.

(ومن آدابها) أن تقوم بكل خدمة في الدار تقدر عليها كما كان عليه نساء الصحابة رضي عنهم أجمعين[1] أ. هـ.

ويقول المولى عز وجل :

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ [الروم ٢١]

هكذا إذن وحينما تتصف المرأة بهذه المواصفات التي وردت في الأحاديث الشريفة تصبح سكنا للرجل والزوج وترقى إلى هذه الدرجة الرفيعة.

ليس من شك أن السكن والمودة والرحمة نعمة كبرى يجدها الإنسان متمثله

---

(١) المرجع السابق .

فى المرأة الصالحة التى تعرف دورها وواجبها جيدا، وتتقن القيام به خير قيام كما أوضحت لنا الأحاديث الشريفة.. إن المرأة فى هذه الحالة تكون قد بلغت مقاما أصبحت معه آية من آيات الله التى لايدركها إلا قوم يتفكرون.. قوم من ذوى العقول والألباب.

.. ويحدثنا فضيلة الشيخ طه عبد الله العفيفى حول نفس النقطة حق الزوج فيقول:

عن عمرو بن الأحوص الجشمى رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ فى حجة الوداع يقول:

« ألا واستوصوا بالنساء خيرا فإنما هن عَوَانٌ عندكم ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضربا غير مُبَرِّح فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا، ألا إن لكم على نسائكم حقا، ولنسائكم عليكم حقاً فحقكم عليهن أن لايوطئن فرشكم من تكرهون ولايأذّن فى بيوتكم لمن تكرهون ولا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن » «رواه ابن ماجه والترمذى وقال حديث حسن صحيح»

كما جاء فى نص الحديث الشريف الذى ندور حوله، والذى بدأ بحق الزوج على زوجته، قبل حق الزوجة على زوجها: إشارة إلى هذه الحقيقة التى يجب على الزوجة بصفة خاصة أن تلاحظها، وحسبها ماروى من الأحاديث الشريفة.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال:

جاءت إمرأة إلى رسول الله ﷺ **قال: أنا فلانة بنت فلان، قال: قد عرفتك فما حاجتك؟ قالت حاجتى إلى ابن عمى فلان العابد. قال: قد عرفته، قالت: يخطبنى فأخبرنى ماحق الزوج على الزوجة فإن كان شيئا أطيقه تزوجته، قال: من حقه أن لو سال منخراه دما وقيحا فلحسته بلسانها ما أدت حقه، لو كان ينبغى لبشر أن يسجد لبشر لأمرت الزوجة أن** تسجد لزوجها **إذا دخل عليها لما فضله الله عليها**

قالت:والذى بعثك بالحق لا أتزوج مابقيت الدنيا »

«رواه البزار والحاكم كلاهما عن سليمان بن داود اليمامى عن القاسم إبن الحكم، وقال صحيح الاسناد»

قوله ﷺ: لما فضله الله عليها اللام فى قوله (لما) للتعليل وما مصدريه والتقدير: من أجل تفضيل الله إياه عليها بقوله سبحانه وتعالى:

﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ﴾

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن امرأة من خثعم آتت رسول الله ﷺ فقالت: يارسول الله أخبرنى ماحق الزوج على الزوجة فإنى امرأة أيم، فإن استطعت وإلا جلست أيما، قال:

« فإن حق الزوج على زوجته: إن سألها نفسها وهى على ظهر قتب أن لا تمنعه نفسها، ومن حق الزوج على الزوجة أن لاتصوم تطوعا إلا بإذنه، فإن فعلت جاعت وعطشت، ولايقبل منها، ولاتخرج من بيتها إلا باذنه، فإن فعلت لعنتها ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب حتى ترجع، قالت: لاجرم لا أتزوج أبدا.»

«رواه الطبرانى»

الأيم: هى التى فقدت زوجها.

وعلى ظهر قتب: أى وهى راكبة على بعيرها.

ولايقبل منها: أى لاثواب لها عليه.

ولا جرم: أى لاشك، وقيل معناه، قطعا، أو حقا.

وعن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ :

« المرأة لاتؤدى حق الله عليها حتى تؤدى حق زوجها كله ولو سألهاوهى على ظهر قتب لم تمنعه نفسها »

« رواه الطبرانى باسناد جيد »

وأول هذه الحقوق التى على الزوجة لزوجها كما فى نص الحديث الأول: ـ

(أن لايوطئن فرشكم من تكرهون)

قيل المختار منعهن عن إذن أحد فى الدخول والجلوس فى المنازل حتى ولو كان محرما أو إمرأة إلا برضا الزوج.

ومعنى هذا: أن يحس بمكانته داخل أسرته حتى لايختل الأمر.

فروح التمرد والعصيان لايصلح بها شأن وأى ضير فى أن تطيع لمرأة من يشقى لإسعادها، ومن يبذل لراحتها.

إن ذلك حق طبيعى لذلك الكادح المتعب والمجاهد الدائب الذى يعظم حقه وتجب طاعته فى الخير والمعروف.

وقد أراد الرسول صلوات الله وسلامه عليه أن يقرر تأكد حق الزوج ووجوب تقديره، فصوره بهذا الأسلوب الرائع الذى يورث المهابة والتقديس.. قال:

« لو كنت آمرا أحداً أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها »

(رواه أبو داود والحاكم)

... أما ولاسبيل إلى السجود فليكن شعور الحمد والشكر أن يفعم قلب الزوجة ويمتلكها.

إن الزوج أمير باذل، وراع عامل، ومن النصفة أن يطاع الأمير فى حدود الطاعة.

أما أن تشق عليه العصا، وتعلن الثورة بلا جريرة، ولا وزر فذلك الجحد والكفران[1] .

ولعل أول واجبات على المرأة نحو زوجها طاعته فيما ليس معصية، ولا مفضيا إلى مضره..

وطاعة المرأة لزوجها فى هذا الأطار أمر له كبير الأثر فى صفاء الجو العائلى ولهذا عظم ثواب الزوجة المطيعة حتى ساوى امر المجاهد فى سبيل الله.

وقد أخرج البزار والطبرانى من حديث ابن عباس أن امرأة قالت ـ يارسول الله، أنا وافدة النساء إليك، ثم ذكرت ما للرجال من الجهاد والأجر والغنيمة. ثم قالت: فما

(١) كما يقول الدكتور مصطفى عبد الواحد فى كتابه الأسرة فى الإسلام ص ٦٥ .

لنا من ذلك؟ فقال ﷺ: « **أبلغى من لقيت من النساء أن طاعة الزوج. واعترافا بحقه يعدل ذلك وقليل منكن يفعله** »

وخلاصته: هو أنه لايجوز لك شرعا ولا وفاء: التحدث مع أى إنسان يكرهه زوجك فضلا عن السماح له بدخول بيته. وفى خلوة قد تكون سببا كبيرا فى غرس بذور الشك داخل هذا البيت بصورة قد تؤدى إلى هدم هذا البيت وضياعك، وضياع زوجك وضياع أولاكما.

وذلك لأن الشيطان لا ينجح غالبا إلا إذا استعمل سلاح المرأة فى مكائده وقد قرأت فى كتاب (تلبيس إبليس) أن إبليس قال للمرأة:

(أنت نصف جندى).

ولهذا فقد حذر الرسول ﷺ من الخلوة بالنساء فقال فى حديث روى عن أبى أمامة رضى الله عنه: (إياك والخلوة بالنساء والذى نفسى بيده ما خلا رجل بإمرأة إلا ودخل الشيطان بينهما، ولأن يزحم رجل خنزيرا متلطخا بطين أو حمأة خير له من أن يزحم منكبه منكب إمرأة لاتحل له)

حديث غريب رواه الطبرانى

وفى حديث آخر :

« **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بإمرأة ليس بينها وبينه محرم** » (رواه الطبرانى)

فعلى الزوجة أن تلاحظ هذا:

فلا تمكن شياطين الإنس والجن منها، وتحافظ على سمعتها وكرامتها من مجرد الشبهة [١] أ.هـ

---

(١) كتاب حق الزوج على زوجته وحق الزوجة على زوجها ـ فضيلة الشيخ طه عبد الله العفيفى (بتصرف)

من حقها على زوجها :

يقول فضيلة الشيخ طه عبد الله العفيفى :

كما فى الحديث .. والخطاب للأزواج بصفة عامة:

« أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن »

وفى الحديث وهو إجابة على سؤال السائل :ـ

« أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت، ولاتضرب الوجه، ولا تقبح ولاتهجر إلا فى البيت »

ومعنى أن تطعمها إذا طعمت: أى من طعامك الذى تأكل منه.

وكل هذا واجب عليه كزوج مسئول مسئولية كاملة عن زوجته، وعن كل ماتحتاج إليه من متطلبات معيشية وفى حدود طاقته، قال تعالى:

﴿ لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لايكلف الله نفسا إلا ما آتاها ﴾

وليس من المروءة والرجولة أن ينفق الزوج على نفسه بسعة وعلى زوجته وبنيه يبخل ويقتر .

وقد روى عن وهب ين جابر قال: إن مولى لعبد الله بن عمر قال له: إنى أريد أن أقيم هذا الشهر ههنا ببيت المقدس؟ فقال له: تركت لأهلك مايقوتهم هذا الشهر؟ قال: لا، قال: فأرجع إلى أهلك فاترك لهم مايقوتهم، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: **« كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت »**

[رواه أحمد فى مسمده وذكر محققه أن أسناده صحيح]

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

« دينار أنفقته فى سبيل الله، ودينار أنفقته فى رقبة، ودينار

تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك » [رواه مسلم]

وعن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال:

« أول مايوضع فى ميزان العبد نفقته على أهله »

[رواه الطبرانى فى الأوسط]

يعنى أن أول مايوضع من الحسنات فى ميزان العبد يوم القيامة هو ما أنفقه على أهله وعياله، أى: على من تلزمه نفقته ومؤونته من نحو زوجه وأصل وفروع.

وعن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« إن الرجل إذا سقى امرأته من الماء أجر، قال: فأتيتها فسقيتها وحدثتها بما سمعت من رسول الله ﷺ »

[رواه أحمد والطبرانى فى الكبير والأوسط]

هذا والنفقة واجبة على الزوج ولو كانت زوجته موسرة.

على أن النفقة على الزوجة والأبناء لن تذهب بددا، مادام يتوخى بذلك أن يقوم بواجبه الدينى والاجتماعى ابتغاء مرضاة الله عز وجل.

فعن ابن مسعود الأنصارى، عن النبى ﷺ قال:

« إذا أنفق المسلم نفقة على اهله وهو يحتسبها كانت له صدقة »

[رواه البخارى ومسلم]

وقد وضع الإسلام مسئولية الرجل فى الإنفاق على بيته فى المقام الأول ، واعتبر ذلك الإنفاق عند الموازنة هو الأمثل والأفضل.

فعن ثوبان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :

« أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله ودينار ينفقه الرجل على دابته فى سبيل الله ودينار ينفقه على أصحابه فى سبيل الله »

قال أبو قلابة:

وبدأ بالعيال، ثم قال أبو قلابة: وأى رجل أعظم أجرا من رجل ينفق على عيال صغار يعفهم أو ينفعهم الله به ويغنيهم.

[رواه مسلم وأبو داود الطيالسى، والترمذى، والبيهقى]

وقد قرر الإسلام فضل هذا البذل المشكور، فجعله من أسباب قوامة الرجل على المرأة.

قال تعالى:

﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ [النساء ٣٤]

يقول صاحب كتاب الأسرة فى الإسلام الدكتور مصطفى عبد الواحد :

وفى هذا حفز للهمم وترويح عن المشقات، ولايعنى الاعتراف بمبدأ السيطرة الاقتصادية، أو تحكم من ينتج ويعمل فى العاجز عن الكسب والإنتاج.

بل هو شكر للبذل وتقدير للتضحية، ودفع للتحمل والثبات.

والنفقة واجبة للزوجة ما دامت تؤدى تكاليفها وتلتزم حدها. فإن تمردت ففوتت على الزوج مقصود الحياة الزوجية فليس لها هذا الحق.

ويتمثل نشوز الزوجة الذى يحرمها من حق النفقة فى التصرفات التى تحول بين الزوج وبين الإنتفاع بالزوجية بالوجه المعقول: كأن تضاره بالإمتناع عن المباشرة بغير ماتعذر به، أو نهجر بيته متجنية، أو تنفق أوقاتها خارج البيت بغير إذنه.

لأن النفقة إنما وجبت للزوجة ببذلها نفسها ووقفها وقتها، وجهدها على راحة الزوج وإسعاده، فإذا فاته هذا عمدا فلم يلتزم بالإنفاق؟! إنما يحمل عبء الصراع والكدح خارج البيت مقابل أن تهيء له زوجته السعادة والأمن داخل البيت.

أما إذا قصر الرجل فى كفاية زوجه المستقيمة وإعالتها، وهو قادر، فإنه يطالب بأداء حقها وكفالتها فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

« أفضل الصدقة ماترك غنى، وابدأ بمن تعول: تقول المرأة لزوجها

إما أن تطعمنى وإما أن تطلقنى، ويقول العبد: أطعمنى واستعملنى، ويقول الإبن: أطعمنى إلى من تدعنى ؟

[رواه البخارى] (١) أ. هـ.

---

(١) المرجع السابق .

إبداء زينتها لغير زوجها ومحارمها حرام

يقول فضيلة الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود :

ومن أجل حفظ العروض، حرم اله الزنا، وحرم الفواحش ماظهر منها، ومابطن، وحرم إبداء زينة المرأة المسلمة لغير زوجها ومحارمها، ونهى عن الخلوة بها وعن سفرها بغير محرم، وعن النظر إليها بشهوة، كل هذه الأمور حرمها لكونها تفضى إلى الفاحشة الكبرى، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح، فالشرع الحكيم حمى حمى العروض، وسد الطرق التى تقضى الى الفساد والاخلال بنظام النكاح الحلال، وقال:

﴿ تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعدحدود الله فقد ظلم نفسه ﴾

وحدود الله محرماته.

إن أولياء الأمور والعلماء والوزراء يجب أن يكونوا بمثابة المرابطين دون ثغر دينهم ووطنهم يحمونه من الإلحاد، وتسرب الفساد على العباد لاعتبار أنهم متكاتفون متكافلون فى جلب المصالح، ودفع المضار، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله.

... إن النساء متى تركن يمشين فى الأسواق بصورة خليعة كاشفة الرأس والصدر، تبدى يديها إلى العضد أو الإبط، ورجليها إلى نصف الساق بمرأى من الناس ومسمع، بدون أن تنهى وتمنع، فإنه بتكرار النظر إلى هذا المنكر تزول وحشته عن القلوب حتى يكون من المعروف المألوف، يشب على فعله الصغار، ويهرم عليه الكبار.

لهذا يجب على النساء المسلمات تهذيب أنفسهن وتمرين بناتهن على اللباس السابغ الساتر، حتى تشب إحداهن على محبته ومن شب على شيء شاب على حبه، وقد أخبر النبى ﷺ : **« بأنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا »**

وصدق الله ورسوله فقد رأينا اختلافا كثيرا فى الأخلاق واختلافا كثيرا فى العقائد والأعمال [1] أ. هـ.

.. إنها نقاط بالغة الأهمية على كل مجتمع يبغى التقدم والخير أن يأخذ بها.. وإلا ...

وإلا اتسع الخرق على الراقع.

(١) الاختلاط وما ينجم عنه من مساوئ الأخلاق . فضيلة الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود .

الضلع الأعوج.. ليس سبّاً للمرأة

العاطفة عند المرأة تسبق العقل وفقا لطبيعة المهام الخاصة بها.

فالحمل والرضاعة وتنشئة الطفل تتطلب طاقة عاطفة سيالة ولنأخذ مثلا يتكرر فى حياتنا.

فالرجل المتعب من حركة النهار حينما يعود الى منزله ليرتاح فإنه لايطيق سماع صوت طفله يبكى أو يتألم.

فالرجل لايرى فى البكاء سوى إفسادا لنومه وتقييدا لراحته.. وربما خرجت منه ألفاظ حادة وغير لائقة.

أى أن الرجل يستخدم منطق العقل.. فهو يريد أن يرتاح ليستيقظ ليذهب إلى عمله..

أما الأم.. فتذهب إلى الطفل تهدهده وترعى ألمه وتبعده عن أبيه.. فالعاطفة السيالة هى لغة الحوار مع طفل لايعرف المنطق واحتياجات الوالد المكدود.. فطاقة العاطفة ضرورة لمهمة المرأة.. وطاقة العقل مطلوبة لمهمة الرجل..

فللمرأة مهمة.. وللرجل مهمة..

ولايصلح أى منهما لمهمة الآخر..

الضلع الأعوج ومهمته.

إننا يجب أن نفهم وأن يفهم الناس حقيقة حديث رسول الله ﷺ :

« خلقت المرأة من ضلع أعوج »

مهمة المرأة مهمة حنانية أى أنها بطاقة العاطفة تؤدى مهمتها.. والضلع الأعوج.. يؤدى مهمته.

فاعوجاج ضلول القفص الصدرى يجعلها قادرة على حماية وصيانة القلب والرئتين ولو كانت الضلوع مستقيمة . هل كانت تحقق الحماية للقلب والرئتين؟!

والرئتين ولو كانت الضلوع مستيمة . هل كانت تحقق الحماية للقلب والرئتين ؟!
أى أن اعوجاج الضلع هنا ليس سباً للمرأة.. كما يفهمه بعض الناس.. وهذا الوصف مناسب لمهمة المرأة سواء خلال فترة الحمل بما يعنى حرصها على تجنب كل مايؤثر على حملها، أو خلال فترة تكوين النشء فهى هنا تتعامل مع من لايستطيع أن يبين موضع آلامه.. وتلك مهمة صعبة.. كما أنها طويلة بطول فترة الطفولة التى يحدد الإسلام نهايتها بمرحلة البلوغ.

ويقول المولى سبحانه وتعالى: ﴿ وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم ﴾

فمرحلة الطفولة لاتنتهى إلا عندما يصبح الطفل شابا قادرا على إنجاب مثله [1] أ. هـ.

هكذا وفق الله فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى فى إزالة اللبس وتبديد الغموض الذى اكتنف هذه النقطة فاستطاع أن يصل إلى كثير من الأفهام التى التبس عليها هذا الأمر وتمكن من إرجاع كل فكرة إلى أصلها ووضع الأمور فى نصابها الصحيح.. نعم فمن قال أننا بصدد المفاضلة بين الرجل وبين المرأة.

للرجل دوره الذى خلق ملائما له.

وللمرأة دورها الذى خلقت ملائمة له.

ومن هنا فحينما يقال « ضلع أعوج » فهذا ليس سباً للمرأة لأن ذلك معناه أن عاطفتها تتغلب، وحنانها يطغى وهذا كله مناسب للدور المنوط بها القيام به.

هكذا ساعد فضيلة الشيخ الشعراوى الكثيرين على فهم الأمور على حقيقتها، وبذلك أسقط حجة من يتخذون من تلك النقطة حجة يحاولون بها تشويه الإسلام عند المرأة مستغلين ضعف الإيمان وقلة الإطلاع والمعرفة.

---

(1) من كتاب « الشيخ محمد متولى الشعراوى وقضايا العصر » إعداد عبده مباشر

هل لها حق فى ولاية الحكم ؟

يتعرض العقاد هنا لما يدور البحث فيه بين اصحاب المذاهب الاجتماعية الحديثة عن المرأة:

هل لها حق فى ولاية الحكم: هل لها حق فى التشريع؟ هل لها حق فى الإنتخاب؟ هل لها حق فى الوظائف العامة، وتدبير المتاجر وأسباب الثروة على اختلافها؟

ويبادر العقاد فيعلن مبدأه فى بحث مثل هذه المواضيع.. وهو مبدأ يتجنب به الوقوع فى الخطأ، فيرسل بصره إلى الأصل وهو طبيعة المرأة دون أن يشغل نظره أى فرع مما تأتى وتذهب به الأيام وها هو يقول:

ونحن فى هذا الكتاب لايهمنا تفصيل القول فى هذه الحقوق من الناحية الفقهية أو الناحية السياسة لأن المهم عندنا النظر إلى طبيعتها، وإلى الفوارق الطبيعية بينها وبين الرجل، لا إلى تلك الحقوق، أو هذه الفوارق التى يجىء بها تشريع، ويذهب بها تشريع، وتعرفها أمة وتنكرها أمة، وتحتمل التعديل والتبديل بما يسنح للفلاسفة والساسة من الخواطر والبرامج والندوات [١].

ثم يستطرد:

ولايمنع العقل أو الخلق أن تظفر المرأة بماتشاء من الحقوق السياسة أو الحقوق الاجتماعية التى تتغير وتتبدل مع نظم الثروة، ونظم المجتمع. وأساليب المعاملات.

فلها كل حق لايخرجها عن واجبها الأول لأنه واجبها الذى لاتحسن غيره ولايحسنه غيرها ـ وهو البيت والجيل الجديد.

ثم يقول:

وليس هذا ولاذاك عمل الآباء، فليكن هو إذن عمل الأمهات لأنهن إذا تركنه

---

(١) من كتاب (هذه الشجرة والإنسان الثانى) عباس محمود العقاد .

لم يحسن خيرا منه، ولم يحسنه غيرهن خيرا منهن.. ففي تركه تضييع بغير تعويض.[1].

مالذى يحدث إذا تولت النساء الأمور؟

يعرض لنا العقاد أمثلة مضيئة فيسوق لنا قول شو بنهور الذى يسوق بدوره قول أرسطو ولنستمع إلى صوت التاريخ وصوت الحكمة والحكماء:

قال شوبنهور: إن أرسطو شرح فى سياسته ماحاق بأهل إسبرطة من جراء تساهلهم مع نساء عشيرتهم وتخويلهن حق الوراثة والبائنة، ومنحهن قسطا كبيرا من الحرية، وبين كيف أن هذاالتساهل كان سببا من أسباب سقوط إسبرطه، وإضمحلالها.

ثم قال:

ومالنا لانقول نحن إن نفوذ النساء الذى أخذ يمتد ويشتد فى فرنسا منذ أيام لويس الثالث عشر كان سر ذلك الخلل الذى ألم بالبلاط والحكومة تدريجيا، ومازال بها حتى أفضى إلى الثورة الأولى وماجرت إليه من القلاقل والأهوال؟! أ. هـ.

هذه هى الحدود.. وهذه هى الحقائق، وهى لاتحتاج إلى تعليق فهى تنطق عن نفسها بما فيه الكفاية، وتلك هى عاقبة تولى النساء مقاليد الأمور وقلب ماكان يجب أن يكون « استثناء » إلى « قاعدة ».

وفى ص ١٠٩ من كتابه (هذه الشجرة والإنسان الثانى) يشرح لنا العقاد كيف أن الملكات لايعتبرن دليلا على هيه الحكم عند المرأة ويضرب لنا مثلا يتمثل فى الملكة أليصابات.

ثم يتحدث عن الحقوق السياسة والمرأة.. ويسأل هل تفيدها؟

وهل تساوى فائدتها الشمائل البيتية إذا توافرت عليها النساء؟ وينتهى إلى النتيجة ص ١١١ ألا وهى أن « الأمومة وتنظيم الحياة البيتية عمل إذا تركته المرأة لم يخلفها الرجل عليه، ولم تتول عملا آخر أجدر منه بولايتها ».

---

(١) المرجع السابق

استقلاليتها

ولعلك تأخذ من مبايعة النبى ﷺ للنساء مبايعة مستقلة عن الرجال، أن الإسلام يعتبرهن مسئولات عن أنفسهن مسئولية خاصة مستقلة عن مسئولية الرجل، ولاتعوزك الآيات الصريحة التى تقرر للمرأة ذلك المبدأ العظيم.

إقرأ إن شئت قوله تعالى :

﴿ و ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شينا وقيل ادخلا النار مع الداخلين ۞ و ضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين ﴾

فالمرأة فى القرآن، لايؤثر عليها وهى صالحة فساد الرجل وطغيانه، . ولاينفعها وهى صالحة صلاح الرجل وتقواه، فإنها ذات مسئولية مستقلة فيما يتعلق بشئونها أمام الله (١).

(١) القران والمرأة لفضيلة الشيخ محمود شلتوت

المرأة كالرجل فى درجات المثوبة

ولقد كان من لوازم استقلالها فى المسئولة أن تكون كالرجل فى درجات المثوبة على فعل الخيرات ودرجات العقوبة على فعل الشر. إقرأ قوله تعالى:

﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيرا ﴾.

واقرأ قوله:

﴿ فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض ﴾

وقد قال المفسرن: إن هذه الآية نزلت حينما قالت أم سلمة رضى الله عنها لرسول الله ﷺ « أنى أسمع الله يذكر الرجال فى الهجرة ولا يذكر النساء »، وإذا صح هذا فإنه يدل على أن المرأة تستشعر من قديم بأن لها حقا كالرجل، وعلى أنها لم تزل منذ القدم تعمل على ظهور ذلك الحق والحصول عليه، وانها لاتحب ان تنقضى حياتها وهى فى ظل الرجل تخاطب بخطابه، وتبشر بتبشيره وتنذر بإنذاره.. وعلى أنها تنظر إلى الرجل من قديم أيضا كشريك لهافى الحياة يحاول لو ترك وطبعه أن يتغلب عليها، وأن يمحو ذكرها من شئون الحياة.

ويتصل بهذا ماروى فى الصحيح من أن النساء اجتمعن مرة وقلن للرسول ﷺ غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما فوعدهن يوما لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن. وانظر إلى تعبيرهن بكلمة (غلبنا) وإلى ماتنطوى عليه من تصوير نظر المرأة إلى الرجل وأنها تعتقد أنها مساوية له فى شئون التعليم والوعظ والإرشاد وأن الرجل كما قلنا لو ترك وطبعه لما تحركت عاطفته نحو منحها ماتستحقه من هذه الشئون.. ولكن أنى له ذلك وقد أخذت المرأة حقها منه ولم تقف مكتوفة اليدين ولامعقودة اللسان عن المطالبة بحقها فى وقت التشريع الذى يضع كل شىء فى موضعه، ويمنح كل ذى حق حقه (١) أ. هـ.

---

(١) المرجع السابق

الأمومة عندها غريزة فطرية بالغة العمق

الأمومة ملمح بارز من ملامح المرأة.. لانبالغ إذا قلنا أنها أى الأمومة أبرز الملامح عند المرأة على الإطلاق.

ينشأ هذا الملمح العميق الشديد العمق عند المرأة منذ طفولتها المبكرة فتراها وهى طفلة لاتكاد تأكل إلا إذا أطعمت لعبتها وسقتها بل فى كثير من الأحيان لاتأكل وتكتفى بأن عروستها وطفلتها المزعومة قد أكلت أو شربت فقد شعرت بالإطمئنان بعد ذلك حتى أنها لاتريد شيئا بعده، وأحيانا أخرى تراها مهمومة بأن تغطى طفلتها أو عروستها حتى لتنسى كل شىء فى سبيل ذلك وهكذا تنبئنا غريزة الأمومة فى أعماق المرأة عن ترعرع وازدهار مبكر لايلبث أن ينمو وينمو حتى يملك عليها كل حواسها فإذا بالأمومة تشكل فى حياتها المحور الذى تدور هذه الحياة حوله، والمركز الذى تتمحور دوائر حياتها ووجودها فى كنفه وفى ظلاله وفى رحابه.

تنسى الأم أنها تجمدها تتساقط من الجوع إذا رأت طفلها شبعانا، ولاتحسى أن البرد والزمهرير يكاد يجمدها إذا رأت طفلها ينعم بالدفء ووفرة الغطاء، تتمنى الراحة والسعادة لطفلها ولا تعبأ مثقال ذرة أن يكون ذلك على حساب صحتها وسعادتها وراحتها هى بل أنها تكون فى أسعد حالاتها إذا شعرت أن تضحياتها مهدت السبيل أمام راحة طفلها وهنائه . كتلة إذن هى من المشاعر والأحاسيس المرهفة التى تتحسس طفلها بوسائل استشعار بعيدة الغور، فائقة الحساسية تبحث دائما عما يجلب له بسمة ولو يسيره ويبعد عنه دمعه ولو ضئيلة.. على استعداد هى أن تضحى بنفسها فى سبيل ولدها راضية قريرة العين.. وإنا ونحن أمام هذا الملمح لنشعر شعورا قويا لاشك فيه أننا مهما كتبنا فلن نستطيع إعطاء صورة حقيقية عنه، وكل مانفعله أننا نحاول الإقتراب فقط من تلك الرحاب الهائلة رحاب الأمومة الحانية الدافئة التى يعجز الوصف عن الإحاطة بها.. نحاول الاقتراب معتمدين على فطنة القارىء ومايعتمل داخله من مشاعر جعلته يلمس فى حياته حقيقة الأمومة وماهيتها، فهكذا فقط يمكن للصورة أن تتضح وتتجسد بأبعادها المختلفة.

وعلى ذلك فليس غريبا والأمر هكذا أن نسمع هذا الحديث، أو مامعناه:

قيل لرسول الله ﷺ من أحق الناس بحسن صحبتى ؟

قال: أمك.
قال: ثم من؟
قال: أمك.
قال: ثم من؟
قال: أمك.
قال: ثم من؟
قال: أبوك.

الرجل يسأل والرسول عليه الصلاة والسلام يجيبه « أمك » ويكررها ثلاث مرات وفى الرابعة يبدأ ذكر (الأب) وهذا اعتراف صريح مؤكد من الإسلام بالأم ودورها الرفيع النبيل السّامق اعتراف من الإسلام بالأمومة عميق لأنه يعلم أن الأمومة تسيطر على الأم حتى تملك عليهاكل حواسها فتنسيها كل شيء حتى نفسها.. وأنت كلما لمست حرص الإسلام على الأم وعلى الأمومة ومدى ما أحاط به الأمومة بالرعاية والعناية والتكريم كلما عرفت ولمست أيضا مدى سيطرة هذه الغريزة على الأم.. هذه الغريزة النبيلة الفائقة النبل.. حتى استحقت الأم بسببها فيضا من التكريم الهائل قل أن نجد له مثيلا.

يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى تحت عنوان (القرآن والأم).

عندما نستعرض القضية القرآنية فى هذا الخصوص نراه يقول:

﴿ وو صينا الإنسان بوالديه إحسانا ﴾

هو يوصى بالوالدين.. ولكن إذا نظرت إلى الآية تجد أن الحيثية فى الآية للأم كلها..وفى البداية بحيثية مشتركة بين الأم والأب.

﴿ وو صينا الإنسان بوالديه إحسانا ﴾

﴿ حملته أمه كرها وو ضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ﴾

يعنى لم يذكر الأب فى التفصيل. فلماذا؟

لأن علاقة الأم مع الإنسان تكون قبل أن يعقل.. وهذه نقطة يجب أن نتنبه إليها.. الإنسان لم ير أمه وهى تحمله فى بطنها.. لم ير أمه وهى تتعب فى تربيته وهو صغير.. ولكنه رأى أن آباه هو الذى يرعى الأسرة.. اذا طلب بدلة، فأمه تقول له: أبوك، إذن الأمور منسوبة إلى الأب كلها.. فأراد الله أن يؤكد على الأم فى الحيثيات.

إذن الأم أخذت حقها فى الإسلام. (١) أ.هـ.
ولقد قيل: الجنة تحت أقدام الأمهات.

وكلنا يعرف قصة علقمة مع أمه، وكيف أن الشهادة لم تخرج من بين شفتيه عندما حضرته الوفاة الا عندما سامحته أمه ورضيت عنه، حدث ذلك رغم عبادته الحسنة وهذا يدلنا على الأهمية الكبرى لرضاء الوالدين وخاصة الأم.

وهناك قصة الرجل الذى خدم امه أجل خدمة وسخر نفسه لها حتى أصبح رهن إشارة منها وذهب بها إلى الحج عندما تقدمت فى السن، حملها على كتفيه وأخذ يطوف بها ويجهد نفسه من أجل رضائها ولما سأل، أكون بذلك قد وفيت حقها على؟!

فقيل له: ولا بطلقة واحدة من طلقات الولادة.

وتكريم الأم فى الإسلام لاحدود له ومجال شديد الاتساع لانستطيع أن نلم بأطرافه،وناحية أساسية فى الصرح الإسلامى الشامخ حتى أمرنا القرآن الكريم بألا نقول لها ولانقول للوالد«أف» حتى مجرد صيحة الضجر المكونة من حرفين اثنين ممنوعة

﴿ **ولا تقل لهما أف**﴾ والإسلام حافل بالتوصية على الام وبذل الجهد من أجل الحصول على رضائها.

إن مقرار هذا التكريم ومداه يدلنا دلالة قاطعة على مقدار ومدى سيطرة الامومة المضحية.

ونكتفى هنا بأن نضرب مثلا على تعلق الام بطفلها ومدى هذا التعلق والوله الذى يصيبها خوفا وإشفاقا عليه حيثما يبتعد عنها.. المثل هنا يتمثل فى قصة أم موسى عليه السلام.

فعندما أخذ فرعون يذبح الذكور من المواليد نزل الأمر الى أم موسى:

﴿ **وأوحينا الى أم موسى أن ار ضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك** ﴾. [القصص٧]

ولما فعلت أم موسى كذلك ماذا حدث، يقول المولى عز وجل:

﴿ **وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين** ﴾ [القصص ١٠]

(١) قضايا المرأة المسلمة

هكذا إذن يكون قلب الأم صار فارغا من شدة القلق وشدة الهلع على موسى حتى بلغ ذلك منها ، مبلغا عظيما كادت معه أن تفضح أمرها وتكشف للمتربصين أنها أم هذا الطفل رغم ما يكتنف ذلك من مخاطر ، وجواسيس فرعون الذى ادعى الألوهية وطغى وتجبر، جواسيسه وعيونه فى كل مكان يعملون من أجل تنفيذ أوامره بقتل كل ذكر يولد لأنه يخاف من النبوءة التى قيلت له .. والتى تقول أن ملكه سيزول على يد مولود ذكر رغم كل هذه المخاطر المحدقة بابنها كاد خوفها على ضناها وفلذة كبدها يفضحها ويكشف سرها ويوقعه فى أيدى المتربصين لولا أن ربط الله على قلبها وثبتها لتكون من المؤمنين.. إنه مثل قوى ناصع يدلنا على مدى حب الأم لابنها ومدى خوفها وإشفاقها عليه.. يدلنا على موقع الإبن من الأم وماذا يعنى بالنسبة لها.. وهذا مثل آخر:

ومما لاشك فيه أن السيدة عائشة قد خامرها الأسى فى هذه الحياة الزوجية لشيء لاحيلة لها ولا للنبى فيه، وهو الحرمان من الذرية التى كانت تتوق إليها كما تتوق كل أنثى ولاسيما بعد ما علمت من حب النبى لزوجته الأولى ووفائه لعهدها وترديده لذكراها لأن له البنين والبنات منها.

....

وظهر لها هذا حين قالت للنبى وهى حزينة كاسفة : كل صواحبى لهن كنى ! قال : فاكتنى بابنك عبد الله ! يشير الى عبد الله بن الزبير ابن أختها أسماء، فجعلت تكتنى به وتحبه ذلك الحب الأموى الذى يستمد القوة من الحنو والشوق والحرمان.

واتفقت الأقوال على أنها رضى الله عنها لم تحمل قط إلا رواية جاء أنها أسقطت ولداً سماه النبى عبد الله فكانت لهذا تكنى بأم عبد الله.

وراقها أن تدعى أم المؤمنين وأن يناديها الناس يا أمه يا أمه، فكان فى هذا النداء تعزية كما كان فيه تشويق وتذكير.

والمرأة لايهون عليها فقد الذرية، ولاسيما إذا أحبت الزوج الذى تود أن ترزق منه الذرية، ولكنها اذا التمست التهوين فلن تجد تهوينا أبر بها وأروح لقلبها من شعورها بعطف زوجها عليها، وأنها بلغت من ذلك العطف مالا تزيده الذرية التى تتمناها [1]أ.هـ

---

(١) من كتاب الصديقة بنت الصديق عباس محمود العقاد

الوحم ..

لماذا تحب المرأة الحوادق وتقبل عليها، بينما لاتسلك نفس السلوك بالنسبة للأطعمة ذات المذاق الحلو؟

إنها تميل بشغف نحو الجبن القديم والمخللات والمش والسردين والفسيخ والرنجة والأطعمة والفاكهة ذات المذاق المزز، وتأكل من هذه النوعيات كميات وافرة بينما نجدها أمام العسل الأبيض تكاد لاتمسه أو تأكل منه أقل القليل.

فلمــاذا؟

ما هي حقيقة الوحم المرتبط بالحمل؟ هل هو حقيقة ؟ هل هو وهم؟

وما هي الدوافع والأسباب التي تجعلها تتوحم؟

وهل اذا توحمت على شيء ولم تأكله يظهر ذلك في صورة وحمة على جلد الوليد؟

إننا الآن بصدد الإجابة على هذه الأسئلة ..

يقول المولى ـ عز وجل:

﴿ حملته أمه كرها وو ضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ﴾

[من الآية ١٥ الأحقاف]

ويقول أيضا سبحانه وتعالى:ـ

﴿ وو صينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير﴾

[١٤/ لقمان.]

وفي تفسير ابن كثير جـ٣ ص٤٤٥ نجد:

﴿وو صينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن﴾ .. قال مجاهد مشقه وهن الولد، وقال قتاده جهدا على جهد، وقال عطاء الخراسانى ضعفا على ضعف)أ.هـ

ومن المشقة، والجهد على جهد تعانى الأم من الغثيان ومن الوحم وتجدها تقبل على الأطعمة الحادقة وذات المزازة بدرجة لاتفعلها مع الأطعمة ذات المذاق الحلو فما هي حقيقة هذه الاشياء عند المرأة؟

يقول الدكتور محمود طلعت رئيس قسم أمراض النساء والتوليد بمستشفى مصر الدولي:

من أول علامات الحمل التى تبدو على المرأة شعورها بالغثيان حتى قبل غياب الدورة الشهرية، وقبل تشخيص الحمل، ولغثيان الحمل علاقة كبيرة بالوهم، اذا أن الوهم يمثل عند المرأة الرغبة فى ملء معدتها، أو اشتهاء نوع معين من الطعام، حيث تتصور أن هذا الطعام سيريح معدتها، ويمنع عنها الشعور بفراغ معدتها والغثيان الذى يصاحبه الحمل.

وشعور المرأة بفراغ فى معدتها وبالحموضة وعسر الهضم والغثيان كلها حقائق علمية لها أسبابها الواضحة أثناء الحمل، وبالتالى فإن محاولتها علاج هذه الاعراض بتخيلها. أن نوعا معينا من الطعام قد يريحها هو تجاوب طبيعى لفعل أى إنسان اذا شعر بما يقلق راحته مثل رغبة الاشخاص فى شرب الشاى اذا شعروا بالصداع فبالرغم من أنه لاتوجد علاقة بين هذا وذاك فقد يشعر الشخص بتحسن الأعراض وذلك نتيجة للتأثير النفسى لتنفيذ رغبته وبالتالى فان شعور المرأة بالوحم أو الرغبة فى تناول نوع معين من الطعام أثناء الحمل ليس غريبا خاصة أن هذا الشعور يناوب الانسان فى بعض الأحيان حتى بدون حمل، وحيث إن حالة الحمل تكون مصحوبة بقلق نفسى له عدة أسباب فالمرأة تتعرض لجهد مضاعف لجميع أجهزتها مثل القلب والكبد والكليين أثناء الحمل كما أن أوهام الإجهاض أو آلام الولادة والخوف على تكوين الجنين، والمسئولية التى ستلقى عليها بعد ولادته كل هذه الأسباب تودى إلى اصابة المرآة باضطراب نفسى يضاعف أوهامها.

ولكن إذا زادت هذه الرغبة بحيث تشعر الأم؟ أنها إذا لم تحصل على ما تشتهيه ستصاب بالأذى، أو سيحدث للجنين تشويهات أو يصاب بوحمة على جلده فهذا شيء مبالغ يه يحدث نتيجة للإضطراب النفسى الشديد أو مبالغة المحيطين بالحامل فى الاهتمام بتنفيذ هذه الرغبات، أو العكس إهمالهم لها بحيث أنها تخلق مشكلة لتسترعى انتباههم.

والدليل على ذلك أن هذه الرغبات تؤثر فى الأوساط قليلة التعليم كما تزداد عند المرأة التى تشعر بالفراغ أو المرأة «الدلوعة» قد تطلب فاكهة معينة فى غير موسمها أو تطلب أنواعا غريبة من الأطعمة غير موجودة.

ويؤكد د.محمود طلعت على عدم حدوث أية أضرار للجنين نتيجة عدم تناول المرأة الحامل لهذه الرغبات الملحة لنوع معين من الطعام ولكن فى نفس الوقت إهمال هذه الرغبات قد يشعرها بعدم الاهتمام بها ويؤدى بها إلى حالة إكتئاب أو قلق قد يضر بحالتها العضوية والنفسية.[١] أ . هـ

هكذا أوضح لنا الدكتور محمود طلعت حقيقة الوحم، فماذا عن اشتهاء الحوامل للحوادق؟

إنه يقول: إن اشتهاء الحوامل للمخللات والأطعمة التى تحتوى على نسبة عالية من الأملاح هو شيء طبيعى لاعتقاد الحامل بأن هذه الاطعمة تبعد الرغبة فى القيء والشعور بالغثيان الذى كثيرا ما يصيب الحامل فى شهورها الاولى وليس هناك ضرر من تناول هذه الاملاح بكميات معتدلة فى الشهور الاولى ولكن الإكثار منها وخاصة فى الشهور الأخيرة يعرض الحامل للإصابة بتسممات الحمل وهى من أكثر وأخطر مضاعفات الحمل.[٢]

وهكذا أيضا قدم لنا د. طلعت أسباب اشتهاء الحوامل للحوارق ولكننا نلاحظ أن ذلك الامر ليس مقصورا على الحوامل بل إن الملاحظ أنه يشمل البنات أيضا والسيدات حتى لوكن غير حوامل. وهكذا فإن تلك الصفة لاتشمل الحوامل فحسب ولكنها تشمل المرأة بصفة عامة وإن كانت فى الحوامل أشد ظهوراً، ونحن

(١) جريدة الاهرام عدد الجمعة ١٩٨٤/٢/٣

(٢) جريدة الاهرام عدد الجمعة ١٩٨٤/٢/٣

ترجح أن يكون تركيب المرأة الفسيولوجى هو السبب عموما وهو الذى يجعل مزاج المرأة مائعا فى الغالب، تحتاج معه إلى الأطعمة ذات المذاق الحاسم القاطع ـ إذا جاز التعبير ـ الذى يعدل مزاجها، ويحوله من الميوعة والغثيان الى التماسك والثبات، والأطعمة ذات المذاق الحادق أو اللاذعة هى القادرة على ذلك.

والآن نعود مرة أخرى الى موضوع الوحم لنرى ماذا يقول علم النفس فيه،: يفسر بعض علماء النفس ظاهرة الوحم أو اشتهاء نوع معين من الأطعمة بأنه «دلال أنثوى» حيث أن بعض السيدات يعتبرن أنفسهن ملكات غير متوجات فى فترة الحمل خاصة اذا كان الحمل لأول مرة، ولابد أن تلبى الرغبات بمجرد طلبها وفى هذا إشباع لغرورها. بالإضافة إلى أنها حينما ترى زوجها حراً طليقاً رشيقاً بدون أعباء الحمل توسوس لها نفسها أن تشغله بطلباتها حتى يتحمل جزءاً من المسئولية الملقاه على عاتقها.(١)

وتؤكد الأديبة الفرنسية سيمون دى بوفوار فى كتابها «الجنس الآخر» أن ظاهرة الوحم تعد هواجس صبيانية غير سوية، وهى لا تختلف كثيرا عن الحالات الهستيرية أو ربما تكون مشابهة لبعض الاضطرابات النفسية، وهو اختراع يراود عقول النساء كلما مرت بهن فترات الحمل، وبالتالى فإن اشتهاء الطعام اثناء فترة الحمل وعدم الاستجابة فى تقديمه للحامل كلما طلبت ذلك لاعلاقة له «بالوحمة» أو تلك العلامات التى قد تظهر على بشرة المولود، وتتخذ أشكالا مثل ثمرة الفراولة أو التين أو الزبيب وخلافه ..(٢)

وهذا أيضاً ما أكده دكتور محمد شوقى كمال أستاذ جراحة التجميل بطب قصر العينى عندما قال :

إنه علميا ليس هناك أية علاقة بين حدوث الوحمات لدى المولود وبين وحم أمه الحامل، فأسباب إصابة المولود بالوحمة وراثية وهى تشوهات خلقية بالأوعية الدموية أو انفصالات لشعيرات دموية تحدث أثناء تكوين الجنين.. وتنتشر الوحمة بين الأشخاص فى كل أنحاء العالم بنسب متفاوته وعلى حسب نوع الخلايا الداخلة فى تكوينها يتحدد شكلها وملمسها ولونها، وقد تظهر الوحمة لدى الجنين عند ولادته

(١)،(٢)، من جريدة الاهرام عدد الجمعة ١٩٨٤/٢/٣

أو قد لاتكون موجودة ثم تظهر فيما بعد، وهذا ينفى علاقتها بشغف الأم بنوع معين من الطعام أثناء الحمل.[1]

هكذا إذن نكون قد قدمنا توضيحا لموضوع الوحم الذى تشيع عنه أقاويل كثيرة لاتستند إلى الحقيقة. وتبينا أنه موضوع نفسى فى الجانب الأكبر منه ونكون أيضا قد أوضحنا سبب إقبال المرأة على الأطعمة التى تحتوى على نسبة عالية من الأملاح.

---

(١) المرجع السابق .

حب التفاخر على الأخريات ..

يقول « العقاد » متحدثا عن السيدة عائشة : وهى القائلة بعد وفاة النبى فى مزاياها التى اختصت بها دون أترابها:

«فضلت على نساء النبىﷺ بعشر! لم ينكح بكرا قط غيرى، ولا امرأة أبواها مهاجران غيرى، وأنزل الله براءتى من السماء، وجاء جبريل بصورتى من السماء فى حريرة وكنت أغتسل أنا وهو فى إناء واحد، ولم يكن يصنع ذلك بأحد من نسائه غيرى، وكان يصلى وأنا معترضة بين يديه دون غيرى، وكان ينزل عليه الوحى وهو معى، ولم ينزل وهو مع غيرى، وقبض وهو بين سحرى ونحرى، وفى الليلة التى كان الدور على فيها، ودفن فى بيتى».

وكان هذا التميز سر البيت النبوى فى مبدأ أمره ثم شاع فى الجزيرة العربية حتى كان صاحب الهدية من المسلمين يؤخرها ليبعث بها الى النبى وهو فى بيت عائشة.

فوقع التغاير الذى لا محيص منه بين الزوجات، وأرسلن اليه إحداهن أم سلمه، فأعرض عن حديثهما ثلاث مرات، فلما أثقلت عليه قال لها: « لا تؤذينى فى عائشة، فإن الوحى لم يأتنى وأنا فى ثوب امرأة غير عائشة» .. يريد بالثوب البيت فى بعض التفسيرات، من قولهم ثاب إليه يثوب فهو فى الثوب الذى لايزال يرجع إليه.

وتوسلن بالسيدة فاطمة رضى الله عنها لما يعلمن من قبول أبيها لكل شفاعة تأتيه منها، فقالت له: « إن نساءك ينشدنك الله العدل فى بنت أبى بكر، وقال لها: يا بنية ألا تحبين ما أحب؟! قالت : بلى. قال : «فأحبى هذه» .. يشير إلى عائشة.

ويسير على الزميلات المتنافسات أن يدركن حب النبى لعائشة، ويلحظن أنها كانت أحبهن جميعا اليه، وأقربهن جميعاً الى فؤاده.

ولكن الذى لم يكن يسيرا عليهن أن يدركنه أو يلحظنه أنها هى رضى الله عنها كانت أشدهن حبا له ونفاذا الى نفسه واتصالا بقلبه ولبه.

فكلهن كن يحببنه ويتنافسن على قربه، ولو كان فيه التنافس على الموت وفراق الدنيا ومن فيها، وحدثهن يوما عمن تلحق به بعد فراقه الدنيا فقال:

« أسرعكن لحاقا بى، أطولكن يدا» .. فجعلن يقسن ايديهن وما منهن إلا من تتمنى أن تكون هى صاحبة اليد الطولى. ثم ظهر لهن أن المراد بالطول هنا طول اليد

بالصدقة والعمل الصالح .. فغبطن زميلتهن زينب بنت جحش لأنها استحقت اللحاق به لعملها بيدها وإكثارها من الصدقات على مستحقيها .(١) أ.هـ

ويقول العقاد عنها أيضاً :ـ

وكانت تغار عليه أشد غيرة عرفتها امرأة على زوجها،وربما خرج من عندها فى ليلتها، فإذا هى تتبعه إلى حيث ذهب مخافة أن يلم ببيت زميلة من زميلاتها، ووجدته فى ليلة من هذه الليالى قد ذهب إلى المقابر يصلى للشهداء ويستغفر لهم، فعادت إلى بيتها تقول لنفسها: بأبى أنت وأمى! أنت فى حاجة ربك، وأنا فى حاجة الدنيا! ولكنها لبثت مكروبة الصدر مما خامرها من خاطرها الأول، ومن خطأ ظنها. فلما قفل عليه الصلاة و السلام إليها لحظ ما بها فسألها: ما هذا النفس يا عائشة! فقالت : بأبى أنت وأمى! أتيتنى فوضعت ثوبيك ثم لم تستتم أن قمت فلبستهما، فأخذتنى غيرة شديدة ظننت أنك تأتى بعض صويحباتى حتى رأيتك بالبقيع تصنع ما تصنع ..

وخرج مرة أخرى ثم عاد إليها فإذا هى فى مثل تلك الحالة. فقال: أغرت؟ قالت: وهل مثلى لا يغار على مثلك؟ فقال: لقد جاءك شيطانك! (١) أ. هـ

ولابد هنا أن يخطر على بالنا سؤال: إذن ما الفرق بينهن (أمهات المؤمنين) وبين غيرهن من النساء يجيبنا العقاد فيقول:

أما العلاقات البيتية التى فرضتها هذه الحياة الزوجية على السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ فقد كانت على أحسن ما تتسنى العلاقات بين أناس يجمعهم معيشة واحدة، فهى وزميلاتها كن يتغايرن ويتنافسن لا محالة كما تتغاير النساء فى كل مكان، ولكنهن لم ينسين قط أنهن نساء النبى يتأدبن بأدبه ويتطلعن الى رضاه ويفزعن من غضبه (٢) أ.هـ

فكل ماروى لنا من تغاير زوجات النبى أن ذكرنا أنهن نساء من طينة الأنوثة الخالدة فلن ينسينا أنهن نساء نبى يتأدبن بأدبه ولا يجاوزن بالغيرة ما يحمل بهن فى كنفه ورعايته وان تسع أخوات شقيقات من آب واحد وأم واحدة ليقع بينهن من شحنات الغيرة إذا اجتمعن فى بيت أسرتهن أضعاف ما روى لنا من غيره زوجات النبى فى عشرتهن الطويلة .(٣) أ.هـ

---

(١) كتاب (الصديقة بنت الصديق) عباس محمود العقاد ـ ط ١٠ دار المعارف

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) » » ».

حب التفاخر على الأخريات سمة إذن ملمح من ملامح المرأة، وما سقناه إنما كان على سبيل المثال ويمكنك أن تقيس عليها الكثير.

وقد ورد بالقرآن آيات من الذكر الحكيم بخصوص ما دار بين النبى ـ ﷺ وأزواجه فى نفس هذا الإطار مثل قوله تعالى :

﴿ يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضات أزواجك والله غفور رحيم﴾

[١/ التحريم]

راجع ص ٧٣ بخصوص ملمح الغيره.. فهى سطور تضيف لملمحنا الحالى (حب التفاخر عل الاخريات) عمقا وأبعادا إضافية .

كانت ذليلة .. فأعزها الإسلام .

والآن الى ملمح مهم للغاية من ملامح المرأة، وهو ملمح حرصنا على عرضه عرضا وافيا شافيا حتى تحيط به المرأة وتتأكد منه خصوصا، ويعرفه الجميع عموما.

فلنقرأ إذن بحرص .. ونتمعن .. حتى تتبين لنا الحقيقة صريحة واضحة.. الحقيقة ولا شيء سوى الحقيقة .. الحقيقة الناصعة دون أية تشويهات مغرضة .. دون أية تزيفات رخيصة .. الحقيقة وحسب.

وها هى الفرصة لتعلم المرأة ماذا فعل الإسلام من أجلها .. لتعلم فى أى حضيض من الظلم كانت .. وإلى إى مكانة رفيعة سامية ترقت وانطلقت بفضل الإسلام.

وإن المرأة لمن الذكاء بصورة كافية لان تجعلها تضع هذا الدين الحنيف من نفسها وقلبها وعقلها الوضع الصحيح الذى يليق به حينما تعلم ماذا فعل الاسلام من أجلها.

فلتقبل إذن محايدة تسمع وترى بعين عقلها تدقق تمحص .. تبحث .. تفتش عن الحقيقة التى حاولوا أن يخفوها عنها، ويزيفوها أمامها ويوهموها بأشياء لا أساس لها، والهدف تشوية هذه العقيدة التى كرمت المرأة أفضل تكريم وأحسنه.

انظرى معى إلى الاسلام هنا لقد جعل لها شخصيتها المستقلة فسماها باسمها واسم أبيها فنسمع أسماء مثل « أسماء بنت أبى بكر» و«حفصة بنت عمر» .. الخ

كما جعل لها ذمتها المالية المستقلة وحفظ عليها أهليتها الكاملة فى التصرف فى كل ما تملك من أموال وغيره بعد الزواج .. وهذا عكس ما يحدث فى الغرب لذا كان الأولى أن يكون الاتهام للغرب وليس للإسلام إذن نريد هنا أيتها الأخت الكريمة الفاضلة أن تفتحى عينك جيدا .

وتعلمى أن من يلقون التهم أصحاب أغراض هدفهم تزييف الحقيقة لأن لهم قلوبا حاقدة، وصدوراً موتورة والا فلماذا قلدوا الغرب فيما فيه الغاء لشخصية المرأة ثم

استداروا ليقذفوا الإسلام بالحجاب .. رغم أن الإسلام هو الذى أعزها واكرمها ورفعها إلى منزله لا منزلة بعدها .

ولا أحب أن أسبق الأحداث فلأ ترك لك المجال لتحكمى بنفسك حيثما تستعرض تلك الآراء التى تدور حول ملمحنا الذى نحن بصدده وهو بعنوان: « كانت ذليله فأعزها الإسلام »

يقول الأستاذ محمد عبد الله الهمشرى فى كتابه (سورة النساء) :-

كانت الناحية الاجتماعية فى الجاهلية قائمة على الصيد والغزو وتوقع الغاره .. وفى هذا الميدان الرجل بقوته أرجح ميزانا من المرأة وأقدر على حمل السلاح، والذود عن الحمى، فتميزت أهميته، وارتفعت اسهمه ولم تعد النساء شقائق الرجال ولم تصبح العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة النصف والمساواة بل أضحت علاقة السيطرة والسيادة.

وبهذه العلاقة لم يكن لها حق معروف فى شىء ما الا ما يقدمه الرجل لها منحة وعطية ولا أدل على ذلك من :

(١) أنه كان بعض العرب يتشاءم منها، يراها وصمة وعبئا ثقلا « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدرسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون » النحل.

ومن المستطرف ما ذكره الجاحظ عن أبى حمزة الضبى[1] قال : ولبغض البنات هجر أبو حمزة الضبى خيمة امرأته ، وكان يقيل ويبيت عند جيران له حين ولدت امرأته بنتاً ، فمر يوماً بخبائهاوإذا هى ترقصها وتقول :-

مالأبى حمزة لا يأتينا | يظل فى البيت الذى يلينا
غضبان أن لا تلد إلبنينا | تالله ماذلك فى أيدينا
وإنما نأخذ ماأعطينا | ونحن كالأرض لزرعينا
نبت ما قدر زرعوه فينا

فغدا الشيخ حتى ولج البيت فقبل رأس امرأته وابنتها .

(٢) واذا مات عن المرآة زوجها ورثها عنه أولياؤه، إن شاء وتزوجوها، أو زوجوها، أو حبسوها حتى تفدى نفسها بمال ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن ..** ﴾ النساء.

(٣) ولم يكن لهـا حق فى إرث، وإنما الإرث لمن يغـزو ويدافع ويكسب .. للرجل حتى نزل قول الله تعالى: ﴿ **للرجـال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا** ﴾ [النساء]

ولا يقدح فى هذا التصوير لعلاقة الرجل بالمرأة فى الجاهلية ما نجد فى الآدب الجاهلى وبخاصة الشعر من التغنى بالمرأة فى بدء كل قصيد، والتجمل معها فى الحديث .. وظهور شخصيات نسائية كان لها شأن .

كالخنساء وبهيسه بنت أوس الطائى فهذا لا يزيد عن أنه اعجاب بجمال المرأة وأنسها ولطفها، ووصف ذكريات الإعجاب بذلك كله كما يعجب الإنسان من متاع جميل، ويسر به، ويتحدث عنه ولا يرقى بأية حال الى أن ينظر الرجل الى المرأة كشريكه له فى الحياة لها حقوق وعليها واجبات .

وفرق بين الاعتزاز بشيء والإعجاب بجماله وبين اعتباره فى درجة المساواه منه.

ومازال هذا الوضع نشاهده فى كثير من البيئات المختلفة، نجد المرأة لا شأن لها عند أبيها وأسرتها، ولها شأن أى شأن عند عاشقها وفتاها تلهمه الشعر وتحلق به فى أجواز الخيال وتنفث على لسانه سحر البيان .

ولم يخرج الشعراء الجاهليون فى حديثهم عن المرأة عن هذه الصورة.

لهذا بدأ الله التشريعات المنظمة للأسرة بتقرير قاعدة المساواة بين الرجل والمرأة فى شرعية الحياة والإنسانية. مبيناً المرأة من الرجل، والرجل من المرأة، وتطور الحياة وتعمير الكون بهما مشتركين.

﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء، واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾ (١) [النساء.]

يعلم الله عباده ان ربهم واحد وخلقهم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيرا ونساء مختلفة الاشكال والألوان.. وهذه آية كبرى على وجود إله عظيم.]أ.هـ.

كان هذا احد الآراء التى تدور حول هذه النقطة وتوضحها.. فما هو رأى المفكر الكبير العقاد .. هيا بنا نستطلع رأيه الذى تعودنا منه يسوقه فى كلمات ناصعة.. حاسمة .. قاطعة.... فإذا بها فى النهاية شافية..

يقول العقاد:

[جاء الاسلام فبدأ من النهاية التى إنتهت إليها أداب الحضارة والسيادة وهى خلاصة العرف الذى تعارف عليه سادة الحضر فى معاملة المرأة العربية.

إلا أنه جعل هذا العرف حقاً مكتوباً على الرجال لكل امرأة من كل طبقة ولم يقصره على عقائل البيوتات كما كان مقصورا عليهن فى آداب الجاهلية بحكم الاصطلاح والعادة يتبعه من يرضاه، ويهمله من يأباه.

ثم زاد على هذا العرف منزلة من الرعاية لم تصل إليها أرفع النساء فى أرفع البيوتات قبل الدعوة المحمدية، لأنه جعلها مناط التكليف، ووجه إليها الخطاب فى كل شئ، كما وجهه إلى الرجال، إلا ما هو من خصائص عمل الرجال فى العرف المستقيم .

فالمرأة فى شريعة الاسلام إنسان مرعى الحقوق والواجبات.. **﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ﴾** .

وكل إمرأة أو فتاة ـ من العلية او السوق ـ لايصح زواجها حتى يرجع إليها فيه

---

(١) البيان والتبين جـ١ ص١٦٣

﴿ **فلا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا البكر حتى تستأذن** ﴾، وعلامة إذنها السكوت كما جاء فى بعض الأحاديث.

ولها أن تملك ما تشاء وأن تبيع وتشترى ما تشاء، وان تشترك فى الإرث وكان حراماً عليها لأنها لا تحمل الدرع ولاتضرب بالسيف بل كان من حق الرجل ان يتخذها هى ميراثاً ينتقل إليه كرهاً كما يرث الخيل والابل والحطام فأبطل الإسلام ذلك حيث جاء فى القرآن الكريم: ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها** ﴾..

وقضى بأن تبايع النساء كما بايع الرجال فلا تغنى عن مبايعتهن مبايعة أبائهن وأزواجهن، وأوليائهن، ونص القرآن الكريم على ذلك حيث جاء فى سورة الممتحنة: ﴿ **يأيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولايزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم** ﴾..

وأبى الإسلام إلا ان يكفل لها حسن المودة كما كفل حسن المعاملة وأن يوسع لها من حقوق البر والعطف كما وسع لها من حكم الشريعة. فأوصى المسلمين ان يستقبلوا ولادتها بالرضى، وزجر الذين يستقبلونها على غيظ وحرد.. ﴿ **وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهوكظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون** ﴾..

ومن الآداب القرآنية ان يغالب الرجل كراهتها إذا تغير قلبه نحوها عسى أن يثوب الى حبها أو يكون فى احتمالها خير له ولها : ﴿ **وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن** أن **تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا** كثيراً ﴾

وكانت وصايا النبى ـ ﷺ ـ على منهاج أوامر القرآن فى إنصاف المرأة ورعايتها

فكان عليه السلام يقول: «**خيركم خيركم للنساء**».. و «**... ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم**»..

وأسند الوصاة بها فى بعض الأحاديث إلى وحى جبريل حيث قال:

«**ما زال جبريل يوصينى بالنساء حتى ظننت أنه يحرم طلاقهن**».

والتعليم الذى كان فى بيوت السادة فلتة لايقاس عليها بين الرجال فضلاً عن النساء، وجاء الاسلام فجعل «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»، واستحبه عليه السلام حتى للإماء حيث قال: «**أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها، وأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها، وتزوجها فله أجران.**»

....

هذه هى المنزلة التى تبوأتها المرأة فى الشريعة الاسلامية.

وهذه المعاملة التى أوجبتها آداب الاسلام على المسلمين كافة، وهى أرفع من كل أدب ترقت إليه الجاهلية فى الجوانب التى تهذبت فيها معاملة المرأة بين ذوى السيادة والحضارة من أهلها، وأضيفت إليها على عهد الإسلام جوانب شتى لم يكن للمرأة فيها أيسر نصيب من رعاية وإنصاف ومهما يكن من الرأى فى موقف العصور الحديثة من المرأة، فالذى لا ريب فيه ان الإسلام قد رفعها درجات فوق أرفع منزلة بين العرب، أو بين الأمم الأخرى، وأن المسلم الذى يعمل بدينه يوليها من البر فوق ما طلبته لنفسها، لو أنها كانت فى زمان يطلب فيه النساء لأنفسهن حقاً من الحقوق.

....

ولم تكن تلك غاية المرتقى:

.... فالحق أن محمداً عليه الصلاة والسلام لم يفرض على نفسه الشريفة محاسنة المرأة كما تفرض الأوامر السماوية على من يطيعها ولا مسرة له فى طاعتها، ولكنه

حاسنها قطرة كما حاسن كل مخلوق حى، ولا سيما الضعفاء، وجعل البر بها مقياس المفاضلة بين أخلاق الرجال وعنوان المنافسة فى طلب الخير والكمال، فقال غير مرة: «**خيركم خيركم للنساء**».

وبلغ من ذلك أنه يأوى إلى البيت «فيكون فى مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة». وأنه استحب خدمة الزوجة فى منزلها فقال: « خدمتك زوجتك صدقة»، وكان أكيس رجل فى معاملة أهل بيته، يشفق أن يرينه غير باسم فى وجوهن، ويزورهن جميعاً فى الصباح والمساء، وإذا خلا بهن «كان ألين الناس ضحّاكاً بساماً» كما قالت عائشة رضى الله عنهما.

وفى المبالغات المألوفة فى تناهى الرحمة أن يقال: «إنه أرحم به من أمه وأبيه». لكنه عليه السلام كان حقاً أرحم بأهله من آبائهن وأمهاتهن حتى الذين اشتهروا بالحرب الشديد على ذوى الرحم كأبى بكر الصديق رضوان الله عليه.

ففى الأحاديث عن عائشة إنها قالت: «كان بينى وبين رسول الله ـ ﷺ ـ كلام فقال: من ترضينى أن يكون بينى وبينك؟ أترضين بأبى عبيدة بن الجراح؟ قلت: لا. ذلك رجل هين لين يقضى لك. قال: أترضين بأبيك؟ قلت: نعم. فأرسل إلى أبى بكر فجاء: فقال أقصص فقلت: بل اقصص أنت... فقال: هى كذا وكذا.. فقلت: اقصد! فرفع أبو بكر يده فلطمنى.

وقال: تقولين يا بنت أم رومان: إقصد؟ من يقصد إذا لم يقصد رسول الله؟ فجعل الدم يسيل من أنفى، وقال رسول الله ـ ﷺ ـ « **إنا لم نرد هذا.. وجعل يغسل الدم بيده من ثيابى. ويقول: رأيت كيف؟ بعدك الله منه ..**».

وكان بره بمن مات من أزواجه أكرم من بره بمن يعيش معه ويراهن كل يوم فلما ماتت زوجته الاولى خديجة ـ رضى الله عنها ـ حزن عليها، وسمى العام الذى قبضت فيه «عام الحزن» وفى لذاكرها طوال حياته، حتى لقد كانت عائشة

تغار منها وهى فى قبرها أشد من غيرتها من زوجاته اللواتى يعشن معها فى كنفه، وقالت له يوماً: هل كانت إلا عجوزاً بدلك الله خيراً منها؟ فقال لها مغضباً: « **لا والله ما أبدلنى الله خيراً منها. آمنت بى إذ كفر بى الناس وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى الله منها الولد دون غيرها من النساء**».

وإن هذا الوفاء لذكرى الزوجة الغابرة لخليق أن يرضى المرأة حين تنسى غيرتها أشد من رضاها عن مكاشفتها بالتفضيل فى حياتها لجمالها وشبابها ونعيم عشرتها وصفائها] أ. هـ.

كانت هذه كلمات العقاد الناصعة المضيئة..

والآن إلى رأى آخر يدور حول نفس النقطة:

يقول ابن الخطيب:

[فى الجاهلية قبل الإسلام كان ظلم الرجل، ووحشيته، وإنتهاكه لحقوق المرأة وبغيه عليها، وإهداره لكرامتها: كإنسان!

فقد كان يجبرها على الفساد ويكرهها على البغاء!

لذا جاء القرآن الكريم بالنهى عن ذلك: ﴿ **ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً** ﴾

وكانت فيما يورث ـ كسقط المتاع ـ فإذا مات الرجل عن إمراته: ورثها بنوه: فمن شاء تزوجها، ومن شاء زوجها لمن يريد!

وهى فى جميع ما تأخذ وتدع تحت سيطرة الرجل وسطوته!

إذا شاء أمسكها، وإذا شاء طردها شر طردة: لا حقوق لها حياله، ولا يؤبه بها فى أى شئ يتمتع به الرجال دونها: من ملبس، ومأكل، ومشرب! حتى الحيوانات: كانت أحسن منهن شأناً وأوسع عناية وتدليلاً!

وظلت المرأة على هذه الحال: من الخسف والظلم والجبروت: حتى قيض الله لها

ديناً هو الإسلام! عاشت فى ظلاله الوارفة: واكتسبت حريتها بعد عبودية، ونالت حقها فى الحياة: بعد قيد ومقت! وارتفعت هامتها بعد تنكيس، وعزت بعد ذل.

وصار لها من الحقوق ما لسائر الرجال ﴿ **ولهن مثل الذى عليهن** ﴾ [(1)] أ.هـ.

والآن إلى رأى الاستاذ توفيق محمد سبع يقول:

[لم تسعد المرأة بحقوقها المشروعة العادلة ـ التى طالما داعبت أحلامها كما سعدت بها فى كنف الإسلام.. بل إن هذه الحقوق التى قررها الإسلام للمرأة سبقت ماهو مقرر لها فى الحضارة الأوربية.

كانت المرأة الجاهلية مصدر سحر وجمال للرجال تستثير عواطفهم فينشئون فيها قصائد الغزل ... ولكنها من جانب آخر كانت منتقصة الحقوق مسلوبة الإرادة والحرية تتعرض صغيرة للوأد، وكبيرة للعضل، ودائما وأبداً للذل..

لم يكن من حقها أن تتصرف فى المال، أو تخرج للعمل، او تنال شيئاً من المعرفة... فلما جاء الإسلام منحها من الحقوق فوق ما تبتغى.. وهتف محمد صلوات الله وسلامه عليه فى سمع الوجود قائلاً: «**إستوصوا بالنساء خيراً**» وعامل أزواجه معاملة رقيقة حانية ـ وهو القائل: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى**»

ثم رد عليها كرامتها السليبة فعصمها من الوأد صغيرة وحماها من العضل كبيرة ـ وأنقذها من الظلم فى كل حال، ومنحها حرية العمل الشريف والتجارة وكسب المال. وهيأ لها فرص العلم بل فرضه عليها ـ وألقى عليها مسئولية كبرى فهى تعبد وتتصدق وتصلى وتسارع فى الخيرات.. وجعل الرسول من حقها ان ترفض زوجاً لا ترتضيه.. وأنه ليس من حق أبيها أن يفرض عليها ذلك...

ومارست المرأة المسلمة حق النقد ـ وقصة المرأة التى راجعت عمر فى مهر النساء

---

(١) من كتاب (المرأة فيشتى العصور من لدنادم عليه السلام حتى الآن) لابن الخطيب ط١ (بتصرف)

وهو فوق المنبر معروفة وقد أقر لها عمر بالاصابة فقال: أصابت إمراة وأخطأ عمر. فأين ذلك كله من ما كانت عليه فى الجاهلية؟ كانت تعتبرها متاعاً يورث كالعقار والأثاث وتمنعها الزواج إستبداداً وقسوه وفى ذلك نزل قوله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين أمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف** ﴾.

والآية تنفى عن المرأة ظلماً، وتقرر لها حقاً.. تنفى عنها الاستبداد ومنع الزواج وهو العضل ـ وكان الرجل فى الجاهلية يمنع زوج أبيه من الزواج إذا كان وارثاً.. حتى تترك له كل ما تملك وكذلك كان المطلق يمنع مطلقته من الزواج بغير حتى يحصل على مال .. والمبغض لزوجه يسيء عشرتها ولا يطلقها فحرم الإسلام كل هذه المظالم..

وأثبت لها حقاً وهو أن تعاشر بالمعروف..وان تحترم كإنسانة لها إحساس وشعور، وهذه الحقوق التى ظفرت بها المرأة فى الإسلام لم يعترف الغرب بها إلا فى القرن التاسع عشر وبعد جهاد مرير وشاق، والعجيب بعد هذا أن يدعى المدعون والمغرضون ان الإسلام ظلم المرأة وسلب حقوقها، ولو نظر هؤلاء إلى ما ورد فى القرآن وفى الحديث وفى سيرة الخلفاء الراشدين والسلف الصالح لعرفوا ان المرأة لم تجد كرامتها ولم تبلغ مكانتها إلا فى ظل الاسلام.. لقد كانت تباع وتشترى وتملك فى أوروبا ـ وتعد رجساً من عمل الشيطان عند اليونان القدماء وكانوا يعاملونها معاملة بعيدة عن كل إنسانية، فالرجل يتزوج بأى عدد من النساء، أما فى اسبرطة، فكان من حق المرأة ان تتزوج بأكثر من رجل.. وقد اعتادت نساء اسبرطة تعدد الازواج.. وكانت المرأة عند اليهود فى منزلة الخادم ومن حق أبيها أن يبيعها ويقبض ثمنها.. ولم يكن لها الحق فى الإرث إلا إذا كانت الوريثة الوحيدة.. ومن حق الرجل فى بنى إسرائيل أن

يتزوج أى عدد من النساء وفى سنة ٥٨٦م عقد اجتماع فى فرنسا لبحث موضوع طريف وهو: هل المرأة إنسان أم لا ؟.. وبعد جدال جاد قرروا أنها إنسان إلا أنها خلقت لتخدم الرجل..

وأقرت المسيحية ما أقرته اليهودية فى الزواج، واستمر رجال الكنيسة يبيحون تعدد الأزواج حتى القرن السابع عشر، ولم يمنعوه الا بعد هذا. والمرأة عند الفرس محتقرة تعد من سقط المتاع، وعند اليهود لا يحق لها أن تعيش بعد زوجها ولكنه يجاء بها لتحرق على جثته وهى حية، وتحبس المرأة عند الصين لعدم الثقة بها ـ وتحتقر لدى الفراعنة فلا تلبى لها رغبة فأين ذلك كله من قول الله ـ عز وجل ـ:

﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم ﴾

أى أن للأزواج حقوقاً على الرجال كتلك الحقوق التى للرجال عليهن.. حقوق متكافئة.. ثم قررت الآية بعد ذلك أن للرجال منزلة ودرجة على النساء بما ينفقون وبما يدفعون من مهور وبما يقومون به من حق القوامة والرعاية.. ولعل من الطريف حقاً ان تأتى الإحصاءات الحديثة مقررة ما تضمنته الآية من قوامة الرجل على المرأة.. وان المرأة نفسها هى التى ترشح الرجل لرياسة الوظائف عليها دون امرأة مثلها، فلقد أجرت معاهد علم النفس البريطانى إستفتاء منذ شهرين فقط حول: أيهما تفضلين: ان يرأس العمل رجل أو امرأة؟ وكان هذا الاستفتاء خاصاً بالإناث..

أتدرى ماذا كانت نتيجة الاستفتاء؟!

أدلى نحو ٩٠٪ من النساء بأن الرجل أصلح لرياسة العمل لأن المرأة تنزع إلى السيطرة وهى متقلبة المزاج أما الرجال فالعمل معهم أكثر استقرار، ولأن الرجال قوامون على النساء] [1] أ. هـ.

والآن نستضيف لإلقاء بيان شاف حول هذه النقطة الدكتور على عبد الواحد

١ـ من كتاب (نفوس ودروس فى إطار التصوير القرآنى) توفيق محمد سبع الكتاب ٣٤ من سلسلة البحوث الإسلامية التى يصدرها مجمع البحوث الإسلامية .

وافى فماذا يقول؟..

] شمل الإسلام المرأة بعطف كريم، ورعاية رحيمة فى جميع الظروف الحرجة التى تطرأ فى حياة الأسرة وهى حالات النشوز والطلاق وتعدد الزوجات.

وكذلك كان موقف الإسلام حيال المرأة فى الظروف العادية فى الحياة، فقد خفض لها فى هذه الظروف كذلك جناح الحب والرحمة والعطف، وحرص على التسوية بينها وبين الرجل حيث يقتضى ذلك واجب الحفاظ على كرامتها ورعاية حرمتها، ووصل بها فى هذه المساواة إلى منزلة رفيعة لم يصل إلى مثلها ولا إلى ما يقرب منها أحدث الشرائع فى أرقى الامم الديموقراطية فى العصر الحاضر؛ ولم يفرق الإسلام بينهما إلا حيث تدعو الى هذه التفرقة مراعاة الصالح العام وصالح الأسرة، وصالح المرأة نفسها أو الاستجابة لما تقتضيه طبيعة كل من الجنسين، وما هيئ له، ووظائفه فى الحياة.

فقد سوى الإسلام بينهما فى القيمة الإنسانية المشتركة فلم ينظر إلى المرأة كما كانت تنظر معظم الشرائع والأمم السابقة للإسلام، على أنها من طبيعة إنسانية وضيعة بالقياس الى طبيعة الرجل؛ بل قرر أنهما من طبيعة إنسانية واحدة، ومن معدن واحد. وفى هذا يقول الله تعالى: ﴿ **ياأيها الناس إتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء** ﴾ (٢)

فزوجها مخلوق منها وكائن مخلوق منها لا يمكن أن يختلف عنها فى شئ من حيث المعدن والطبيعة.. ويقول: ﴿ **فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل**

١ـ الآية ١٩٥ من سورة آل عمران .
٢ـ الآية ٧٠ من سورة الأسراء

منكم من ذكر أو أنثي بعضكم من بعض﴾[1] أى يترتب عليه فرق فى قيم الأعمال، ويقول: ﴿ **ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾** [2] فتكريم الله كان كان لبنى آدم ذكورهم وإناثهم على السواء، لم يكن لجنس واحد منهم فحسب.

وسوى الاسلام بينهما كذلك فى الحقوق العامة كحق التعليم والعمل وما إلى ذلك. فأباح للمرأة التعلم بجميع صنوفه، بل فرضه عليه فرضاً فى الحدود التى يتوقف عليها صلاح دينها ودنياها. وفى هذا يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه: « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»، وقد ضرب الرسول عليه السلام نفسه أحسن مثل عملى فى ذلك بما فعله مع زوجته حفصة بنت عمر بن الخطاب التى كانت قد تعلمت الكتابة قبل زواجها بالرسول على يد كاتبة من عدى تسمى «الشفاء العدوية».

وذلك أن الرسول عليه السلام بعد زواجه من حفصة طلب الى الشفاء أن تتابع دراستها معها فتعلمها تحسين الخط وتزيينه كما علمتها أصول الكتابة وأباح الإسلام للمرأة كذلك أن تضطلع بأى عمل وأن تقوم بأية وظيفة ولو فى خارج منزلها، مادامت تؤدى ذلك فى وقار وحشمة وفى صورة بعيدة عن مظان الفتنة والتهمة، ومادامت تحافظ على ما سنته الشريعة الإسلامية فى هذا الصدد من آداب وما وضعته من حدود، وما دام ذلك لا يؤدى الى ضرر اجتماعى او خلقى، ولا يعوقها عن أداء واجباتها نحو بيتها وأولادها وزوجها، ولا يكلفها ما لا طاقة لها به او ما لا تحسن أداءه بحسب طبيعتها وما هيئت له، وعلى هذه السنن صار العمل فى عهد الرسول ﷺ. فلم يكن نساء الصحابة فى عهده محتجبات فى منازلهن بل كن يزاولن أعمالاً كثيرة فى خارجها. وإليك مثلاً أسماء بنت ابى بكر زوج الزبير وأخت عائشة التى تتحدث عن نفسها فتقول: «كنت أخدم الزبير خدمة البيت كله وكنت أسوس فرسه وأعلفه وأحتش له وكنت أخرز الدلو وأسقى الماء وأحمل النوى على رأسى من أرض

له على ثلثى فرسخ» .

وسوى الإسلام بنيهما كذلك أمام القانون وفى جميع شئون المسئولية والجزاء فى الدنيا والآخرة. وفى هذا يقول الله تعالى: ﴿ **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾ (١) ويقول: ﴿ **للرجال نصيب مماإكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن** ﴾ (٢) ويقول: ﴿**الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله** ﴾ (٣) ويقول: ﴿ **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم** ﴾(٤) .

وسوى الإسلام بينهما كذلك فى الحقوق المدنية فمنح المرأة جميع ما منحه الرجل من هذه الحقوق، لافرق فى ذلك بين أن تكون متزوجة أو غير متزوجة فالزواج فى الإسلام يختلف عن الزواج فى معظم أمم الغرب المسيحى فى أنه لا يفقد المرأة إسمها ولا شخصيتها المدنية ولا أهليتها فى التعاقد ولا حقها فى التملك. بل تظل المرأة المسلمة بعد زواجها محتفظة باسمها واسم أسرتها، وبكامل حقوقها المدنية، وبأهليتها فى تحمل الالتزامات وإجراء مختلف العقود من بيع وشراء ورهن وهبة ووصية وما الى ذلك، ومحتفظة كذلك بحقها فى التملك تملكاً مستقلاً عن غيرها. فللمرأة المتزوجة فى الإسلام شخصيتها المدنية الكاملة وثروتها الخاصة المستقلتان عن شخصية زوجها وثروته ولا يجوز للزوج ان يأخذ شيئاً من مالها قل ذلك الشئ أو كثر. قال تعالى: ﴿ **وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا ، أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا ۞وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا** ﴾

---

١ ـ ٩٦ سورة النحل	٢ ـ ١٢٤ النساء

٣ ـ ٣٢ النساء	٤ ـ ٢٠ / النور

وقال: ﴿ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا﴾[1]

وإذا كان لا يجوز للزوج أن يأخذ شيئا مما سبق أن آتاه لزوجته فمن باب أولى لا يجوز له أن يأخذ شيئا من ملكها الأصيل إلا أن يكون هذا أو ذاك برضاها وعن طيب نفس منها. وفى هذا يقول الله تعالى: ﴿ **وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مرينا** ﴾ [2]

ولا يحل للزوج كذلك أن يتصرف فى شيء من أموالها الا اذا أذنت له بذلك أو وكلته فى إجراء عقد النيابة عنها؟ وفى هذه الحالة يجوز أن تلغى وكالته وتوكل غيره اذا شاءت.

وهذه المنزلة من المساواة لم يصل إلى مثلها أحدث القوانين فى أرقى الأمم الديمقراطية فى العصر الحاضر، فحالة المرأة فى فرنسا مثلاً كانت إلى عهد قريب بل لا تزال إلى الوقت الحاضر أشبه شيء بحالة الرق المدنى، فقد نزع القانون منها صفة الأهلية فى كثير من الشئون المدنية ،كما تنص على ذلك المادة السابعة عشرة بعد المائتين من القانون المدنى الفرنسى إذ تقرر أن « المرأة المتزوجة حتى لو كان زواجها قائما على أساس الفصل بين ملكيتها وملكية زوجها، لا يجوز لها أن تهب، ولا أن تنقل ملكيتها، ولا أن ترهن، ولا أن تملك بعوض أو بغير عوض بدون اشتراك زوجها فى العقد أو موافقته عليه موافقة كتابية».

ومع ما أدخل على هذه المادة من قيود وتعديلات فيما بعد، فإن كثيرا من آثارها لا يزال ملازما لوضع المرأة الفرنسية من الناحية القانونية إلى الوقت الحاضر.

وتوكيدا لهذا الرق المدنى المفروض على المرأة الغربية المتزوجة تقرر قوانين الأمم الغربية ويقضى عرفها أن المرأة بمجرد زواجها تفقد سمها واسم أسرتها فلا تعود تسمى فلانة بنت فلان، بل تحمل اسم زوجها وأسرته، فتدعى مدام فلان، أو تتبع

(١) ٢٢٩ البقرة

(٢) ٤ النساء

اسمها باسم زوجها، وأسرته بدلا من أن تتبعه باسم أبيها وأسرتها. وفقدان المرأة اسمها وحملها لاسم زوجها كل ذلك يرمز الى فقدان شخصيتها المدنية واندماجها فى شخصية الزوج.

ومن الغريب أن كثيرا من سيداتنا المصريات يحاولن أن يتشبهن بالغربيات حتى فى هذا النظام الجائر، ويرتضين لأنفسهن هذه المنزلة الوضيعة فتسمى الواحدة منهن نفسها باسم زوجها، أو تتبع اسمها باسم زوجها وأسرته بدلا من ان تتبعه باسم أبيها وأسرتها كما هو النظام الاسلامى، فما كانت عائشة مثلا تسمى نفسها عائشة محمد، بل كانت تسمى نفسها ويسميها المسلمون عائشة بنت أبى بكر مع انها كانت زوجة لأشرف خلق الله على الاطلاق، وما يسير عليه المتفرنجات من سيداتنا فى هذا الصدد هو أقصى ما يمكن أن تصل إليه المحاكاة.

وأغرب من هذا كله أن اللائى يحاكين هذه المحاكاه هى المطالبات بحقوق النساء. ومساواتهن بالرجال، ولا يدرين أنهن بمسلكهن هذا يفرطن فى أهم حق منحه الإسلام لهن ورفع به شأنهن وسواهن فيه بالرجال.

هذا، ولم يفرق بين الرجل والمرأة إلا حيث تدعو إلى هذه التفرقة مراعاة طبيعة كل من الجنسين، وما هيئ له، وكفالة الصالح العام وصالح الأسرة وصالح المرأة نفسها. وإليك مثلا تفرقته بينهما فى الميراث إذ جعل نصيب الذكور أكبر من نصيب نظائرهم من الإناث فى معظم الأحوال، قال تعالى: ﴿ **يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين** ﴾ [النساء ١١]

وقال: ﴿ **ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أودين، ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد، فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصيته توصون بها أو دين** ﴾ [النساء ١٢]

وقال: ﴿ **وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين** ﴾ [النساء ١٧]

فإن هذه التفرقة قد بنيت على أساس التفرقة بين أعباء الرجل الاقتصادية وأعباء المرأة . فمسئولية الرجل فى الحياة المادية أوسع كثيرا من مسئولية المرأة فالرجل صورة الأسرة وهو القوام عليها والمكلف بالإنفاق على جميع أفرادها إن كان متزوجا، أو سيصبح مكلفا بذلك بعد زواجه، وعلى الرجل وحده كذلك تجب نفقة الأقرباء على حين أن المرأة لا يكلفها الإسلام حتى الانفاق على نفسها، فإذا لم تكن متزوجة فنفقتها واجبة على أصولها أو فروعها أو أقربائها بحسب ترتيب الفقه الاسلامى لهم فى وجوب النفقة، واذا كانت متزوجة فتفقتها ونفقة أولادها وبنيها واجبة على الزوج لا فرق فى ذلك بين أن تكون موسرة أو معسرة، فكان من العدالة اذن أن يكون حظ الرجل من الميراث أكبر من حظ المرأة حتى يكون فى ذلك ما يعينه على القيام بهذه الاعباء الثقيلة التى وضعها الإسلام على كاهله وأعفى منها المرأة رحمة بها وحدباً عليها، وضمانا لسعادة الأسرة، بل إن الإسلام قد بالغ فى رعاية المرأة إذ اعطاها نصف نصيب نظيرها من الرجال فى الميراث مع إعفائه لها من أعباء المعيشة وإلقائها جميعاً على كاهل الرجل.

﴿ **ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ صدق الله العظيم [1] أ.هـ

....

ويقول «العقاد» فى كتابه «عبقرية محمد» :ـ

تعرف مكانة المرأة التى وصلت اليها بفضل محمد ودينه، متى عرفت مكانة المرأة التى استقرت عليها فى الجاهلية، ومكانة المرأة التى استقرت عليها فى عصره وبعد عصره وبين أمم أخرى غير الأمة العربية .

وقياسان اثنان كافيان لبيان الفارق البعيد بين ماكانت عليه المرأة فى الجاهلية وماصارت إليه بعد رسالة محمد.

كانت متاعا يورث، ويقسم تقسيم السوائم بين الوارثين، فأصبحت بفضل الإسلام ونبيه صاحبة حق مشروع، ترث وتورث ولا يمنعها الزواج أن تتصرف بمالها

(١) من كتاب (بيت الطاعة وتعدد الزوجات والطلاق فى الإسلام ، على عبد الواحد وافى .

وهى فى عصمته كما تشاء.

وكانت وصمة تدفن فى مهدها فراراً من عار وجودها، أو عبئاً تدفن فى مهدها فرارا من نفقة طعامها.. فأصبحت إنساناً مرعى الحياة ينال العقاب من ينالها بمكروه.

ولم تكن فى البلاد الأخرى بأسعد حظاً منها فى البلاد العربية.

فلا نذكر شرائع الرومان واستعبادها للنساء .. ولا نذكر المتنطسين فى صدر المسيحية وتسجيلهم عليها النجاسة، وتجريدهم إياها من الروح.

وكفى أن نذكر عصر الفروسية الذى قيل انه عصر المرأة الذهبى بين الأمم الأوروبية، وأن الفرسان كانوا يفدون النساء بالدم والمال.

فهذا العصر كان كما قال الدارسون له: عصر الحصان قبل أن يكون عصر المرأة أو عصر «السيدة المفداة».

....

ولقد تقدم الزمن فى الغرب من العصور المظلمة الى عصور الفروسية إلى ما بعدها من طلائع العصر الحديث، ولما تبرح المرأة فى منزلة مسفة لا تفضل ما كانت عليه فى الجاهلية العربية، وقد تفضلها منزلة المرأة فى تلك الجاهلية.

ففى سنة ١٧٩٠ بيعت امرأة فى أسواق إنجلترا بشلنين لأنها ثقلت بتكاليف معيشتها على الكنيسة التى كانت تؤويها..

وبقيت المرأة الى سنة ١٨٨٢ محرومة حقها الكامل فى ملك العقار، وحرية المقاضاة ..

وكان تعلم المرأة سبة تشمئز منها النساء قبل الرجال، فلما كانت « اليصابات بلاكويل » تتعلم فى جامعة جينيف سنة ١٨٤٩ ـ وهى أول طبيبة فى العالم ـ كان النسوة المقيمات معها يقاطعنها ويأبين أن يكلمنها ويزوين ذيولهن من طريقها احتقاراً لها كأنهن متحرزات من نجاسة يتقين مساسها.

ولما اجتهد بعضهم فى إقامة معهد يعلم النساء الطب بمدينة فلادلفيا الامريكية أعلنت الجماعة الطبية بالمدينة أنها تصادر كل طبيب يقبل التعليم بذلك المعهد

وتصادر كل من يستشير أولئك الأطباء.

وهكذا تقدم الغرب إلى أوائل عصرنا الحديث، ولم تتقدم المرأة فيه تقدما يرفعها من مراغة الاستعباد التى استقرت فيها من قبل الجاهلية العربية ..

فماذا صنع محمد؟ وماذا صنعت رسالة محمد؟

حكم واحد من أحكام القرآن الكريم أعطى المرأة من الحقوق كفاء ما فرض عليها: ﴿ **ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف** ﴾.

وحكم آخر من أحكامه العالية أمر المسلم بإحسان معاشرتها ولو مكروهة غير ذات حظوة عند زوجها: ﴿ **وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** ﴾

وأباح لها الدين فى الجهاد أن تكسب كما يكسب الرجال: ﴿ **للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن** ﴾

ولم يفضل الرجل عليها إلا بما كلفه من واجب كفالتها وإقامة أودها والسهر عليها ..

أما محمد فقد جعل خيار المسلمين خيارهم لنسائهم: « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم».

وأمر بمداراة ضعفها ونقصها لأن « المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها».

وأوجب على الرجل أن يتجمل لامرأته ويبدو لها فى المنظر الذى يروقها، فقال عليه الصلاة والسلام مما قال فى هذا المعنى وهو كثير: « اغسلوا ثيابكم وخذوا من شعوركم واستاكوا وتزينوا وتنظفوا، فإن بنى إسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك فزنت نساؤهم »

وأوجب على الرجل اذا خطب امرأة أن يظهرها على عيبه إن كان به عيب مستور:

« إذا خطب أحدكم المرأة وهو يخضب بالسواد فليعلمها أنه يخضب » ..

وبلغ من رعاية شعورها ومداراة خجلها الذى فطرت عليه أنه أوجب على الرجل أن يمتعها كما تمتعه لأنها لا تطلب لنفسها ما يطلبه الرجل منها:« فإذا جامع أحدكم أهله فليصدقها ثم إذا قضى حاجته قبل أن تقضى حاجتها فلا يعجلها حتى تقضى حاجتها ».

وكان تأديبه المسلمين فى هذه الصلة غاية فى الكياسة فقال مما قال فى هذا المعنى:

« إذا دخلت ليلا فلا تدخل على أهلك حتى تستحد المغيبة وتمشط الشعثة .. الكيس، الكيس ! » أ.هـ

وماذا عن رأى الداعية الإسلامى فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى؟

إنه يقول:

إننا لو أخذنا مثلاً قوانين اليونان نجد أن المرأة كانت تدخل ضمن ممتلكات ولى أمرها .. فهى قبل الزواج ملك لأبيها أو أخيها أو من يلى أمرها وهى بعد الزواج ملك لزوجها، فليس لها تصرف فى نفسها، وهى لا تملك ذلك .. لا قبل الزواج ولا بعده، وهى تباع لمن يشتريها والذى يقبض الثمن هو ولى الأمر.

وفى القانون الرومانى كانت المرأة تعامل كالطفل أو كالمجنون، أى لا أهلية لها، وكان لرب الاسرة أن يبيع من يشاء من النساء ممن هن تحت ولايته، وتظل المرأة تحت سلطان ولى أمرها سواء كان أباً أو زوجاً حتى الموت.. وله حق البيع والنفى والتعذيب .. بل والقتل.

وفى شريعة اليهود تعتبر المرأة فى منزلة الخادم عند بعض فرق اليهود وتحرم الانثى من الميراث، سواء كانت أما أو زوجة اذا ماكان للميت ذكور، وهذا موجود فى الإصحاح ٢١ من سفر التكوين.

إن قوانين الأصول الشخصية للإسرائيليين تقول: اذا توفى الزوج ولا ذكور له تصبح أرملته زوجة لشقيق زوجها .. أو لأخيه من أبيه ولا تحل لغيره إلا إذا تبرأ منها

ورفض الزواج بها.

وفى القانون الصينى .. كانت القاعدة أن النساء لا قيمة لهن، ويجب أن يعطين أحقر الأعمال، وفى القوانين الهندية لا يحق للمرأة فى أى مرحلة من مراحل حياتها أن تجرى أى أمر وفق مشيئتها ورغبتها، وأن المرأة فى مراحل طفولتها تتبع والدها، وفى مراحل شبابها تتبع زوجها، فإذا مات الزوج تبعت أولادها.

وفى أوروبا كانت حالة المرأة وقت نزول الاسلام تساوى كارثة .. تباع وتشترى وتعذب .. وتأخذ أشق الاعمال بأقل الأجور .

تلك لمحة سريعة عن بعض الأحوال والقوانين التى كانت تخضع لها المرأة قبل الإسلام .. ولقد كتب الفيلسوف الإنجليزى هربرت سبنسر فى كتابه «علم الاجتماع» : إن الرجال كانوا يبيعون الزوجات فى انجلترا فيما بين القرن الخامس والقرن الحادى عشر الميلادى .

لقد وضعت محاكم الكنيسة قانوناً يعطى الزوج الحق فى أن يعطى زوجته لرجل آخر لمدة محددة بأجر أو بغير أجر ! وظل هذا القانون مطبقاً حتى ألغى، وفى ١٩٣٣ باع إنجليزى زوجته بمبلغ خمسمائة جنيه إسترلينى .. وألغى القضاء هذا البيع !

ولم يكن للمرأة فى أوروبا حتى فترة قصيرة حق الحضور أمام القضاء أو حق إبرام العقود ، ولا تملك البيع أو الهبة بغير مشاركة زوجها فى العقد بموافقة مكتوبة .

وحتى عام ١٩٤٢ كان الزوج هو المتصرف فى أموال زوجته ثم عُدل هذا بأن تتصرف الزوجة فى أموالها بعد أن تثبت أنها ليست أموالاً مشتركة بينها وبين زوجها .

على أننا ونحن نورد هذه الأمثلة إنما نتحدث عن قليل من كثير، فنحن فى هذ الكتاب ليس هدفنا مقارنة أوضاع المرأة فى الإسلام بأوضاعها فى دول العالم غير المسلمة ، ولكننا نقول: إذا كانت المرأة قد حصلت حديثاً فى أوربا وأمريكا على حقوق ومساواة ، فإن الإسلام كان أول من أعطى المرأة حقوقها ، وأعاد إليه

كرامتها ، وأعطاها الحرية فى أن ترفض أو تختار زوجها بحريتها ، ولا يتم زواج الفتاة دون استئذانها وموافقتها وبشاهدين ، ولها أن توكل والدها ولها أن ترفض الزواج .

إن المرأة فى الإسلام تحتفظ بشخصيتها القانونية المستقلة .. ولها حق التملك وحق التجارة .. وقد كانت السيدة خديجة رضى الله عنها، تعمل بالتجارة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبل زواجه منها يعمل فى تجارتها ، ويرعى لها أموالها) (١) . أ. هـ .

والأن جاء دور فضيلة الشيخ طه عبد الله العفيفى ليقدم لنا هذا البيان الوافى :

ولم تكن مهانة المرأة فى جاهلية العرب واقفة عند الوأد ، بل كانت المهانة تشمل كل جوانب حياة المرأة .

وإليك صوراً مختلفة لما لاقته المرأة من ظلم :

---

(١) كتاب المرأة فى القرآن الكريم فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى

أنكحة الجاهلية

فعن عروة أن عائشة رضى الله عنها أخبرته أن النكاح فى الجاهلية كان على أربعة أنواع :

فنكاح منها نكاح الناس : يخطب الرجل إلى الرجل ابنته أو وليته فيصدقها - يؤدى صداقها أو مهرها ثم ينكحها (يتزوجها) .

- ونكاح آخر : كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها (أى حيضها) : أرسلى إلى فلان فاستبضعى منه (أى : اطلبى منه الولد) ويعتزلها زوجها حتى يتبين حملها ، فإذا تبين أصابها إذا أحب ، وإنما يفعل ذلك رغبة فى نجابة الولد ويسمى هذا النكاح : الاستبضاع .

- ونكاح آخر : يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت أرسلت إليهم فلم يستطع رجل أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها فتقول لهم :

قد عرفتم ما كان من أمركم ، وقد ولدت ، فهو ابنك يا فلان .

تسمى من أحبت باسمه ، فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل .

ونكاح رابع : يجتمع ناس كثيرون فيدخلون على المرأة ، لا تمتنع عمن جاءها، وهن البغايا ، ينصبن على أبوابهن رايات فمن أرادهن دخل عليهن ، فإذا حملت إحداهن ووضعت جمعوا لها ، ثم ألحقوا ولدها بالذى يرون فالتاط به (نسب إليه) ودعى ابنه لا يمتنع من ذلك .

فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم بالحق هدم نكاح الجاهلية إلا نكاح الناس اليوم .

«رواه البخارى وأبو داود - نيل الأوطار : جـ٦ ص١٦٨»

ومن أساليب الأنكحة غير المذكورة فى الحديث السابق :

* نكاح الشغار

فعن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما : أن رسول الله ﷺ : «نهى عن الشغار»

(رواه الجماعة - نيل الأوطار : جـ٦ ص١٥٠).

والشغاركما فى النص السابق : فسره أبو هريرة رضى الله عنه بقوله :

هو أن (يقول الرجل زوجنى ابنتك وأزوجك ابنتى ، أو زوجنى أختك وأزوجك أختى) ولا يكون بينهما مهر سوى هذه المبادلة (رواه مسلم)

* ونكاح المتعة :

فعن محمد بن كعب بن عباس قال : إنما كانت المتعة فى أول الإسلام الرجل يقدم البلدة ، ليس له بها معرفة فيتزوج المرأة بقدر ما يرى أنه يقيم فتحفظ له متاعه وتصلح شأنه حتى نزلت هذه الآية : ﴿ **إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم** ﴾

قال ابن عباس : فكل فرج سواهما حرام

(رواه الترمذى - نيل الأوطار جـ٦ ص١٤٣)

وعن سبرة الجهنى أنه كان مع النبى ﷺ فقال :

« يا أيها الناس إنى كنت أذنت لكم فى الاستمتاع بالنساء ، وإن الله حرم ذلك إلى يوم القيامة فمن كان عنده منه شئ فليخل سبيله ، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا » (رواه أحمد ومسلم - نيل الأوطارجـ٦)

* ونكاح المقت

وهو أن يتزوج الولد امرأة أبيه :

قال القرطبى فى تفسيره:وقد كان العرب فى قبائل قد اعتادت أن يخلف ابن الرجل امرأة أبيه وكانت هذه السيرة فى الأنصار لازمة، وكانت فى قريش مباحه مع التراضى ، ألا ترى أن عمرو بن أمية خلف على امرأة أبيه بعد موته، وولدت له: مسافراً وأبا معيط ، وكان لها من أمية: أبو العيص وغيره فكان بنو أميه إخوة مسافر وأبى معيط وأعمامهما.

وسمى هذا النكاح بنكاح المقت لقول الله تبارك وتعالى :

﴿ إنه كان فاحاشة ومقتا ﴾ (ابن كثير جـ١ ص ٤٦٦)

....

(انه كان فاش ومقتا) (القرطبى: جـ٥ ص١٠٣)

* ونكاح بـــدل

وهو أن يتبادر زوجان زوجتيهما بدون طلاق وعقد جديد، وهى عملية سفاح بالتراضى.

* ونكاح المخادنة

وهى ارتباط امرأة برجل مخادنة، ومعاشرتها معاشرة الأزواج بدون عقد(واليها) ويشير اليه قوله تعالى:

﴿ محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان ﴾ (النسـاء : ٢٥)

وقوله تعالى: ﴿ محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان ﴾

(المائـدة :٥)

* نكاح الإرث

وكان أهل الزوج إذا مات يرون أنفسهم أحق بزوجته نفسها من أهلها، فإذا شاء أحدهم تزوجها فلا يحق لها ولا لأهلها الممانعة، وكذلك إذا شاءوا زوجوها ممن يشاءون، وقبضوا مهرها، وإن شاءوا عضلوها(أى منعوها من الزواج): لتدفع فدية أو تظل كذلك حتى تموت.

- قال عبد الرحمن بن زيد: كان العضل فى قريش بمكة ينكح الرجل المرأة الشريفة فلعلها لا توافقه، فيفارقها على ألا تتزوج إلا بإذنه، فيأتى بالشهود فيكتب ذلك عليها ويشهد، فاذا جاء الخاطب، فإن أعطته وأرضته أذن لها وإلا عضلها.

(ابن كثير جـ١ ص ٤٦٦)

- وقال الزهرى أبو مجلز: كان من عادتهم اذا مات الرجل عن امرأة، يلقى ابنه من غيرها أو أقرب عصبته ثوبه على المرأة فيصير أحق بها من نفسها، ومن أوليائها فان شاء تزوجها بغير صداق الا الصداق الذى أصدقها الميت وان شاء زوجها من

غيره وأخذ صداقها، ولم يعطها شيئا، وان شاء عضلها ـ منعها من الزواج ـ لتفتدى منه، أو تموت فيرثها. (القرطبى: جـ٥ ص ٩٤)

ـ هناك صور أخرى من الامتهان المادى والأدبى للمرأة فى الجاهلية منها:

حرمانها من الميراث

ذكر القرطبى فى التفسير:

وكانوا فى الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير وان كان ذكرا، ويقولون: لا يعطى الا من قاتل على ظهور الخيل، وطاعن بالرمح، وضارب بالسيف، وحاز الغنيمة. (القرطبى جـ٥ ص ٤٦، المنار جـ٤ ص ٣٩١)

حرمانها من المهر

ـ جاء فى تفسير القرطبى وكان الولى يأخذ مهر المرأة ولا يعطيها شيئا.

ـ وجاء فى روايته عن الكلبى: ان أهل الجاهلية كان الولى اذا زوجها فان كانت معه فى العشرة لم يعطها من مهرها كثيرا ولا قليلا، وان كانت غريبة حملها على بعير الى زوجها ولم يعطها شيئا غير ذلك البعير.

(القرطبى جـ٥ ص ٢٣)

وآكل مال اليتامى والجور عليهم ذكورا أو اناثا.

فلقد كان ذلك دأب الجاهلية فشدد الاسلام النكير عليهم.

وتعدد الزوجات بلا حدود.

وقد كان الرجل يجمع في عصمته ما يشاء من الزوجات بدون تحديد عدد، وكثيرا ما كان يفعل ذلك ويجوز على بعض أزواجه كوسيلة من وسائل المكايدة أو أو للابتزاز والمضارة، وقل ان اهتم الأزواج للعدل بين زوجاتهم على ما يمكن ان يستفاد مما ورد في القرآن الكريم من علاج لهذا الحيف.

(المرأة في القرآن والسنة: لمحمد عزة دروزه ص١٦)

والطلاق بلا حدود

فلم يكن للطلاق حد

ـ فقد روى عن ابن جرير الطبرى في تفسير قوله تعالى:

(الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان)

إن أهل الجاهلية، والإسلام قبل نزولها لم يكن لطلاقهم نهاية تبين بالانتهاء إليها المرأة ما راجعها في عدتها.

وعن قتادة: أن الرجل قبل الإسلام كان يطلق الثلاث والعشرة، ثم يراجع ما دامت في العدة.

(تاريخ الامة العربية: جـ١ ص١٨٨)

والطلاق مع العَضْل:

وكان الطلاق بيد الرجل فإذا أراد مفارقة زوجته قال لها: الحقى بأهلك، واذا آراد مراجعتها بعد ذلك راجعها مادامت في العدة، وكثيرا ما كانوا يراجعون المرأة في نهاية عدتها إضرارا بها وحرمانا لها من الزواج بالغير، وكان ذلك لهم بغير حد يقفون عنده. (تاريخ الامة العربية : جـ١ ص ١٩٠)

والإيلاء:

وهو نوع من أنواع الطلاق: فقد كان الرجل يحلف ألا يقرب زوجته وكان الإيلاء في الجاهلية السنة والسنتين.

والظهار:

وهو أيضا نوع من أنواع الطلاق، كان يقول لزوجته: أنت علي كظهر أمي أو كبطنها أو كفخذها أوكظهر أختي أو ما شابه ذلك.

وكانت الزوجة تحرم على زوجها تحريما أبديا.

(تحرير الامة العربية قبل ظهور الاسلام: د/ عبد الفتاح شحاته جـ١ ص١٨٩)

وأخيرا بعد أن ذاقت المرأة الأمرين وشربت كئوس المهانة على مر العصور السابقة جاء الإسلام بالشريعة السمحة، والعدل المثالي فأعاد إليها كرامتها.

- فلقد اعتبر الاسلام الوأد من أكبر الكبائر:

قال تعالى: ﴿**وإذا الموءودة سئلت * بأي ذنب قتلت**﴾

٩،٨ التكوير

وقال تعالى: ﴿**ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا**﴾

- كما سوى بين الذكر والأنثى والصغير والكبير بالنسبة للجريمة في حقهم:

قال تعالى: ﴿ **ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه وأعد له عذابا عظيما** ﴾ ٩٣/النساء

- واعتبر الإسلام كذلك جريمة الوأد تلي في الفظاعة جريمة الكفر بالله.

فعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أنه سأل رسول الله - ﷺ: أي ذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك. قالت: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك خشية ان يطعم معك، قلت: ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك. ثم تلا رسول ﷺ قوله تعالى:

﴿ **والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا**

ـ ولم يقف الاسلام عند تحريم وأد البنات بل أمر بالإحسان إليهن وإكرامهن وحسن تربيتهن ووعد على ذلك الثواب الجزيل.

فعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :

(من كان له ثلاث أخوات أو ابنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة) «رواه أبو داود»

وعن ابن عباس عن النبى ﷺ ، قال:

(من كان له أنثى فلم يئدها، ولم يهنها، ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله الجنة)

«رواه أبو داود»

ـ وليس هذا فحسب: وإنما قد جعل الاسلام للزواج نظما وقوانين منها أو من أهمها:

تحريم زوجات الآباء مع زوجات أخرى غيرهن.

ـ ومنها تحريم ان يرث أحد من أقرباء الميت زوجته أو أن يعذبها بالعضْل (أى المنع من الزواج) أو ينالها بأذى كما حرم الإسلام العضْل لأية زوجة.

قال تعالى : ـ **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن ؛ إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف؛ فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا و يجعل الله فيه خيرا كثيرا ﴾** ١٩ / النساء

– ومنها تحريم الشغار وباقى الأنكحة إلا النكاح الذى رضيه الله سبحان وتعالى وهوما عليه الناس اليوم مما هو معروف شرعا ٠

٠٠٠ ٠٠٠ قال الضحاك و الحسن و غيرهما: إن الآية ﴿ **وإن خفتم ......**﴾ ٣/ النساء ناسخة لما كان فى الجاهلية وفي أول الإسلام من أن للرجل أن يتزوج من الحرائر ما شاء فقصرتهن الآية على أربع . القرطبى :ج ٥ ص ١٢

ـ ... والصداق حق للمرأة على زوجها ، وهو ملك لها لايحل لأحد غيرها إلا

بطييب نفس منها .

قال الله تعالى ﴿ **و آتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا** ﴾ ٤/ النساء

ـ.... الصدقات : هي المهور . ونحلة بكسر النون : يعني شريعة وفريضة فرضها الله على الازواج..

فإن دخل الزوج بالمرأة فلها كل المهر .. قال تعالى:

﴿ **فإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذو منه شيئا** ﴾

وان لم يرض بها وطلقها، فلها نصف المهر المسمى.

قال تعالى :﴿ **وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم ، ألا أن يعفون أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح وأن تعفو أقرب للتقوى ، ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير** ﴾ ٢٣٧ / البقرة

....

واختيار الزوج حق للمرأة سواء أكانت مطلقة أو متوفى عنها زوجها أو بكرا فلهاحرية اختيار زوجها ، نصا ودلالة:

فأما النص من الكتاب فقوله تعالى:

﴿ **وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم ازكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ ٢٣٢ / البقرة.

فالمعنى إذا طلقتم المرأة من زوجها فبلغت اخر العدة ثم أرادت العودة لمن طلقها بعد تراض بينها وبينه فلا يحل لأهلها منعها من العودة إليه.

ومن السنة: «عن خنساء بنت خذام الأنصارية أن أباها زوجها وهى ثيب فكرهت ذلك فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد نكاحها..»

أخرجه الجماعة إلا مسلما : نيل الاوطار : حـ ٦ ص ١٢٠».

....

وأما الدلالة: فلا ولاية للأب أن يتصرف في أقل شئ من مال البكر البالغة إلا بإذنها، وكل المال دون النفس ، فكيف يخرجها قسرا ـ اى كرها ـ إلى من هو أبغض الخلق إليها ويملكه ـ أمرها ـ ومعلوم أن ذهاب جميع مالها أهون من ذلك، فهذا ما تنبؤ عنه قواعد الشرع. «فتح القدير: حـ ٢ ص ٣٥٦»

وللمرأة كذلك حق النقد كالرجل:

قال تعالى ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن النكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم** ﴾ ١٧١ التوبة.

وكل آية نزلت في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تشمل الرجال والنساء.أ.هـ

هناك فروق بينها وبين الرجل عميقة

جاء في كتاب « الإسلام يتحدى » لمؤلفه وحيد الدين خان مايلي:

«إن الإسلام لاينظر إلى المرأة والرجل نظرة واحدة، فهو يحرم العلاقات الحرة بينهما وقد أخذ العلماء عند بدء العصر العلمي يسخرون من هذه القوانين واطلقوا عليها « مخلفات العصر الجاهلي » وقالوا بشدة:

إن الرجل والمرأة متساويان، ويرثان النسل الإنساني بطريقة متساوية، ولسوف تكون جريمة كبرى لو أقمنا العقبات في طريق العلاقات الحرة بينهما، وقد أنتجت هذه الفكرة مجتمعا جديدا في الغرب، بيد أن التجارب الطويلة المريرة التي مرت بهاهذه الإنسانية بعد هذه الإباحة الجنسية هي أقسى ماعاناه البشر فقد ثبت بعد هذه التجارب أن المرأة والرجل لايتساويان فطريا ولاطبيعيا وأي مجتمع يقوم على أساس مساواتهما سوف يسبب خرابا ودمارا عظيمين للحضارة البشرية.

إن أول حقيقة في هذا الأمر هي أن الرجل والمرأة يختلفان كل الاختلاف في نوعي كفاءاتهما الطبيعية، واعتبارهما متساويين إنما هو مخالفة كبرى لقوانين الطبيعة في حد ذاتها.

كتب الدكتور ألكسيس كاريل الحائز على جائزة نوبل للعلم، وهو يبين الفارق العضوي بين الرجل والمرأة يقول:

« إن الأمور التي تفرق بين الرجل والمرأة لاتتحدد بالأشكال الخاصة بأعضائها الجنسية والرحم والحمل، فحسب وهي لاتتحدد أيضاً في اختلاف طرق تعليمهما، بل إن هذه الفوارق هي ذات طبيعة أساسي من اختلاف نوع الأنسجة في جسم كليهما، كما أن « المرأة » تختلف عن « المرء » كليا في المادة الكيماوية التي تفرز من مبيض الرحم داخل جسمها، والذين ينادون بالمساواة بين الجنس اللطيف والرجال يجهلون هذه الفوارق الأساسية، فيدعون أنه لابد أن يكون لهما نوع واحد

من التعاليم والمسئوليات والوظائف ولكن المرأة فى الواقع تختلف عن الرجل كل الاختلاف فكل خلية من جسمها تحمل طابعا أنثويا، وهكذا تكون أعضاؤها المختلفة بل أكثر من ذلك حال نظامها العصبى.

إن قوانين وظائف الأعضاء محدودة ومنضبطة كقوانين الفلك حيث لانملك إحداث أدنى تغيير فيهما لمجرد الأمنيات البشرية. وعلينا أن نسلم بها كما هى دون أن نسعى إلى ماهو غير طبيعى، وعلى النساء أن يقمن بتنمية مواهبهن الفطرية، وأن يبتعدن عن تقليد الرجال (١) أ. هـ.

ويقول المفكر الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد:

ومن الاختلافات الجسدية التى لها صلة باختلاف الاستعداد بين الجنسين أن بنية المرأة يعتريها الفصد كل شهر، ويشغلها الحمل تسعة أشهر، وادرار لبن الرضاع حولين قد تتصل بما بعدها فى حمل آخر، من الطبيعى أن تشغل هذه الوظائف جانبا من قوى البنية، فلا تساوى الرجل فى اعماله التى يوجه إليها بنية غير مشغولة بهذه الوظائف الأنثوية.

وينبغى أن تظهر هذه الحقيقة بغير مشقة عند الموازنة بين استعداد البنيتين وأحرى أن تكون ظاهرة مفهومة عند الذين يدينون بالآراء المادية، ويربطون بين قوى الجسد وكل قوة باطنة أو ظاهرة فى الإنسان، وسائر الأحياء. وليس من اللازم أن يتعلق الاختلاف بالحالة التى تشتغل فيها بنية المرأة بتلك الوظائف والأعمال فعلا، لأن الإستعداد لها مركب فى الطباع، معقود بتكوين الخلايا الدقيقة، فضلا عن الجوارح والأعضاء، بل من الطبيعى أن يكون للمرأة تكوين عاطفى خاص لايشبه تكوين الرجل لأن ملازمة الطفل الوليد لاتنتهى بمناولته الثدى وإرضاعه، ولابد معها من تعهد دائما ومجاوبة شعورية تستدعى شيئا من التناسب بين مزاجها، ومدارج حسه وعطفه، وهذه حالة من حالات الأنوثة شوهدت كثيرا فى أطوار حياتها منذ صباها

---

(١) من كتاب (الإسلام أنصف المرأة) د. عبد الغنى عوض الراجحى العدد ٢٠٥ من سلسلة دراسات فى الإسلام التى يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

الباكر الى شيخوختها العالية، فلا تخلو من مشابهة للطفل فى الرضى والغضب، وفى التدليل والمجافاة، وفى حب الولاية والحدب، ممن يعاملها ولو كان فى مثل سنها أو سن أبنائها.

وليس هذا الخلق مما تصطنعه المرأة وتتركه باختيارها، إذ كانت حضانة الأطفال تتمة للرضاع، تقترن فيها أدواته النفسية بأدواته الجسدية ولا تنفصل إحداهما عن الأخرى، ولاشك أن الخلائق الضرورية للحضانة وتعهد الأطفال الصغار أصل من أصول اللين الأنثوى الذى جعل المرأة سريعة الانقياد للحس والاستجابة لعاطفة يصعب عليها مايسهل على الرجال من تحكيم العقل، وتغليب الرأى وصلابة العزيمة، فهما ولاشك مختلفان فى هذا المزاج اختلافا لاسبيل الى المماراة فيه.

وبعض هذه الفروق فى استعداد الجنسين كافٍ لشرح معنى (الدرجة) التى تميز الرجل على المرأة فى حكم القرآن، فهو معنى أقرب، إلى الوصف المشاهد منه إلى الرأى الذى تتعدد فيه المذاهب، فلا يعدو تقرير الواقع من يرى الجنسين سواء فيما لهما وما عليهما إلا درجة يمتاز بها الجنس الذى يملك زمام الحياة الجنسية بحكم الطبيعة والتكوين (١) أ. هـ.

ويقول أيضا المفكر الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد فى كلمات تستحق التأمل:

ومن ظلم الرجل ألا تكون له مزية فى الحقوق الاجتماعية وهو أقدر عليها من المرأة كيفما اتفقت الآراء، فمهما يبلغ من غلو المتحدثين بالمساواة فهم على الأقل لاينكرون أن الرجل يقدر على أعمال كثيرة فى خارج بيته لاتقدر عليها المرأة ولو فى بعض الأوقات التى تشغل فيها بالحمل والحضانة وتدبير البيت.

ومن ظلم الرجل أن تنكر عليه العزيمة والإرادة ومايتبعهما من وجوب الطاعة فى بعض الشئون إن لم يكن فى معظم الشئون، فتركيب خلقه هو تركيب المريد وتركيب خلق المرأة هو تركيب الملبية او الموافقة للإرادة الأخرى، وما كمن فى

(١) من كتاب (المرأة فى القرآن) عباس محمود العقاد- دار الهلال.

دخيلة الجنس منذ الأزل هيهات تبدله أقوال المجالس، وصفحات الكتب ونصوص الدساتير.

وكل نظام اجتماعي ينبي على هذا « الظلم » عبث وضلالة، فلعل صلاح المذاهب للدوام لا يعرف من دليل حاسم كما يعرف من دليل الفوارق السرمدية بين الجنسين، ومن لغو القول أن يسهب الباحثون في حقوق المرأة بعد أن تتيسر لها رعاية البيت وتنشئة الجيل الجديد، فهذه الحقوق فضول لاتريده المرأةولاترحب به إذا جاءها بغير سعي منها.

ومن الثقاة الراسخين في علم الحياة اثنان يعتمد على ذكائهما كما يعتمد على تجربتهما في هذا الموضوع وهما « سير آرثور ثورمسون » «وسيرباتريك جيدس » صاحبا كتاب « تطور الجنس » وغيره من المراجع المعتمد بها في علم الحياة.

فهذان العالمان الجليلان ينزلان بالفارق بين الجنسين إلى قرارة المادة الحية التي تتمثل في النبات، ويوشك أن يجعلا في الأنوثة شيئا من النباتية التي تمكث في موضعها وفي الذكورة شيئا من الحيوانية التي تنفق من مادتها بالحركة.

إن التفرقة عندهما بين الأنوثة والذكورة كالتفرقة بين التجميع والتصريف، أو بين الاختزان والاحتراق أو بين الاحتجاز والاندفاع.

فالذكورة في حالة البنية الى تتطلب احتراقا أعنف وأقرب إلى الاطراد من الأنوثة، والأنوثة هي حالة البنية التي تتطلب تجميعا للغذاء أهدأ وأقرب إلى القرار من الذكورة.

أو هما يفترقان بنزعة الإحتجاز، ونزعة الاندفاع، ولنا أن نترجمها بالتفرقة بين التلبية والاقتحام.

وكأنما قال العالمان أن الرجل حي النزعة في مجمل صفاته وإن المرأة نباتية النزعة في مجمل صفاتها.

وهاهي لاتزال منذ درجت من الحياة الأولى « تلك الشجرة » التي تبسط زهرتها وهي في مكانها لتتلقى فيها اللقاح على جناح الهواء.

فالعلماء يرجعون بالاختلاف بين مزاج الذكورة ومزاج الأنوثة فى جسدى الرجل والمرأة إلى الهرمون الذى تفرزه الغدد الصماء وهو سائل شفاف يسرى فى الجسم من غدد ثلاث توجد فى أجسام الأحياء الفقارية، إحداها الغدة الدرقية والثانية الغدة النخامية، والثالثة الغدة الكظرية، وهى عظيمة الأثر فيما يشاهد من الأختلاف بين أجسام الذكور والإناث بعد سن البلوغ، ومتى تشخصت الذكورة والأنوثة ظهر الفارق الأكبر فى تركيب الخصية وتركيب المبيض فاختص الرجل بإفراز المنى واختصت المرأة بافراز البويضات.

ان الجنس محدود الفوارق منذ الخلية الأولى، وإن هذه الفوارق كائنا ماكان اسمها ترجع إلى فارق واحد يلخصها بأجمعها، وهو مزيد من الإقدام فى جانب الذكورة ومزيد من الإحجام فى جانب الأنوثة، أو مزيد من الإرادة يقابله مزيد من التلبية، أو مزيد من التصريف والحركة يقابله مزيد من التجميع والدعة.

والباحثون يسجلون درجات من الفوارق بين الرجل والمرأة تتفاوت فى الظهور بين ماهو ظاهر من اللمحة الأولى الى مايظهر بعد كثير من البحث أو قليل: وأشهر من تكلم فى هذه الفوارق هو الباحث الأنجليزى Havelook Ellids هافيلوك إليس فى كتبه الكثيرة وبخاصة كتابه (الرجل والمرأة ودراسة الخصائص الثانية والثالثة بينهما).

وهوكتاب تناول فيه الفوارق التى تبدو من المشاهدة والفوارق التى تبدو بعد الفحص والتحليل فى كل جزء من اجزاء البنية الإنسانية. مما يضيق بنا المقام هنا لو شرحناه او لخصناه، ولكننا نلم بالفوارق الذهنية أو الفوارق النفيسة فتجتزئ منها ببعض الملاحظات التى تدل على سائرها.

فمنها ولعله أهمها ـ أن النساء الموسومات بالعبقرية لم ينبغن مستقلات بأنفسهن أو بمعزل عن رجل يعتمدن عليه: فمدام كورى أشهر النابغات فى ميدان العلم كانت زوجة رجل من كبار العلماء يشاركها أو تشاركه فى بحوثها وآرائها، ومسز براوننج الشاعرة الإنجليزية نظمت أجمل قصائدها وهى زوجة للشاعر روبرت

بروننج.. وجورج اليوت كتبت افضل رواياتها وهى فى عشرة لويس صديقها المأثور لديها.. واللادى ويلك كتبت الدراسة العلمية حين كانت زوجة للعالم الأديب مارك باتيسون، وكتبت السياسة والإدارة حين أصبحت زوجة رجل من رجال السياسة والإدارة.

وأشار هافلوك إليس إلى تجارب الباحثين بأنحاء القارة الأوروبية فيما بين الرجل والمرأة من الفوارق الذهنية والنفسية، فكانت خلاصتها أن المرأة مطبوعة على الوصول الى النتائج بالحيلة والتحسس وخفة التناول والتنفيذ وأن الرجل يقابل ذلك بالاتجاه الصريح والنفاذ والتصميم.

وممن درس هذا الموضوع على الطريقة العلمية الأستاذ أرنست كرتشمر أستاذ الأمراض النفسية والعصبية بجامعة ماربورج، فألمع فى كتابه (نفسيات العباقرة) إلى النساء اللائى اشتغلن بالفنون ولخص رسالة موبياس الذى خص القول بالموسيقيات لأن المرأة لم تعطل قط عن تعلم الموسيقى والعزف على آلاتها.. قال:

ومع هذا لم يبق من أسماء نابغات الموسيقى إلا الأسماء التى كانت تتصل ببعض الرجال كاسم كلارا شومان زوجة شومان الموسيقى العالمى المعروف وفانى مندلسن أخت مندلسن وكورو ناشروتر صديقه جيتى، وغيرهن على هذا المنوال، وذكر الشاعرة الألمانية انيت فون درست هلشوف. فقال إنها كانت أقرب الى الرجولة فى مزاجها وكلامها.. وكانت تتزيا بأزياء الرجال وتتمنى فى بعض شعرها لو كانت صيادا منطلقا بالعراء، أو جنديا مقاتلا أو رجلا على الأقل.. ولم تنظم قط فى عواطف الأمومة، أو وصف الطفولة أو حنين المرأة الى الحب والألفة البيتية وما شابه ذلك من معارض الشعر التى يكلف بها النساء، واضاف الى ذلك هذا النزوع الى التشبه بالرجال والتزيى بأزيائهم مشهود مطرد فى نساء التاريخ المشهورات مثل اليصابات ملكة انجلترا، وكاترين قيصرة الروس، وكرستينا ملكة السويد، فهن ينبغن فى اقتدارهن على بعض اعمال الرجال بمقدار ماينقص فيهن من صفات الأنوثة، لابمقدار مايزيد ويفضل على الحاجة اليه.

وأسلم مايقال فى هذا الباب، ولايقبل الخلاف عليه أن فاصل الجنس موجود، وأن هناك صفات ذكورة وصفات أنوثة لا التباس بينهما حين تنعزل وتتمادى الى طرفيها، ومن خير بنى الإنسان أن يصان لهم هذا التنويع فى الصفات على اختلاف ألوانها، لأن التنويع زيادة فى ثروة الإحساس وزيادة فى ثروة الحياة. وزيادة فى الأعمال التى تستطاع فى كل حالة من هذه الأحوال، وترتقى إلى غايتها من الإتقان كما يرتقى كل شيء الى غايته بالتخصيص وتوزيع العمل فيه.

وإن الجنس لم يخلق ليزول ويتشابه الجنسان:

ولكنه خلق ليبقى ويتعاون جانباه على إتمام حياة الإنسان (١) أ. هـ.

وهذه السطور تلقى الضوء على مزيد من الفروق بين الرجل وبين المرأة.

وقد تتصف المرأة بالشجاعة، ولكنها لاتأتى بها إلا من جانب الانفعال أيضا وهذه جان درك مضرب الأمثال فى الشجاعة بين النساء تملكها شعور عميق إذ إستولت على مجامع حواسها عقيدة دينية قد تمكنت منها أيما تمكن. واختلت اعصابها حتى خيل لها أنها كانت تلمح القديسين الغابرين، وتسمعهم يكلمونها، وما كذلك يعنون بالشجاعة، وإنما هذا هوس يأخذ بالألباب ويضل الصواب.

أما ماقيل عن زنوبية وحصافة فكرها وجلدها وقهرها وشهواتها فلا أعلم أهو صدق أم كذب. على أن استثناء امرأة واحدة من سائر بنات جنسها فى كل هاته الأجيال والقرون، شذوذ آراء يؤيد القاعدة ولايفندها.

هذا الضعف الذى يلازم المرأة أبدا قد جعلها قليلة الركون الى نفسها عظيمة التعويل على غيرها، وصغرها فى نفسها فصارت لاترى لها قدرا إلا فى نظر الناس إليها، وإنها لتتعلق لهذا السبب بمن يعرض عنها، ولايحفل بها لأنها تحسب إعراضه نقصا فيها على كل حال، وكثيرا ماتعالج استمالة ذلك المعرض عنها لتزيل ماعلق بخاطرها من ريب فى قوة جمالها، ونفوذ سلطانها والويل لمن تعلم أن لها شأنا كبيرا عنده. فإن فى الإعجاب بها كل غايتها من الرجل، فإذا وثقت من ادراكها عنده لم

(١) من كتاب (هذه الشجرة الإنسان الثانى) عباس محمود العقا ـ مكتبة غريب. (بتصرف).

يبق لها شأن معه، وفرغت منه لتنظر تأثير جمالها فى سواه. ولعل هذا الذى يجعل المرأة أحيانا تستصغر نفسها مع الزوج الفاسق، وتستصغر الزوج الصالح معها.

ولا رأى لها فى الرجال من تلقاء نفسها.. وإنما رأيها فى الرجل هو رأى الرجل فى نفسه. ولهذا كان اكثر الرجال توفيقا عند النساء اشدهم اغترارا وزهوا، حتى لقد وجدت المرأة ترى الجمال فيمن يراه لنفسه.. وإن كان الجمال من الأشياء المحسة بالبصر.. ولكنها لاتستطيع إلا أن تسلم باعتقاد الرجل الذى تمكن من الغلب عليها باعتداده بذاته، وقلة اكتراثه لرأيها فيما قد اعتقد لنفسه من المزايا والصفات.

وإذا شاهدتها تصبو إلى بعض المشاهير، وأصحاب الصيت البعيد من العلماء أو الكتاب. فذلك لهذا السبب ايضا، أى لأنه لا رأى لها فى الرجال من تلقاء نفسها، فإنها تسمع قول الناس فى الرجل فتتخذه رأيا لها، فهى إما تؤمن باعتقاد الرجل فى نفسه أو باعتقاد الناس فيه، ولا ترجع إلى نفسها إلا قليلا، وأنا لا أعلم مثالا لهذا القليل.

وقد اشتهرت المرأة بالرياء، وهو من علائم ضعف الثقة بالنفس أيضا، فيتظاهر المرء بما يروق الناس، ويوافق آراءهم ارتيابا منه فى نفسه واستصغارا لرأيه وحقيقة شأنه، فما أشد خطل الذين يعتمدون كل الاعتماد على اختيار المرأة فى إصلاح الزواج وتحسين نوع الإنسان.

قال شوبنهور: « المرأة تؤدى مافرض عليها فى الحياة لا بما تنجز من الأعمال، بل بما تقاسى من الأوجاع، فعليها مكابدة آلام الحمل والوضع والسهر على الطفل وخدمة الرجل الذى ينبغى أن تكون له رفيقا صابرا مؤنسا »

وقال: « لقد ركب فى غريزة النساء مايجعلهن صالحات لحضانة الإنسان طفلا وهن معلمات صباه ورفيقات أيامه الأولى ـ ذلك لأنهن كالصغار صبيانات الأميال خفيفات الأحلام.. قصيرات النظر وأنهن لايفتأن لاهيات، فلاتزال المرأة طفلة كبيرة الجسم فى كل أدوار حياتها »

وما ظلمهن شوبنهور، فهن كما قال لايخرجن من طور الطفولة أبدا ولهن فى كل دور من أدوار الحياة ألاعيب وفلسفة تناسب ذلك الدور. فهن أبدا صغيرات وإن شبت بأجسامهن الأعوام.

فالمرأة لها من أخلاق الطفل غيرته المضحكة، ونزقه السريع، واستغراقه فى الحاضر الذى بين يديه، وقصور نظره على الظواهر والقشور، ومرحه، وغرارته، ونفوره مما يهم ويصلح، ومحاكاته كل مايراه، وتعويله في كافة أموره على سواه. وتقلبه «وكذبه، ورياؤه، وأثرته، وولعه باستطلاع المضمرات والأسرار، وجشعه، وطمعه، وموجدته، وافتتانه بالثناء والإطراء.

تلك أخلاق لا أحسب أن رجلا لم يتبين بعضها أو كلها فى نفوس عامة بنات حواء [1] أ. هـ.

وماذا عن تأثير الحلى على المرأة؟.. يجيبنا العقاد فيقول:

إن الحلى لتفعل بالمرأة وعقلها فعل السحر، وتبلغ من نفسها مالايكاد يصدقه الرجل، وكم سمعنا أن عقدا أطاح جيدا، وأن جوهرة أضاعت جوهرة عرض وسلبت زينة عفاف، وأن إكليلا أطاش رأسا وأطار صوابا وحلة أضنت جسدا وأورت كبدا [2] أ. هـ.

---

(١) ،(٢) المرجع السابق.

..... والآن ترى من الذى ينال الحظوة عند المرأة؟

[.. المرأة مادية فى رغباتها ومقاصدها. فقد يحتل الرجل عن حالة بالفلسفة كما يقولون، وتأبى هى أن تتجاوز ببصرها الواقع الملموس.

وقد يجل الرجل عظيماً زرياً، ولا ترى المرأة فيه إلا ما يضحك منه، ويتنادر عليه.

وهناك رجل من زمرة أسميها قرود النساء. لا هو بالغنى الوسيم ولابالغنى الكريم، ولكنه ذو حظوة عند المرأة ـ ذلك رجل سبر طباعها وخبر تقلبات أهوائها. فعرف ما يضحكها ويعجبها. وما يسرها، ويحببها فيتلاعب بعواطفها ـ يأتيها من جانب غروها اليوم، وفى جانب غيرتها غداً، ومن جانب مشتهياتها، وهواجسها مرة اخرى، فتستملح عشرته وتستطيب حديثه. وما أقرب مابين الحب والإستحسان فى قلوب النساء.

وإنا لنسمع عن نفور زوجات العلماء والعقلاء من أزواجهن، وتبرمهن بعشرتهم. وما لذلك فى سبب إلا أنهم لا يتنزلون إلى إرضاء صغائر المرأة ولا يحسنون ما يحسنه هؤلاء القرود.

فليس أحظى عند المرأة من هؤلاء الثلاثة:

فتى ذو جمال. أو صاحب مال ونوال. أو خلب نساء ختال.

تتخيرهم وتقدمهم على سواهم. وما هم بأطيب الازواج ولا بأحسن الأباء ولا بخير الرجال.][٢] أ. هـ.

ويضع العقاد الأمور فى نصابها ويحددها تحديداً دقيقاً حينما يقول:

[لئن كانت المرأة ضعيفة الحول. قاصرة العقل. ضئيلة الاخلاق، والصفات فليس معنى ذلك أنها لاتصلح لشئ من الاشياء. أو ان العالم فى غنى عنها اليوم او سيكون غنياً عنها فى يوم من الايام. بل معناه أنها إذا خرجت عما حدها، وكانت قد حلت فى غير الموضع الذى ينبغى لها.

.... وليس الغرض أن لانحترم المرأة فنهينها، أو نرى ان ضعفها يستوجب

(١) من كتاب (هذه الشجرة والانسان الثانى) عباس محمود العقاد. (٢) المصدر السابق.

قهرها والحجر عليها. بل نحن لا ننسى أنها في كل حالاتها أم لنا أو أخت أو بنت أو زوج أو ذات قربى. فالمروءة بل الضرورة تقضي علينا أن نرأف بها كما نرأف برفيق لا غنى لنا عنه.

....

للمرأة واجب ندبتها له الطبيعة. إذا هي قامت به فليس بضائرها بعد ذلك بعدها عن مفارقات الأرزاق، ومشاغل الأسواق.

فهذا المجتمع معركة ضروس. والنساء فيه آسيات جروحه، وضامدات كلومه، وجابرات كسورة ـ فيكف به وقد طرح آسياته المراهم واللفائف. وتبدلن منها الخناجر والقذائف. ثم برزن للنضال بين المتناضلين ـ أعوذ بالله!. أن المجتمع ليكونن ساعتئذ كأنه قطيع من الذئاب قد أضراه الجوع والسعار فانبعث عادياً عاوياً يتخطف كل من مسه الكلال في بعض الطريق.

قال بيرون: « من صدر المرأة تستروح أول نسمات حياتك، ومن بين شفتيها تلتقط أحدث ما تتمتم به من حروف كلماتك، وإنها لتمسح أول ماشدى به عينك في العبرات. ثم إنها لتتلقف آخر ما يصعده الانسان من زفرات يوم يعرض عنه العواء ساعة الأجل».

ولكن المرأة لا تود اليوم أن تكون أما أو زوجاً، ولا يحلو لها ان تخفف لوعة الحزاني وترفه عن المتعبين، لأنها ألفته عملاً لا يحسن إلا بالجواري والإماء، ولقد تابعتها بعض الحكومات في هذه البغية، وطاوعتها في الطموح إلى ما تدعوه بالحرية فأباحت لها من المناصب والاعمال ما كانت لا تبيحه من قبل لغير الرجال، وكلها تجارب واطوار سوف تقضي يوما لاى الجاره المثلى والغاية الحسنى وتنتهى لا محالة إلى لم شمل العائلةوحفظ كيانها سواء على الوضع المألوف او على وضع أخر مستحدث.] [(1)]أ.هـ.

.. نعتقد ان العقاد هكذا قد حدد حدود القضية تحديداً واضحاً لا لبس فيه غموض فالمرأة إما أم لنا أو أخت أو زوج أو ذات قربى وليست هناك أية نية للتفريط

---

(1) المصدر السابق. بتصرف

فى مكانتها فى المجتمع وكل المطلوب أن ندرك ان هناك فروقاً عميقة غائرة بين الرجل وبين المرأة.

وسعادة المرأة ان تلعب الدور الذى يناسب طبيعتها وهو دور غاية فى الاهمية.. إن قامت المرأة به داخل المنزل، فهى لم تغب عن العالم الخارجى والتأثير فيه وما أرفع قول من قال: إن المرأة التى تحرك مهد طفلها بيمنها تحرك العالم بيسارها.

وإليك هذا الجزء من فتوى لجنة الفتوى بالازهر حول نفس النقطة:

[إن المرأة بمقتضى الخلق والتكوين مطبوعة على غرائز تناسب المهمة التى خلقت لأجلها وهى مهمة الأمومة وحضانة النشئ وتربيته وهذه قد جعلتها ذات تأثير خاص بدواعى العاطفة وهى مع هذا تعرض لها عوارض طبيعية تكرر عليها فى الاشهر والاعوام من شأنها ان تضعف قوتها المعنوية وتوهن من عزيمتها فى تكوين الرأى والتمسك به، والقدرة على الكفاح والمقاومة فى سبيله، وهذا شأن لا تنكره المرأة فى نفسها.

ولا تعوزنا الأمثلة الواقعية التى تدل على ان شدة الانفعال والميل مع العاطفة من خصائص المرأة فى جميع اطوارها وعصورها.

فقد رفعت هذه الغرائز المرأة فى أسمى بيئة نسوية الى تغليب العاطفة على مقتضى العقل والحكمة.

وآيات من سورة الاحزاب: تشير الى ما كان من نساء النبى ـ ﷺ ـ وتطلعهن الى زينة الدنيا ومتعتها، ومطالبتهن الرسول ان يفرق عليهن مما أفاء الله به عليه من الغنائم، حتى يعشن كما تعيش زوجات الملوك او رؤساء الامم. لكن القرآن قد ردهن الى مقتضى العقل والحكمة فى ذلك ﴿ **يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما** ﴾ [٢٨/٢٩ الاحزاب]

وآية اخرى من سورة التحريم تتحدث عن غيرة بعض نسائه عليه الصلاة والسلام وما كان لها من الاثر فى تغليبهن العاطفة على العقل، مما جعلهن يدبرن ما يتظاهرن

به على الرسول ـ ﷺ ـ وقد ردهن القرآن الى الجادة ﴿ **إن تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل و صالح المومنين والملائكة بعد ذلك ظهير** ﴾ [٤/التحريم]

هذه هى المرأة فى أسمى البيئات النسوية لم تسلم من التأثر الشديد بداعى العاطفة، ولم تنهض قوتها المعنوية على مغالبة نوازع الغيرة مع كمال إيمانها ونشأتها فى بيت النبوة والوحى، فكيف بإمرأة غيرها لم تؤمن إيمانها ولم تنشأ نشأتها، وليس لها ما تطمع به ان تبلغ شأوها او تقارب منزلتها؟

فالحق ان المرأة بأنوثتها عرضة للإنحراف عن مقتضى الحكمة والاعتدال فى الحكم وهذا هو ما عبر عنه الرسول ـ ﷺ ـ بنقصان العقل ورتب عليه. كما جاء فى القرآن الكريم.. ان شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل.

وقد بنت الشريعة على هذا الفرق الطبيعى بين الرجل والمرأة التفريق بينهما فى كثير من الاحكام:

جعلت القوامة على النساء للرجال ﴿ **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض** ﴾ [٣٤/النساء] وجعلت حق طلاق المرأة للرجل دونها، ومنعتها السفر دون محرم او زوج او رفقة مأمونة ولو كان سفرها لأداء فريضة الحج، وجعلت لها حق الحضانة للصغار دون الرجل وأوجبت على الرجل حضور الجمعة والجماعات والجهاد ولم توجب عليها شيئا من ذلك.] (١) أ.هـ .

ويقول الاستاذ توفيق محمد سبع:

[نؤكد ان اختلاف الطبيعتين هو اساس اختلاف الوظائف فى الحياة وهذا الاختلاف عام شامل يستتبع من غير شك اختلافا فى الوظيفة وفى نوع التعليم.. والقوامة على الاسرة وظيفة نوعية قال تعالى: ﴿ **الرجال قوامون على النساء بما**

---

(١) جزء من فتوى لجنة بالازهر فى الحقوق السياسية للمرأة وكان رئيس هذه اللجنة يومئذ محمد عبد الفتاح العنانى وصدرت هذه الفتوى بتاريخ يونيو عام ١٩٥٢ . عن كتاب (من اين نبدأ) عبد المتعال الصعيدى، مكتبة الخانجى بمصر ومكتبة المثنى ببغداد..

فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾ فالرجل يحكمه عقله والمرأة تغلبها عاطفتها والرجل لديه قوة الاستعداد والتحمل للامور الشاقة والاعمال الهامة لديه الطاقة بحكم تكوينه وطبيعته.. لديه كذلك الثبات الذى لا يجعله متقلب الرأى.. وقد خص كذلك بالرسالات والنبوات وقيادة الحروب ومجالس القضاء..

وعلماء النفس والتشريح يؤكدون الفوارق الهائلة بين تكوين الرجل والمرأة مما يجعل التسوية بينهما فى العمل والوظيفة وبرامج التعليم امراً متعسفاً وغير مقبول..

يقول الفيلسوف انكسيس كاريل موضحا هذه الفوارق:

«ان الإختلافات الموجودة بين الرجل والمرأة لا تأتى من الشكل الخاص للأعضاء التناسلية ولا من الرحم والحمل او من طريقة التعليم إذ انها أكثر اهمية من ذلك، انها تنشأ من تكوين الانسجة ذاتها ومن تلقيح الجسم كله بمواد كيمائية يفرزها المبيض، ولقد ادى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية عن الانوثة الى الاعتقاد بأنه يجب ان يتلقى الجنسان تعليماً واحداً، وان يمنحا قوى واحدة ومسئوليات متشابهة، والحقيقة ان المرأة تختلف إختلافا كبيراً عن الرجل فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها والامر كذلك بالنسبة الى اعضائها وفوق كل شئ بالنسبة لجهازها العصبى».

ثم يتابع حديثة قائلا: فعلى النساء أن ينتمين لطبيعتهن من غير محاولة تقليد الذكور فإن دورهن فى تقدم الحضارة أقوى من دور الرجال.. ونحن مضطرون الى قبول المرأة كما هى.. ان أهمية وظيفة الحمل والوضع بالنسبة للام لم تفهم حتى الان بدرجة كافية مع ان هذه الوظيفة هامة لإكتمال نمو المرأة ومن ثم فمن سخف الرأى ان نجعل المرأة تتنكر للأمومة ولذا يجب الا نلقن الفتيات التدريب العقلى والمادى الذى يتلقاه الفتيان. ولا ان نبث فى عقولهن من المطامع ما يتلقاه الذكور. يجب ان ان يبذل المربون إهتماماً شديداً بالخصائص العضوية، والعقلية فى الذكر والانثى.. كذلك يجب التفرقة بين الجنسين فى الوظائف ما دام هنالك إختلافات لا تنكر بينهما..

إنه يجب عمل الحساب الدقيق لكل هذه الفوارق فى إنشاء عالم متمدين»

وهذا كلام رائع يلقى الضوء على العلة التى من أجلها ترتبط المرأة بالاسرة - لأنها وظيفتها الاولى بحسب تكوينها النفسى والعضوى والمزاجى والواجدنى.. كما قرر هذا الفيلسوف - وقد أشار ايضا الى ان طريقة التعليم يجب ان تختلف من الذكور الى الاناث تبعاً لإختلاف الطبيعى.... ومن الظلم لهما ان يدرسا دراسات واحدة ويترتب على ذلك إختلاف وظائفهما تبعاً لذلك كله.

إن المرأة هى المرأة بخصائصها وطبيعتها التى خلقتها الله، وليس لنا ان نغير ما خلق الله فإذا كنا نسمع لجاجاً وجدلاً فى مساواة المرأة بالرجل لتشغل كل وظائفه.. وإذا كانت المرأة تتعصب لذلك فهل لها ان تغير ما خلق الله؟ او تزيل من نفسها خصائص الانوثة لتستبدلها بخصائص الرجولة.. وهل هى فى حاجة الى مزيد من الوظائف حتى تطالب بتلك المساواة؟.. ان بيتها وأطفالها اولى بهما واحق وقديما قيل: المرأة التى تحرك المهد بيمينها تستطيع ان تحرك العالم بيسارها! وذلك إعزازاً لرسالتها وإعترافاً بأهمية دورها.

... وقد أكد هذا الفيلسوف على امرين خطيرين ... وهما ان يتعلم الشبان خلاف ما يتعلمه الشابات وذلك يدعو الى تخطيط المناهج على هذا الاساس إحتراماً للإختلاف الجوهرى فى الطبيعة.

والامر الثانى ان تختلف وظائفهما فى الحياة.. والمجتماعات التى سمحت للمرأة ان تعمل فى كل الميادين وأباحت الاختلاط المطلق قد جنت من وراء العار والخزى.. ومع ذلك فلم تستطع ان تظفر من المرأة بالانتاج المطلوب ولا بإحترام اوقات العمل.. فإجازاتها العارضة والطبيعية تفوق الحصر.. وما أكثر ما ينتابها من مفأجات الحيض والوضع والمرض!

وكل ذلك يستهلك قواها ويضعف بنيتها ويجعلها عاجزة عن الوفاء بحجة الوظيفة.

وهناك محاولات بذلت لتلافى هذا التقصير ولكن دون جدوى، وستظل المرأة

هى المرأة، وهل يمكن ان يخلو جو العمل الذى يسوده الاختلاط من وجود علاقات؟ وهذه العلاقات خليقة ان تفسد جو العمل..

وهناك ماهو اخطر، وهو ان المرأة التى تشغل وظيفة كهذه لا يمكن ان تنهض معها بعبء البيت.. وتربية الاطفال..

إن جو الاسرة لا يمكن ان يسوده الاستقرار إلا اذا تفرغت له الام، وأية محاولة غير هذا فهى فاشلة.. وسلوا ازواج الموظفات.. على ان المقابل الذى تحصل عليه المرأة من وظيفتها تنفق معظمه على المظهر والزينة ثم تحاول ان تخلق لبقية مرتبها ابواباً للنفقة بحيث لا تنتفع ميزانية الاسرة منها بشئ.. ورغم هذا فإنها تستعلى على زوجها لانها موظفة مثله!!.

وكم خربت بيوت، وتحطمت اسر، وشرد اطفال من جراء هذا. والاسلام من اجل ذلك يحيط الاسرة بسياج من التصوف والعفاف وإلتزام البيت كوظيفة اساسية للمرأة، ومنع الإختلاط لتعيش فى مأمن من التيارات والمفاسد..

وهذا هو سر تماسك الاسرة المسلمة، فى حين ان المجتمعات الاخرى قد تفككت فيها الاسر بسبب الاباحية والاختلاط وهجر البيت!.

إن جذب المرأة الى الوظائف عمل عدوانى ضد طبيعتها.. وضد الوطن وضد الدين وهروب من واجب مقدس هو تربية الاطفال، وتنشئة الاجيال.. فلتعد المرأة سريعاً الى بيتها راضية بما قسم لها.. لتملأ البيت بالسحر ولترش فى جنباته العطر.. ولتسعد بحنانها الطفل، ولترعى بقلبها شئون الاسرة، وذلك اشرف وظائف المرأة[1] أ.هـ.

....

..... هكذا إستمعنا الى كلمات العالم الطبيب الكسيس كاريل الحائز على جائزة نوبل، كما إستمعنا الى كلمات فضيلة الشيخ توفيق محمد سبع، ونظراً لان

---

(١) من كتاب (نفوس ودروس فى إطار التصوير القرآنى) توفيق محمد السبع العدد ٣٤ من سلسلة البحوث الاسلامية التى يصدرها مجمع البحوث الاسلامية. (بتصرف).

كل منهما توخى الاستماع الى صوت الحكمة والعقل ومراعاة الفروق الظاهرة والباطنة بين الرجل والمرأة وهى فروق غائرة عميقة لا سبيل الى انكارها.. نظراً لذلك فقد إلتقى رأى العالمين المفكرين عند نتيجة واحدة تنسجم مع العقل وتتفق مع المنطق وتطابق ما جاءت به الشريعة السمحة العزاء..

فيا أيتها المرأة التى تريد السعادة وتلهث وراءها اعلمى انك لا تناليها أبداً إذا خالفت الطبيعة والخلقة الفطرية التى تعيش بين جنبيك ولن يقدر لك ان تذوقى طعمها اذا ركبت رأسك فجعلك العناد تسبحين ضد التيار.. تيار خلقتك وطبيعتك التى فطرت الخالق البارئ عليها، أما اذا اصغت السمع الى صوت العقل والمنطق وطبيعة الاشياء وقبل ذلك كله صوت الحكمة التشريعية، فحينها يصبح من واجبنا ان نقول لك هنيئا مريئاً قطوف السعادة التى ستستمتعين بها.

يقول الاستاذ عباس محمود العقاد حول نفس النقطة:

[﴿ **ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة** ﴾

فلم تأت العصور بإتصاف للمرأة أصوب من هذا الانصاف فليس المهم ان تساوى الرجل فى كل شئ وان يكون لها مثل حقوقه ومثل واجباته، لان المماثلة مع الاختلاف ليست هى الصواب وليست هى الانصاف. ولكن المهم ان تكون حقوقها مساوية لواجباتها وان يكون لها مثل ما عليها والا تظلم فى حياتها الخاصة والعامة شيئاً ولا يفوتها عمل تصلح له وتحسن أداءه وتغنى فيه غناء الرجل ولايغنى فيه الرجل غناءها وقوام ذلك كله انهن ﴿ **لهن مثل الذين عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة** ﴾ وهى الدرجة التى ينفرد بها الرجال حيث تبطل المشاركة فى الملكات والاعمال.

وانما كان هذا قوام الانصاف فى حقوق الجنسين لانه حكم قائم على الواقع الذى لايتغير اليوم، ولم يتغير قط، ولن يتغير فى الغد مهما تتغير أحكام الشرائع وأقاويل اصحاب الاقوال والآراء.

وكل حكم قائم على إنكار الواقع او المغالطة فيه جهالة تنكشف لا محالة فى يوم

من الايام، وإن لم تنكشف كانت كالداء المكتوم والواقع ان الرجل والمرأة مختلفان .

وان اختلافها حقيقة علمية، وحقيقة تاريخية، وحقيقة حسية، وحقيقة تعرف بالعقل والبداهة.

فالمرأة تخالف الرجل فى وظائف الغدد وفى تكوين الاعضاء وفى شواغل الذوق والاحساس والمرأة تخالف الرجل فى أعمالها وتكاليفها منذ القدم فى جميع الشعوب، ومن قال إن هذه المخالفة من فعل الرجال وسيطرتهم وليست من فعل الطبيعة وسيطرتها فقد قال انها من فعل الطبيعة وليست من فعل الرجال.

والمرأة تخالف فى القدرة حتى حين تشاركه فى العمل الذى تفردت به منذ زمن طويل، فهى منذ زمن طويل تزاول الطهى والخياطة والتجميل والولادة وتندب الموتى وتشيعهم بالبكاء والتعديد، ولكنهما لا تبلغ شأو الرجل فى هذه الصناعات اذا وقعت المزاحمة بينهما فى الطبيبة المولدة، وكل ما نظمته النساء من الرثاء لا يوازن قصيدة من الرثاء الجيد فى شعر الرجال.

والمرأة تخالف الرجل، ولا بد ان تخالفه على سنة الفطرة التى عمت الاحياء، فإن سنة الفطرة لا ترمى الى توحيد العمل بل الى توزيعه وتنويعه، ولا تجعل جنسين ليشتركا فى حقوق واحدة وواجبات واحدة، بل تجعلهما جنسين ليختلفا فى الحقوق كاختلافهما فى الواجبات.

هذه هى الحقيقة وعلى اساسها ينبغى ان تنبنى المذاهب والآراء.

اما الذين يضعون المذاهب والآراء ثم يفسرون الحقيقة على موافقتها فأولئك على باطل ولن تقدم للباطل قائمة فى عالم الطبيعة.

ومن أمثلة المذاهب التى تفسر الحقيقة على موافقتها مذهب الشيوعيين فى التسوية الكاملة بين الرجل والمرأة، فهم يريدون ان يهدموا الاسرة، لان الاسرة فى زعمهم اصل الاستغلال، وان الاستغلال قائم على الاختلاف بين حقوق الرجل وحقوق المرأة ولهذا يجب ان يبطل هذا الاختلاف وان تتقرر المساواة بين الرجل والنساء فى جميع الاحوال وجميع الاعمال.

وهذا تسخير للحقيقة فى سبيل الرأى، وهو وحده كفيل بالقضاء على المذهب الشيوعى وإقتساره عاجلاً او آجلاً على موافقة الحقيقة التى يريد هو ان يقتسرها على هواه .

فليس الانصاف اذن ان يتساوى الرجل والمرأة فى جميع الحقوق والواجبات وهما مختلفان هنا الاختلاف للعيان الماثل للعلم والحس منذ كان الانسان، بل قبل ان يكون الانسان حيث يختلف الذكر والانثى فى عالم الحيوان.

ولكن الانصاف الذى يجتمع فهى حكم الفطرة وحكم الاداب، الانسانية هوان تأخذ من الحقوق كفاء ما عليها من الواجبات، وان تعطى حقوقها وتسأل عن واجباتها بالمعروف ﴿ **ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف** ﴾ لا بالإرهاق والإذلال، فهنالك تهذيب الانسان الى جانب حكم الفطرة وهما خير مناط لانصاف الشرائع والاداب] [1] أ. هـ.

....

..... هل هناك ما يمكن ان يقال بعد هذه الكلمات الناصعات التى بينت واوضحت فلم تترك مجالاً لمزيد.. لقد وضع العقاد النقط فوق الحروف ولم يدع مجالاً لاى غموض او لبس وإستند فى وجهة نظره ورأيه الى آيات من الذكر الحكيم المقنع لكل عاقل أريب..

إنها دعوة منا لكل قارئ وقارئة لكى يعيد النظر ويتأمل بعمق تلك الكلمات ويسعى فى الاتجاه الذى أقرته الشرائع السماوية، وأقره الواقع المحيط بنا.. لان فى ذلك صالح كل رجل وكل إمرأة، وإنسجام وتناغم جميع أفراد المجتمع فى سيمفونية رائعة واحدة.

....

....ونظرا لاننا نعلم ان هناك بعض من يعز عليهم التسليم بوجهة النظر هذه، دون ان يستمعوا الى المزيد حول هذه النقطة، فإنه لما يسرنا ان نستجيب لرغبتهم، فنقدم

(١) كتاب (الصديقة بنت الصديق) عباس محمود العقاد دار المعارف ط١ (بتصرف).

لهم هذا الرأى:

يقول الاستاذ عمر سليمان الاشقر:

[تعرضت هذه الاية من كتاب الله : ﴿ بما فضل الله بعضهم على بعض﴾ لنقد شديد من خفافيش الظلام، وأدعياء التقدم وقالوا ظلم للمرأة وإهانة لها، وقد ضل هؤلاء الذين ينسبون لله الظلم، وخاب سعيهم، ان القرآن يقرر كون شخص ما فيه هو المسئول الاول، كي يحسم الامور اذا لم يحصل الاتفاق وقد جعل الله ذلك للرجل لامرين:

الاول: لانه الذى يتولى الانفاق على البيت والمرأة.

الثاني: لان الله فضله، وهذا التفضيل هو تلك الخصائص التى ميزه الله بها كي يؤدى دوره ويقوم بواجباته.

والذين لايثبتون فروقاً بين الرجل والمرأة يتعامون عن الحقيقة والذين لايرون ان الرجل اقدر على القيادة عماهم اكثر واشد، لقد اثبت علم الاحياء ان التكوين الجسمى فى المرأة غيره فى الرجل، فالتكوين الجسمى فى المرأة، وما يكون فيها من غرد تعدها لخصائص الانوثة فى دقة الخاصرة، وبروز الثديين، ولين الجانب، ورقة العاطفة، ونعومة الملمس، وعذوبة الحديث، وغلبة الحياء، وكثرة الخجل، وقلة الجلد، وضعف التحمل.

والمرأة يأتيها فى كل شهر ما يأتى النساء من المحيض فيسوء الهضم، وتصاب بالآلام فى البطن، وصداع فى الرأس، وتبلد فى الحس، وضعف فى التفكير، وإنفعال فى النفس.. وتحمل فتصاب فى الشهور الاولى بغثيان، وتقيوء، وصدود عن الطعام والشراب، وإنحراف عن المزاج، وكسل وهبوط، وتظل آلام الحمل العادى معها تسعة اشهر، وتشتد وطأتها فى الشهور الاخيرة. فقلا تقوى على الكثير من الحركة، وتشكو آلاماً فى البطن والرأس وتحس بضيق عام يأخذ بخناقها ويفسد مزاجها، ويعكر صفو عيشها، وتضع فتأتى فترة الرضاعة، وتتعرض فى الاسابيع الاولى لكثير من الامراض، وتظل حولين كاملين لمن أراد ان يتم الرضاعة ضعيفة البنية، يتحول ما

تأكله الى لبن يروى ولدها، وتعرف جل وقتها فى حضانته ونظافته[1].

وقد اكتشف العلم الحديث ان الخالق جل وعلا زود كلا من الرجل والمرأة بخصائص تتوافق والهمة التى يقوم بها ففى مقال نشرته مجلة (الديار) تقول سميرة صايغ[2]:

«هناك تباين بين انفعالات دماغ المرأة ودماغ الرجل، وان الاقسام النشطة فى دماغ المرأة تختلف عن الاقسام النشطة فى دماغ الرجل على الرغم من محاولات المرأة التشبه بالرجل». وتقول: «المرأة المعاصرة ترفض النظرية القائلة بان هناك تبايناً بين الرجل والمرأة من جهة القدرة (الفزيولوجية). ومن جهة الكفاءات الذهنية، واليوم تبرز نظرية بل إكتشاف علمي يؤكد ان هناك فعلاً إختلاف بين دماغ الرجل ودماغ المرأة من حيث الكفاءات الذهنية الناتجة عن ذلك الدماغ اى بكلمة اخرى هناك (دماغ ذكر) و(دماغ انثى).

ويقسم العلماء الدماغ البشرى الى قسمين: قسم ايمن، وقسم ايسر ويؤكدون ان القسم الايمن لدى الرجل هو اقوى منه لدى المرأة، ماذا يعنى هذا؟

الدماغ هو عضو مؤلف من انسجة رخوة تتشعب فيها الاوعية الدموية الرفيعة والاعصاب التى تحمل الاحساسات من الخارج الى الداخل، وتحمل اوامر الدماغ الى سائر الاعضاء فى الجسم كى تقوم بوظيفتها.

هذا من الناحية التكوينية للدماغ، اما من ناحية العمل (الفزيولوجى) للدماغ فقد تبين للعلم الحديث ان الدماغ يقسم الى مناطق، ولك منطقة تقوم بمهمة او مهمات معينة».

وقد تأكدت هذه النظرية مؤخراً بعد ان تمكن العلماء من تصوير الدماغ وهو يقوم بوظائفه المختلفة.

وذكرت الكاتبة ان أبرز من عمل فى هذا الحقل هو الدكتور : افيد انغمار

---

(١) نظام الاسرة: لمناع القطان ص ٢٠.

(٢) مجلة الديار عدد (١٠٦) بتاريخ ٥-١١-١٩٧٥.

السويدى الذى يعمل فى جامعة (لوند) فى السويد.

إستعمل الدكتور (إنغمار) غاز (كزينون) الذى يذوب فى الدم ويولد إشعاعات (جاما) وذلك لتصوير الدماغ، وهو يقوم بمهمات مختلفة. فهو يحقن الانسان ببعض(الكزينون) الذى يذوب، وينتقل عبر الاوعية الدموية الى الدماغ، وتنقل صورة ما يحدث فى الدماغ عبر (٣٢) سماعة مثبتة فى أنحاد مختلفة من الرأس، الى (كمبيوتر) يقوم بتحليل تلك الصورة، وتحديد نوعية العمل الذى يقوم به الدماغ فى تلك اللحظة، والركن الذى يصدر عنه ذلك العمل .

ولاحظ الدكتور (إنغمار) ان كل عمل يقوم به الدماغ يصدر من مكان مختلف من الدماغ.. وإذا زادت كثافة ذلك العمل إزدادت الرقعة العاملة من الدماغ دون ان يتغير مكانها.

وأمكن الان تحديد الاماكن التى تقوم بشتى انواع النشاطات فهناك ركن خاص بالقوى النظرية والسمعية وتلك الناتجة عن اللمس.. بينما يتركز الاحساس الناتج عن طريق الشم فى مكان اخر، إن للتفكير زاوية، وللقدرة على النطق زاوية اخرى، وكذلك القدرة على القراءة والحساب، وضبط حركة الجسم العضلية، وتوجد زاوية للانفعال النفسى، اى للغضب والعنف، او العطف والحنان.

وإنطلاقاً من ذلك كله تبين للعلماء ان الشطر الايمن من الدماغ يعمل بصورة انشط لدى الذكر، بينما يعمل الشطر الايسر لدى الانثى بنشاط اكثر من الشطر نفسه لدى الذكر.

هذا وتجدر الاشارة الى انه فى الشطر الايمن تتركز المناطق الخاصة بالاحساس السمعى باللحن والاصوات، وتلك الخاصة بفهم الرسوم وشمول الرؤيا، وتقدير المسافات، والعلاقات بين الرموز.

وهذا ما يفسر إذن تفوق الرجل فى الرياضات والهندسة والموسيقى اى فى المجالات النظرية التى تتعامل بالرموز، وعلاقة بعض تلك الرموز ببعضها الاخر.

اما الشطر الايسر فتركز فهى القوى السمعية الخاصة بالتقاط الكلمات والالفاظ وحفظها ولذلك قراءة تلك الكلمات والاحرف ومن هنا نشأ تفوق المرأة فى المجالات

الادبية وفى التعامل مع الاشياء الملموسة.

سنريهم آياتنا.

ويحق لنا ان نردد قوله تعالى:

﴿ **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق** ﴾

فصل [٥٣]

فالله تعالى ذكر فى كتابه قوله

﴿ **فإن لم يكونا رجلين فرجل وإمرأتان ان تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى** ﴾ [البقرة/٢٨٢]

فجعل شهادة إمراتين بشهادة رجل فيما يتعلق بأمور المال، وها هى البحوث الحديثة التى تغلغلت الى اعماق عقل المرأة، وعقل الرجل لتوضح لنا شيئا من سر هذا التشريع الربانى.

إن هذا التشريع منسجم مع وظائف عقل كل من الرجل والمرأة والله العليم الخبير يشرع لنا ما يحفظ الاموال، وفى حالة الحاجة الى شهادة المرأة يلزمنا بشهادة إمرأتين، وبذكر العلة ﴿ **ان تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى** ﴾ مما يدل على ان استيعاب الرجل لامور المال ورسوخها فى فكرة اكثر واقوى منها عند المرأة.][(١)] أ.هـ.

....

.. ترى هل نحتاج الى تعليق وقد مكننا ما وصل اليه عالمنا اليوم من علم ان نلمس بأيدينا بعضاً من الاسباب العميقة التى إنبنى علهيا حكم الشرع؟

... ويا أيها الذين لم يأن الاوان بعد لإقتناعهم برأى الدين والعقيدة.. ما رأيكم الان وهذا هو رأى العلم يظهر لنا الحقائق صريحة واضحة كأنها الشمس فإذا بها فى النهاية تجئ متفقة تمام الاتفاق مع ما جاء به التشريع الحكيم منذ اكثر من ألف وأربعمائة عام ؟؟ !!

---

(١) عمر سليمان الاشقر فى رسالته (المرأة بين دعاة الاسلام وادعياء التقدم) .. نقلا عن كتاب «المرأة المسلمة» للشيخ حسن البنا . دار الكتب السلفى ط(١) . ص٢٧ ...

....

... والآن إلى الرأى الختامى حول هذه النقطة:

يقول الدكتور عبد المنعم سيد حسن:

[والمتتبع للقرآن الكريم يرى ان الله تبارك وتعالى قد جعل خلق الزوجين الذكر والانثى فى عداد الآيات الكبرى التى يتحتم على عباد الله ان يلتفتوا إليها ليؤمنوا بالله بارئها ومصورها فهو سبحانه يقول بعد ذكر عديد من الآيات والعجائب التى خلقها

﴿ **وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى ۞من نطفة إذا تمنى** ﴾ [٤٦/٤٥ النجم]

فيلفت النظر بهذا القول الى قدرته سبحانه على خلق جنسين متباينين فى الخصائص والمميزات من النطف المقذوفة فى الارحام ويقول:

﴿ **والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى ۞ وما خلق الذكر والأنثى** ﴾

[١ /٣: الليل]

فيقسم سبحانه وتعالى بخلق الذكر والانثى بعد إقامة الليل والنهار للإشارة الى ما ينطوى عليه خلق الجنسين من آيات وعجائب.. من هذه الآيات وغيرها يتضح ان القرآن يهدف الى الوقوف بكل جنس عند حدوده، ومميزاته وخصائصه.

... ومن الناس من ينكرون الفروق الطبيعية بين الرجل والمرأة، وقد تفشت هذه النزعة فى العصر الحديث ولم يكن لظهورها او تفشيها من سبب فيما أقدر إلا ان تتخذ تكأة للدعوة الى الحرية النزقة الزائفة للمرأة والانحاء باللائمة على الدعاة الى العفة والوقوف عن حدود الله ومن ذلك ما يقال من ان صفات الانوثة نتاج صناعى لوضع المرأة السفلى فى المجتمع، ومن ان إحساس الذكر بذكورته والانثى بأنوثتها ومعنى هذا الاحساس وفرص اشباع الرغبة الجنسية والظروف التى يحدث فيها هذا الاشباع ـ كل هذا يخضع للمجتمع من حولهما وما فيه من تقاليد وضغوط فى البيت او فى المدرسة اكثر مما يخضع لصفاتهما الموروثة من أبيها وأمها.(١)

والمنكر للفروق الاساسية بين الجنسين منكر لما تشهد به الفطرة والبداهة كالذى مما يرى فى طبائع الاشياء، فننكر مثلا حلاوة الشهد، ومرارة الحنظل ومثل هذه

(١) المرأة والجنس د. نوال السعداوى صـ ٣٩ مطبعة دار الشعب نقلا عن كتاب (طبيعية المرأة فى الكتاب والسنة) د. عبد المنعم سيد حسن.

المكابرة لا تطمس حقيقة ولا تخفى واقعاً.

وإذا آل امر الناس الى المكابرة فيما لا يحتاج وإستدلال كان ذلك إيذاناً بإضطراب موازين الادراك لدى البشر ويومئذ لا يطمع فى معرفة، ولا يوثق فى حقيقة ولا يؤمل فى يقين.

ونخلص من هذا الى ان الفروق الاساسية بين الرجل والمرأة ليست من صنع المجتمع الذى يغفل هذه الفروق مجتمع يدرج فى مدارج الفشل والتخبط لان لهذه الفروق بين الجنسين اثرها فى نظام المجتمع تتكامل حياته برعايتها وتتفكك وتسوء بإغفالها، وما كان الله ليقسم بخلق الذكر والانثى، ويدلل بخلقهما من النطفة على كمال قدرته سبحانه إذا لم يتسم كل منهما بسمات خاصة تبرز عمل القدرة الالهية للعيان والمشاهدة. ولو لم يكن ثمة فرق بين الجنسين منذ خلق آدم وحواد لما عرف آدم حواد وهى بعضه، وأكبر الظن ان الذى لفت نظره إليها إنما هو إختلاف الجنسين امر مركوز فى الطباع لايعوزه الوضوح، ومن ثم درج الناس على إعطاء كل جنس حقه وفق مقوماته وخصائصه، ولاتثريب عليهم إذا أنشأوا بنيهم وبناتهم على ذلك ولا جناح عليهم إذا تواصوا فيما بينهم بمزيد الحفاظ على الإناث والأنوثة، فتلك تكريم لها وإحتفاء بها ولا معول على رأى الذين بدلوا نعمة الله كفراص فوسوسوا الى المرأة بأن الحفاظ عليها حط من كرامتها، وحد لحريتها ولا يعجب المنطق من شئ قدر عجبه من الذين يقيمون الوزن كل الوزن للفروق الطبيعية والعضوية بين سائر الحيوان ثم يكبر عليهم الاعتراف بشئ من الفروق تقسمها بين جنس الانسان، ولقد قام تكليف الله لكل فرد من أفراد الجنسين بإقامة شعائره فى أرضه على مراعاة الفروق والتعويل عليها.

من ذلك يتبين وجه الشطط فيما يقوله المتطرفون الهادفون الى الإباحية من مثل ما أشرت إليه آنفا ومن مثل قولهم. المجتمع بنظمه وقوانينه ومؤثراته وضغوطه يكبت المرأة ويعوق هذا الكبت نموها الفكرى والنفسى ويحول دون تحررها من السلبية والاعتماد على الآخرين وتظل كالطفل (١) فى مراحله الاولى من النمو عاجزة عن

(١) المرأة والجنس للدكتورة نوال السعداوى صـ ٣٩ مطبعة دار الشعب نقلا عن كتاب (طبيعة المرأة فى الكتاب والسنة) د. عبد المنعم سيد حسن.

الاستقلال والايجابية، وحرية الفعل، وقولهم ان سلبية المرأة ليست صفة طبيعية فى المرأة ولكنها صفة نتجت عن ضغوط المجتمع وكبته لنموها، وكذلك ايضا جميع الصفات الاخرى التى ألصقها المجتمع بالمرأة والانوثة ولكنها صفات غير طبيعية دخيلة على طبيعة المرأة السوية، فالبنت تولد طبيعية ثم تتعلم لحظة ولادتها كيف تصبح انثى، وكذلك الولد يتعلم كيف يصبح ذكراً.

وكما قالت (مرجريت ميد) ان الفتاة تتعلم أن تجلس وتضم ساقيها وتحافظ على بكارتها وتخجل من جسمها ثم تنتظر دورها السلبى فى الحياة كامرأة، اما الولد فيحرك ساقيه بحرية ويفخر بجسده ويدخل الى عالم الرجال بإيجابية.

ولو ان البنت تلقت التربية نفسها التى يتلقاها الولد، لما كانت هناك تلك الفروق بين الرجل والمرأة او بين الرجولة والانوثة[٢]] [٣] أ. هـ.

....

... آن الآوان ان نقول لكل من إقتنع زادك الله نوراً على نور وهداك الى صراط المستقيم وأبعد عنك زيغ الابصار وزادك هدى على هدى..

ولمن لم يقتنع حتى الآن ندعو بالهداية والتوفيق من لدن الحكيم الخبير .

... والان جاء أوان الانتقال الى ملمح آخر....

... الى ملمح آخر بالغ الاهمية طالما طال حوله الجدل وثار النقاش، ولو دقق البعض وأصلح ضميره لما كان هناك جدل او نقاش..

لذا فإنى أقدم نخبة من الاراء التى تلقى حول.. «قوامة الرجل على المرأة».. الاضواء المركزة التى تكشف اصول الاشياء وتحق الحقائق حتى لايصبح هناك مكان للبس او غموض او زيف من الادعياء ومروجى المنطق المغلوط:

---

(٢) المصدر السابق صـ ٣٨-٣٩.

(٣) كتاب (طبيعة المرأة فى الكتاب والسنة) د. عبد المنعم سيد حسن ـ مكتبة النهضة المصرية (بتصرف).

القوامه

قوامة الرجل عليها من ضمن وسائل صيانتها..

وفساده يعرضها للفساد

تقول الأستاذة نعمت صدقى فى كلمات ناصعة:

إن واجب الحق والنصح يقتضى أن أوجه كلمة إلى الرجال.. إذ ليس النساء وحدهن مسئولات عما وصلن إليه من إنهيار فى الأخلاق بهذا التبرج والتبذل.. بل لقد كان الأولى أن يوجه الكلام كله إلى الرجال لأن السبب فى انتشار داء التبرج إنما يرجع إلى إهمال الرجل فى القيام بواجبه نحو المرأة وهذا ناشىء عن جهله أو تجاهله أنه مسئول عنها نفساً وعقلاً وجسماً، وأنه قيم عليها، مكلف برعايتها: أباً كان أو زوجاً أو أخا كما قال الرسول ﷺ: « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »

وأنه مأمور بالقيام على تهذيبها والعناية بها، كما قال تعالى:

﴿ **الرجال قوامون على النساء** ﴾

وأنه رقيب على أفعالها وأحوالها كما أمره ربه بقوله:

﴿ **واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن** ﴾

فما أفسد المرأة إلا فساد الرجل واستهتاره بدينه وواجب الرجولة والأبوه والزوجية، فكل إمرأة فاسدة إنما دفعها إلى الفساد وفتح لها بابه أب أو زوج فاسد لم يعرف الله ربه فعمى عن الصراط السوى وجاهر بالخروج عن الدين والأخلاق ، أو أب أو زوج ضعيف الإرادة مستضعف فقد نخوة الرجال وغيرتهم، ضعيف الإيمان متغافل عن أوامر الله.

فكم من ابنة منكودة أضلها أبوها بضلاله، فشبت لاتعرف الحياء ولا الدين، إذ نشأت فى أحضان الرذيلة، ولم تعاشر إلا الشيطان، ثم قذف بها ذلك الأب الضال إلى زوج فاجر مثله فراحت فريسة فساد الأب والزوج وهامت مثلهما فى غياهب الضلال.

وكم من زوج وأب يزعم أنه مسلم وأنه رجل، يرافق زوجه وبناته إلى النوادى والملاهى وغيرها.. وهن كاسيات عاريات مائلات مميلات يمشين مشية خليعة.

ولايحمر خجلاً من أن يتهادى بين الغيد الحسان من حرمه بل يفرح بأن تزوج أو أنجب جمالاً جذابا ولايبالى بعين ترمقها، وقدم تتبعها، ونظرة تفحصها.. فياللداهية الدهياء، ماذا فقد الرجال من رجولتهم حتى أصبحوا أشباه الرجال ولا رجال؟

إن الرجولة شخصية ووروح وغيرة ونخوة قبل أن تكون خشونة صوت أو شاربا ولحية.. أهذه هى الرجولة أيها المدعى الرجولة ، أن تسمح للعيون الطفيلية أن تجسر فتنظر إلى جسم نسائك وكأن هذا الحسن وليمة قد قمت بالدعوة إليها أو كأن هذا الجمال مشاع بينك وبين غيرك من الرجال.

إنك تغضب ياهذا أشد الغضب ممن يكشف سرا من اسرارك فهل هناك سر اقدس واجدر بالصون من جسم زوجك وابنتك.

أيها المسلمون ماذا جرى لعقولكم حتى رضيتم أن تفجر نساؤكم وأنتم تنظرون.

﴿ فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ﴾

[الحج ٤٦]

أيها المسلمون ، مابلغ النساء هذا الحد من الفساد إلا بإغرائكم، وما الله بغافل عما تعملون، ولاكم أمر نسائكم لتصلحوا الولاية، فأسأتم باستهتاركم أفلا تتقون؟

أيها المسلمون ، لقد اهملتم الرعاية وشجعتم الغواية وركبتم الخطر، ومانهلكون

إلا أنفسكم وماتشعرون ، إنكم تتمردون على ربكم، ولاتبالون بغضبه وعقابه وتلقون بأيديكم إلى التهلكة فهل أنتم منتهون.. اذكرو دائما هذا الوعيد الرهيب فى قوله تعالى:

﴿ ومن أظلم ممن ذكـــر بآيات ربه ثم أعــرض عنهـا إنا من المجـرمين منتقمون ﴾ (١) أ. هـ

[السجدة ٢٢]

ويقول مفكرنا الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد

﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ﴾

﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾

﴿ للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾

﴿ إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم ﴾

﴿ وإلا تصرف عنى كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين ﴾

ميزان العدل الصحيح هو التسوية بين حقوق المرء وواجباته.. فليس من العدل أن تسوى بين اثنين مختلفين فى الحقوق والواجبات.. ذلك هو الظلم بعينه، بل هو شر من الظلم أيا كانت العاقبة التى يؤدى إليها، لأنه هو وضع الشىء فى غير موضعة وهو الخطل والاختلال.

والتسوية بين الحقوق والواجبات هى العدل الذى فرضته الفلسفة القرآنية للمرأة، وهو وضع المرأة فى موضعها الصحيح، من الطبيعة ومن المجتمع ومن الحياة الفردية.

فمن اللجاجة الفارغة أن يقال: إن الرجل والمرأة سواء فى جميع الحقوق وجميع

---

(١) من كتاب (التبرج) ـ نعمت صدقى ـ ـ (مع التصرف).

الواجبات.

لأن الطبيعة لاتنشىء جنسين مختلفين، لتكون لهما صفات الجنس الواحد، ومؤهلاته، وأعما!.، وغايات حياته.

وفى حكـ التاريخ الطويل مايغنى عن الاحتكام إلى التقديرات والفروض فيما تتوخاه الطبيعة ر، الاختلاف بين الذكر والأنثى فى نوع الإنسان..

فلم يكن جنس النساء سواء لجنس الرجال قط فى تاريخ أمة من الأمم التى عاشت فوق هذه الكرة الأرضية على اختلاف البيئات والحضارات.

وكل مايقال فى تعليل ذلك يرجع إلى علة واحدة: وهى تفوق الرجل على المرأة فى القدرة والتأثير على العموم.

فليست جهالة القرون الأولى سببا صالحا لتعليل هذه الفوارق العقلية بين الرجال والنساء فى جميع الأمم، لأن الجهل كان حظا مشتركا بين الجنسين، ولم يكن مفروضا على النساء وحدهن دون الرجال، ومن زعم أن الرجل فرض الجهل على المرأة فقبلته وأذعنت له، فقد قال أنه أقدر من المرأة، أو أنه أحوج الى العلم، وأحرص عليه منها، وليس الاستبداد فى القرون الأولى سببا صالحا لتعليل تلك الفوارق، لأن استبداد الحكومات كان يصيب الرجل فى الحياة العامة، قبل أن يصيب المرأة فى حياتها العامة أو حياتها البيتية، ولم يمنع الاستبداد طائفة من العبيد المسخرين أن ينبغ فيهم العامل الصناع، والشاعر اللبق، والواعظ الحكيم، والأديب الطريف.

وليس عجز المرأة عن مجاراة الرجل فى الأعمال العامة ناشئا من قلة المزاولة لتلك الأعمال، لأنها زاولت أعمال البيت ألوف السنين، ولايزال الرجل يبزها فى هذه الأعمال كلما اشتغل بصناعاتها.. فهو أقدر منها فى الطهو، وفى تفصيل الثياب، وفنون التجميل وتركيب الأثاث وكل مايشتركان فيه من أعمال البيوت.

وقد يرجع الأمر الى الخصائص النفسية، فيحتفظ الرجل فيها بتفوقه على الرغم

من استعداد المرأة بتلك الخصائص من أقدم عصور التاريخ.

فالنواح على الموتى عادة تفرغت لها المرأة، منذ عرف الناس الحداد على الأموات، ولكن الآداب النسوية لم تخرج لنا يوماً قصيدة من قصائد الرثاء تضارع مانظمه الشعراء الرجال سواء منهم الأميون والمتعلمون، وقد كان أكثر الشعراء فى العهود القديمة من الأميين.

بل هناك خاصة نفسية لاتتوقف على العلم، ولا على الحرية، ولانوع العمل، أو التوظيف فى المجتمعات أو البيوت.. وهى خاصة الفكاهة وخلق الصور الهزلية والنكات التى يلجأ إليها الناس حين يحال بينهم وبين التعبير الصريح.

وربما كان الإستبداد من دواعى تنشيط هذا السلاح النفسى فى قرائح المغلوبين.. لأنه لسلاح الذى ينتقم به المغلوب لضعفه، والمنفذ الذى يفرج عن ضيقه وخوفه، وقد كان ضغط الرجال على النساء خليقاً أن يغريهن باستخدام هذا السلاح لتعويض القوة المفقودة، والانتقام للحرية المسلوبة، ولكن الآداب والنوادر لم تسجل لنا فكاهة واحدة أطلقها النساء على الرجال، كما فعل الرجال المغلوبون فى الأمم الحاكمة أو المحكومة على السواء، أو كما فعلوا فى تصوير رياء المرأة واحتيالها على إخفاء رغباتها، وتزويق علاقاتها بالرجال.

وهذه الملكة ملكة الفكاهة خاصة نفسية لم يقتلعها من طبائع الرجال ظلم، ولاجهل، ولافاقة، ولاعجز عن العمل فى ميدان الحياة.

فمن اللجاجة أن يتجاهل المتجاهلون هذه الفوارق، وهى أثبت من كل مايثبته العلم والعلماء.. وما كان للعلم أن يوجد شيئاً لم يكن له وجود فى الواقع أو فى تفكير العقول، وإنما هو أبدا فى مقام التسجيل أو مقام التفسير.

وقد أقام القرآن الفارق بين الجنسين على الأساسين اللذين يقيمانه ويقيمان كل فارق عادل من نوعه: وهما أساس الاستعداد الطبيعى، وأساس التكاليف الاجتماعية.

﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾

فحق القوامة مستمد من التفوق الطبيعي في استعداد الرجل، ومستمد كذلك من نهوض الرجل بأعباء المجتمع وتكاليف الحياة البيتية.

فهو أقدر من المرأة على كفاح الحياة، ولو كانت مثله في القدرة العقلية والجسدية، لأنها تنصرف عن هذا الكفاح قسرا في فترة الحمل والرضاعة.

وهو الكفيل بتدبير معاشها، وتوفير الوقت لها في المنزل لتربية الأبناء وتيسير أسباب الراحة البيتية، وكلاهما فارق ضروري، تقضي به وظائف الجنسين، ويقضي به توزيع العمل في البيئة الإنسانية. وخصائص المزاج ويقضي به اختلاف الحقوق والواجبات: ذلك اختلاف لم يخلق لإلغاء الفوارق، بل للاعتراف بها، وتوجيهها إلى وجهتها المعقولة، ولانحسب أن المجتمع الإنساني ناج من مشكلاته المعقدة في سياسة الأمة، وسياسة البيت وسياسة الحياة الفردية حتى يثوب إلى هذا التقسيم الطبيعي الذي لامحيص عنه.. فيعمل الرجال عمل الرجال، ويعمل النساء عمل النساء، وتقام دولة المرأة في البيت، ودولة الرجال في معترك الحياة.

فالمجتمع الذي يتزاحم فيه النساء والرجال على عمل واحد في المصانع والأسواق لن يكون مجتمعا صالحاً مستقيماً على سواء الفطرة، مستجمعا لأسباب الرضى، والاستقرار بين بناته وبنيه، لأنه مجتمع يبذر جهوده تبذير السرف الخطل على غير طائل، ويختل فيه نظام العمل والسوق كما يختل فيه نظام الأسرة والبيت.

فالمرأة لم تزود بالعطف والحنان والرفق بالطفولة والقدرة على فهمها والتهائها والسهر على رعايتها في أطوارها الأولى، لتهجر البيت، وتلقي بنفسها في غمار الأسواق والدكاكين.

وسياسة الدولة كلها ليست بأعظم شأناً، ولا بأخطر عاقبة من سياسة البيت لأنهما

عدلان متقابلان عالم العراك والجهاد يقابله عالم السكينة والاطمئنان.. وتدبير الجيل الحاضر يقابله تدبير الجيل المقبل.. وكلاهما فى اللزوم وجلالة الخطر سواء.

وإنما الآفة كلها من حب المحاكاة بغير نظر إلى معنى المحاكاة.. فإن المرأة يخيل إليها أنها لاترفع الضعة عن نفسها إلا إذا عملت عمل الرجال، وطالبت بحقوق الرجال، وقيل أن للنساء والرجال سواء فى جميع الأعمال والأحوال.

ولولا مركب النقص لكان للمرأة فخر بمملكة البيت وتنشئة المستقبل فيه لايقل عن فخر الرجل بسياسة الحاضر وحسن القيام على مشكلات المجتمع التى تحتاج إلى الجهد والكفاح.وهى لو رجعت إلى سليقتها لأحست أن زهوها بالأمومة أغلى لديها، وألصق بطبعها من الزهو بولاية الحكم ورئاسة الديوان.. فليس فى العواطف الإنسانية شعور يملأ فراغ قلب المرأة كما يملؤه الشعور بالتوفيق فى الزواج، والتوفيق فى إنماء البنين الصالحين والبنات الصالحات (١) أ. هـ.

....

(١) من كتاب الفلسفة القرآنية ـ عباس محمود العقاد (بتصرف).

القوامة ليست فضلاً مطلقاً للرجل

ويحدثنا فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى حول هذه النقطة حديثاً فيه الشفاء. كلماته كلها وضوح، يلقيها فتكشف لنا عن أصل الأشياء وتزيل اللبس، وتمحو الغموض، فإذا بنا وقد لمسنا الحقيقة كأنها الشمس فى كبد السماء:

يقول الله تعالى:

﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعصهم على بعض ﴾

[النساء ٣٤]

فهل تعتبر تلك القوامة على المرأة تفضيلا مطلقا؟

وقبل أن نجيب على هذا ننظر فى معنى القوامة.. إذا قيل: فلان قائم على أمر فلان، فما معنى ذلك؟

هذا يوحى بأن هناك شخصاً جالساً والآخر قائماً فمعنى (قوامون على النساء) أنهم مكلفون برعايتهن والسعى من أجلهن وخدمتهن إلى ماتفرض القوامة من تكليفات.

إذن فالقوامة تكليف للرجل.. ومعنى بما فضل الله بعضهم على بعض ليس تفضيلاً من الله عز وجل للرجل على المرأة كما يعتقد الناس، ولو أراد الله هذا لقال : بما فضل الله الرجال على النساء ولكنه قال:

﴿ بما فضل الله بعضهم على بعض ﴾

فأتى ببعض مبهمة هنا وهناك، وهذا معناه أن القوامة تحتاج إلى فضل مجهود وحركة وكدح من جانب الرجل ليأتى بالأموال يقابلها فضل من ناحية أخرى، وهو أن المرأة لها مهمة لايقدر عليها الرجل فهى مفضلة عليه فيها.

فالرجل لايحمل، ولا يلد، ولايرضع ولايحيض ولذلك قال الله فى آية أخرى:

﴿ ولاتتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض ﴾

لمن الخطاب هنا؟

انه للجميع وأتى بكلمة (بعض) أيضا لكى يكون البعض مفضلا فى ناحية ومفضولاً فى ناحية أخرى.. ولايمكن أن نقيم مقارنة بين فردين لكل منهما مهمة تختلف عن الآخر ،ولكن إذا نظرنا إلى كل من المهمتين فسنجد أنهما متكاملتان فللرجل فضل القوامة بالسعى والكدح.. أما الحنان والرعاية والعطف فهى ناحية مفقودة عند الرجل لانشغاله بمتطلبات القوامة ولذلك فإن الله عز وجل يحفظ المرأة. لتقوم بمهمتها لكى تفرغ وقتها للعمل الشاق الآخر الذى خلقت من أجله .

ولكن الشارع أثبت لنا أن الرجل عليه أن يساعد المرأة فقد كان رسول الله ﷺ إذا دخل البيت ووجد أهله منشغلات، بعمل يساعدهن فيه مما يدل على أن مهمة المرأة مهمة كبرى. وعلى الرجل أن يعاونها.

إن المرأة تتعامل مع أرقى الأجناس على الإطلاق وهو الإنسان.. فهى تربى سيد الوجود.. بينما يتعامل الرجل مع الجماد والتراب.. ومع النبات والحجر والحيوان (١) أ. هـ.

....

(١) من كتاب قضايا المرأة المسلمة . لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى .

أسباب القوامة وشروطها وأشكالها

يقول الدكتور عبد المنعم سيد حسن :

إن أصرح آية في الدلالة على حق الرجل في القوامة على المرأة بنت هذا الحق على أسباب واقعية، لم تجعل هذا الحق للرجل مستمدا من تحكم أو جبروت ، أى أنه حق في مقابل واجبات وتكاليف.. قال الله تعالى:

﴿ **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم** ﴾ [النساء ٣٤]

وإذا قارنا بين مسئوليات الرجل ومسئوليات المرأة وأعبائهما، وجدنا تكاليف المرأة منحصرة في نطاق محدود لايكاد يجاوز طاعتها لزوجها والعمل بالعادل من توجيهاته والمعقول المقبول من أوامره، أى أنها في رعايتها لبيتها وأولادها وإشرافها عليهم تستمد من عونه، وتستعين بقوامته، وكأنما أراد الله وهو أعلم بمراده أن يزيد في طمأنينة النساء حيث كلفهن بعض التكاليف المنظمة لحياتهن في كنف أزواجهن، فقدم مالهن على ماعليهن، في قوله سبحانه :

﴿ **ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف** ﴾.

والحق أن قوامة الرجل على المرأة عامة في كل مجال تلقى فيه على كاهل الرجل مسئولية حماية المرأة والذود عنها، ومن ثم حيل بين المرأة وبين الحكم والقضاء، وإمامة الرجال في الصلاة ، فجاءت قوامة الرجل على زوجته تبعا لهذا الحق العام الذى خوله الله إياه، وسياق الآية المبينة لقوامة الرجل على المرأة يدل على هذا العموم ، ولا دليل على إستثناء أو تخصيص إلا إذا انعدمت أهلية الرجل كأن يفقد شرطا من شروط التكليف أو يحجر عليه لسفه أو نحوه أو يلم به مايترتب عليه

فسخ النكاح إذا كان زوجاً فإن (ألـ) في قوله

﴿ الرجال قوامون على النساء ﴾ للعهد ، أي للرجال الذين توافرت لهم أهلية القوامة، ويقرب من هذا مايقوله البلغاء من أن (ألـ) قد ترد لتفيد معنى الكمال في مدخولها على نحو مايقوله المفسرون في قوله سبحانه :

﴿ ذلك الكتاب لاريب فيه ﴾ [البقرة ٢]

أي ذلك الكتاب الذي بلغ أوج الكمال ،ولابد من اشتراط كمال الرجولة في من خوّل الله حق القوامة حتى تسد الطريق على اللائي يطعنّ في قوامه الرجل، ويرين فيها حجراً عليهن، وغلا لأعناقهن، ولو تشدن الحقيقة لأيقن أن الله وكل أمرهن الى حماة أمناء على مصائرهن، ولم يكل أمرهن إلى ذوى الرعونة والنزق ، وكل ذلك يفهم من قوله سبحانه. (الرجال) .ومما يلفت النظر أن الله لم ينص على أي وصف من الأوصاف التي يجب توافرها في القيم ، وأحسب أن مرد ذلك إلى الثقة في سليقة المؤمن وسلوكه وعقيدته في أحكام ربه. فلم يعهد المؤمن في أحكام ربه إلا أنها قائمة على توسيد الأمر في أهله، ولايدنو من خيال المؤمن ووهمه بالإضافة إلى عقله أن الله سيخول هذا الحق لقليل الخبرة بالحياة، وفاقد الحنكة في شئونها.

ومما يلفت النظر أيضا تعبير القرآن بكلمة (قوامون) على أنها صيغة المبالغة التي تفيد شمول قوامة الرجل على المرأة لكل شأن من شئونها ،شريطة ألا تسلبها قوامته أي حق من حقوقها التي خولها الله إياها، ومما يدل على أن قوامة الرجل على المرأة ليست ضربة لازب، وأنها رهن بالمؤهلات الطبيعية والخلقية التي فضل الله بها الرجال على النساء، أن الرجل يسلب حق القوامة إذا فقد شرطا من شروطها ومن ذلك ماقرره الفقهاء من جواز فسخ النكاح عند الإعسار بالنفقة.

ويبرز تطبيق القوامة في أن للرجل تأديب زوجه، وإمساكها في بيته، وأن عليها

طاعته وقبول أمره مالم يكن معصية، ومن الآيات الصريحة فى تقرير حق الرجل فى القوامة قوله تعالى: ﴿ وللرجال عليهن درجة ﴾ [البقرة ٢٢٦]

وقد فسروا الدرجة بأن له أن يمنع المرأة من بعض التصرفات المشروعة إلا بإذنه فلا تصوم تطوعاً إلا باذنه، ولاتحج إلا معه، كما تخوله هذه الدرجة جواز تأديبه إياها، ومن درجته عليها أن له رفع العقد دونها وأن عليها أن تجيبه إلى الفراش.

وتختلف القوامة لينا وخشونة باختلاف سلوك النساء إزاء أزواجهن فتكون قوامة قيادة وإشراف مصحوبة بالرفق والحسنى، وتلك قسمة الصالحات القانتات الحافظات للغيب.

فإذا آمن النساء بحق الرجال عليهن فى القوامة ورضين قسمة الله فيهن عوضهن الله بذلك عن كثير مما يقوم به الرجال من أعمال لم تشرع لهن لعدم يسرها عليهن، وكان ذلك منهن لونا من ألوان القنوت، ويسمى هذا اللون فى عرف الإسلام بحسن التبعل.

روى أن أسماء بنت عميس رضى الله عنها جاءت إلى النبى ﷺ فقالت: يارسول الله، أناوافدة النساء إليك، إن الله بعثك إلى النساء والرجال كافة فأمنا بك، إنا معشر النساءمحصورات مقصورات قواعد بيوتكم حاملات أولادكم، وإنكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات، وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج.. وأفضل من ذلك كله، الجهاد فى سبيل الله ، وإن أحدكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مجاهدا حفظنا لكم أموالكم وغزلنا لكم أثوابكم وربينا لكم أولادكم أفنشارككم فى هذا الخير؟ فالتفت النبى ﷺ إلى أصحابه ثم قال: هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها فى أمر دينها من هذه؟

فقالوا: يارسول الله ماظننا أن المرأة تهتدى إلى مثل هذا، ثم التفت النبى ﷺ اليها وقال:

« افهمى أيتها المرأة وأعلمى من خلفك من النساء أن حسن تبعل

---

(١) ورد ابن عباس نحوه أخرجه البزار مختصراً والطبرانى مطولاً فى الترغيب والترهيب جـ٣ ص ٥٢.

المرأة لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله »[1]

وتتفق قوامة الرجل على المرأة مع العدالة، كما تتفق مع الديمقراطيات والدساتير الحديثة لسببين رئيسيين:

أحدهما : أن الرجل هو المكلف بالإنفاق على الأسرة، ولا يستقيم مع العدالة في شيء أن يكلف فرد الإنفاق على هيئة ما بدون أن يكون له القيام عليها والإشراف على شئونها.

والسبب الثاني: الذى بنى عليه الإسلام قيام الرجل على الأسرة أن المرأة مرهفة العاطفة قوية الانفعال، وأن ناحية الوجدان لديها تسيطر على مختلف نواحي حياتها النفسية، على حين أن الرجل فى الغالب لايندفع مع عواطفه ووجدانه اندفاع المرأة، بل تغلب عليه ناحية الإدراك والتفكير ، وغنى عن البيان ان الرياسة والاشراف يحتاجان الى الادراك والتفكير اكثر مما يحتاجان إلى العاطفة والوجدان، فصفات الإشراف والرياسة متوافرة إذن فى الرجل بطبعه أكثر من توافرها فى المرأة، والقوامة فى الإسلام قائمة على الرفق والرحمة لاعلى التسلط والجبروت، والمرأة ماتنفك مرعية من الرجل قبل الزواج وبعده.

[فأما قبل الزواج فأمرها بيد وليها يجبر على نفقتها، والإشراف على كل شئونها صيانة لها من التبذل، وأما بعد الزواج فأمرها إلى الزوج الذى اختارته اختياراً حراً مستعينة فى اختياره برأى وليها ومشورته غير مجبر إياها على زوج معين [1]] [2] أ. هـ.

ويقول الدكتور عبد المنعم سيد حسن أيضاً فى كلمات حاسمة قاطعة:

ومما يذكر فى عموم تغيير خلق الله المنهى عنه ماقيل من أن الزوج إذا أطاع امرأته وملكها عناق أمره وكل شأنه فقد غير بذلك خلق الله وائتمر بأمر الشيطان

(١) حقوق الإنسان فى الإسلام للدكتور على عبد الواحد وافى
(٢) كتاب (طبيعة المرأة فى الكتاب والسنة) للدكتور عبد المنعم سيد حسن

حيث جعل القوامة لامرأته بعد أن ملكه الله أمرها. ويعنى ذلك عموم النهى عن تغيير خلق الله.

جاء فى الإحياء تعقيباً على ما استشهد به من قول رسول الله ﷺ:

« تعس عبد الزوجة » وإنما قال ذلك لأنه إذا أطاعها فى هواها فهو عبدها، وقد تعس، فإن الله ملكه نفسه فقد عكس الأمر وقلب القضية وأطاع الشيطان لما قال: « ولآمرنهم فليغيرن خلق الله » اذ حق الرجل أن يكون متبوعا لاتابعا وقد سمى الله الرجال قوامين على النساء، وسمى الزوج سيدا فقال تعالى:

﴿ وألفيا سيدها لدى الباب ﴾ (١) أ. هـ.

....

وإليك عزيزى القارىء هذا التوضيح الذى يقدمه لنا الداعية الإسلامى الكبير فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى:

يقول سبحانه وتعالى:

﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ [النساء ٣٤]

الناس تفهم معنى القوامة.. على أساس أنه تملك وتفضيل.. ولكن الحقيقة غير ذلك تماما فالقائم على الأمر.. هو الذى يجعل كل حركته من أجله.

والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ﴾ [الرعد ٣٣]

أى أن الله سبحانه وتعالى يرى كل نفس.. ويدبر لها رزقها وأمور حياتها.. والقيام ضد القعود.. « الرجال قوامون » يعنى متحركون في الحياة من أجل النساء لكفالتهن.. وتوفير المال والطعام ومطالب الحياة لهن.. أى أن القيام هنا معناه أنه

---

(١) كتاب (طبيعة المرأة فى الكتاب والسنة) ـ د. عبد المنعم سيد حسن.

مسئول عنها.. وعن توفير مطالبها وبيتها وأولادها.

وقوله تعالى: ﴿ **بما فضل الله بعضهم على بعض** ﴾ لم يحدد الله سبحانه وتعالى من المفضل على من.. فكأن الرجال لهم تفضيل في نواح معينة.. والنساء لهن تفضيل في نواح معينة.. كل مفضل بما يضمن له أداء مهمته في الحياة.

وهناك خطأ آخر.. هو اعتقاد البعض أن المرأة ليس لها استقلال ذاتي في الإيمان.. وأن من حق زوجها أن يدفعها إلى المعصية.. نقول أن هذا غير صحيح.. وقد قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ **ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين ۞ و ضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين** ﴾

[التحريم ١٠ ,١١]

وهكذا نرى أن زوجتي نبيين لم يستطع زوجاهما أن يدخلا في قلبيهما الإيمان.. وزوجة فرعون الذي نصب نفسه إلها يعبد في الأرض.. لم يستطع أن يدخل في قلب زوجته الكفر.. مما يدل على أن هناك استقلالا إيمانيا تاما للمرأة [١] أ. هـ.

ويقول الأستاذ محمد عبد الله الهمشري:

وضح الله هذا الأمر في قوله :

﴿ **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم** ﴾ [النساء ٣٤]

فالرجل بحق الإسلام وتشريعه قوام على المرأة في الحياة الزوجية لاتنازعه الرياسة

المرجع السابق

ولاتشذ عن طاعته.

وفى حديث: « كلكم راع وكلّ راع مسئول عن رعيته » المرأة من رعية الرجل، وبيت الزوجية بما يشتمل عليه من أولاد وخدم ومال.. من رعية المرأة. فمسئولية الرجل أوسع وأشمل لمسئولية المرأة.

ولم يخرج الإسلام فى تنظيم علاقة الرجل بالمرأة عن الوضع العام الذى قرره فى إصلاح الحياة البشرية على أسس سليمة، فالإسلام يعنى بالمسئولية فى كل صغيرة وكبيرة، ولايهمل فى شىء مهما بلغ من البساطة، وهل أدل على ذلك من أنه يحصى على المسلم النظرة والكلمة والإشارة وما يفعل فى السر والعلن، ويصف الله نفسه بأنه يعلم مافى الصدور، ولطيف خبير.

هذه الدقة عرف بها الإسلام فى تربية المسلم وأعداده، ودقة أخرى فى تنظيم الحياة الإنسانية وفى تربية المجتمع ـ فلا يكون مسلمان فى شأن مالإلا وجعل الإسلام أحدهما أميراً مسئولاً مطاعاً، والثانى مرءوساً مطيعاً ، فضلا عن ثلاثة أو أكثر، وقد حرص نبى الإسلام على هذه الدقة فى تعيين أمير مطاع فى كل مناسبة تقتضى اشتراك أكثر من مسلم فيها: فى صلاة الجماعة، وفى الغزوات.. إلخ.

وما كان الإسلام فى تحديد علاقة الرجل بالمرأة يخرج عن هذه السياسة التى رسمها ورتبها حتى فى أبسط الشئون، وعلاقة الرجل بالمرأة فى الحياة الزوجية وفى نظام الحكم ليست بالأمر الهين، بل هو الأمر الخطير الذى يضطرب له إذا اختل المسلمون والمسلمات . ويستقربه اذا نظم المسلمون والمسلمات، وماقيمة الدين إذا لم يرع حق اتباعه فى الاستقرار والهدوء؟ وماذا يفيد إذا لم يكفهم شر الإضطراب والاختلال؟

فتوضيح علاقة الرجل بالمرأة من أوجب واجبات الدين، وهذا مافعله الإسلام بكل وضوح وقوة.

ويبقى سؤال: لم جعل الاسلام القوامة للرجل ولم يجعلها للمرأة؟

إن الإسلام اختار للقوامة الأقدر عليها، الأجدر بها، وهذا ما عناه الله فى قوله:

﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾

أ ـ الرجل أفضل من المرأة.

ب ـ الرجل ينفق من أمواله عليها ومن أجلها.

ويعنى بالأفضلية هنا تلك التى تدخل فى ميزان الكفاءة والقدرة على تحمل المسئولية والتى ترشحه لأن يكون أميراً مطاعاً، فقد يتساوى رجل وامرأة فى القوة الجسمية والعقلية والخلقية ويبقى بعد هذا كله أن الرجل أفضل من المرأة لأننا ندخل فى الميزان القدرة على التمرس بالحياة، والتزود من التجارب وهما عاملان مهمان فى وزن الكفاءة وفى الترشيح للرياسة والإمارة.

وفى مثل واضح نرى رجلين أوتيا حظاً متكافئاً من المال والعقل، ولكن أتيح لأحدهما فرص كثيرة، لتثمير المال ولتنمية العقل بالتجارب، تهيأ له مجال ينشط مواهبه، ويزيد ماله، ولم يتح للآخر، ولم يتهيأ له.

لاشك أن وضعهما يختلف ، ولو رتبناهما لكان من أتيحت له الفرص ، الأول، ومن لم تتح له الفرص ـ الثانى.

وإذا عدنا إلى الرجل والمرأة ـ مع فرض تساويهما فى كل المواهب، نجد أن الطبيعة فرقت، والتكوين الخلقى مايز، وقضى على المرأة أن تقل من نشاطها فى أيام كثيرة، وتفوت على نفسها كثيرا من الفرص، فى أيام الحيض والحمل والولادة، وهى وظائف أنثوية طبيعية لاتستطيع المرأة أن تنكرها، أو تفر منها، وإنما تستطيع أن تعتز بها وتتمسك، لأنها خصوصيتها ومقوماتها كأنثى، وأى انحراف يصيب هذه الوظائف يهز وجود المرأة ويضطرب له كيانها شأن أى كائن حى لم تستو طبيعته..

ويبقى الرجل فى ميدان الحياة ومجال الفرص والنشاط لايعوقه عائق، فيزداد تجربة وحكمة وصقلا، وترشحه ظروفه ،طبيعته لأن يكون أرشد من المرأة وأجدر أن يكون أفضل منها، وأولى أن يكون لها أميرا وقواما على سنة الإسلام فى تنظيم الحياة البشرية.

وثانياً: الرجل ينفق من ماله على المرأة فهو يطلبها بمهر، وينفق عليها فى عصمته كزوجة، والذى يتحمل مسئولية العيش والنفقة يكون له حق الرياسة، وليس من العدل أن يكلف الرجل الإنفاق على المرأة ويطلب منه أن يكون تابعاً وخاضعاً!.

ويمكن أن يقال: كان يصح أن تكون النفقة بينهما بالتساوى. تنفق المرأة وينفق الرجل،ولايقوم أحدهما على الآخر! ولابأس أن تعمل المرأة كما يعمل الرجل وتسعى فى مقابل تخلصها من سيطرة الرجل وقوامته، وتكون العلاقة بين الجنسين علاقة أخوة ومساواة؟

وهذا منطق خداع

فالمرأة بوظائفها الأنثوية يفوتها كثير من فرص النشاط الحيوى، والإسلام مع تقريره المساواة والأخوة بين الناس جميعاً يأخذ بمبدأ تحديد المسئولية لايحيد عن هذا المبدأ، ولا ينبغى أن يحيد، ما دام هو نظام وتنظيم للحياة البشرية.

ومن ناحية أخرى لايهدف الإسلام فى تنظيم علاقة الرجل بالمرأة الى تكوين شركة تجارية يكثر فيها المماحلة والتمحك والحرص والحذر.. وإنما يهدف الى تكوين أسرة إنسانية سداها الرحمة والمحبة، ولحمتها التضحية والعطف .

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ [الروم]

وهذه الأسرة الإنسانية كما أرادها الإسلام أولى بها أن تكون داعية للاستقرار ومهدا طيبا لتنشئة الأولاد وموئلاً كريماً لتربيتهم وإعدادهم.

وتخصيص الرجال بالرياسة والقوامة على المرأة عمل وظيفى لايتضمن السيطرة والتحكم والتعالى عليها، وإنما قصد به تنظيم العلاقة بينهما، وتحديد المسئولية رجاء أن تسير الحياة رخية هنية (١) أ.هـ.

نحب أن نلفت النظر هنا إلى السطور الثلاثة الأخيرة من رأى الاستاذ عبد الله الهمشرى للتأكيد على أنه إذا كانت القوامة للرجل على المرأة فذلك ليس مبررا على الإطلاق لأى تعال أو تحكم إنما المقصود هنا تنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة فى حياتهما الزوجية.

كما نحب أن نلفت النظر منعا لأى سوء فهم أن التفضيل الذى ورد فى قوله تعالى::

﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ﴾

هو تفضيل داخل إطار معين بمعنى أن تفضيل الرجال هنا جاء بمعنى أنهم الأنسب للقوامة للأسباب التى قدمناها آنفاً ولايعنى ذلك بأية حال من الأحوال التفضيل المطلق أى ان الرجل أفضل من المرأة لمجرد أنه رجل وأنها امرأة لكن المفهوم هنا أنه الأنسب فى مجال القوامة، أما التفضيل عند الله بصورة مطلقة فمحكوم بالتقوى لقوله تعالى: ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ فمعيار التفضيل هنا هو التقوى وليس الجنس أو النوع أو اللون أو الشكل.

كما أن أسماء بنت عميس حينما جاءت إلى النبى عليه الصلاة والسلام، نائبة عن النساء تسرد عليه الأوجه الكثيرة التى فضل الرجال عن النساء فيها وتوضح جهاد المرأة ومساهمتها فيما يناله الرجال من خير ثم تسأله هل تشارك النساء الرجال فى ذلك الخير العميم كان رد الرسول ﷺ:

« إن حسن تبعّل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله »

---

(١) من كتاب سورة النساء لمؤلفه محمد عبد الله الهمشرى .

انظر نص الحديث فى أوائل ملمحنا هذا.

مما يدل على أن الأفضلية ونصيب كل مسلم أو مسلمة من الثواب لايتعلق بالنوع. والله أعلم.

نحب أن نضيف أيضاً أننا لو قارنا بين الرجل والمرأة داخل إطار أو مجال الأمومة لوجدنا المرأة بلاشك ستكون الأفضل والدليل حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام والذى ذكر فيه الأم ثلاث مرات وذكر الأب فى المرة الرابعة حينما سأله أحد السائلين عن أحق الناس بحسن صحابته.

ويقول المولى عز وجل :

﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ﴾

كما يقول أيضا:

﴿ فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض ﴾

وتأمل معى هنا عبارة (من ذكر أو أنثى) ألا تعنى التسوية الكاملة بين الرجل والمرأة حين الوقوف أمام الخالق لنيل المثوبة، وأن مجرد رجولة الرجل لن تعطيه أى تفضيل.

انظر أيضا (صفحة ٢٩٨)وما أوردناه بخصوص تلك النقطة.. كان هذا تعقيباً لابد منه.. والآن نستكمل حديثنا حول القوامة.

إن دراسات علم النفس قد أثبتت أن سعادة المرأة تكمن فى اقترانها برجل قوى الشخصية يعاملها بالرفق واللين والعطف والحنان،وفى نفس الوقت بقدر مناسب من الحزم يتيح له السيطرة عليها سيطرة معتدلة.. أثبتت أيضا أبحاث علم النفس أن المرأة التى تقترن برجل ضعيف عديم الشخصية تشعر بشقاء لامثيل له.

إذن فوضع المرأة داخل « دائرة القوامة » هو وضع يحقق لها فى الأساس السعادة التى تنشدها، وهو وضع ينسجم مع فطرتها وطبيعتها ويحقق استقامة الأمور بينها

وبين الرجل فى الأسرة.. ويأتى فى مصلحتها.

تأمل معى كلمات الأستاذ محمد زكى عبد القادر وهو يقول:

« المرأة تحب الرجل العصى، تحب أن تصطدم إرادتها بإرادته، تحب الصراع للظفر تأكيدا لسلطاتها، وتحب أكثر من كل شيء الهزيمة أمام إرادته»

ولكنها تغضب...

تغضب وتملأ الدنيا صياحا وفى قرارة نفسها حلاوة الضعف أمام قوة الرجل (١) أ. هـ.

وهذا هو رأى عالم أوروبى من علماء النفس يقول 442G. A. Hadfield فى كتابه « علم النفس والأخلاق » :ولا شيء يحزن بعض النساء مثل الزوج الذى يكون رقيق الحاشية دائماً، لايثور أبداً على الرغم من تحديهن ،ولايعرف شقاء هذه المعيشة والتوق إلى الزوج الذى يستطيع أن يثور ولو مرة واحدة إلا النسوة اللاتى جربن الحياة مع زوج من هذا الطراز (٢) أ. هـ.

مثل هذه الآراء كثير، وقد أثبتها علم النفس فى دراساته وابحاثه. وهناك نساء كثيرات آثرن الصراحة فأكدنها ،ومجالنا هذا يضيق عن استعراض تلك الآراء ولكننا أخذنا ننقب حتى عثرنا على مقال ثمين كلماته حاسمة قاطعة ولاسيما إذا أتت من امرأة.

انظر معى وهى تقول فى كلمات ناصعة لاتحتمل أى لبس:

نحن النساء نحب فى أعماقنا أن يقودنا الرجل.. ومع ذلك فإننا نحاول أن نجعله يتخلى عن مكان الصدارة. أ.هـ.

هذه هى كلماتها.. فهل نريد كلمات اصرح من ذلك؟! إنها الكاتبة جودى

---

(١) صحيفة الأخبار عدد ١٩٦٢/١٢/٢٧ . نقلا عن كتاب مقارنة الأديان والاستشراق للدكتور أحمد شلبى

(٢) (المرأة فى الإسلام) ص ٧. نقلا عن كتاب مقارنة الزديان والاستشراق

جارلاند التى كتبت مقالا نشرته مجلة المختار في عددها الصادر في ديسمبر سنة ١٩٥٧.

(لا تتخل عن قيادك للمرأة)

صدرته بالسطور الحاسمة الآتية:

إن ملايين الكلمات قد كتبت عن كيف يحب الرجل المرأة، ولكننى أريد أن أعطيكم آرائى عن الأمور التى لاينبغى على الرجل أن يمارسها فى حبه للمرأة.

لاتتخل عن قيادك للمرأة.. وهذا هو صلب المسألة.. نعم لاتترك لنا معشر النساءمقاليد الأمور فسوف نعد ذلك تنازلا من جانبك، وسوف يحيرنا ويزعجنا ويسوقنا إلى الوراء، بل وأسرع من أى شىء آخر.

ثم تقول فى اعتراف نادر المثال:

ومع ذلك فاننا سوف نحاول ان نجعلك تتخلى عن مركز الصدارة فى البيت وسوف نبدو كأننا نحاربك إلى آخرالخنادق للتمكن من القبض على زمام السلطة ولفترة من الزمن ستستمر الحرب، ولكن اعلم أننا فى أعمق وأحلك أعماق أفئدتنا نريدك أنت أن تنتصر، وإن عليك فعلا أن تنتصر لأننا فى الحقيقة لم نخلق للقيادة، وهذا أمر بديهى. أ . هـ .

ولماذا تصارع المرأة الرجل فى معركة تحب أن تكون المنهزمةفيها، ترد علينا جودى جارلاند مفسرة ذلك الموقف الغريب قائلة:

وإنى أعتقد أن هذا الجهاد الأول منا لاستئناسك وجعلك تتخلى عن رياستك إن هو إلا إختبار يتحتم علينا فى بساطة أن نضعك فيه لتجتازه لأننا فى الأعماق نشعر شعورا مخيفاً بعدم الأمان، ونريد أن نعرف بلا أدنى ظل من الشك أننا فى أمان معك وأنك تستطيع الإمساك بمقاليد الأمور، وأنك لاتدعى القوة.

إنك أنت وحدك يجب أن تكون القائد فإذا كنت كذلك فعلا، فلن يهمنا شىء

آخر في الواقع أ. هـ.

أظن أنها كلمات لاتحتاج الى تعليق ولاحظ معى أنها صادره من إمرأة وتدلنا دلالة قاطعة على أن قوامة الرجل على المرأة وضع يحقق السعادة للمرأة، وها قد شهد شاهد من اهلها.. بل لقد شهدت هى نفسها.

وبعـــــــــــــــــد:

نرجو أن نكون قد وفقنا إلى توضيح بعض الأمور الغامضة، وتصحيح بعض المفاهيم التى تدور حول المرأة، وقدمنا مايساعد على فهم طبيعة المرأة، ويعين على حسن معاملتها فى المواقف المختلفة سواء بالحزم أو بالعطف واللين والتفهم لما تمر به من ظروف.

ونرجو بذلك أن نكون قد أتحنا مجالا أوسع لفرص سعادة الرجل فى علاقته مع المرأة، والمرأة فى علاقتها مع الرجل، ويسرنا سبل المحافظةعلى البيوت التى كانت تهدم لأتفه سبب حين لم يكن الفهم لظروف المرأة موجودا.

ندعو الله أن يتقبل منا ويوفقنا دائما لنيل رضاه
وعلى الله قصد السبيل.

تم بحمد الله تعالى

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

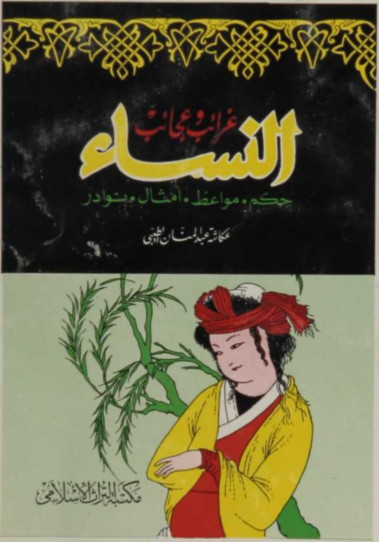
الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع : ٦٩ ٤٥ ـــ ١٩٩٣

صدر حديثا



مكتبة التراث الإسلامي
ت : ٣٩١١٣٩٧ _ ٣٩٢٥٦٧٧ _ فاكس : ٣٩١٣٤٠٦